الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques



قسم: التاريخ وعلم الآثار

تخصص: تاريخ وسيط

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د في التاريخ الوسيط بعنوان:

العلماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية (140-668هـ/757-1269م)

عنوان التكوين في الدكتوراه: العلم ومؤسساته في بلاد المغارب في العصر الوسيط.

إعداد الطالبة:
خديجة طاهر منصور

إشراف:
أ.د: عبد القادر بوباية

أعضاء لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	**الدرجة العلمية**	**الجامعة الأصلية**	**الصفة**
أ.دة. جهيدة بوجمعة	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	رئيسا
أ.د. عبد القادر بوباية	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	مشرفا ومقررا
د. قادة سبع	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	مناقشا
دة.عائشة تازي	أستاذ محاضر أ	جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف	مناقشا
د.أمحمد بوشريط	أستاذ محاضر أ	جامعة مصطفى إسطمبولي- معسكر	مناقشا

السنة الجامعية: 1440هـ/2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوَ انفَقْتَ مَا فِي اِلَارْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمُ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

سورة الأنفال–آية **63**.

الإهـــداء:

إلى روح والدي...رحمه الله تعالى

إلى والدتي...أطال الله في عمرها

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائهم

إلى صديقاتي

إلى كل طالب علم،

أهدي "أول ثمرات جهدي العلمي" .

شكـــــــر:

أتوجه بالشكر الجزيل عطره وأوفاه إلى الأستاذ المشرف على الأطروحة السيد عبد القادر بوباية

لما بذله من جهد في إكمال هذه الرسالة بملاحظاته وتوجيهاته وبصبره عليّ.

وإلى السادة الأستاذة إبراهيم جدلة وفاطمة بلهواري وقادة سبع.

وإلى كل الأساتذة الذين درسوني في قسم التاريخ جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

والشكر موصول إلى كل عمال المكتبات والمخابر البحثية التي زرتها داخل وخارج الوطن،

وأخص بالذكر القائمة على مختبر تاريخ الجزائر "حفيظة فنزاري".

مقدمة

مقدمة: كانت الحركة الفكرية في بلاد المغارب في نمو وتطور منذ الفتح الإسلامي، وما لبثت أن عرفت المنطقة نقلة نوعية بقيام نهضة فكرية تزامنت مع انتشار المذاهب وظهور الدول المستقلة في القرن الثاني الهجري الموافق للثامن الميلادي التي تبعها بروز مراكز ومؤسسات علمية متنوعة، مما جعل من المنطقة محطَ أنظار عدد كبير من العلماء المشارقة؛ لكونها موقعا خِصباً يسمح بنشاط الوافدين أيضا رغم اختلاف البيئة الثقافية والتكوين العلمي وحتى الانتماء المذهبي والديني، فتفاوت تواجدهم في حواضرها عدادا وتوزعا جغرافيا وزمنيا كما تباين تأثيرهم في الحركة الفكرية بالمنطقة.

يندرج موضوع هذه الدراسة ضمن إطار التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب الإسلامي في العصور الوسطى، ويتمحور العمل فيه على تاريخ العلاقات الفكرية بين القطرين مُقتصرا على الوجود العلمي المشرقي في بلاد المغارب.

نظرا لتوجه الدراسات التاريخية نحو معالجة ظاهرة العلاقات العلمية بين المشرق والمغرب الإسلامي بالتركيز على تدارس جانب واحد ألا وهو الرحلة العلمية من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق، والتي أفاض فيها الكثير من الباحثين المغاربة ونظرائهم المشارقة، وخُصصت لها جهود قيّمة لإبراز نتائجها العلمية ببلاد المغرب والمشرق على العموم؛ هذا الشطر الأول من القضية إذ اعتبرنا هذا الموضوع في الأصل قضية تاريخية أما الشطر الثاني منها فهو "العلماء المشارقة في بلاد المغارب"، لذلك حاولنا وضع لبنة لإتمام موضوع العلاقات المشرقية المغربية عامة من خلال البحث في الوجود العلمي المشرقي ودوره في تنشيط الحركة الفكرية ببلاد المغارب في العصر الوسيط.

ومن هذا المنطلق جاء عنوان الأطروحة موسوما بـــ**"العلماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية (140-668هـ/757-1269م)**، ويتضمن هذا البحث رصداً لجل العلماء المشارقة ببلاد المغارب ثم تبيان مساهمتهم في الحركة الفكرية بالقطر المغربي.

إن هذه الدراسة تُعنى بالعلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب، والذين ينتمون للشرق وطنا وتكوينا علميا، حيث يحمل العالم المشرقي القادم إلى المغرب رصيدا معرفيا مشرقيا نتاج نشأته هنالك.

وتشمل الدراسة البحثية محاولة تغطية كل جغرافية بلاد المغارب (المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وبلاد الأندلس وصقلية الإسلامية) في فترة طويلة من

زمن العصور الوسطى (حوالي خمسة قرون ونصف)؛ فالفتح الإسلامي لبلاد المغارب جعل هذه المنطقة تابعة لحكم المشرق، لكن وبعد مدة من انتهاء عمليات الفتح لها بدت تلوح أولى بوادر روح الانفصال ابتداء من نهاية الربع الأول من القرن الثاني الهجري، تلك الروح التي تعززت بعد سقوط الخلافة الأموية بالمشرق، واهتمام خلفائها العباسيين بتثبيت أركان دولتهم الجديدة؛ لذلك كانت محاولة اختيار تاريخين معلمين لحدود الدراسة يمثلان مرحلتي انتقال بارزتين في تاريخ المغرب الإسلامي قصد مراعاة الظروف السياسية لطرفي الدراسة (المشرق والمغرب)- على أن ما يهمنا أكثر هو القطر المغربي- حيث يعتبر القرن الثاني الهجري قرن تحول في تاريخ المغرب الإسلامي، فالتاريخ الأول (140هـ/757م) يمثل بداية لظهور الدول والإمارات المستقلة ببلاد المغرب.

كما كانت الفتنة بإفريقية قد بلغت أوجها في هذا العام بعد أن أصبحت إفريقية تحت سيطرة الخوارج الصفرية مما دفع بالإباضية إلى المسير نحو القيروان للسيطرة عليها، وهذه الأحداث دفعت بالعباسيين للتحرك أيضا من أجل استرجاع إفريقية، فكانت الثورة التي قتل فيها إمام الإباضية أبو الخطاب مما أدى لمغادرة الخوارج الإباضية لإفريقية. هذا عن المغرب.

أما في الأندلس فيقارب أيضا الدخول الرسمي لعبد الرحمن بن معاوية للأندلس سنة 138هـ/755م حيث ظل تابعا للعباسيين مدة عشرة أشهر ثم استقل بها نهائيا؛ أما التاريخ الثاني فهو الانتهاء الرسمي لدولة وحدت المغرب والأندلس معا بمقتل آخر خلفاء الدولة الموحدية الواثق بالله أبي دبوس سنة 668هـ/1269م وسقوط مراكش عاصمة الدولة، وبذلك وضع حدا للموحدين ووحدة بلاد المغارب.

وبلاد المغارب ما يرادف مصطلح المغرب الإسلامي وتقابل المشرق، وتشمل جميع بلدان المغرب لعدم بروز الخصوصيات قطرية بالنسبة للغريب المشرقي القادم، ولاعتبار آخر أكثر أهمية هو أن الدول التي تداولت على حكم المنطقة كانت حدودها السياسية تعرف مدا وجزرا على حساب بعضها البعض، كما عرفت بلدان المغرب تجارب وحدوية متفاوتة زمنيا ضمت حينا بعض الأقطار وحينا آخر كل الأقطار المغربية خلال فترات متباينة من الدراسة.

ونسعى في موضوعنا إلى رصد حركة التوافد العلمي المشرقي ونشاطه الفكري المتعدد الأوجه في بلاد المغارب المستقلة سياسيا عن المشرق، والتي واصلت سيرها نحو إنهاء تبعيتها الفكرية أيضا في محاولة لتكوين شخصية علمية مغربية مستقلة؛ فالمغاربة لم يقفوا

على ما نهلوه من علوم وفنون أهل المشرق بطرق متنوعة، بل تعدوه إلى اعتماد الذات في البحث، والمشاركة والتأسيس لمختلف العلوم في شتى الميادين، ونقد مؤلفات المشارقة وبالخروج عن التقليد والمألوف؛ وهذا معناه محاولة الانفصال الفكري عن المشرق أيضا.

ويعيدنا عنوان هذا البحث إلى نوع المواضيع التي تغلب عليها الشمولية والسعة في معالجة الطرح التاريخي بعدما عرف هذا الميدان الدقة والتركيز؛ ومن المعلوم أن هذا النوع من المواضيع يصلح لفتح مشروع جديد ولفت النظر للبحث فيه وفي عناصره لتُعالج على شكل نقاط في دراسات مستقبلية، وذلك ما نسعى نحن إليه أي إثبات إمكانية تدارس الموضوع أو أحد أجزائه.

من أهم الأسباب التي دفعتنا للتفكير في هذا البحث هو عدم اطلاعنا - حسب قدرتنا في البحث- على أي باحث مؤرخ كتب في هذا الموضوع بنفس العنوان، وفي هذه الفترة بالذات كتابة علمية مفصّلة؛ كما أن موضوع العلماء المشارقة في بلاد المغارب لا يزال بكرا، فلم يلق اهتماما كافيا من قبل الباحثين، إذا قيس بالاهتمام الذي لقيه العلماء المغاربة في المشرق، الذي أخذ منهم النصيب الأوفر في عملية البحث؛ وهذا مما يؤسف له حقا، إذ أن جانبا من حلقة الرحلة والتواصل العلمي بين جناحي العالم الإسلامي كاد أن يهمل.

إن عدم اهتمام الباحثين المشارقة والمغاربة بهذا الموضوع يرجع في نظرنا إلى أمرين هما:

- النظرة المعممة لموضوع الرحلة العلمية، والتي ترتكز دوما على دراسة تواجد العلماء المغاربة في بلاد المشرق كقاعدة لا يحيدون عن ذلك أبدا في الدراسات المندرجة تحت إطار العلاقات الثقافية بين القطرين.

تلك الرؤية الكلاسيكية الغالبة على التواصل العلمي أدى إلى خلو مكتباتنا من دراسات أكاديمية علمية تغطي هذا الموضوع المستبعد في نظرهم، بالرغم من أهميته وخصوبته وأصالته، إلا أنه بقي من المواضيع الهامة المهملة التي يجب على الباحثين في التاريخ الفكري المغربي عامة تسليط الضوء عليها.

- الصعوبة التي تكتنفه خاصة فيما لمسناه من محاولة التأسيس للموضوع، والتي يبدو أنه تنبه إليها بعض الباحثين، وإن كانوا في دراساتهم يكتفون بالإشارة إلى أسماء الأعلام المشارقة الراحلين غربا أو إيراد مادة جافة دون التمعق في البحث.

من أهم الدوافع العلمية المشجعة أيضا على المضي قدما في هذا الموضوع توفر المادة الخام في المصادر المتنوعة التي تسمح لنا بإنجاز الدراسة، فالمصادر كثيرة متنوعة لمشارقة ومغاربة أُلفت في فترات مختلفة، منهم المعاصر للعلم المشرقي الوافد ومنهم الناقل عمن سبقه.

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان مظاهر ونماذج التفاعل والتبادل الثقافي بين المغرب والمشرق في إطار الحضارة العربية الإسلامية من خلال تجارب شخصية علمية ملموسة تتمثل في إحصاء عدة أعلام مشارقة نابغين قد أسهموا بجزء مهم في بناء صرح حضاري بالمغرب الإسلامي؛ فرحلاتهم ومؤلفاتهم كانت بمثابة الحبل المتين الذي يربط الشرق الإسلامي بغربه.

إن غرضنا الرئيس من وراء إنجاز هذه الأطروحة هو الفائدة العلمية من حيث يسهل معرفة الأعلام المشارقة المُغرِّبين ومحل تواجدهم وفنونهم وعلومهم، فضلا عن قيمة ومنزلة هؤلاء في بلاد المغرب، وتبيان دورهم في الحركة الفكرية في المغرب من حيث مساهمتهم في ظهور علوم وفنون مُستحدثة، ثم بعث وتنشيط علوم وميادين مُخملة.

كما نهدف إلى إظهار النتائج الإيجابية التي تعود على الإنسانية عندما يقوم العلماء بالدور المنوط بهم بدفع مسار الحياة الفكرية الإنسانية، وبخاصة خارج مُجتمعاتهم الأصْلية متحملين عبء الرحلة، لتأدية أمانة تبليغ علمهم في بلدان المغرب رغم الصعوبات والعوائق التي يتلقاها المغترب في البيئة الجديدة.

وعليه، فإنَ طبيعة الموضوع المختار يسعى لتغطية مناحي الحياة الثقافية لعلماء مشارقة في وسط مغربي، فالموضوع يمتاز بالحيوية وكشف بعض الحقائق والخبايا الـمُتعلقة بطبيعة وسير الحركة الفكرية ببلاد المغارب.

يتعلق البحث بظاهرة إنسانية في العصور الوسطى ألا وهي التوافد العلمي من المشرق إلى بلاد المغارب، ما يدفع إلى التساؤل عن أسباب اهتمام العلماء المشارقة ببلاد المغرب التي كانت مقصداً لرحلاتهم، والحرص على إدراج أولئك العلماء ضمن مجالات معينة، كما أن وجودهم بها قد خضع لعوامل وظروف تتعلق بشخصيات العلماء أنفسهم من جهة، ومراحل الاستقرار الأمني فالإزدهار الحضاري للدول المشرقية والمغربية من جهة أخرى.

وعليه، فإن الإشكالية العامة التي يعالجها هذا الموضوع تتمحور حول طبيعة الوجود العلمي المشرقي، وانعكاسات ذلك التواجد على الحياة الفكرية في بلاد المغارب.

ومن خلال البحث في جوانب هذه الإشكالية حاولنا الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- من هم أولئك العلماء المشارقة الذين استهوتهم بلاد المغارب فحطوا الرحال بها؟ وما الدوافع التي حمَلت أولئك العلماء للوفادة عليها، ثم هل هي طوعية فردية أم تكليفية؟، وفيم تمثلت جهودهم العلمية لدفع الحركة الفكرية بها؟، وما الجديد في حركة التأليف بوجود أولئك المشارقة في بلاد المغارب؟ وكيف استفاد المغاربة من وجود المشارقة على أراضيهم؟.

وما قيمة عنوان هذا البحث في ميزان العلاقات المشرقية - المغربية في تاريخ العلاقات الحضارية بين القطرين؟.

لا توجد في التاريخ مواضيع أو قضايا أو ظواهر لم يكتب فيها أو يشير إليها أحد، فلا موضوع في التاريخ يُبنى من العدم؛ فإن لم تُفْرد لموضوع العلماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية دراسات علمية حسب معرفتنا على الرغم من أهميته، فإننا لا ننفي وجود بصمات للموضوع في بعض الدراسات العامة التي عُنيت بتاريخ العلاقات الثقافية المشرقية المغربية، ومما لا يغيب عن الأذهان أن دراسة أنواع العلاقات بين المشرق والمغرب كانت من اهتمامات الباحثين في التاريخ القديم[1]، واستمرت لها تلك الأهمية في التاريخ الوسيط وما بعده.

خلال عملية إنجاز هذا البحث عثرنا على عدة رسائل علمية تعنى بتاريخ العلاقات الفكرية أو التواصل الحضاري والرحلة العلمية بين القطرين المشرقي والمغربي في إطار السياق العام للبحث؛ ونركز في عرضنا هذا على الدراسات التي اهتمت بالعلماء المشارقة في بلاد المغارب كأحد عناصر البحث، أو أثارت إحدى فروع إشكاليته أو اقتربت من ذلك، لهذا فعرضها مفيد في معرفة التوجه العام لأصحابها أو السمة البارزة في آرائهم وبحوثهم.

- **الرسالة الأولى:** عنوانها "العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى نهاية الموحدين 50هـ- 670م/646هـ-1299م - دراسة تاريخية نقدية-" قام بها الباحث عبد الحميد خالدي[2]، وهي أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي.

[1]- ومن أحسن الدراسات في هذا الميدان أطروحة دكتوراه- منشورة- للباحث أحمد الفرجاوي أصلها بالفرنسية- جامعة باريس الأولى السوربون - ترجمها صاحبها إلى العربية بعنوان: "بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة"، من خلالها أثبت المؤلف متانة الصلة الرابطة بين المدن الفينيقية المشرقية – صور، صيدا، جبيل- وقرطاجة؛ تتبع فيها المد الحضاري الفينيقي في المغرب بروحه الشرقية مما كون الحضارة البونية التي حافظت على طابعها الفينيقي في نفس الوقت الذي عرفت فيه تطورا فاكتسبت خصوصيات مع الزمن فغدت بونيقية. أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث – تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة، تونس، 1993م، صص7-215.

[2]- إشراف حساني مختار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية1427-1428هـ/ 2007-2008م.

عـالج الباحـث موضـوع العلاقـات الثقافيـة لأهميتـه البالغـة باعتبـاره اهتمامـا وجدانيا لكـلا المنطقتـين معتبـرا ذلـك علاقـة تكامليـة؛ وهـذه الدراسـة قامـت علـى التسلسـل الزمنـي والتطـور التاريخي، فقد رسم خطته على حسب الدول التي تداولت على حكم المغرب من الفتح إلـى قيـام الموحدين، وبين العلاقة الثقافية لكل دولة ببلاد المشرق.

من النتائج التي توصل إليها الباحث أن ثقافة المشرق وجدانية، أما المغرب فهي عقلانيـة، واعتبـر أن التـاريخ الثقـافي المغربـي الوسيط أهمـل مـن طـرف المشـارقة، وطُمس مـن طـرف الأوروبيين؛ فالمغرب الإسلامي ظُلم ثقافيا من أعدائه وأشقائه؛ كما حـاول تقديم تفسير لأسباب عُزوف المشارقة عن كتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط وتحاملهم عن دور أبنائه في الحقل الثقافي قد يعود ذلك ربمـا إلـى أن المغـرب الأوسط لـم يعرف قيام أي مؤسسـة ثقافيـة ذات بعد حضـاري، وأن كياناتـه السياسـية اعتبـرت طـاردة للعلمـاء والمفكـرين، مؤكـدا أن كثيـرا مـن المؤرخين يتعـاملون مـع التـاريخ الثقـافي للمغـرب فـي العصـور الوسـطى علـى أسـاس المـذهب العرقـي- أي الاختلاف العرقـي-.

ساهمت هذه الدراسة - المفيدة جدا لموضوع العلماء المشارقة- في تقويم الطرح، فـإن كـان المشارقة سباقين لكتابة التاريخ المغربي الذي نقل أبناء المنطقـة إلـى مرحلـة جديدة، وإن كانـت تلك نظرتهم، فما هو هدف المشارقة العلمي من التوجه نحو بلاد المغارب؟.

لقـد حـاول الباحـث إثبـات أهميـة بـلاد المغـرب ثقافيـا مـن خـلال بنـاء دراسـته علـى دور المغاربة في المشرق، وهذا ما نسعى لإثباته أيضا ولكن من خـلال نشـاط العلمـاء المشـارقة فـي بلاد المغارب.

لم تتناول عناصر الرسالة التواجد العلمي المشرقي في بلاد المغرب باستثناء نقطـة واحدة تعرض فيها الباحث إلى العلماء الذين تنقلوا بين العدوتين المغربية والمشرقية، إلا أنه لم يفصِّل واكتفى بالإشارة إلى بعض الأسماء فقط؛ وعمومـا فالرسـالة ارتكـزت علـى تبيـان دور الرحلـة العلميـة المغربيـة فـي حـين أهملـت المشـارقة المُغـرِّبين، ووصـفت وجـودهم بـبلاد المغـرب بالمحدودية وقلة الفاعلية وقصر المدة الزمنية، ونسعى بدورنا إلى إثبات عكس ذلك.

- الرسالة الثانية: العلاقات الثقافية بين دولـة الموحدين والمشرق الإسلامي (550-650هــ/ 1155-1252م)، للباحث هبة الله محمد عبد الفتاح، وهي رسالة ماجستير في التاريخ والآثار الإسلامية[1].

عـولج هـذا الموضـوع بـالتركيز علـى ارتحـال العلمـاء المغاربـة والأندلسـيين إلـى بـلاد المشرق، أولئك العلماء الذين تم تصنيفهم حسب التخصصات العلمية، مع إعطاء نماذج للعلماء المغاربـة الـذين أثروا فـي مدرسـة الإسكندرية، ثـم تبيـان الـدور الحضـاري للعائـدين مـنهم إلـى بلادهم.

إن دراســة التواصــل يكــون بشـقيه المغربــي والمشــرقي، إلا أن الباحــث أهمــل الجانــب المشـرقي، فلـم يخصـص لـذلك سـوى صـفحات قليلـة مـن رسـالته تحـوي تـراجم فقـط، مكتفيـا بالإشارة إلى قلتهم (تحوي الدراسة كاملة على اثنـي عشـر شخصـية مشـرقية عالمـة وافـدة علـى المغـرب فقط) إذا ما قورنوا بعدد المغاربـة المـرتحلين للمشـرق الـذين تـم البحـث فـي موضـوعنا من خلالهم، كما أنه لم يتعرض لتبيان نشاطهم الفكري في المغرب.

الرسالة الثالثـة: وهـي دكتـوراه علـوم فـي التـاريخ تحـت عنـوان العلاقـات الثقافيـة بـين الأنـدلس والمشرق الإسلامي مابين القرنين الثالث والخامس الهجريين(9-11م) من خلال كتب التراجم، للباحث صادق قاسم[2].

من المحاولات الجادة التي حاولت إنصاف عنوانها البحثي في العدوة الأندلسية من خـلال الاعتناء بذكر المشارقة القادمين؛ فقد عالج في نقاط متوزعة من بحثه تواجد صفوة من العلمـاء المشـارقة بالأنـدلس، وتعـرض بالخصـوص إلـى الـدور الفكـري لـبعض مـنهم حيـث ركـز علـى الشخصيات المشهورة كالقالي وصاعد البغدادي.

لكن كسابقتيها تبقى السمة الغالبة على الرسالة هو رغبة الباحث في إبراز دور الأندلسيين أصحاب الرحلة المشرقية في ميزان العلاقات الثقافية بين القطرين.

إضــافة إلــى كثيــر مــن عنــاوين المقــالات الأخــرى[1] المنشــورة فــي العديــد مــن الــدوريات والمجـلات، والتـي تعرضـت لأجـزاء مـن الموضـوع، وكـذا بعـض عنـاوين كتـب ودراسـات[2] متداولة مهمة ستذكر في البحث.

---

[1]- منشورة سنة 2013م، إشراف سعد زغلول عبد الحميد، نبيلة محمد حسن كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

[2]- إشراف غازي الشمري، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2018/2017م.



إن الرسائل المقدمة كدراسات سابقة ما هي إلا نماذج لأبرز تلك العناوين الكثيرة التي اعتنت بتاريخ العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب في العصر الوسيط، والتي كتب فيها المشارقة والمغاربة، حيث كان سعي المؤرخين المشارقة المُحدثين في بحوثهم إلى إثبات مكانة بلدانهم الحضارية في كونها مقصدا لرحلات المغاربة، في حين كان سعي نظرائهم المغاربة لإثبات دور رحلات علمائهم في ربط المشرق بالمغرب ثقافيا، وبينهما ضاع حق علماء المشارقة المُغرِّبين في البحث؛ كما لا يهمنا أيضا إن كانت تلك الدراسات مواكبة للفترة الزمنية أو شاملة للمنطقة كلها من عدمها، ما دام غرضنا من عرضها البحث عن قيمة علماء المشارقة في بلاد المغارب في تلك الدراسات، ومما يلاحظ حولها:

- أنه يغلب على الباحثين في الدراسات سابقة الذكر التركيز دوما على الرحلة المغربية إلى بلاد المشرق، وانعكاساتها على الحركة العلمية في بلاد المغرب والمشرق معا، وإظهار نتائجها في الحضارة الإسلامية عامة؛ أما التواجد العلمي المشرقي فقد ذكر عرضا فيها، مما لزم إهمال الكثير من العلماء المشارقة في المغرب بقصد أو دونه رغم تقديم عناوينهم باسم العلاقات الثقافية والتواصل العلمي.

- البحوث المقدمة كدراسات سابقة مرتبة ترتيباً زمنيا حيث نلاحظ بداية اعتناء الباحثين المحدثين مع الوقت بعلماء المشارقة المُغرِّبين، ومحاولة إنصاف عناوين مواضيع العلاقات الثقافية بين القطرين.

إن الدراسة المعنونة بالعلماء المشارقة ببلاد المغارب تندرج ضمن العلاقات بين المشرق والمغرب، وهي مسألة حيوية في صلب الثقافة الإسلامية، ولكنها تقوم على رحلات المشارقة فقط، وتسعى إلى تبيان دورهم في تاريخ الفكر المغربي.

---

[1]- لطفي بن ميلاد، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة العلوم الإنسانية- الكراسات التونسية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، مجلد 12، صص96-115/ رشيد الزوادي، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامي، وهران، 1993م، ع1، صص323-341./ صافية كساس، الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، ع8، صص177-198/ محمد قجة، التواصل الحضاري بين القيروان وبلاد الشام، عمل جماعي، إشعاع القيروان عبر العصور- وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20إلى 25أفريل 2009، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث- المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2010م، ج1، صص257-274.

[2]- ومن عناوين الكتب التي اهتمت بالموضوع: محسن جمال الدين، أدباء بغداديون في الأندلس، منشورات مكتبة النهضة، دار التضامن، بغداد، ط1، 1962-1963م/ عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2005م.

إن عدم وجود دراسة شاملة مكانيا وزمنيا للموضوع أدى بنا إلى البحث عن خطوات ممنهجة للسيطرة على الموضوع، وتقديم صورة واضحة ومُقنعة خلال طرحه بغية الخروج بنتائج علمية مرضية، لذلك ارتأينا الاعتماد على خطوتين منهجيتين في العمل على الموضوع.

أولا: اقتضى البحث وجود معجم لأهل الثقافة والعلوم والفنون من المشارقة القادمين كفصل في الرسالة يتضمن إحصاء لهؤلاء العلماء الوافدين بالترجمة لهم لتبيان إمكانية دراسة هذا الموضوع وتوفر شروط العمل عليه؛ ويعتبر ذلك أساس الدراسة وعمادها، بل قاعدة باقي الفصول التي تليه.

لقد جعلنا ميزان الاختيار في المعجم أن يكون صاحب الترجمة مشرقيا نشأ وتعلم بالمشرق، ووفد على بلاد المغرب وساهم في الحركة الفكرية في بلاد المغارب ويقودنا هذا المعجم للتعرف على الأعلام المشارقة القادمين من الرجال والنساء، وكان الحرص على أن يكون تقديم تراجم الأعلام مستوفيا قدر المستطاع، والغاية منه هنا تسهيل الوصول إلى العَلَم المرغوب فيه بأيسر طريق، وأقصر وقت.

وأهمية المعجم لا تنحصر في مادته العلمية أي في تلك التراجم، إنما في إثبات الوجود العلمي المشرقي، وبأنه موضوع جدير بالاهتمام ويستحق البحث فيه، وكأننا نحاول إقناع القارئ بأن الموضوع يستحق دراسة جوانبه-.

ثانيا: حاولنا استغلال النص المصدري وتوزيعه حسب احتياجاتنا له؛ فنص واحد نأخذ منه لنعرف به، ونؤكد وفادته، وبسنة دخوله، ثم نحتاج منه في التحليل لتبيان المكانة وسبب القدوم والعلوم وكتبه والمؤلفات الوافدة معه، وإن كان له دور في تنشيط الحياة الثقافية أم لا.

تقوم دراسة العلماء المشارقة على تراجم عدة شخصيات تُكوِّن موضوع بحث، تشترك في عنصر التَمَغْرُبْ - إن صح التعبير-، فنحن نعمل على تفكيك المعلومات من المصادر المختلفة المتعددة المشارب والمجالات المتنوعة والمواضيع والرؤى ثم التركيب، وهو من الأمور الصعبة إن لم يجد الباحث دراسات سابقة تُذلل له هذا النمط من البحوث الذي يبدو الباحث وكأنه يجمع قطعا متناثرة ليجعل منها موضوع.

وعند عرضنا للدراسات السابقة تبين أن منهج أكثر الباحثين للحفاظ على تسلسل وترابط عناصر البحث فيما بينها كان إما اعتمادا على الزمنية (أي حسب التسلسل التاريخي التصاعدي للدول) أو التصنيف العلمي (أي حسب العلوم)؛ لكن في الحقيقة هذا الموضوع لا تنفع معه الطريقتين السابقتين؛ لاعتبار التأسيس له فهو بأمس الحاجة إلى دلائل، ولذلك ازددنا

يقينا من الاعتماد على المنهج الإحصائي المعجمي للأعلام في البداية رغبة في الحصول على معطيات تاريخية جديدة؛ ولو كان الموضوع متدوالا لكانت الطريقتين السابقتين أكثر تعويلا وإفادة.

انطلاقا من طبيعة الموضوع يستلزم على الباحث الانطلاق من المنهج التاريخي السردي، وهو الغالب في البحث حيث يسرد أحداث ربطت بين القطرين، وينقل مسارات المشارقة وعلمائهم نحو بلاد المغارب.

وبدرجة ثانية كان استعمال المنهج الوصفي الذي يهتم بذكر خصائص ظاهرة الوجود العلمي في بلاد المغارب معبراً عنه بصورة كمية وكيفية في بعض النقاط.

كما آثرنا الاعتماد على المنهج التحليلي خلال عرضنا لمختلف عناصر الموضوع الذي يعتمد على تحليل المعطيات التاريخية وتفسيرها على أسس علمية صارمة بقصد الوصول إلى تعميمات تساعد على فهم نتائج التواجد العلمي المشرقي في المغرب.

وكذا المقارنة والنقد في بعض العناصر للخروج بنتائج واستنتاجات وحقائق حول دور العلماء المشارقة وإسهاماتهم في المجال الفكري ببلاد المغارب، مع التزام الموضوعية في الطرح قدر الإمكان.

ولاستنتاج الأبعاد المرجوة، وعملا بالشروط المنهجية وما تمليه طبيعة عنوان الموضوع قسمنا الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وبابين رئيسيين يتألف كل منهما من ثلاثة فصول، ذلك أن عنوان بحثنا في الأصل يتركب من قسمين.

- تمهيد: حول " **نظرة تاريخية عن علاقة المشارقة ببلاد المغارب**" تتبعنا من خلاله مسيرة المشارقة منذ العهود القديمة من خلال البحث في عنصرين أولهما إشكالية الهجرات البشرية المشرقية الوافدة إلى المغرب في العصور السابقة للإسلام، وثانيهما رصد لموجات هجرية شرقية نحو المغرب في ظل الإسلام ابتداء بموجة الفتح، ثم رصد لحركات الهجرات الفردية والجماعية، والتي استمرت حتى عهد الدولة الموحدية، لما لهذه الرؤية السريعة من أهمية بالغة في فهم جذور التوافد العلمي المشرقي لبلاد المغرب.

* **الباب الأول:** تناولنا فيه بالبحث " **العلماء المشارقة ببلاد المغارب**"، ويشتمل على ثلاثة فصول.

الفصل الأول: خصصناه **لعلاقة المشارقة ببلاد المغارب تواصل أم قطيعة؛** كان لا بد قبل البدء في البحث عن الوجود العلمي المغربي معرفة نظرة المشارقة إلى المغرب والمغاربة في

العصور الوسطى، والتي لم تكن منصفة ولا تشجع على التوافد المشرقي نحو بلاد المغارب، إلا أن وجود عوامل مساعدة قادت المشارقة غربا إضافة إلى عوامل الجذب التي ساهمت في استقطاب المشارقة؛ ومن بين العوامل المساعدة التي فصلنا فيها من خلال عنصر مفرد هو الطرق والمسالك لما لها من أهمية في حركة التنقل؛ وبذلك حاولنا التدرج في هذا الفصل من النظرة إلى المغاربة وهم في بلاد المشرق، ثم محفزات التواصل، ثم الطرق التي قادتهم غربا.

أما **الفصل الثاني** فتناولنا فيه **العلماء المشارقة المُغربين**؛ ترجمنا فيه لأهل الثقافة والعلوم والفنون من المشارقة الوافدين الذين تركوا بصماتهم في الساحة الفكرية، وخلدوا أسماءهم في بلاد المغرب؛ وقد ابتدأنا فيه برصد تراجم العلماء المشارقة القادمين للعدوة المغربية، ومن ثمة انتقلنا إلى القادمين لعدوة الأندلس، ليكون ختام الفصل جامعا لأهل الثقافة والعلوم والفنون المشارقة الوافدين على كل بلاد المغارب (المغرب والأندلس وصقلية الإسلامية) كمعجم مرتب ترتيباً زمنياً، واقتضى تقسيم ذلك على شكل عناصر لضرورة علمية ومنهجية.

بينما تضمن **الفصل الثالث** الحديث عن **العلماء المشارقة في بلاد المغارب**؛ فبعدما أثبتت التراجم توافدهم تطرقنا إلى الأسباب والدواعي التي كانت وراء الوجود العلمي المشرقي في بلاد المغارب، كما أبرزنا مكانتهم عند الحكام والعلماء في البلدان الوافدين عليها، ومن ثمة توزيعهم جغرافيا وزمنيا حسب مناطق القادمين منها والوافدين عليها.

* **الباب الثاني:** أردنا به إبراز **"دور العلماء المشارقة في الحركة الفكرية ببلاد المغارب"**، وهو الشطر الثاني من عنوان الموضوع؛ ويحوي ثلاثة فصول أيضا.

الفصل الأول: عالجنا فيه **العلوم والمعارف والفنون المشرقية الوافدة مع العلماء المشارقة إلى بلاد المغارب،** أولئك العلماء الذين أثروا بقدومهم مجالات متنوعة للحياة الفكرية فيما يُتقنونه من علوم، والتي تمثلت في العلوم النقلية الأصلية حيث شملت القرآن الكريم وعلومه وعلم الحديث وعلم أصول الدين؛ وتليها العلوم النقلية التبعية والمتمثلة في العلوم اللغوية والأدب (النثر والشعر)، والأخبار والتاريخ والجغرافية؛ ثم ما يُعنى بالعلوم العقلية والتي تشمل العلوم الطبية وعلم الحساب والنجوم والهندسة والفلسفة والمنطق؛ وفني الموسيقى والغناء.

الفصل الثاني خصصناه لرصد **مؤلفات العلماء المشارقة في بلاد المغارب والمؤلفات الوافدة معهم**؛ حيث أبرزنا دور العلماء المشارقة في الإنتاج الفكري في بلاد المغرب من خلال مؤلفاتهم الموضوعة، وكذلك المؤلفات المشرقية الوافدة معهم إلى بلاد المغارب سواء

كانت مؤلفاتهم الشخصية أومؤلفات مشرقية مجلوبة مع علماء المشارقة الوافدين، كما تطرقنا إلى مؤلفات الرحالة المشارقة القادمين التي تعرضت للحديث عن بلاد المغارب، واحتفظت بتاريخ وجغرافية المنطقة المغربية.

أما **الفصل الثالث والأخير** فتناولنا فيه بالبحث **دور العلماء المشارقة القادمين في تنشيط الحركة الفكرية في بلاد المغارب؛** من خلال الامتحان والمناظرات، ثم ركزنا على إبراز دور المشارقة في مجالس الوعظ والذكر؛ كما تعرضنا للنشاط العلمي الخاص بالإجازات العلمية التي منحها المشارقة لإخوانهم المغاربة؛ لنختم الفصل والبحث عامة بدراسة المؤثرات الثقافية المشرقية الوافدة مع علماء المشارقة إلى بلاد المغارب.

أما **الخاتمة** فهي عبارة عن جملة من النتائج والاستنتاجات التي قادنا إليها البحث في شكل نقاط مختصرة.

كما يتبع الدراسة مجموعة من الملاحق المتنوعة التي تهدف إلى إثراء الموضوع، والـمُتمثلة في الجداول الإحصائية وبعض الرسائل؛ ثم فهرس الموضوعات.

هناك صعوبات كثيرة واجهتنا في هذه الدراسة فالعلماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية موضوع يندرج ضمن تاريخ العلاقات الثقافية بين الشرق والمغرب الإسلاميين الذي بني على التراجم، ويصعب على الباحث المبتدئ التوغل في أغوار التاريخ الوسيط لقطبين كبيرين خاصة إن كان مجال الدراسة التواصل الفكري، كما يصعب عليه تذليل نمط التراجم في الكتابة التاريخية، ومن تلك الصعوبات نذكر أيضا:

- تناثر المعلومات في بطون مختلفة من الكتب: السير والتراجم، التاريخ العام، والكتب الأدبية بتنوعها وتعدد انتماءاتها (الأندلس، المغرب، المشرق)، وأهداف كتابتها.
- صعوبة استخراج بيانات الأعلام العلماء المشارقة من بعض المصادر التي لم تفرد للعلم الوافد على المغرب ترجمة مستقلَّة، بل يرد الحديث عنه من خلال سياقات متفرقة بين فصول الكتاب، خاصة مع أعلام الإباضية والمصادر الإباضية؛ إضافة إلى الوقت الكبير الذي تأخذه الترجمة الواحدة خاصة تلك المغمورة والتأكد من وفادتها، فشكل لنا هذا عائقا مما جعلنا نستبعد البعض لعدم وجود أدلة.
- قلة الاهتمام بالحياة الشخصيَّة لبعض من الأعلام المشارقة في بلاد المغارب فقد شحت علينا المصادر بتفاصيل عن حياتهم وعصرهم، وبخاصة المتعلقة بذكر محطات هامة في مسيرة

الأعلام مثل تواريخ الوفاة، الوفادة...، أو ما اتصل منها بأخبار العلماء المشارقة بالمغرب؛ مما أوقعنا في مشكلة قلة المادة العلمية في الباب الثاني خاصة في الفصل الأخير منه.

- عدم القدرة على التحكم في مجال البحث الفسيح، ويظهر ذلك في عناصر الباب الأول وفي توزيع المادة بغية استيفاء العنوان، فالعمل بحاجة إلى تضافر الجهود لكثرة المعطيات مما يوجب اختيار أهم المعلومات.

- صعوبة التعامل مع مواضيع تُبنى على أعلام وشخصيات من شتى ميادين معرفية، وكثرة أسماء الأعلام والمناطق الجغرافية وغزارة المعلومات وكثرة المعطيات وضخامة المادة، واستنزاف الطاقات، فالموضوع محدد في إطار زمني وجغرافي معين شامل للمشرق والمغرب الإسلاميين ولفترة طويلة، وهو في الأصل متشعب إلى عدة فروع، لأنه يندرج ضمن الحركة الفكرية ذات المجالات العدة.

وجب علينا التصريح ههنا بالنقائص الموجودة في الدراسة سواء في الجانب المعلوماتي أو المنهجي.

- على غير العادة في الرسائل الأكاديمية - يرى القارئ في هذه الدراسة فصلا مُخصصا لتراجم الأعلام - أو بالأحرى مُعجما في وسط الرسالة، والذي يُفترض أن يكون كآخر الفصول أو كملحق- على حسب المُتداول، لكن هنا التراجم تشكل فصلا ثانيا ضمن الباب الأول وذلك لإثبات ما نصبوا إليه وهو تأكيد لوجود أرضية للموضوع وسبق في العنوان وتفنيد للنظرة التقليدية الخاطئة على أن الرحلة والتواجد يكون دوما من طرف المغاربة في بلاد المشرق.

- صفة العلماء التي جمعنا فيها أهل الثقافة والعلوم والفنون- كل ما يصب في مجال الحركة الفكرية- والتي ربما يلومنا البعض إذ جمعت الدراسة الفقيه والمغني تحت مسمى العالم أي عالم في مجاله وحسب اختصاصه، إلا أنهم يشتركون في الأصل المشرقي وفي الوفادة على بلاد المغارب.

- عدم استيفاء كل العلماء المشارقة المغربين، فإننا لا ندعي أننا أحصينا كل المشارقة العلماء، على أننا واثقون أن العلماء ذوي الأهمية الكبيرة في الحركة الفكرية قد ذكروا.

- استخدام نفس النص (أي نفس العالم المشرقي) ومصدره في دلالات ومحاور بحثية متقاربة ومتباعدة لقلة المادة في بعض عناصر البحث.

- ككل الدراسات التي تشمل كافة المغرب الإسلامي فإن الحصة الكبيرة تستولي عليها الأندلس؛ ذلك لأن طبيعة الأندلس كانت تشجع على النشاط والظهور للأعلام الوافدين، أو ربما للفخ الذي يقع فيه الباحث المبتدئ لما يرتكز في دراسته أولا وبدرجة كبيرة على الأصول الأندلسية الأكثر وضوحا ودلالة خاصة في موضوعنا، لذلك نجد أنفسنا نهمل العدوة المغربية حيث يصعب البحث فيها مقارنة ببلاد الأندلس.

أما المصطلحات المرافقة لبحثنا ضمن الرسالة في مختلف عناصر الموضوع فهي: "العلماء المشارقة" و"بلاد المغارب"، ونعبر عنها أيضا بالمغرب الإسلامي، كما نجد تداولا كثيراً لكلمات "الوافدين والقادمين والداخلين والواردين" التي يستدل بها على العلماء المشارقة.

عرض لأهم المصادر المعتمدة في البحث: تطلبت الدراسة الإطلاع على الكثير من المصادر المغربية والمشرقية المتنوعة المجالات، والتزمنا ترتيبها حسب الأهمية لكل مجال ولكل مصدر في الموضوع.

- **الكتب الأدبية التاريخية:** عوّلنا في موضوعنا أساساً على أهم مصدرين يندرجان ضمن التاريخ الأدبي، وهما المقري وابن بسام؛ فقد جسدا في مؤلفيهما موضوعنا كعمل ميداني، واهتما بالترجمة لأهل المشرق الداخلين أرض المغارب، على أن يحسب لابن بسام السبق في الحصر للفئة العالمة فقط، وللمقري في كثرة التراجم وشمولية الوافدين على بلدان المغارب.

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،** لمؤلفه المقري أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن العباس بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد التلمساني، المتوفى سنة 1041هـ/ 1631م.

يعتبر هذا الكتاب موسوعة للحياة الفكرية في تاريخ بلاد الأندلس، عمد فيه صاحبه إلى تخصيص جزء منه للمشارقة الوافدين على الأندلس وهو الباب السادس في الجزء الثالث، وهذا الباب يضم تراجم كثيرة للعلماء المشارقة المغربين من الفتح إلى السقوط، وتخص تراجم المشارقة في بلاد الأندلس منذ فتحها سنة 92هـ/ 710م إلى غاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

تتبع فيه القادمين من المشرق فقط معنونا له: " في ذكر بعض الوافدين على أهل الأندلس من أهل المشرق، المهتدين في قصدهم إليها بنور الهداية المضيء الـمُشْرِق، والأكابر الذين

حلـوا بحلـولهم فيهـا الجِيـد منهـا والمـَفْرق، والمفتخـرين برؤيـة قُطرْهـا المـونق علـى المـُشْئِم والمـُـعْرِق"[1] .

كانت إفادتنا من هذا الكتاب إفادة جليلة حيث ترجم لكثير من العلماء المشارقة الوافدين علـى بـلاد المغـارب، وقـد ضـمَن هـذا البـاب سـتة وثمـانين ترجمـة كمـا انفـرد بـذكر تـراجم لشخصيات لا نجدها في بقية المصادر المغربية والمشرقية عموما.

إن هذا العدد الكبير من تراجم المشارقة القادمين الذي حواه كتاب النفح يعود إلى تأخر عصر مؤلفه، واشتماله على باقي المؤلفات حيث جمع فيه ما تداولته المصادر المفقودة، معتمدا في العرض على منهج بسيط يحوي كثيراً من المعلومات حيث يذكر: اسم العالم وكنيته ونسبه وموطنه، وعلمه المُتقن والعلوم المشارك فيها، ورحلاته في المشرق إن وجدت، وأساتذته الذين سمع عنهم، ورحلته إلى المغرب ونشاطه العلمي، والمناصب التي تولاها في بلاد المغرب، ومصيره من حيث استقراره في بلاد المغارب أو عودته، ويذكر وفاته ويشير إلى مؤلفاته.

ومن خلاله استطعنا التعرف على العلماء المشارقة الذين ساهموا في الحركة الفكرية المغربية بتنوع مجالاتهم في الحياة الدنيوية والعلمية فمنهم: الأدباء والشعراء والفقهاء والمحدثين وطلبة العلم، والتجار والرحالة المتجولين باختلاف أوطانهم وأجناسهم، فمنهم الرجال والنساء من الجواري، وتنوع انتماءاتهم الفكرية والمذهبية والسياسية.

إلا أن صاحب النفح كثيرا ما يظهر شكوكه حول بعض الشخصيات العلمية المشرقية الوافدة، فالإحصاءات المقدمة غير مؤكدة، إضافة إلى ذلك فقد صرح بنفسه لما تعرض لذكر التابعين الداخلين الأندلس"وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الأندلس، على أن التحقيق أنهم لم يبلغوا ذلك العدد"[3].

كما أن تراجمه لهؤلاء المشارقة الوافدين بعض منها لم تكن مُتوازنة، فقد تخلل ذكر بعض الترجمات المشرقية ذكر الأخبار المغربية مثل ترجمة صاعد البغدادي التي غَمرتها شخصية المنصور بن أبي عامر بالرغم مع أن العنوان يحمل ترجمة لصاعد؛ كل ذلك لا ينقص من أهمية الكتاب في هذا الموضوع، خاصة فقد رافقنا المقري في أغلب عناصر الدراسة.

---

[1]- تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1997م، ج3، ص5.

- الـذخيرة فـي محاسـن أهـل الجزيـرة، لابـن بسـام الشـنتريني أبـي الحسـن علـي، المتـوفى سـنة542هــ/1148م؛ ويعـد هـذا الكتــاب مـن أهـم مصـنفات ابـن بسـام الـذي ألفـه سـنة 502هـ/1108م بمدينة إشبيلية، وقسَمَهُ صاحبه على حسب ما ذكر في مقدمة كتابه إلى أربعة أقسام.

الذي يهمنا منه في دراستنا هو القسم الرابع، فقد خصص ابن بسام جزءاً فيه للطارئين منهم على الجزيرة الأندلسية، وقد عاصر بعضا منهم، وتحدث عن كل ذلك في القسم الأخير (الجزء السابع من أجزاء الكتاب) وعنونه بـــ "ذِكُر الكُتّاب الوزراء، والأعيان الأدباء والشعراء، الوافدين على جزيرة الأندلس، والطارئين عليها، من أول المائة الخامسة من الهجرة إلى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وخمسمائة، واجتلاب ما بلغني من نوادر أخبارهم، وشوارِدِ أشعارهم، مع ما يتعلّقُ بها، ويُذْكَر بسببها"[1].

ويضم تراجم الشعراء والكتاب وبعض المشهورين الوافدين من المشرق والقيروان وصقلية من أول المائة الخامسة من الهجرة إلى عصره، وكانت تراجمه مختارة.

الذي يهمنا منه تراجم الأعلام المشارقة الوافدين على الأندلس، فقد ترجم لكثير من أعلام دراستنا حيث افتتحه بترجمة صاعد البغدادي؛ كما تكمن أهميته أيضا في كونه معاصرا للكثير من العلماء المشارقة الذين ترجم لهم كالفكيك، ولهذا فما أورده عنهم من معلومات تعد قريبة من الدقة والصحة؛ لأنها أتت عن طريق المشاهدة والمعاينة، من هنا اعتمدت عليه في تراجم الأدباء والشعراء خاصة مع تبيان نشاطهم الفكري.

تميزت هذه التراجم الخاصة بالأدباء والشعراء المشارقة في هذا المؤلف بالقلة من حيث العدد وحجم التراجم التي كان أغلبها استطرادا للأخبار السياسية الأندلسية[5] أو أحاديثا جانبية، فضلا عن طغيان الأسلوب الأدبي عليها، حيث تتَّسم الذخيرة بلغة أدبية رفيعة لا تخدم الدراسات التاريخية كثيرا.

- كتب التراجم والسير: وهي كثيرة منها، المغربية والمشرقية، لقد أفادتني إلى حد كبير كتب التراجم والطبقات، ومن أبرزها المؤلفة في بلاد المغرب؛ منها من ترجمت لهم ضمن الغرباء، ومنها من ترجمت لهم جنبا إلى جنب مع علماء الأندلس والمغرب.

---

[1]- تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م، ج4، ص9.

- التكملة لكتاب الصَلة، لمؤلفه ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، المتوفى سنة 658هـ/1259م؛ يعتبر هذا الكتاب إحدى كتب السلسلة التراجمية الأندلسية، فهو تتمة لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وتكملة لصلة ابن بشكوال؛ أفادنا هذا المصدر في التعرف على عدة علماء مشارقة- رجالا ونساء- ساهموا في الحركة الفكرية قد ترجم لهم ابن الأبار - المعاصر لبعض منهم- ضمن الغرباء الوافدين على الأندلس، مما سهل علينا عملية البحث فتتبعنا كل غريب في الكتاب حسب الترتيب الأبجدي، كما استعنا به أيضا في التعريف بالعلماء المغاربة بالهوامش.

إلا أن ما يعاب على ابن الأبار اضطراب بعض تراجم الغرباء المشارقة كإدراجه لنص تراجمي واحد لشخصين هما: مودود بن عمر بن مودود الفارسي، وعمر بن مودود بن عمر الفارسي، لتؤكد الترجمة من خلال الكنية والأعمال أن صاحب هذه الترجمة هو شخص واحد، ولربما وقع ابن الأبار في هذا الخلط باعتبار أن هذا الشخص غريب- مشرقي-.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر البرمكي الإربلي الشافعي، المتوفى سنة 681هـ/1282م؛ وهو كتاب تراجم عام وشامل يتضمَن تراجم سبعة قرون؛ تُصَنَف هذه الموسوعة على رأس كتب التراجم في التاريخ الإسلامي، فقد تميز بالضبط والدقة، كما تكمن أهميته في اعتماده على مصادر مفقودة، خاصة منها التي تعود لعلماء مشارقة أصحاب الرحلة المغربية.

إننا استعنا به فيما يتعلق بالعلماء المشارقة القادمين إلى بلاد المغرب الذين ضمن كثير منهم في أجزاء كتابه، حيث يتميز بكثرة إيراد المعلومات والمعطيات فتطول الترجمة؛ لذلك فقد أمدنا ابن خلكان بمادة شملت كثيرا من عناصر البحث، كما استفدنا منه في التعريف بشخصيات مشرقية وردت بهوامش الدراسة.

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد، المتوفى سنة 1025هـ/1616م، يعتبر هذا الكتاب مصدراً بالغ الأهمية في دراسة الحياة العلمية والثقافية بمدينة فاس والمغرب عامة نظراً لاهتمام صاحبه بذكر كل الواردين على مدينة فاس، ومن هؤلاء المشارقة القادمين إلى بلاد المغرب الذين زاروا مدينة فاس، أو حطوا الرحال بها مستقرين، وقد ترجم لهم ابن القاضي ضمن الغرباء؛ لذلك اعتمدت عليه، وأفادنا كثيراً في تتبع الوافدين على المغرب.

- كتـاب السـيرة وأخبـار الأئمـة، لمؤلفـه يحيـى بـن أبـي بكـر الـورجلاني، المتـوفى بعـد سـنة 471هـ/1078م؛ وهو أقدم ما ألف في سير الإباضية الذين دخلوا بلاد المغرب، بالاعتماد على الرواية الشفوية أساساً؛ ويعتبر هذا الكتاب المرجع الأول الذي أخذت عنه المصادر الإباضية اللاحقة؛ وقد استفدنا منه في معرفة علماء الإباضية المُغربين، وتبيان دورهم في نشر علومهم ومذهبهم، وتتبع إنتاجهم الفكري المتمثل أساسا في مؤلفاتهم.

ولم يكن غرض أبي زكريا من تأليفه ذكر حياة الأشخاص والأحداث وتحديدها بالتواريخ، بقدر ما كان جمع مآثر ومناقب العلماء والصالحين، وإن برزت فيه عدة مآخذ صعبت عملنا منها: قلة الاهتمام بالحياة الشخصيَّة للعلَم المشرقي، وصعوبة استخراج ما يتعلق بالوافد لأنه يورد الحديث عنه بين فصول متفرقة من الكتاب.

كتب التاريخ العام:

- في الإنصاف بين المشرق والمغرب، لابن فضل الله العمري أحمد بن يحيى بن المُجلِّي بن دعجـان بـن خلـف - وينتهـي نسـبه إلـى عمـر بـن الخطـاب- رضـي الله عنـه- المتـوفى سـنة 749هـ/1348م.

الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية تاريخية جغرافية يندرج ضمن تاريخ المناظرات، حيث يمثل موضوعه مساجلة أو مناظرة جرت رغم تفاوت الزمن بين ابن سعيد المغربي المتوفى سنة 685هـ/1286م والعمري – نص ابن سعيد ورد العمري-.

ألف ابن سعيد فصلا بعنوان الشهب الثاقبة في الإنصاف بين المشارقة والمغاربة من كتاب المغرب أو المشرق في حلى المشرق، ولم يصل إلينا نص ابن سعيد إلا أن العمري نقله في معظمه مع تعليق على ما أورده ابن سعيد؛ لذلك فالكتاب جامع لمعارف عصره من وجهة نظر عربية إسلامية شامية مصرية، موضوعه المفاضلة بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

اعتمدنا عليه كثيرا في معرفة صورة المغرب والمغاربة من عيون المشارقة، تلك النظرة التي لم ينصف فيها العمري ولا المشارقة مغرب الإسلام، حيث تبدو نظرة المشارقة من خلاله إلى بلاد المغاربة نظرة انتقاص وتحقير من شأنهم.

كتـب الجغرافيـة: أهميتهـا كبيـرة فـي الدراسـة، فإضـافة إلـى اعتبارهـا معـاجم للبلـدان ووصـفا للمسالك البرية والبحرية الرابطة بين بلاد المشرق والمغرب؛ فإن بعضا منها مثلت مؤلفات لرحالة مشارقة وافدين إلى بلاد المغرب تحمل معلومات تاريخية متنوعة؛ وكثيرا ما اعتمدنا

في الدراسة على المعاجم المشرقية لتعريف المدن المشرقية، وعلى المعاجم المغربية لتعريف المدن المغربية، ومن أهمها:

- **كتاب البلدان**، لليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، المتوفى 284هـ/897م؛ يعتبر اليعقوبي أحد أبرز الرحالة المسلمين، فقد زار بلاد المغارب؛ لذلك فهو إحدى الدعائم التي تقوم عليها دراستنا، ونستفيد منه في عناصر متنوعة كالتعرف على طرق ومسالك توافد المشارقة إلى بلاد المغارب، ونظرتهم لهذه المنطقة، وكذا فيما يخص ما نقله من مشاهداته التاريخية والجغرافية في كتاب يندرج ضمن كتب الرحالة التي تضم الحديث عن بلاد المغارب.

- **المسالك والممالك**، لابن حوقل أبي القاسم المتوفى 380هـ/990م؛ هو من الرحالة التجار الذين زاروا بلاد المغارب في القرن الرابع الهجري، وهو أحد أعلام الدراسة؛ أما مؤلفه فيفيدنا كثيرا في ذكر الطرق والمسالك البرية والبحرية التي اتبعها المشارقة إلى بلاد المغارب، كما يمكن التعرف على نظرة المشارقة لبلاد المغارب من خلال ما صوره لنا ابن حوقل في مؤلفه، هذا إضافة إلى اندراج صورة الأرض ضمن كتب الرحلة للمشارقة المُغربين.

- **المسالك والممالك**، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري الأندلسي، المتوفى سنة 487هـ/1094م.

اعتمدنا عليه في رصد بعض المعلومات والأحداث التاريخية فيما يخص تمهيد الدراسة، وكذلك في الحديث عن الطرق البرية والمسالك البحرية التي ربطت بلاد المشرق بالمغرب، فقادت المشارقة من الإسكندرية كآخر محطة مشرقية إلى مختلف حواضر ومدن بلاد المغارب، كما استفدنا منه في التعريف ببعض المدن المغربية الواردة ضمن البحث.

- **معجم البلدان**، لمؤلفه شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، المتوفى سنة 626هـ/1229م؛ يكتسي هذا الكتاب أهمية كبيرة لدى الباحث لسهولة استعماله، إضافة إلى أنه يجمع بين الجغرافيا والتاريخ والتراجم؛ لقد استفدت منه في هذه الجوانب من حيث التعريف بالمدن خاصة المشرقية منها، وكذلك الشخصيات التي ترجم لها مثل أبي علي القالي- حيث يربطها بالمدن والقرى التي يعرف بها-.

- الروض المعطار في خبر الأقطار، لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، المتوفى حوالي سنة 750هـ/1349م، وهو عبارة عن معجم جغرافي تاريخي يتطرق إلى ذكر المدن حسب ترتيب حروف المعجم، هذا ما يسهل طريقة البحث إضافة إلى الإيجاز الذي تميز به في التعريف بالأماكن الجغرافية؛ وأفادني هذا الكتاب كثيرا في الترجمة لبعض الأماكن الجغرافية لبلاد المغارب.

إذن اعتمدنا على مصادر كثيرة استفدنا منها في البحث، كما استعنا كذلك بمجموعة من المراجع التي لها علاقة بالموضوع بجميع أجزائه، فضلا عن الرسائل الجامعية والمقالات التي اعتمدناها في التحليل خاصة.

وفي بعض الأحيان مثلت المادة المقدمة من مظان المصادر تكاملا في عناصر البحث، ودعما وتغطية للنقص في بعضها الآخر، إلا أن هناك نقاطا لم نجد مادة كافية لمعالجتها فيما يتعلق بمحاور الفصول الأخيرة.

يعدُّ هذا العمل تجربة أولى، إذ على ضوئها يمكن الانطلاق إلى آفاق أكثر اتِّساعا، بالاستفادة من النقائص التي لا يخلو منها أي جهد بشري، كما أن غرضي كان من كل هذا هو الخروج على الأقل ببحث يكون في مستوى قريب من البحوث الجادة.

تمهيد: نظرة تاريخية عن علاقة المشارقة ببلاد المغارب

أولا: إشكالية الهجرات البشرية القادمة من المشرق إلى المغرب في العصور السابقة للإسلام.

ثانيا: العلاقات المشرقية المغربية في ظل الإسلام (العصور الوسطى).

قبل بداية الدراسة وجب علينا ضبط مدلول مصطلحات العنوان البحثي؛ فالعلماء مختصر لأهل الثقافة والعلوم والفنون في شتى مجالات الحياة الفكرية، ولا يقصد بها العالم بمعناه في العصور الوسطى، وإنما استعمل مصطلح العالم للاستدلال بهذه الصفة على الفقيه والمحدث والأديب والشاعر والمؤرخ والجغرافي والمغني والموسيقي والطبيب والفيلسوف،...لعدم وجود مصطلح مختصر يوحد هؤلاء، وذلك ما أشار إليه إبراهيم حركات بقوله: "...فقد عرف المسلمون في هذه العصور- يقصد الوسطى- كلا من العالم والأديب والمشارك، وماعدا هؤلاء فيتميز بخصوصيته كالنحوي والطبيب والنباتي، ولا يوجد مصطلح يوحد بين فئات المثقفين أو عناصر المعرفة عموما"[1].

والمشارقة[2] هم المنتمون إلى المشرق[3] أي كل البلاد الإسلامية الممتدة جغرافيا من مصر وما يليها شرقا حتى بلاد فارس استنادا إلى المدلول الجغرافي، فهي تضم مصر وبلاد الشام والحجاز والعراق واليمن وخراسان وفارس حيث تتسع أو تضيق حسب التحولات التاريخية وانتشار الثقافة العربية بها.

بينما الحركة الفكرية هي ميدان رحب وخصب يشمل كل أنواع العلوم والآداب وضروب الفنون، لذلك كان علينا إدراج الأعلام المشارقة الوافدين تحت صفة العلماء (مصطلح لأهل الثقافة والعلوم والفنون) لإبراز دورهم من خلال نشاطهم في مجال معين أو عدة مجالات للحياة الفكرية المغربية التي تنطوي تحتها عدة فروع معرفية.

---

[1]- إبراهيم حركات، الثقافة وتبليغها بالأندلس في عصر الريادة (من القرن2 إلى 4/ 8إلى 10م)، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، طبع مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، 1996م، ع6، ربيع 1419هـ/1998م، ص117.

[2]- سعى عمر بن حمادي في مقالة له إلى ضبط مصطلح المشارقة وتشرَّق، واعتبر أن هذا اللفظ أطلق من طرف المصادر السنية على العبيديين بالمغرب، وبذلك فإن هذه التسمية أي المشارقة ارتبطت بمولد الحركة الشيعية في المغرب؛ أما مقصدنا نحن من المشارقة في طرحنا واستعمالنا فمدلوله في العنوان هو ما يقابل المغاربة- بريء من مدلولاته السابقة- عمر بن حمادي، حول نعت الدعوة الفاطمية بـ"التشريق" ونعت الداخلين فيها بالمشارقة، أعمال الملتقى العلمي الدولي، حوليات الجامعة التونسية في خدمة الثقافة العربية - بحوث في الحضارة والتاريخ-، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية- تونس، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية، تونس، ع39، 1995م، صص281-303.

[3]- المشرق: يقول ابن منظور: "الشَّرْق: المَشرِق، والجمع أشراق" والمشرق اسم موضع، وهو جهة شروق الشمس، عكس المغرب، والمشارقة سكان المشرق، وَاحِدُهُمْ مَشْرِقِي. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج10، صص173- 174 وينظر ما بعدهما/ مجمع اللغة العربية - الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث-، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م، ص480.

تمهيد: تعتبر العلاقات المشرقية - المغربية قديمة قدم التاريخ نفسه، ومتطورة تطور الإنسان ذاته[1]، تندرج ضمن تاريخ العلاقات بين المجتمعات الإنسانية؛ ذلك أن الإنسان مدني بطبعه[2] ولا يعيش إلاَ بالتواصل بين بني بشرته[3].

وعليه، فإن المشرق والمغرب عرفا عملية تواصل حضاري - بينهما- امتدت منذ العصور القديمة، وتوطدت مع دخول الإسلام إلى بلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري[4]/السابع الميلادي.

يتضح لنا من خلال عنوان هذا التمهيد الذي يُسلط الضوء على علاقة المشارقة ببلاد المغارب- وليس المغاربة ببلاد المشارقة- تناسقا مع الموضوع المعالج ظاهرياً؛ إلا أنه من حيث الضمنية هو أمر مسلم به- لأن المشارقة هم المُبادرون لإنشاء علاقات مع المغرب سواء في التاريخ القديم – الهجرات البشرية وتأسيس قرطاجة، أو في السنوات الأولى لظهور الإسلام – حركة الفتوح-، وعليه نعالج الموضوع في نقطتين زمنيتين:

أولا: إشكالية الهجرات البشرية القادمة من المشرق إلى المغرب في العصور السابقة للإسلام: ليس من السهل رصد الحراك البشري الذي عرفه الإنسان القديم القادم من الشرق والمتعلق بالوفادة على بلاد المغارب لارتباط الأمر بقضية النسب عند البربر- والتي اختلف فيها كثيراً قديما وحديثا-، ولذلك كان التعويل على رصد حركية تلك الهجرات القادمة من المشرق ومسارها ومجال التحوز في أرض المغارب،- غير مُلمين بمناقشة أصل البربر هل كانوا عرباً أم لا؟، وغير مبالين بتضارب تلك الروايات حول النسب وأصل اللغة البربرية، وحول إمكانية تواجد إنسان محلي من عدمه؛ يقول محمد المختار العرباوي: "وهو موضوع- كما نعلم- أصبح شائعا من جرّاء التعقيدات التي نسجت حوله والصراع السياسي والثقافي الذي بات يكتنفه"[5].

---

[1]- مجموعة من الكتاب، حوار المشارقة والمغاربة، الجزء الخاص بـ "المشرق والمغرب في ضوء القراءة الشعبية الدولة الفاطمية نموذجا"، وزارة الإعلام – مجلة العربي، مطبعة حكومة الكويت، ط1، 2006م، ج1، ص88.

[2]- (الإنسان مدني بالطبع). ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م، ج1، ص60.

[3]- لطفي دبيش، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية من خلال مدونة الجغرافيين المسالكيين والرحالين العرب والمسلمين، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2010م، ص1.

[4]- عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية (ق7-9هـ/13-15م)، النشر الجديد الجامعي، وزارة الثقافة، تلمسان، ط1، 2015م، ص9.

[5]- محمد المختار العرباوي، في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 1998م، ص68.

ونحاول استخراج طبيعة العلاقات المشرقية- المغربية في تاريخ ما قبل الإسلام، والتنظير لها حسب المعطيات المقدمة في المؤلفات؛ ومن المعلوم أن هذا الموضوع نال اهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين أيضا، خاصة في تلك الدراسات المبنية على التحليلات العلمية؛ وفيما يلي تتبع رصد تلك الهجرات عبر مراحل:

- هجرة حام بن نوح وأبنائه: يشير ابن عبد البر إلى هذه الهجرة وأسبابها بقوله: **"فكانت بين بني حام أيضاً من الحروب والمُناوشات ضروبٌ، حتى كان آخر أمر حام أنْ هرب إلى ناحية أرض مصر، وتفرق ولده ومضى على وجهه يؤُم المغربَ، حتى أفضى إلى السُوس الأقصى، وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب البحر من الأندلس وغيرها... فلما بلغ حام هنالك أقام فيما اختار من تلك البلاد، فيقال: إن بنيه اغتمُوا لفراقه وبُعد مكانه، وندموا على تركه، فخرجوا في إثره يطلبونه في الناحية التي قصدها، فيقال: إن منهم طوائف وقعوا عليه، وكانوا معه إلى أن مات، واستوطنوا ذلك البلد وسكنوه... "[1].**

وفي ذات السياق ذكر البكري رواية أكثر تفصيلا عن السابقة: **"وقال أهل الخبر إن الشيطان نزغ بين بني سام وبني حام فوقعت بينهم مناوشات وحروب كانت الدائرة فيها لسام وبنيه، وكان آخر أمر حام أن هرب إلى ناحية مصر وتفرَق بنوه ومضى على وجهه يريد المغرب حتى انتهى إلى السوس الأقصى، إلى موضع يعرف اليوم بأسفا[2]، وهو آخر مرسى تبلغه مراكب البحر من عين الأندلس إلى ناحية القبلة، وليس بعده للمراكب مذهب وخرج بنوه في أثره يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعًا، وانقطع عنهم خبره أقامت بذلك الموضع وتناسلوا فيه، ووصلت إليه طائفة منهم فأقاموا معه وتناسلوا هناك"[3]؛** والخبر نفسه ينقله صاحب كتاب مفاخر البربر[4] في إطار حديثه عن أصول البربر، والسلاوي في ذكره نسب البربر وبيان أصلهم[5].

---

[1]- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ/1958م، صص34-35.

[2]- أسفا: يذكرها الحميري "أسفي" مرسى في أقصى المغرب، ومن مرسى أسفي إلى مرسى ماسا مائة وخمسون ميلاً، وفيه عمارات وبشر كثير من البربر. الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص57.

[3]- البكري أبو عبيد، المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة- قرطاج، تونس، 1992م، ج1، صص88-89.

[4]- صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، ط2013م، صص144-145.

[5]- السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2015م، ج1، ص55.

في حين يورد ابن خلدون سببا آخر لهجرة حام نحو المغرب في قوله: "إن حام لما اسودَ بدعوة أبيه فرَ إلى المغرب حياءاً وأتبعه بنوه"[1].

ومنه؛ نستخلص أنه وبالرغم من تعدد الروايات في أسباب هذه الهجرة إلا أنها تؤكد وفادة حام ومن بعده أبناؤه على بلاد المغرب.

- هجرة بربر بن قبط بن حام: يورد ابن عبد البر رواية قال فيها: "لما نزل قبط بن حام مصر خرج بَربر بن قبط بولده إلى ناحية المَغرب، فسكنوا من آخر عمل مصر، وهو ما وراء برقة إلى البحر الأخضر مع بحر الأندلس إلى مُنقطع الرمل متَصلين بالسودان؛ منهم لواتة بأرض أجدابية وسبرت، ونزلت مَزاَنة بأرض ودان، ونزلت هوارة بأرض أطرابلس، ونزل قوم بغربيها وهم نفوسة، ثم تشعبت بهم الطرق إلى القيروان وما وراءها، منهم قرقشانة وغيرهم، وصاروا إلى تاهرت وطنجة وسجلماسة"[2].

ونفس الرواية نجدها باختصار عند عبد الحليم الإيلاني لما ذكر"أنه لما تفرق أولاد نوح، أقبل البرابرة نحو المغرب الأقصى فقطنوه وتناسلوا، واتصلوا مع القبط من أرض مصر إلى المغرب الأقصى... وسكنوا مع الأفارقة وهم أهل إفريقية"[3].

إلا أن البلاذري ينفي ذلك بقوله: "وحدَّثني بكر بن الهَيثَم قال سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال: هم يزعمون أنَّهم من ولد برّ بن قيس وما جعل الله لقيس ولداً يقال له برّ"[4].

ومما يلاحظ حول هذه الهجرة أنه لم يكن لبر -بربر- بن قبط أسباب للوفادة على المغرب على حسب ما ورد في الروايات؛ ويبقى الاختلاف إن كان حام وفد أم بر بن قبط بن حام أم كلاهما، وفي ذلك يقول ابن حزم: "إنهم من بقايا ولد حام بن نوح (عليه السلام)"[5]؛ واحتمال أنه لم تكن هناك حركة انتقال في هذه الفترة أصلا، تبقى الشكوك دون الطعن في روايات المؤرخين لعدم وجود أدلة - والتي لن يحصل وجودها أصلا-، فالعلم الحديث

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص123.
2- ابن عبد البر، المصدر السابق، ص36/ سجلماسة: من أعظم مدن المغرب، على طرف الصحراء، بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، وبينها وبين غانة مسيرة شهرين، وسجلماسة الحديثة بنيت سنة 140هـ/757م، وأسسها مدرار بن عبد الله. الحميري، الروض المعطار، صص305-307.
3- مفاخر البربر، المصدر السابق، ص245.
4- البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطَبَاع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ/1987م، ص315.
5- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982م، ص495.

والتنقيبات زادت القضية تعقيداً، إذ يعبر عن ذلك محمد المختار العرباوي بقوله: "إن التحليلات العلمية المزعومة لم تزد مسألة أصل السكان إلاّ تعقيدا وإرباكا"[1].

- **الهجرات القادمة من الشام واليمن:** كتب الطبري نقلا عن هشام بن محمد الكلبي[2] "أن بقيةً بقيت من الكنعانيين بعد ما قَتَلَ يوشع من قتل منهم، وأن إفريقيس بن قيس بن صيفي بن سبأ ابن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجهاً إلى إفريقية، فاحتملهم من سواحل الشام، حتى أتى بهم إفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجيراً، وأسكنها البقية التي بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام قال: فهم البرابرة"[3]؛ قاصد بذلك صنهاجة وكتامة[4]، وهو ما يؤكده ابن خلدون بقوله: "إن كتامة وصنهاجة ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية تركها أفريقش بن صيفي بأفريقية مع من نزل بها من الحامية"[5].

بينما يقول البلاذري: "وإنّما هم من الجبَّارين الذين قاتلهم داود عليه السلام، وكانت منازلهم على أيادي الدهر فِلَسْطين، وهم أهل عَمُودٍ، فأتوا المغرب فتناسلوا به"[6].

يذكر صاحب كتاب مفاخر البربر"أن البربر كان مسكنهم فلسطين من أرض الشام مع الكنعانيين، وكانوا ملوكا، وكان كل من يملكهم يسمى جالوت...قتله داود عليه السلام، وجلت البربر نحو المغرب، وسكان المغرب يومئذ الروم، فقدمت البربر مصر؛ فمنعتهم القبط والنوب من النزول في تلك البلاد فساروا نحو إفريقية... وقطنت البربر بإفريقية والمغرب"[7].

ويحدد عبد العزيز بن عبد الله هذا الجلاء في تاريخ 1215 ق.م بقوله: "انتصر الإسرائيليون على الكنعانيين بفلسطين وأجلوهم فانتقل بعضهم إلى فينقية، ومنها إلى إفريقية

1- محمد المختار العرباوي، المرجع السابق، صص68-69.

2- هشام بن محمد بن السائب ابن بشر الكلبي(ت204هـ/819م): يكنى أبو المنذر، من الكوفة، مؤرخ وعالم بالأنساب وأخبار العرب كثير التأليف. خير الدين الزركلي، الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، 2002م، ج8، صص87-88.

3- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م، ج1، ص442.

4- نفسه، ج1، ص442.

5- العبر، المصدر السابق، ج6، ص117/ يذكر عبد العزيز بنعبد الله مستنداً على ما جاء في كتاب ابن خلدون أن جيل البربر من نسل يقشان ابن إبراهيم - عليه السلام- قد انتقلوا من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي 1300 ق.م. عبد العزيز بنعبد الله، الهجرات اليمنية إلى المغرب الكبير عربته قبل الإسلام بسبعة عشر قرنا، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المملكة المغربية، ع5، شتاء 1418هـ/1998م، ص80، وينظر ابن خلدون أيضا، المصدر السابق،ج2، ص43/ج6، ص120.

6- فتوح البلدان، المصدر السابق، ص315.

7- عبد الحليم الإيلاني، المصدر السابق، صص195-196/ وينظر السلاوي، الإستقصا، ج1، ص55.

حيث التحقوا بإخوانهم الأقدمين عن طريق برزج السوس صحبة مصريين فروا من الاضطرابات السياسية بمصر آنذاك، فكونوا الجيل الفينيقي العربي"[1].

ولكثرة الأطروحات في هذا الموضوع قام بعض المؤرخين بإيراد روايات مختلفة جملة واحدة، قال المسعودي: "وقد تنازع الناس في بدء أنساب البربر؛ فمنهم من رأى أنهم من غسان، وغيرهم من اليمن؛ وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل العَرِمِ؛ ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان؛ ومنهم من رأى غير ذلك"[2].

وكذلك ابن خلدون الذي أورد مجموعة روايات متعددة بقوله: "...وقيل تخلفهم - يقصد البربر- أبرهة ذو المنار بالمغرب، وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر من النزول، فعبروا النيل، وانتشروا في البلاد...قال- يقصد أبو عمر بن عبد البر- ورأيت في كتاب الإسفنداد الحكيم: أن النعمان بن حمير بن سبأ كان ملك زمانه في الفترة، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم: أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمرْ، فراجعوه في ذلك، وزعم عليهم، وأنه بعث منهم لمت أبا لمتونة ومسفو أبا مسوفة ومرطا أبا هسكورة وأصناك أبا صنهاجة ولمط أبا لمطة وإيلان أبا هيلانة، فنزل بعضهم بجبل درن، وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعة".[3]

وفي موضع آخر يقول: "وقال ابن الكلبي: اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام، فقيل داود بالوحي،...وقيل يوشع بن نون وقيل أفريقش وقيل بعض الملوك التبابعة، وعند البكري أن بني إسرائيل أخرجوهم عند قتل جالوت، وللمسعودي والبكري أنهم فروا بعد موت جالوت إلى المغرب، وأرادوا مصر فأجلتهم القبط، فسكنوا برقة وإفريقية والمغرب..."[4].

وهكذا حظي البربر بسلسلة طويلة من النظريات[5]، فقد تجد في المصدر الواحد تعدادا لروايات مختلفة ومتضاربة حول انتقال الإنسان المشرقي إلى بلاد المغرب في العصر القديم، وتبقى كل تلك الروايات احتمالات واردة، إلا أن ما نؤكد عليه بالنسبة لنا أن المشرق يعد بالنسبة للمغرب من أكبر مصادر الهجرة عبر التاريخ.

---

[1]- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ص80.

[2]- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م، ج2، ص112.

[3]- العبر، المصدر السابق، ج6، صص119-122/ درعة: في المُغرب الأقصى، مدينة عامرة آهلة بها جامع وأسواق ومتاجر كثيرة، وليس لها سور وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة، تقع في جهة سجلماسة بينهما ثلاثة مراحل، وبين درعة والسوس الأقصى أربعة أيام. الحميري، المصدر السابق، صص235-236.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، صص123 .

[5]- محمد المختار العرباوي، المرجع السابق، ص77.

وقد حددت الدراسات الحديثة مسار الإنسان الأول الذي انطلق من اليمن ليتنقل بعد نحو سبعة آلاف سنة قبل الميلاد إلى الخليج ومنه إلى الشام في مراحل ثلاث إحداها عبر مصر، حيث انتقل من دلتا النيل إلى الفيافي الليبية، ومنها إلى المغرب الأقصى بعد عبور المغربين الأدنى والأوسط، وفي مرحلة أخرى انتقل اليمنيون مع إفريقس الحميري عبر بحر القلزم إلى الصحراء الإفريقية الكبرى مروراً بالسودان والتشاد[1].

وبذلك فإن "البربر قدموا من آسيا عبر اتجاهين مختلفين، من بلاد الشام عبر طريق شمالي شرقي بالنسبة إلى ذوي اللون الأبيض، ومن بلاد اليمن عبر طريق جنوبي شرقي بالنسبة إلى ذوي البشرة السمراء"[2].

ويؤكد عبد العزيز بنعبد الله أن منطلق هجرة الإنسان الأول من المشرق إلى المغرب كان عبر الشام الكبرى ومنها فلسطين.

ومنه؛ فقد كان للشام دور كبير في تعريب المغرب الكبير منذ أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد أي منذ أزيد من ثلاثة آلاف سنة، حيث دخل الكنعانيون العرب إلى القسم الشمالي الغربي من القارة الإفريقية، وأسسوا عام 1103 قبل الميلاد مدينة لمطة (laptis Magna) ثم عتيقة (Ultique) أعقبها عام 814 ق.م تأسيس حاضرة قرطاج (Carthage)[3] .

وتأسيس قرطاجة يثبت مدى متانة العلاقات التي تربط بين الشرق والغرب، فلقد ظلت قرطاج تابعة للحكم المركزي بصور وتواصلت العلاقات الحضارية بين الطرفين إلى غاية استقلال قرطاج في أواخر القرن السادس ق.م[4].

ولم يكن حد الفينيقيين المغرب فقط وإنما وصلوا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية – ما عرف بالأندلس في العصر الوسيط-؛ وترجع بداية الوجود الفينيقي فيها إلى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، إذ تعتبر المدينة المسماة قادس التي أسست سنة 1110ق.م أقدم المستوطنات الفينيقية وأهمها في تلك البلاد، وقد دعاها الفينيقيون قادير أي التحصين[5].

---

[1]- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، صص87- 88.

[2]- عادل النفاتي، المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب حفريات في أدب الرحلة- القرن16 في الهوية والتدين والثقافة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، 2015م، ص26.

[3]- نفسه، ص88.

[4]- أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص7، وص215.

[5]- يولي بركوفيتش تسيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانية، ترجمة يوسف أبي فاضل، مراجعة ميشال أبي فاضل، المطبعة العربية ش.م.ل، بيروت، ط1، 1988م، ص42/ نور الدين راهم، التجارة عند الفينيقيين(1200ق م-814 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، تخصص تاريخ الحضارات القديمة، إشراف الطاهر ذراع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010م، ص55.

يقول يولي بركوفيتش تسيركين: "قامت في المستعمرات الفينيقية في إسبانيا حضارة اعتبرت فرعاً من الحضارة الفينيقية الشرقية، وكان لها أثر كبير على تطور الحضارة الأوروبية، ولا سيما الإسبانية القديمة... وقد كانت ثقافتهم المعتَبرة جزءاً من الثقافة الفينيقية على صلة وثيقة بالحضارة الأم؛ وفي الوقت عينه كان نصيب الشرق من علاقاته بالغرب وفيراً على الصعيدين المادي والروحي"[1].

إذن، لقد حصل ارتباط بين المشرق والأندلس في العصور القديمة، حين استوطن الفينيقيون في الجنوب والجنوب الشرقي لشبه الجزيرة[2] (أي الأندلسية).

إن هذه الروايات المستخرجة من مظان بعض المؤلفات تثبت مدى التعقيدات الكبيرة في موضوع الهجرات لارتباطه بالنسب وأصل سكان المغرب - البربر؛ فإذا تطرقنا إلى مناقشة كل رواية أو خبر على حدى، فلن نستطيع الإلمام أو الخروج من هذا الأمر، وبخاصة إذا ما تم استخدام الدراسات الحديثة والمتضاربة في التحليل وبوجود مدارس تاريخية متأثرة بالمدرسة الاستعمارية، وبعضها مناهضة لها[3]؛ ولذلك حرصنا على عرض الروايات التاريخية بأسلوب مبسط من خلال المصادر الأدبية العربية، وحاولنا الالتزام بالترتيب الزمني "وهي في الواقع من المسائل التي لا تزال تحوم حولها عديد الفرضيات، ولم يتمّ الفصل فيها إلى اليوم؛ بل لا تزال محلّ بحث وتمحيص لشتى العلوم الإنسانية ومجال بحث لعدد من الدارسين"[4]، ذلك لأنها مسألة تتعلق بهوية السكان الأصليين[5].

تسمح لنا تلك الرويات باستخراج معطيات تاريخية غير مؤكدة بشكل كلي وذلك لكثرتها وتضاربها، فالمصدر الواحد يذكر عدة روايات متناقضة في معطياتها؛ من المؤلفين من اكتفى بسردها وتعدادها، ومنهم من عارضها وأبدى رأيه، وهناك من ناقشها؛ ومختصر ما توصلنا إليه هو:

- أن بلاد المغرب كانت محط أنظار الشرق منذ القديم في إطار الحراك البشري للإنسان القديم، والذي من المؤكد أنه نقل معه حضارة المشرق إلى المغرب.

---

[1]- نفسه، صص21-22.
[2]- نفسه، ص21.
[3]- ينظر كتاب "في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية" والذي جاء كرد على مقالة لحسين فنطر بعنوان "اللوبيون أسلاف البربر" والتي حرص فيها على نفي انتساب البربر إلى المشرق ضمن مؤلف جماعي بعنوان أسلاف البربر أصدره المعهد الوطني للتراث بتونس. محمد المختار العرباوي، نفسه، صص 65-76.
[4]- عادل النفاتي، المرجع السابق، ص25.
[5]- نفسه، ص25.



- عرفت بلاد المغرب توافد أقوام من الشرق في فترات تاريخية متفاوتة منذ عصر سيدنا نوح (عليه السلام).

- الأقوام التي توافدت من الشرق: البربر والكنعانيين وحمير والمصريين، وهناك من يضيف العمالقة.

- المناطق التي توافدت منها: اليمن وبلاد الشام، واليمن مرورا ببلاد الشام، وبلاد الشام مرورا بمصر؛ أما المناطق المغربية التي توزعت عليها الهجرات القادمة من الشرق فقد شملت كل مجال المغارب.

- تنوعت أسباب الهجرة والوفادة من المشرق، فمنها الهجرات القصرية بعد الانهزام في الحروب أو التهجير أو الهروب؛ أو نتيجة لانهيار سد مأرب مثلما تنوه إليه إحدى الدراسات[1]، أو الغزو.

- قد تكون التجارة والبحث عن المستوطنات دافعاً لأقوام المشرق للهجرة نحو المغرب.

- لم تنقطع الصلات بين الأقوام بين بلاد المشرق والمغرب في التاريخ القديم.

ثانيا: العلاقات المشرقية المغربية في ظل الإسلام (العصور الوسطى): أجبرت حتمية فتح مصر تأمين حدودها الغربية، فكانت موجة الحملات المشرقية لفتح بلاد المغارب- التي تمثل نقطة استمرار للتاريخ القديم- لكن هذه المرة كان المشارقة حاملين لواء رسالة سماوية، داعين إلى دين جديد شامل وخاتم هو دين الإسلام، الذي سيوحد القطرين مغربا ومشرقا، مما يجعل المنطقة المغاربية - المغرب والأندلس - محط أنظار موجات هجرية شرقية عبر فترات تاريخية متفاوتة في العصر الوسيط، وإلى مناطق جغرافية متنوعة، ولأسباب عديدة.

- موجة أولى تتمثل في قدوم العرب الفاتحين، والمساهمة في تكوين الجيش العربي الإسلامي الذي قام بفتح بلاد المغرب والأندلس؛ ضمت هذه الموجة عددا كبيراً من الصحابة والتابعين[2]، ومن أفراد القبائل العربية المستقرة في شبه الجزيرة العربية[1]، ومن الشام- أجناد

---

[1]- في محاولة لتفسير سبب الهجرات تقول نور الهدى بوخالفة: "ولعل هذه الهجرات السابقة عن الإسلام سببها انهيار سد مأرب باليمن". السكان عند الفتح العربي في الشمال الإفريقي والأصول التاريخية للبربر، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، ع5، 1998م، ص162.

[2]- ضمَ جيش الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري - الذي دخل إفريقية سنة 27هـ/647م - عشرين ألف مسلم (20.000) كلهم صحابة أو تابعين، ومنهم العبادلة السبعة؛ في حين ضمت حملة عقبة بن نافع - الذي دخل سنة50 هـ/670م- ثمانية عشر صحابيا شهدوا معه تأسيس مدينة القيروان، وفي حملته الثانية 62هـ/681م دخل معه خمسة وعشرون صحابيا؛ وممن دخلها من الصحابة أميرها خالد بن ثابت الفهمي سنة54هـ/673م؛ وسفيان بن وهب الخولاني سنة60هـ/ 679م ثم سنة 78هـ/697م، وكان آخر من دخلها من الصحابة؛ وتشير المصادر إلى الصحابة الذين وفدوا إفريقية: أبو العرب التميمي القيرواني في طبقاته يذكر سبعة عشر صحابيا بأسمائهم، أما أبو بكر المالكي في رياض النفوس فيعد تسعة وعشرون صحابيا، في حين الدباغ في معالم الإيمان يشير إلى ثلاثين صحابيا، أما صاحب شجرة النور الزكية

دمشق-[2]، ومن مصر وبلاد فارس وخراسان [3]؛ وتم فتح بلاد المغارب عبر ثلاث مراحل: مرحلة الاستكشاف ببلاد المغرب كمرحلة أولية ودامت سبعا وعشرين (22-50هـ/620-642م)؛ ثم مرحلة الفتح المنظم لبلاد المغرب، ودامت حوالي أربعين سنة من نهاية سنة(50-90هـ/600-708م)[4] ؛ ومن ثمة فتح الأندلس كمرحلة أخيرة لفتح بلاد المغارب، ودامت حوالي أربع سنوات (92-95هـ/711-714م)[5].

وعليه استغرقت عملية فتح بلاد المغارب من طرف الموجات المشرقية وبإعانة المغاربة - فيما بعد- عموما مدة قاربت الثلاثة والسبعين سنة، في حين كان فتح صقلية طويلا وقد استمر من سنة 212هـ/826م إلى سنة 351هـ/962م، إلا أنها خرجت من يد المسلمين سنة 484هـ/1091م، إضافة إلى فتح جزر بحر الروم كجزيرة صقلية[6] وإقريطش.

- مجموعات متفرقة من الأفراد الذين التحقوا بهذه المناطق في خضم اشتداد المعارضة للحكم الأموي الذي شدد الضغط على الحركات السياسية المناوئة له، وبخاصة الحركات

فيورد واحدا وأربعين صحابيا؛ أما الأندلس فيذكر عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي أن نحو من عشرين رجلا من التابعين دخلوا الأندلس. عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي، كتاب التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص144/ الهادي روشو، تاريخ الحديث النبوي في تونس- أول مدرسة الحديث التونسية-، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، دار سحنون، تونس، ط1، 1435هـ/2014م، صص17-19.

[1]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية خلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط: أي حضور، مجلة العلوم الإنسانية - الكراسات التونسية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، مجلد 62، ع: 206/205، الثنائية الثانية والثالثة 2008م، ص97.

[2]- صلاح الدين المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1963م، ص17.

[3]- مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين بالقيروان وإفريقية خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، إشعاع القيروان عبر العصور، -عمل جماعي- وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20 إلى 25 أفريل2009م، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، طبعة خاصة بمناسبة احتفالات القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية، تونس، ج1، ص15/ خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وتشمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وبلخ ..، وفتحت أكثر البلاد سنة 18هـ/639م في خلافة عمر بن الخطاب، وقد أنجبت خراسان كبار علماء هذه الأمة. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج2، صص350-353.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس،1991م، ص14/ وآخر القادة الفاتحين في بلاد المغرب موسى بن نصير86هـ/705م استطاع إتمام عملية الفتح بمساعدة أهل المغرب. نفسه، ص16.

[5]- سهى بعيون، إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس- عصر ملوك الطوائف422-479هـ/1031-1086م، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص50/ ضمت الحملة الثانية بقيادة موسى بن نصير سنة 39هـ/711م 18 ألف مقاتل على أكثر تقدير أغلبهم من أهل المشرق، وهي الطالعة العربية الأولى أيضا لبلاد الأندلس. عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة، ص17.

[6]- علي بن محمد بن سعيد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية(212-484هـ/826-1091م)، إشراف ضيف الله بن يحيى الزهراني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، إصدارات مركز بحوث العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1996م، صص63-93.

الخارجية التي لقيت من يتقبلها من البربر، الذين كانوا يشعرون بحالة رفض واضح لسياسة الأمويين خلال النصف الأول من القرن 2هـ/ 8م[1].

- انتقال مجموعة من الدعاة وأصحاب الفكر الديني، إما بتوجيه من السلطة المركزية[2] مثل الفقهاء العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز[3]، أو للمساهمة في الجهاد والمرابطة بإفريقية ومنهم ناشرو المذهب المالكي والحنابلة[4] والمعتزلة والأشاعرة...الخ، ومن فرَ من العلويين والمتشيعين من اضطهاد السلطة العباسية ابتداء من منتصف القرن 2هـ/8م[5].

- موجات مشرقية مثلت كيانات سياسية على أرض المغارب: مع مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بدت تلوح قطيعة المغرب عن المشرق سياسيا نتيجة الممارسات السلبية للإدارة الأموية في بلاد المغرب[6]، إضافة إلى الاضطرابات السياسية داخل الدولة الأموية في المشرق، وكذا تأثير انتشار مذهب الخوارج والمعارضة الشيعية، كل هذه العوامل ساعدت على ظهور دول وإمارات مستقلة عن مركز الخلافة ببلاد المغارب تحت حكم أسر مشرقية في الغالب- لإضفاء الشرعية- وعبر مراحل مختلفة، وكان لبعضها دور تاريخي بارز على مستوى المنطقة بكاملها، وتمثلت تلك الدول في:

* الدولة الرستمية في المغرب الأوسط(160-296هـ/776-908م): نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم الوافد على المغرب - الذي أنشأ الدولة الإباضية بالمغرب وعاصمتها تاهرت[7].

* الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى(172-375هـ/788-985م): لجأ إدريس بن عبد الله الحسني إلى المغرب بعد ما فر من وقعة فخ، ونجا من ملاحقة العباسيين، ونجح في إرساء دولة على المذهب الزيدي عاصمتها فاس[1].

---

[1]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية، ص97.

[2]- نفسه، ص98.

[3]- يترجم الدباغ لأفراد البعثة العمرية وهم: أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المـعافري الإفريقي الحُبُليّ(ت100هـ/718م)، أبو مسعود سَعد بن مسعود التُّجيبي(ت125هـ/742م)، أبو الجهم، عبد الرحمن بن رافع التَّنُوخي (ت113هـ/731م)، أبو سعيد جُعْثل بن هَاعَان بن عَمَير الرُّعَيْني(ت نحو115هـ/733م)، إسماعيل بن عبيد الله أبي المُهاجر المَخْزُومي(ت نحو122هـ/739م)، حِبَّان بن أبي جَبَلة القُرشي مولى بني عبد الدّار(ت 125هـ/742م)، عبد الله بن المـغيرة بن أبي بُرْدَة الكِناني(ت بعد123هـ/740م)، أبو ثُمامة بَكْر بن سوادة الجُذاميّ(128هـ/745م)، مَوْهَب بن حِبيِّ المَعَافريّ، طلْق بن جابَان الفَارِسيّ. الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، مطبعة السنة المحمدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1388هـ/1968م، ج1، صص180-215.

[4]- ينظر نجم الدين الهنتاني، تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ط1، ع13، شتاء1420هـ/2000م، صص311-326.

[5]- مراد عرعار، المرجع السابق، ص 98.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة، ص23.

[7]- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر- المطبعة العربية التونسية بنعروس، د.ت، ص85.

* دولة الأغالبة في المغرب الأدنى (184-296هـ/ 800-908م): نسبة إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي من قبيلة بني تميم – من جزيرة العرب- ولاّه هارون الرشيد[2] إفريقية[3]، وكان متواجدا بالمغرب حوالي سنة 144هـ/761م حيث تولى منطقة الزاب في البداية؛ ونتيجة لتفاقم الثورات في إفريقية واستقلال المغربين الأوسط والأقصى، سمح العباسيون بقيام إمارة تابعة لهم تتمثل في إمارة الأغالبة في المغرب الأدنى[4] لتأمين الحدود الغربية لأراضي الخلافة.

وحكمت الدول الثلاث في وقت واحد[5]، إلى أن أستطاع الإسماعيليون تكوين دولة الخلافة في بلاد المغرب قضت عليها وبسطت سيطرتها على كامل المغرب – عدا مدينتي سبتة ومليلة-.

* الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (296-362هـ/908-972م): استطاعت الفرقة الإسماعيلية تحقيق حلم الشيعة في إقامة دولة بأرض المغرب، وكان أول خلفائها المهدي عبيد الله الذي وطد له أركان الحكم الداعية المشرقي أبو عبد الله الشيعي[6]- وهو المؤسس الحقيقي لهذا الكيان-، وحكم العبيديون بلاد المغرب قرابة قرن من الزمن قبل التوجه شرقا نحو مصر؛ هذا عن المغرب؛ أما الأندلس فقد عرفت الأندلس حكم أسرة مشرقية وافدة.

* الإمارة الأموية في الأندلس(138-316هـ/755-928م): لم تمضِ سنوات على سقوط الدولة الأموية في المشرق حتى ظهرت الإمارة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش، وفي عهد عبد الرحمن الناصر أعلن قيام الخلافة الأموية 316هـ/928م[7] لتصبح ثالث قطب خلافي في العالم الإسلامي في وقت واحد- بعد العبيديين في المغرب وقبلهما العباسيين في بغداد.

---

[1]- محمود إسماعيل، الأدارسة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م، ص55.

[2]- هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (170-193هـ/786-808م): أبو جعفر، ويعرف بالرشيد، ويقال له المظفر والموفق والمؤيد، وسمَّى نفسه الغازي الحاجّ، كان كثير الغزو والحج، وفتح هرقلة، ونَكَب البرامكة رجال دولته، وكان يحب العلم وأهله وحَدَث ورُويَ عنه، توفي بطوس وحكم ثلاث وعشرون سنة. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، كتاب الوافي بالوفيات، طالعه يحيى بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي أحمد بن مسعود، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، ج27، صص118-120.

[3]- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص53

[4]-Mohamed Talbi¸ l'ÉMRAT AGHLABIDE(184-296/800-909) Histoire politique¸ librairie d'Amérique et d'orient Adrien-Maisonneuve¸ paris¸ 1966¸ pp.92-93.

[5]- إبراهيم حركات، صور من التواصل التاريخي بين دول الخليج العربي والدول المغاربية، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ع3، صيف 1418هـ/1997م، ص19.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع -تونس، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، ط2، 1986م، ص299 وينظر ما قبلها.

[7]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولانو وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ/1985م، ج2، صص40-47؛ وص156.

كما عرفت بلاد المغارب توافد رجال دولة مشارقة في فترات متباينة، ولعل أكثرهم وروداً بعد نجاح عبد الرحمن الداخل في بعث الإمارة الأموية بالأندلس، وكانوا قد فروا من اضطهاد العباسيين[1].

والجدير بالتنويه أن كل هذه الدول قامت واستمرت بفضل سواعد أبناء بلاد المغرب رُغم أن الأسر الحاكمة كان أصلها مشرقي.

- هجرة الهلاليين إلى المغرب في أواسط القرن5هـ/11م: أذن العبيديون لبني هلال بالتوجه إلى إفريقية بعد حدوث القطيعة مع الزيريين[2]؛ وكان دخولهم من مصر وصحاري برقة وتلولها وقسنطينة وأفريقية وزاغا[3] والمغرب الأقصى والسوس[4]، ولم يكن قدومهم في شكل مجموعات منظمة بقدر ما هو في شكل انتشار سريع في المكان وفي الزمان، ومرتبط أساسا بظرفية اقتصادية واجتماعية معينة مثلت بداية التبدي وانتشار البداوة والترحال، وكان من نتائجها تحول مراكز السلطة والثقافة إلى السواحل، وانتشار التعريب[5].

- حركة الأمير التركي شاه ملك: مغامر يقود فرقة عسكرية قادم من الشرق، كانت له مشاكل مع الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي[6] في مصر، فانتقل إلى طرابلس واستولى عليها على عهد الأمير الزيري تميم بن المعز بن باديس(454-501هـ/1062-1107م)، ثم وصل إلى إفريقية سنة 488هـ/1095م، وانتهت حركته بانسحابه نحو قابس[7] حوالي 489هـ/1096م[8].

---

[1]- ينظر المقري، المصدر السابق، ج3، صص46-84؛ وصص58-60.

[2]- إبراهيم حركات، صور من التواصل التاريخي، ص20.

[3]- لعلها مدينة زالة التي ذكرها الحميري لأنه لا وجود لزاغا في المعاجم؛ وزالة: مدينة صغيرة عامرة بينها وبين أوجلة التي بأرض برقة عشرة مراحل، ومن زالة يدخل إلى مدينة زويلة، ومن زالة إلى أرض ودان ثلاثة أيام. الروض المعطار، ص282.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص17.

[5]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية، ص98.

[6]- بدر بن عبد الله الجمالي(405-487هـ/1014-1094م): يكنى أبو النجم، أمير الجيوش المصرية، ووالد الملك الأفضل شاهنشاه، أصله من أرمينية، تولى إمارة دمشق للمستنصر الفاطمي ثم وزارة السيف والقلم وسيطر على أمر الحكم، وتوفي بمصر. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص263.

[7]- قابس: مدينة من أعمال إفريقية على ساحل البحر، فتحت مع القيروان، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل، وهي مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأول. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، صص289-290.

[8]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية، صص99-100.

- حركة قراقوش الأرميني[1] المعروف بالغزي[2]: قدم من مصر على رأس فرقة من الأغزاز نحو سنة 568هـ/1172م وبمساعدة أعراب البلاد احتل في أول الأمر شرقي البلاد الطرابلسية وجنوبها، ثم شجعه ذلك فاستولى على مدينة طرابلس ذاتها، ومن ثم انتقل إلى قابس من أرض إفريقية سنة 576هـ/1180م، ثم توجه غربا واستولى على مطماطة[3] وجبل نفوسة[4]، ثم انتقل نحو الشمال فوصل إلى الأربس[5] نحو سنة 577هـ/1181م، ثم عاد شرقا إلى القيروان واصطدم بقوات الموحدين الذين انهزموا أمامه، وإثر تلك المعركة أعلن قراقوش الخطبة في المساجد باسم صلاح الدين الأيوبي(ت589هـ/1193م)[6].

وما لبث أن توجه الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن(ت595هـ/1199م) بنفسه إلى إفريقية لمواجهة حلف قراقوش وعلي بن اسحاق الميورقي[7]-عائلة بني غانية-، ونتيجة الخلاف والانقسام الذي وقع في جيش الترك سنة 583هـ/ 1187م، انهزم الغز أمام الموحدين، وبذلك انتهت حملة قراقوش على المغرب، وآخر خبر يذكره صاحب حماة عن الغزي رحيله إلى فزان[8]، وبذلك يجهل مصير قراقوش بعد ذلك.

وتدخل هذه الحملة في إطار طموحات صلاح الدين الأيوبي لتأسيس إمبراطورية مترامية الأطراف مستقلة عن نور الدين الزنكي (ت569هـ/1174م)[9].

---

[1]- ينظر حول هذه الحركة بالتفصيل صاحب حماة محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي، كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق فقرات حول حملة قراقوش على إفريقية (575-584هـ/1180-1188م)، تحقيق مراد عرعار، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 2012م.

[2]- شرف الدين قراقوش المظفري: كان يقال لقراقوش المظفري، لأنه مملوك الملك المظفر والناصري لأنه كان يكتب للملك الناصر صلاح الدين. نفسه، ص37.

[3]- مطماطة: يذكرها ابن خلدون بحامة مطماطة، وهي في الأصل من بلد الحامة(وهي اثنين: حامة قابس وحامة مطماطة) وهي من عمالة قسطيلية، وحامة مطماطة نسبة إلى أهلها الموطنين بها من البربر، ويقال هم من اختطها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص603.

[4]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية، صص101- 103/ جبل نفوسة: جبل عال يكون نحوا من ثلاثة أيام طولا، وفيه منبران لمدينتين تسمى إحداهما شروس وهي في الجبل، وفيما بين جبل نفوسة ومدينة نفزاوة مدينة لوحقة، ومن جبل نفوسة إلى وارقلان اثني عشر مرحلة. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ج1، صص278-279.

[5]- الأربس: مدينة بإفريقية، في وطاء من الأرض عليها سور تراب جيّد، ماؤها غزير ففي وسطها أعين ماء جارية، وهي على مزارع الحنطة والشعير، وتشتهر بالزعفران، ومن الأربس إلى القيروان ثلاث مراحل، ومن مدينة الأربس إلى تونس مرحلتان. نفسه، ج1، صص291-293.

[6]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية، صص101- 103.

[7]- علي بن اسحاق الميورقي بن محمد بن غانية (ت585هـ/1189م): أمير جزائر البليار ميورقة وما حولها في شرقي الأندلس، انتهز فرصة وفاة سلطان الموحدين أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن فخرج بأسطوله إلى العدوة وسيطر على بجاية 582هـ/1186م وتحالف مع قبائل العرب والغز، ولكنه انهزم أمام الموحدين. الزركلي، الأعلام، ج4، ص263.

[8]- صاحب حماة، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، صص80-89/ فزان: ولاية واسعة بين الفَيّوم وطرابلس الغرب، ومدينتها زويلة السودان، بها نخل كثير وتمر كثير. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص260.

[9]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية، ص103.

- وفادة جمعٌ من العرب[1] وممالك الغُزِّ إلى المغرب: وَفَدَ على حضرة الخلافة بمراكش حوالي سنة 582هـ/1186م أو سنة583هـ/1187م جمعٌ من العرب والغُزِّ[2] من بلاد المشرق على يعقوب المنصور بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي(حكم 581-595هـ/1185-1198م)، وقيل في ذلك شعر: (الكامل)

يـا كَعْبَةُ الجُودِ التي حَجّتْ لَهـا * عَرَبُ الشآم وغُزُّها والدَّيْلَـم

طوْبَى لِمَنْ أَمسى يَطُوفُ بها غَدا * ويحلُّ بالبيتِ الحَرامِ ويُحْـرِم

وَمـن العَجَائِبِ أنْ يَفُوزَ بنَظْـرة * مَنْ بالشآم ومَـنْ بِمكَّةَ يُحْـرَم[3].

وقد أَحْسَنَ المنصور نُزُلَهم، وبالغَ في تكرمتهم، وجعل لهم مزيةً ظاهرة على الموحِّدين؛ وذلك أن الموحدين يأخذون الجماكيةَ - أجر الجندية- ثلاثَ مراتٍ في كلّ سنة، في كلّ أربعة أشهر مرة؛ وجماكيةُ الغزِّ مستمرةٌ في كل شهر لا تختلّ، وقال: الفرق بين هؤلاء وبين المـُوحِّدين أن هؤلاء غرباء لا شيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الجامكية، والمـُوحِّدون لهم الأقطاع والمواصل المتأصلة[4].

تنوعت دوافع الموجات الهجرية نحو بلاد المغرب عموما، مع العلم أنه طغى عليها في المراحل الأولى الدوافع الدينية: نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله؛ كما كانت ملجأ الفارين ومأوى المطرودين؛ وكذلك عرفت توافد الهجرة الطاردة بحثا عن الكلأ والعيش - قبائل الهلاليين-؛ وكذا التجار والرحالة؛ وفي نفس الوقت شهدت بلاد المغارب توافد رجال علم وثقافة خاصة بعد انتهاء مرحلة التبعية وظهور الدول المستقلة.

ويمكن تصنيف أسباب الهجرات المتعددة والمتنوعة نحو بلاد المغارب عامة إلى:

- أسباب دينية: وتتمثل في المقصد الرئيس للتحول من المشرق إلى المغرب، أي فتح بلاد كافرة أمام الدين الجديد والسعي إلى نشره بين الناس.

---

[1]- يشير عبد الواحد المراكشي إلى ورود الغز من بلاد مصر فقط، بينما يذكر المقري العرب والغز. عبد الواحد بن علي المراكُشيّ، المـُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ/2006م، ص210/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص107.

[2]- وهؤلاء الغز فريق من الجيش الذي كان يلتف حول شرف الدين قراقوش وأغلب عناصره تركية، تعود أصولهم إلى أقصى بلاد الشرق - على تخوم الصين-، دخلوا بلاد المسلمين أسارى أو مماليك، ثم علا شأنهم في الحياة المدنية والعسكرية، فكان منهم القواد والوزراء والولاة، ومن هؤلاء الغز كان أحمد بن طولون سلطان مصر في القرن الثالث. عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص210 هامش رقم 4/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص107 هامش رقم1.

[3]- نفسه، ج3، ص107.

[4]- عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص210/ وقد نوه المنصور بالغز في وصيته حين قال: "وهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها فاتركوها على ما رتبنا وربطنا لأن الموحدين لهم سهام يرجعون إليها وليس للأغزاز سهام". المقري، المصدر السابق، ج3، ص107 هامش رقم1.

- أسباب مادية: لم يكن الوازع الديني الدافع الوحيد الذي حث جموع الناس على السير إلى بلاد إفريقية والقتال بها، بل كان أيضا من أجل الغنائم والجزية والعبيد والجواري، ويؤكد على ذلك محمد الطاهر المنصوري بقوله: "فإذ تصور لنا النصوص سواء في إفريقية أو في غيرها من جهات العالم المفتوح أن العرب كانوا في أغلبيتهم الساحقة يتصارعون من أجل الغنائم"، وكذلك قوله: "كان المغرب يزود المشرق بالجواري، ويبدو أن البربريات كن مطلوبات لجمالهن"[1]

- أسباب مذهبية: كانت بلاد المغارب تمثل أرض خصبة لنشر أفكار الخوارج والعلويين والشيعة الإسماعيلية، رغبة في تكوين أتباع وتحقيق آمالهم في إنشاء كيانات سياسية مستغلين الظروف التي كانت تمر بها بلاد المغارب نتيجة سوء سياسة الإدارة الأموية.

- الرغبة في إنشاء دول ببلاد المغارب، أو إعادة بعث أخرى مثلما فعل عبد الرحمن الداخل في الأندلس، وما هيأ لهم ذلك بعد بلاد المغرب جغرافيا عن مركز الخلافة، فعلى الأطراف تقام الدول.

وعليه تتصف العلاقات بين بلاد المشارق وبلاد المغارب عبر العصور والأزمنة المتعددة بأنها علاقات وثيقة ومترابطة نتيجة لعوامل كثيرة أهمها الدين الإسلامي؛ وبالرغم من الاستقلال السياسي الذي عرفته بلاد المغرب - قرطاجة في القديم، ثم قيام كيانات سياسية مستقلة في العصر الوسيط -.

وبعد إلقاء نظرة تاريخية سريعة تبين أن تدفق الموجات البشرية المشرقية إلى بلاد المغارب سبق موجة الفتح الإسلامي بآلاف السنين؛ ولكن هل توقف توافد النخبة العالمة المشرقية نحو المغرب بعد فتح وأسلمة المنطقة المغاربية- تبليغ الرسالة- وانفصالها - فيما بعد- عن مركز الحكم في المشرق في بدايات الفترة الوسيطية للغرب الإسلامي؟.

---

[1]- محمد الطاهر المنصوري، تونس في العصر الوسيط، إفريقية من الإمارة التابعة إلى السلطنة المستقلة، دار صامد، تونس، ط1، 2015م، صص55-59.

الباب الأول:

العلماء المشارقة ببلاد المغارب

الفصل الأول: علاقة المشارقة ببلاد المغارب: تواصل أم قطيعة

أولا: المغرب والمغاربة في نظر المشارقة

ثانيا: العوامل المساعدة على توافد المشارقة على بلاد المغارب

ثالثا: طرق ومسالك توافد المشارقة إلى بلاد المغارب

أولا: المغرب والمغاربة في نظر المشارقة: أول ما ارتأينا افتتاح موضوع الدراسة به "صورة الآخر" أي صورة المغرب والمغاربة في عيون المشارقة، ذلك لأن الدراسة تركز على جانب واحد ألا وهو المشارقة وصلاتهم ببلاد المغارب فوجب علينا قبل حصر تواجد العلماء المشارقة في الحيز الجغرافي المغربي معرفة صورة المغرب وأهله عندهم.

إن أول ما يجب أن نعتمد عليه لمعرفة مكانة المغرب الإسلامي في قلوب المشارقة "كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم" أهم تشريعين عند المسلمين.

وفي البحث عما ورد من ذكر لبلاد المغرب- كما نعرفها- في مصدر التشريع الإسلامي الأول وهو القرآن الكريم، فقد ورد فيه لفظ المغرب ست (6) مرات، ولفظ المغارب مرة واحدة ولفظ المغربين مرة واحدة.

ومن ذلك قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا»[1] وقوله تعالى:« رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»[2]، وقوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ»[3].

إذن؛ ورد ذكر المغرب والمغارب أوالمغربين في القرآن الكريم بعد ذكر المشرق في كل الآيات التي تناولت ذلك[4]، كما أنه لم يرد ذكر المغرب إلا بعد ذكر المشرق ولم يذكر مُفردا، فيأتي لفظ المغرب ودلالته في القرآن الكريم تبعا لذكر المشرق دوما؛ أكد على ذلك ابن فضل الله العمري بقوله: "وقد ذكَر اللهُ تعالى المشارقَ والمغاربَ في غيرِ موضعٍ من القُرآنِ، فبدأَ بالمشارِقِ لا يَخفى ما فيها من معنىً... "[5]، وقَالَ في موضع آخر: "وللمشرقِ على المغربِ الفخرُ في كِتابِ الله تَعالى... وإن كانت الواو لا تُرتِّبُ، فلا يَخْفَى ما في التقديم، لا سيما إذا تكرر في أماكن، من الإعتناءِ"[6].

أما ذكر المغرب في ماورد من آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء في فضل المغرب غير حديث، ومن تلك الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه: "حَدَّثناَ يَحْيَى بن يَحْيَى،

---

[1]- سورة المزمل- الآية 9.

[2]- سورة الرحمن- الآية 17.

[3]- سورة المعارج- الآية 40.

[4]- من سورة البقرة - الآيات: 115؛ 142؛ 258؛ من سورة الشعراء- آية 28.

[5]- ابن فضل الله العمري، في الإنصاف بين المشرق والمغرب قطعة من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق زينب طاهر ساق الله، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص141.

[6]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص189.

أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَزَالُ أَهْلُ الغَرْبِ ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ حَتّى تَقُومَ السّاعَةُ»"[1].

وقد تداولت أحاديث كثيرة ذِكر فضل المغرب والأندلس تنوقلت ورويت كثيراً ورواها محدّثون وحرص على ذكرها مؤرخو[2] المغارب في بدايات مؤلفاتهم خاصة؛ وسواء صحّت هذه الأحاديث أم كانت موضوعة، فإنها من أجل إحاطة بلاد المغرب والمغاربة بهالة من القداسة والبركة في عيون الناس.

إن تعرضنا لما ورد عن المغرب والمغاربة في القرآن والسنة لا يؤخذ من باب اعتبارهما مشرقيي المصدر والجغرافية بل إن ذِكرُنا لما ورد فيهما بغية معرفة مكانة المغرب استنادا لقُدسيتهما عند كافة المسلمين- أي البحث عن تلك الصبغة الدينية وتأثيرها على النفوس بما يوجب احترام بلاد المغرب، خاصة والمعلوم أيضا أن بلاد المغارب ليس فيها أرض مقدسة ولا تحمل أماكن قدسية[3] مثل بلاد المشرق، ولم يطأها نبيّ[4]؛ يقول الهروي: "مع أنّه لم يدخل بلاد العجم والمغرب نبيّ بل بها من الصالحين والأبدال والأولياء والعلماء ما لو جمع لكان كثيراً"[5].

كان ذكر ذلك كأول نقطة- وأساسية لابد من المرور عليها كبداية لتدارس صورة المغاربة في عيون المشارقة، والتي تندرج ضمن هذا الباب وتؤدي بنا لتكوين فكرة مبدئية، ومن ذلك قول البَيْهقيّ – نقلا عن العمري: "للمَشرقِ الفخرُ بتقديمِهِ في القُرآن والحديثِ"[6].

---

[1]- كتاب الإمارة، رقم الحديث 1925، مسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيحُ مُسْلِم- المُسند الصَّحيح المختَصَر من السُّنَن بنَقل العَدْل عَن العَدْل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار طيبة، الرياض، ط1، 1426هـ/2006م، ص926/ وتناقلت الأصول المغربية هذا الحديث بتغير في اللفظ وفي بعضها زيادة. ينظر أبو العرب محمد بن أحمد التميمي، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ج1، صص10-11/ عبد الواحد المرّاكُشي، المصدر السابق، ص21/ مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، ط2013م، ص69، والكتاب الأخير أخرج محققه أسماء رواة الحديث الوارد في صحيح مسلم.

[2]- ينظر أبو العرب التميمي، المصدر السابق، صص1-11/ عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص21/ الدباغ، المصدر السابق، ج1، صص4-34/ مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، ص68-82.

[3]- الأماكن القدسية التي تنسب لأرض بلاد المغرب الإسلامي هي: "بئر المسيح بجامع قرطبة، وثلاث سواري بجامع قرطبة أمام القبلة، ومغارة أهل الكهف". وقد نفى الهروي ذلك بدلائل وبين أماكنها الصحيحة واعتبر تلك المقدسات المغربية مزاعم فقط. الهروي أبو الحسن علي بن أبي بكر، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، عُنِيَتْ بِنَشْرِه وتَحقِيقِه جانين سورديل طومين، إشراف المعهد الفرنسي بدمشق، 1953م، صص53-54.

[4]- نفسه، صص53-54.

[5]- نفسه، ص3، وص53.

[6]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص183.

ومن المؤكد أن رصد صورة الآخر في تلك الفترة سيكون من خلال ما احتفظت به الأصول المشرقية من أقوال، أوردها مشارقة حول بلاد المغارب والمغاربة في مواضع متنوعة؛ فماذا قال المشارقة عن المغاربة عبر فترات تاريخية؟، كما نسعى للبحث حول ما إذا كانت تغيرت تلك النظرة مع الزمن!.

لقد كان المشارقة هم السباقين لتدوين أخبار المغرب في الفترات الأولى للفتح الإسلامي[1]، واستمر ذلك لعصور حتى بعد انفصال المغرب الإسلامي عن الشرق سياسيا، فيما صنفوه من كتب بأنواعها المختلفة، والتي كانت تحيط بذكر أخبار المغرب من جميع نواحي التفاضل في الصور والأخلاق والشمائل والآداب والعلوم، وفي الهمم والهيئات، وفي المكاسب والصّناعات[2]، وليس هناك قاعدة ثابتة يمكن أن يتفاضل بينها بني البشر.

إن أول ما يوضع في الحسبان ونحن نرصد نظرة المشارقة للمغاربة في العصور الوسطى أن كل قوم يفضلون بلدانهم نظراً لما للأوطان من موقع في قلب الإنسان؛ فقد عمر الله البلدانَ بحب الأوطان[3]؛ وإن المفاضلة بين البلدان والأقوام تعود إلى حضارات قديمة، كما أن تفضيل الوطن ليس بالضرورة دوما أن يكون انتقاصا للوطن الآخر في محاولة لتبيان أفضيلة الوطن الذي ينتمون إليه.

وهنا نستشهد بقولٍ لابن سعيد كثيراً ما ردَّده: "أنّ المحاسن قسمها الله على البلاد والعباد، والمنصف من لم يَخُصَّ عصراً من الأعصار ولا مصراً من الأمصار"[4].

وفي الحقيقة أنه منذ البداية- بداية الإسلام والعروبة في المغرب- قامت حساسيات ومواقف معقدة بين المشرق والمغرب[5]؛ ذلك لأنه يعود ببذوره إلى المواجهة الأولى والقاسية بين العرب والبربر، ثم رفده تميز الحضارة العربية الإسلامية[6].

إننا لا نسعى في هذا المبحث إلى عمل مقارنة بين المشرق والمغرب؛ ولا نسعى إلى البحث عن المساواة أو الإنصاف بين القطرين، ولا لتبيان فضل المغرب كي نفاخر به؛ ولا

---

[1]- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس- المملكة المغربية، 1404هـ/1983م، ج1، ص17.

[2]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص66.

[3]- نفسه، ص121.

[4]- نفسه، ص22.

[5]- أبو القاسم محمد كرو، التواصل الأدبي بين المشرق والمغرب قديماً وحديثاً، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق"مجلة المجمع العلمي العربي سابقا"، مطبوعات المجمع، دمشق، المجلد65، ج1، جمادى الآخرة 1410/جانفي1990م، ص414.

[6]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص9.

لطرح قضية "ظلم المغرب" للدفاع عنها، وإنما نحاول الوصول إلى صورة المغرب والمغربي في مخيلة ذلك المشرقي، أي نحيط بالفكرة التي كان يمتلكها المشارقة في العصور الوسطى عن المغرب قبل بداية البحث في علماء المشارقة المُغرِبين طبعا، وذلك من خلال تحليل الأقوال المأخوذة من الأصول المشرقية، بغية الوصول إلى حقائق تاريخية طغت ووجب ذكرها.

ويمثل هذا تدارس نقطة تتمحور حول سؤال: الأنا المغربي في عيون الآخر المشرقي؟، أي أن محاولتنا ستكون لمعرفة نظرة طرف للجانب الآخر، ثم كيف ردَّ ودافع عن نفسه هذا الجانب في كل فرصة سنحت له، أو كيف ساهم في تغيير نظرة الآخر إليه.

إن ما يُتداول في الأصول المشرقية طبعاً، هو تغليب نظرة تحمل إشارات استنقاص المشارقة للمغاربة وتحقير من شأنهم أكثر من نظرة الاحترام والاعتراف بوجود الآخر وبفضله وأسبقيته مع الوقت في بعض الميادين.

ولعل سبب تلك النظرة في البداية هي الظروف السياسية المتمثلة في انفصال المغرب الإسلامي عن المشرق وقيام كيانات سياسية بالمغرب معادية لمركز الخلافة العباسية؛ كما أن الأندلس كان يحكمها في بداية تاريخها وأغلب فترات استقرارها السياسي الأمويون الذين أزاحهم أعداؤهم العباسيون عن حكم بلاد المشرق[1].

وارتأينا أن يكون الحديث حول تلك النظرة على حسب الميادين والمجالات كي نحيط بكل النواحي المكونة للصورة.

ففي ميدان الجغرافيا: ممن زار من المشارقة بلاد المغارب اليعقوبي، الذي تحدث عن مكانة بغداد بداية لافتتاح كتابه بها، وفضلها على سائر البلدان كمحاولة لإبراز خصائصها، قال مقارنا: "ولا كأفريقية البعيدة عن جزيرة الإسلام وعن بيت الله الحرام، الجافية الأهل، الكثيرة العدو"[2]، وذلك انطلاقا من العبارة المتداولة "إفريقية مفرقة"[3].

---

[1]- حافظ الحاج لطيف، نظرة المشارقة إلى الأدب الأندلسي، قدم هذا البحث سنة 1989هـ/1990م لنيل شهادة الكفاءة في البحث، قسم الآداب العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس1، ص6.

[2]- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، ص9.

[3]- يذكر البلاذري عن ذلك: "كتب إلى عمر بن الخطَّاب انَّا قد بلغنا أطرابلس، وبينها وبين إفريقية تسعة أيَّام فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل، فكتب إليه ينهاه عنها ويقول ما هي بإفريقية ولكنَّها مفرقة غادرة مغدور بها...". البلاذري، فتوح البلدان، ص316.

وفي التموقع يقول العمري عندما أورد تشبيه بعض الحكماء الأرض بجسد آدميّ وجَعْلَهم الصِّين والهند رأسه والغَرب رِجله: "وبهذا التَّشبيه للمشرق غاية الفخر إن سلّمه إليهم المغاربة"[1].

وقد أنشد الصُّوليّ[2] في معنى ذلك: (الطويل)

فَلَوْ كانتْ الدُّنيا مِثالاً لِطَائِرِ * لكانَ لَكُمْ مِنْها بِما حزْتُمُ الذَّنَبْ[3].

وكذلك عن تأثير الشّمس في المشرق واختلافه عن تأثيرها في المغرب على الجو والمناخ؛ فقد قال ابن سينا- كما نقل العمري عنه: " إن المدن الشرقية صحيحة جيّدة الهواء، تطلع عن ساكنها الشمس في أوّل النهار، وتُصفّي هواءم ثم تنصرف عنهم وقد تصفّى...والمدن المغربية لا توفيها الشمس إلا حين تنكّب، وكما توافيها تأخذ في القَصْدِ عنها لا في القُرْبِ إليها، فلا تلطّف هواءها ولا تخفّفه بل تتركه رطبًا غليظًا..."[4].

وكذلك قوله: "وَمِنَ الشَّرقِ الأنوارُ تفيضُ وفي الغَرب تَغِيضُ، فالشّمس لا تصلُ إلى الغرب إلا وقد ضَعُفَ فِعْلُها وقَلَّ تأثيرها، فلا يُقابِلُها أهلُ المَغربَ إلا مُنْكَّبةً عن أُفُقِها مولِّيةً على أَدبارِها، في الشّرق فَتيّةً، وفي الغرب هَرِمةٌ؛ وشَتَّان ما بَيْن الحالَيْن وبَوْنٌ كَثيرٌ ما بَيْنَ الجَانِبَيْن؛ فَلِهذا لا يُقاسُ أهلُ الغربِ بأهلِ الشَّرقِ في حُسْنِ الصُّورةِ وبَهجةِ المَرْأى، ويكفيكَ النَّظرُ إلى الوجوهِ والشَّمائِل"[5].

ويبدو أن العمري مقتنع بأن مشرق الشمس لا يؤثر على الجو فقط، وإنما على صورة الإنسان والأخلاق، حيث استند إلى نقل قول البَيْهَقي: "إلا أنَّ لِمشارقِ الشَّمسِ في مَطالِعها بالمَشْرقِ في تصفيةِ الألوانِ والأذهانِ حُكَمًا يُشْبهُ الشَّمسَ عِنْدَ شُرُوقِها، ولِمَغارِبها بالمَغْربِ في ضِدِّ ذلكَ- حُكْمٌ يُشبِهُ الشّمسَ عِنْدَ غُرُوبِها؛ وقد جَعَل صاحبُ الكَمائِم ذلكَ سَبباً لتكدير

[1] - ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص143.

[2] - محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صُوْل تكين الكاتب (ت335هـ/946م): أبو بكر، ويعرف بالصُّولي، كان عالماً بفنون الآداب، حَسَن المَعرفة بآداب الملوك والخلفاء والشعراء. ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، لسان الميزان، اعتنى به الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدَّة، إعتنى بإخراجه وطباعته سلمان عبد الفتاح أبو غدَّة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م، ج7، ص584.

[3] - أصل هذه الأبيات من قصيدة للصُّوليِّ كتبها بطلب من الخليفة العباسي المقتدر، وقد كتبها ردًا على القائم بن عبيد الله الإسماعيليَّ الذي خُطِبَ لَهُ بالخِلافة في المغربِ، فوجَّهَ لبغدادَ قصيدةَ يفخَرُ بها ببيئَتِهِ وَبمَا فَتَحَ مِنَ البِلادِ فأجابَهُ الصّولُّي بقصيدةٍ طويلة على وَزنِها ورَوِيِّها ومطلعها:(من الطويل)
عَجِبتُ وما يَخْلُو الزَّمانُ مِنَ العَجَبْ * لِقَوْلِ امْرِئٍ قَدْ جاءَ بِالمَيْنِ والكَذِبْ. ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، صص211-212.

[4] - وكل هذه الأقوال شبه العِلميّة بَطَلت مع الزّمن. نفسه، ص192 وص86.

[5] - نفسه، ص169.



أخلاقِ المغاربةِ في سائرِ أقاليمِهم، وصيَّر ذلكَ مُتَعَدِّيًا مِياهَهُم"[1]، والمعلوم أن هذا الأمر غير صحيح، وينفيه العلم.

يقول المسعودي عن المغرب عامة: "أما المغرب فَيُقَسِّي القلب، ويوحش الطبع، ويُطيش اللُّبَّ ويذهب بالرحمة، ويكسب الشجاعة، ويقشع الضراعة، وفي أهله غَدْر، ولهم خبث ومكر، ديارهم مختلفة، وهممهم غير مؤتلفة... "[2].

ومما يلفت النظر في حدّة نظرة العمري للغرب عندما يصوّر الفرق بين المشارقة والمغاربة، ومحاولته- وهو العالم الجليل- الحطّ من قيمة الملوّنين السُّود في الغرب في أكثر من موقف في كتابه "الفخر بمن في جنوب المشرق على سكّان جنوب المغرب"، يقول في سَوْرة غَضَب: "وهل تستوي بلاد جنوبها الهند- وهم من أهل العلم والحكمة، مع صفاء الألوان وحسن الصّورة... ببلاد جنوبها حُثالة السودان المحترقة ألوانهم، المشوّهة صورهم، المختلفة تقاطيعهم، غاية الجهالة والنفوس البهيميّة، لا عقولَ لهم ولا أفهام؛ هم أقرب شبهاً من بني آدم بالأنعام «بَلْ هُمُ أَضَلُّ سَبِيلًا»[3] وأذلّ قبيلاً، وأقلّ للمعارف تأويلاً"[4].

ثم يؤكد ذلك مرة ثانية في قوله: "وانظر أشرفَ الحيوان وهو الإنسان، كيف صُوَر أهل الإقليم الأول والثاني بالغرب من شدّة سواد الألوان وقَحَل الأجسامِ وتفَلْفُل الشَّعر، وتشقُّق مواطئ الأقدام، وبشاعة المنظر، وخفة العقل..."[5].

وقد علقت زينب طاهر ساق الله محققة كتاب العمري بعدما أوردت ذلك بقولها: "إنّه يبدو هنا وكأنّه يؤمن بتفوّق جنسٍ بشريّ على آخر"[6].

بالغ العمري كثيراً في هذا الوصف بغية تبيان أفضيلة الإنسان المشرقي على المغربي، ونسي أن الإنسان المغربي - عدا عن كونه مسلما- فهو من بني آدم أكرم خلق الله، لقول تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً»[7].

---

[1]- نفسه، ص205.

[2]- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص49.

[3]- تمام الآية: «أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمُ إِلاَّ كَالانْعَامِ بَلْ هُمُ أَضَلُّ سَبِيلاً»- سورة الفرقان- آية:44.

[4]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص96-97؛ وصص143-144؛ وص84-85.

[5]- نفسه، ص194؛ وصص96-97.

[6]- نفسه، ص97.

[7]- سورة الإسراء- الآية 70.

وفي الميدان الحضاري، يقول العمري: "وبالشَّرق ما لا يماثِلُه ما في الغرب من الحَيوَان والنَّبات والمعادنِ؛ فأمَّا الحيوانُ فأشرَفُه الإنسانُ، وقد بَيَّنَّا فضلَ أهلِ المشرقِ منهم على أهل المـَغربِ بمواهبِ الله مِنَ النُّبُوَّةِ والوِلايةِ والخِلافةِ والعُلومِ على أنواعِها والصُّوَرِ الجميلةِ على إطلاقها..."[1].

عند المقارنة بين المشرق والمغرب من حيث الأسبقيةُ بالسؤدد والحضارة يقول العمري: "هل وصل إلى الغرب من السؤدد إلاّ ما فَضَل عن الشرق؟ أو لبس إلاّ ما أعاره من الخليع المبتذل لـمّا دخل عبد الرحمن الدّاخل إلى جزيرة الأندلس، واجتمع إليه من شُذّاذ القوم من نفَضتْهم مَزاوِدُ المشارق ولفظتهم أسرة الملك؟ فحينئذٍ صار النّاس بالغرب ناساً، وإلاّ فقد كانوا كالبُهم السائِمة، فمن ذلك الوقت تكلّموا بالعربية وامتازو بالنطقِ على كثير الحَيَوان"[2].

ونقل العمري قول البَيْهقيّ أيضاً: "وأَنَّى للمغربِ بمُفاخَرَةِ الـمَشرقِ وعِندَنا ظهرتْ مباعِثُ النُّبوَّةِ وفِينَا نَبَتَتْ شَجَرَةُ الأُبُوَّةِ، ومنَّا نَشَأَتْ الدُّولُ والمِلَلُ، ومِنْ أُفقِنا طَلَع العلمُ والعَمَل؟ وكلُّ شيءٍ نَفْخَرُ بهِ فإنَّ الـمَشرقَ فيه للمغربِ رأس، وكلُّ ما أُحكِم عندَكُم بُنْيانه وإِتقانُه فمنَّا كان فيه الأَساس"[3].

وفي مواقفَ تعميميةِ حول طبائع النّاس وأخلاقهم نورد رأي الجغرافي الوافد الآخر ابن حوقل الذي زار بلاد المغارب، ووصف أهل الأندلس بصفات غير مشرفة منها: "ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم، ونقص عقولهم، وبعدهم عن البأس والفروسيّة، والبسالة ولقاء الرجال، ومراس الأنجاد الأبطال..."[4].

كما أشار لعسكر الأندلس أيضا في قوله: "وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفُروسيّة وقوانينها، وإن شُجعت أنفسُهم ومرنوا بالقتال فإنّ أكثر حروبهم تتصرّف على الكيد والحيلة، وما رأيتُ ولا رأى غيري بها إنساناً قطُّ جرى على فرسٍ فارهٍ أو برذَوْنٍ هجينٍ ورجلاه في الركابين، ولا يستطيعون ذلك"[5].

---

[1]- ابن فضل الله العمري، ص 173.

[2]- نفسه، ص150.

[3]- نفسه، ص183؛وصص76-77.

[4]- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، كتاب صورة الأرض، دار صادر، بيروت، طبع في مطبعة ليدن بمطبعة بريل، ط2، 1938م، صص108-109.

[5]- نفسه، ص113.



إن ابن حوقل الذي عاش بقرطبة عاصمة الخلافة في وقت بلغت فيه الأندلس شأوا بعيدا في الحضارة والازدهار الاقتصادي الذي أقرَّ به ابن حوقل نفسه يتهم أهلها بخصال غير مشرفة من ضعة النفوس ونقص العقول وقلة الشجاعة.

وطبيعي أن ذلك كان ليغضب الأندلسيين، وقد تصدى لأقوال ابن حوقل أندلسي من المؤرخين والجغرافيين وفنّدها بلهجة قوية، فبعدما نقل الكاتب رأي ابن حوقل في أهل بلده يعلق ابن سعيد[1] متسائلا: "وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقولَ والآراء والهمم والشجاعة فمَن الذين دبروها بأرائهم وعقولهم مع مُراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف؟ ومَن الذين حموها ببَسالتهم من الأمم المتصلة بهم في داخلها وخارجها...؟ وإنّي لأعجب منه، إذ كان في زمن قد دَلَفَتْ فيه عبّاد الصليب إلى الشام والجزيرة، وعاثوا كل العَيْثِ في بلاد الإسلام، حيث الجمهور والقبة العظمى، حتّى أنهم دخلوا مدينة حلب، وما أدراك!" - وكأنه يستعظم الحدث ثم يستنكر ويمضي قائلا: "وفعلوا فيها ما فعلوا... ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحِصْن من حصون الإسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيَسْبُون ويأسِرُون فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حَسْم الداء في ذلك ... وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمن بالضد من البلاد التي تركها وراء ظهره، وذلك موجود في تاريخ ابن حوقل وغيره"[2].

إذن؛ لم يقصر المغربي ابن سعيد في الرد عليه، وإن مثل هذا القول والتجني من جغرافي ومؤرخ في مؤلفه على أندلس الإسلام قطب الخلافة السنية المغربية وشرفها وعزتها وشموخها، وعلى رجالاتها الذين هم حاملو لواء الإسلام وحماة ثغوره، قضية مثل هذه لا يسكت عنها الأندلسيون، ولا المغاربة عامة فكان عليه أن يتحفظ ويغير الأسلوب إن كان يريد التحريض للفاطميين على ضم الأندلس وتلك كانت غايته، وليس بالقذف في شرف الأندلس[3].

وكذلك في اللباس، ففي تعليق لصاحب الإنصاف على حكاية أوردها ابن سعيد حول مملوك مشرقي كان في المغرب على عهد الموحدين- يذكر: "وأحسنُ ما فعلَه قاضيكم في

[1]- عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر- دار الفكر المعاصر، سوريا ، ط1984م، 1416هـ/1995م، ص314. / ابن سعيد المغربي(610-685هـ/1214-1286): هو نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد- وينتهي نسبه إلى عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، رضي الله عنه، أديب وجغرافي عاش حياته متنقلا في أرجاء مدن المغرب والمشرق، وتوفي بتونس، وله شعر أورده المقري في نفح الطيب. ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، صص15-26.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص212.

[3]- ينظر حول هذه القضية عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص313.

تغيير زِيّ هذا المَملوكِ المَشرقيّ بِالزَّيّ المَغربيّ هو كان غيَّر زيّكم المغربيَّ بالزَّيّ المشرقيِّ فبدَّلَ القبيحَ بالحَسَن"[1].

ثم يعود العمري لنفس الحكاية، وهذه المرة في حدة منه- وكأن القول الأول لم يشف غليله- قائلا: "...ولقدْ أجادَ قاضيكم لكُم الإختيارَ إذْ لم يأمرْ تغيير زِيِّكم بمثل زيِّ الرَّشَأ[2] الأغنّ[3] الأَغيَد[4]، فإنّكم لو لبستُم ذلك الزَّي لم يناسبْ مَعاطِفَكم الرِّشاقَ وخُصورَكم الدِّقاقَ، ولكنّ رحمه الله- أحسنَ النَّظرَ ولم يُخطِئ في الإختِيار"[5]؛ فالعمري كان في رده على ابن سعيد يستنقص كثيرا من شأن المغاربة دون استحياء.

وتتبين تلك النظرة أيضا من خلال تلك المجالس التي كانت تعقد حيث أنّ موضوع فخر المشرق على المغرب كان يشغل الناس بشكل ظاهر في جِدّهم وهزلهم، فمّما جرى في أحد المجالس من محاورات، وهو المجلس الّذي وصفه ابن سعيد وكان يحضره مع العماد السَّلَماسي[6]، حيث يقول العمري: "وجرى بين أهل ذكر المشرق والمغرب، وزاد في ذلك المجلس من التنقُّص والتَّهكُّم بالغَرب حتى كاد يقوم بينهم الحَرب؛ واعتبرَ سؤالَ أحدِهم عمّا إذ كان بالغَرب أنهارٌ مثل أنهار المشرق أو ليس فيه أنهار سؤالاً يُظلم الجور على صفحاته ويجول الإزدراء في جَنَبَاتِه"[7]، ومثل ذلك النوع من المجالس التي كان يُحسُّ فيها المغاربة بالكثير من الظلم للمغرب وأهله من المشارقة.

ومن ثم نظم السَّلَماسي شعرا على جهةِ المُداعبةِ وبعثه إلى ابن سعيد طلباً للمُجاوبة، قائلا: (المتقارب)

إذا ذُكِرَ الشرقُ في مَحفَل * فلا يُذكَرَنَّ بِه المَغْرب

طُلُوعُ الغَزالةِ في أُفقِنَا * وفي أُفقِكُم نُورُها يغرُب

---

[1]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص172.

[2]- الرَّشَأ: الظبي إذا قَوِيَ وتَحرّك ومشى مع أمِّه، والجمع أرْشاءٌ. ابن منظور، المصدر السابق، المجلد1، ص86.

[3]- الأغنّ: والجمع غُنّ، والمفرد غنّاء، ذو الغُنّة، وهي صوت يخرج من اللهاة والأنف ويقال "رجل أغنّ، غزال أغنّ". جبران مسعود، الرائد، - معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992م، ص99.

[4]- الأَغيَد: المائل العنق واللّيِّن الجوانب. نفسه، ص99.

[5]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص173.

[6]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص77/ العماد السَّلَماسي(589-644هـ/1193-1246م): عثمان بن إسماعيل بن خليل، أبوه من سَلَمَاس إحدى مدن أذْربيجان، انتقل إلى القاهرة وولد بها العماد ونشأ، وتنقّل في البلاد الشامية والجَزَريّة كاتبَ درج تارةً، وكاتب ديوانٍ أُخرى، لقيه ابن سعيد وصادقه وحضر جنازته. مجموعة مؤلفين، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المُغْرب في حُلى المَغْرب، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، مصر، 1970م، صص291-299.

[7]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص201.

وَتَشْـرقُ أنْـوارُهـا عِنْدنــا * وعِنْدكُـم نُورُهــا يُسلَب.

فأجَابَهُ ابنُ سَعيد: (مخلع البسيط)

يَفْخرُ بالشَّرقِ أهــلُ فَخْـر * قوْلُـهم بَهْـرَجٌ شـتِيـتْ

قالوا لنَا الشّمسُ في طُلـوع * قُلْنا لَهُم: عِنْدَ مَنْ تَبيتْ؟

نبيـتُ حـيثُ المهادُ رحـب * واللَّيْلُ فِيـه مِنْـكٌ فَتِيـتْ[1].

وفي الحركة الفكرية والجانب العلمي نجد قول أبي عليِّ البغداديّ (من أعلام الدراسـة) فـي وقتِ قَصده الأنـدلس، قـال: "لَمَّـا وصلتُ القَيْرَوانَ وأَنـا أعتَبِرُ مَنْ أمُرُّ بـه مـن أَهلِ الأمصـارِ فأَجِدُهم درجاتٍ في الغَباوةِ وقلّةِ الفَهم بِحَسَب تفاوُتِهم فـي الـمَوَاضِعِ منهـا بـالقُربِ والبُعدِ، حتّـى كـأنَّ منـازِلَهم مِنَ الطَّريـق هـي منـازِلُهم مِنَ العِلم مُحاصَّـةً ومُقايَسة، قـال أبـو علـي: فقلتُ: إنْ نَقَصَ أهلُ الأَندلسِ عَنْ مقاديرِ مَنْ رأيتُ في أفهامهم بقَدْر نُقصان هؤلاءِ عَمَّن قبلهم، فسأحتاجُ إلى تُرْجُمان بهذه الأوطان"[2].

وكذا ما كتبه العمادُ الكاتب[3] فـي ردّه علـى كتـاب للقاضـي الفاضـل[4]، وممّـا جـاء فيـه قولـه- تعصبا لمشرقيته-: "وأمّا المغاربـةُ فَعلـى مشـارعِ الـمَـشارقةِ مُغـارُ حَبْلِهـا، ومـن مشـاربها مُعـارُ خَيْلهـا، ومـن جَزْرِهـا شَرَقُهـا، وفـي مـوج لُجِّهَـا غَرَقُهـا..فـإنْ تعلَّقَ الـمَغرِبيُّون بأذيـالِ السَّـماء، وقالوا: الأنـوارُ أجـزَاء، فالمشرقيُّون اجْتـابُوا حُلَلَهـا القُشْـب..."[5] فـإذن، حتَّـى لـو تعلّقَ المغاربـةُ بأذيـال السّـماء – فالمشـارقة سَبَقوهم إلـى كـلِّ فخـر، أي أنـه لا مجـال مُطلقاً لمسـاواةِ المغاربـةِ بالمشارقة...فكيف بالتفوُّقِ عليهم؟[6].

---

[1]- نفسه، ص 183، وص203.

[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص22.

[3]- العمادُ الكاتب(ت597هـ/1201م): محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن ألـه، يكنى أبو عبد الله، الكاتب الأصفهاني، كتب لنور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الأيوبي، وهو صـاحب "خريدة القصر وجريدة العصر". ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التـاريخ، راجعه وحققه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1424هـ/2003م، ج10، ص276.

[4]- القاضي الفاضل (ت596هـ/1099م): عبد الرحيم البيسـاني الكاتب، لم يكن فـي زمـان أحسن كتابـة منـه، كـان فـي خدمـة السلطان صرح الدين، ومدفنه بظاهر مصر بالقرافة. نفسه، ج10، ص268.

[5]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص 145.

[6]- نفسه، ص76.



ومن تلك الأقوال المشرقية أيضا الصادرة عن الصّاحب بن عبّاد[1] وما حُكِيَ عنه؛ قيل إنه سمع بكتابِ " العِقد الفريد" لابن عبد ربه(ت328هـ/939م) فَحَرِصَ حتَى حَصَل عندَه، فلما تأمَّلَه قال: "هذه بِضاعتُنا رُدَّت إلينا، ظَنَنَّا أنَّ هذا الكتابَ يشتمل على شيء من أخبارِ بلادِهم، وإنما هو مشتمل على أخبارِ بلادِنا، لا حاجةَ لنا فيه فردَّه"[2].

يقول أبو القاسم محمد كرو معلقا على هذا: "فالصاحب ابن عباد كان يتشوّف إلى معرفة الأدب الذي أبدعه المغاربة، بداية من القيروان وانتهاء بالأندلس فإذا العقد الفريد يضع بين يديه نصوصاً وأدباً مشرقياً...فماذا عساه أن يقول أو يعلق؟"[3].

وقال الحافظ الحاج لطيف أيضا: "من أجل ذلك أرى أن السبب الوحيد لهذا الإهمال وافتخار المشارقة بأدبهم واستخفافهم بأدب الأندلسيين، وأنّه لا حاجة لهم– في زعمهم- بنسخة أخرى من أدبهم، وأنّه لا مجال- في تفكيرهم- أن يكون في «الفرع ما في الأصل من اخضرار ورواء»"[4].

وكذلك ما قاله المعري لما سمع شعر ابن هانئ[5] "ما أشبهه إلا برَحًى تطحن قروناً، لأجل القعقعة التي في ألفاظه"[6]، ويُعلق ابن خلكان لما أورد القول السابق في آخر ترجمة ابن هانئ- "ولعمري ما أنصفه في هذا المقال، وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبي"[7]؛ فالمعري لم يلتفت إلى دواعي الشعر عند ابن هانئ، وهو شاعر مشحون بالعقيدة الإسماعيلية، وبظروف الصراع المذهبي والسياسي والعسكري في مواجهة خصوم الدولة الفاطمية وأعدائها الكثيرين

---

[1]- الصّاحب بن عبّاد(ت385هـ/995م): إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن أحمد بن إدريس الطالَقاني، يكنى أبو القاسم، وزير غَلَب عليه الأدب، وقيل له الصاحب لأن كان صحب مؤيد الدولة منذ الصّبا، كان نادرة الدّهر في فضائله وكرمه، صنّف العديد من الكتب منها المحيط في اللغة، وله رسائل بديعة ونظم جيد، مات بالري ودفن بأصبهان. اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ج2، صص317-320.

[2]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء -إرشاد الأريب على معرفة الأديب-، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص464.

[3]- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، ص415.

[4]- حافظ الحاج لطيف، المرجع السابق، ص12.

[5]- ابن هانئ(ت362هـ/972م): محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي، يكنى أبا القاسم وأبا الحسن، ولد بإشبيلية، أديب وشاعر، كان حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم، خرج إلى بر العدوة واستقر بها، ومات ببرقة. ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج4، صص421-424.

[6]- نفسه، ج4، ص424.

[7]- نفسه، ج4، ص424.



في المشرق والمغرب، فجاء شعره- لذلك كله- شعر حماسة ومناضلة عن العقيدة والدولة، ولم يهتم المعري بأي شيء من ذلك لأن ذوقه الشعري قد صدمته جلبة الألفاظ وجرسها المصمّ[1].

إن تلك الآراء فيما يخص الأعمال الأدبية فقط تكاد تكون لها قابلية عند الباحث لمّا يعرف أسباب ذلك، يقول أبوالقاسم محمد كرو: "فقد كانت بداياتهم في التأليف الأدبي وحتى في الشعر بدايات عقيمة، فإلى نهاية القرن الثالث الهجري لم يظهر لهم تأليف واحد في الأدب كما لم يظهر بينهم أي شاعر ذي شأن سوى بكر بن حماد[2]، ولكنه كان شاعراً مقلاً... ومذبذباً بين المديح والزهد، وانتهى صداه يوم موته، ولم يبق من شعره في بلاد الإفريقية نفسها سوى نتف لا تبين"[3].

وذلك طبيعي جدا لأن المنطقة لم تعرف العربية إلا منذ زمن قصير؛ لذلك فالإنتاج العلمي في القرون الأولى سيكون ضعيف ومقلد للمشرق- المصدر-، يقول محمد رضا الشُبَيْبي: "ولا ينكر أن مصنفات بعض الأندلسيين والمغاربة شاهدة بسعة اطلاعهم وكثرة روايتهم وحفظهم لنصوص قيمة وردت في كتب المشارقة على وجه يستفاد منه أن كتب المشارقة هي الأصول المعول عليها في الدراسة..."[4].

كما أنه لم يكن هناك داع لهجوم المشارقة الكبير على المغاربة، لأنه مما يذكر للمغاربة والأندلسيين، ويؤكد عليه من قبلهم الإعتراف بسبق المشارقة وتفوقهم في العلم والتعليم والبحث والتأليف، وهذا مما يدل على فضلهم وتواضعهم[5].

وتبدو من خلال تلك الأقوال صورة المغاربة قاتمة في عيون المشارقة؛ إلاّ أنّه لا يمكن بحال من الأحوال القول بأنّهم كانوا مُتفقين على تلك الصورة التي لربما تغيرت مع الزمن ومع ظهور حضارة المغرب، مع تأكيدنا على أنها الصورة الغالبة رغم محاولة بعض المشارقة

---

[1]- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، صص 415.

[2]- بكر بن حماد(ت296هـ/908م): بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي، كان ثقة عالما بالحديث ورجاله وشاعراً فصيحا، سمع سحنون وغيره، ثم رحل إلى البصرة، وعاد إلى القيروان ثم سافر إلى تاهرت ومات بها. الدباغ، معالم الإيمان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة ، المكتبة العتيقة، تونس، 1972م، ج2، صص281- 285.

[3]- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، صص416-417.

[4]- محمد رضا الشُبَيْبي، أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية، دار إقرأ، بيروت، ط2، 1404هـ/1984م، ص11.

[5]- نفسه، ص13.



إنصاف أو بالأحرى تحسين أو اعتراف بفضل المغاربة، ونذكر من ذلك الوَداعِيُّ[1] أَحَدُ شُعراء المشارقة المتَأخِّرينَ الذي أنصف المغاربة إذ قال:(الوافر)

حَوى كلٌّ من الأُفقَيْنِ فضْلا * يُقِرُّ بِهِ الغَبِـيُّ معَ النَّبِيهْ

فهذا مَطْـلِعُ الأَنـوارُ مِنْـه * وهـذا مَنْبَـعُ الأَنـواءِ فيه[2].

وقال العمري فيما يخص العلم: "ولا نُنْكِرُ أنَّ بالمغربِ سادةً أجلاَّءَ وأَئمَّةَ فُضَلاءَ من ذوي العِلم والحِكمَةِ، وأجادوا في النَّحو والأدَبِ، ومنهُم الصُّلَحاءُ الأَفذاذُ، وفيهِم بَقايَا المُسْكَةِ في الدِّينِ والتَّشدُّدِ في الحَقِّ"[3].

وفي موقع آخر من كتاب العمري ينصف المغاربة في الأدب وبخاصة منهم الأندلسيين: "وأهلُ المغربِ أحسنُ رَقْمًا لديباجةِ الألفاظِ...لأَنَّ الغالبَ على أهلِ المَغربِ العَربيّةُ وما هو مِنها مِنَ النظمِ والنَّثرِ... ولكنَّ لأهلِ الأندلسِ لطائفَ دقَّتْ عن تلكَ الأفهامِ، وَرَقَّتْ عَنْ مِزَاجِ ذلكَ الكَلامِ، وإنْ كانَ من المَشرقِ أَصلُ ما عندَهم مِنَ الأدبِ... فَلَقَدْ لَطَّفوا مَسَالِكَ الأَدبِ، وأفادوا شَرَفَ الحضارةِ محاسَن العربِ، وقَلَّبو الأعيانَ، وسَحَرو الألبابَ بالبَيانِ، فجاءوا بأعجبِ العَجَب، وزادوا بحسنِ السَّبكِ خالصَ الذَّهبِ، وإن كانَ الشرقُ قد أنتجَ من طبقةِ أهلِ الأندلسِ مَنْ لا يُحجِم بِهِ المفاخِرِ، ولا تُحجَبُ بهِ المَفاخِرِ، ولكنَّ للأندلسيِّين لطائفَ أعلقُ بالقلوبِ وأَدخَلُ على النُّفوس في كلِّ أسلوب"[4].

كما أرضى المغاربةَ قول أحد المشارقة وهو الوداعي سابق الذكر:(المنسرح)

الغَرْبِ خَيرٌ وعِندَ ساكِنِهِ * أمانـةٌ أوجَبـَتْ تَقَدُّمَـهُ

فالشَّرقُ مِنْ نَيِّريْهِ عِنْدَهُم * يُـودِعُ دينـارَه وَدِرهَمَهْ[5].

وقد كان المغاربة يشعرون بأنّ المشارقة لا يقدّرونهم حق قدرهم حتى لو كانوا مُبْدعين لمجرَّد كونهم مغاربة[6]؛ وممّا يتداول ذكره ويستدل به المغاربة على عدم تقدير المشارقة لهم، هذا البيت الشعري لابن حزم (ت456هـ/1064)[1]: (الطويل)

---

[1]- الوَداعِيُّ(640-716هـ/1242-1316م): علي بن المُظفَّر بن إبراهيم بن عمر، علاءُ الدين السِّكَنْدري، ثم الدمشقي الكاتبُ، ويقال له ابن عَرَفَة، من أهل الإسكندرية. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج6، صص29-30.

[2]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص204.

[3]- نفسه، ص177.

[4]- نفسه، صص195-196.

[5]- نفسه، ص204.

[6]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص76.

أنا الْشَّمْسُ فِيِّ جُوْ الْعَلُوْمُ مُنُيْرَةٌ * وَلَكَّنَّ عِيْبِيْ أَنَّ مَطْلِعِيَ الْغَرْب[2].

وقد أبدى ابنُ دحية[3] ضيقَه بهذا الموقف في تعليقه على قصيدة ليحيى ابن الحكم الغزال[4] بقوله: " ياللَّه لأهلِ المشرق! هلاّ نظروا إلى الإحسان بعين الإستحسان ولم يُخرجهم الإزراءُ بالمكان إلى حدّ الإمكان، وخاطَبهم يطلبُ منهم إنصاف المغاربة وعدم ظلمهم: (الطويل)

نَـرَاحُ لِفضلٍ أن يكـون لَدَيْكُـمُ * فَما بالُكُم تَأبَوْن إن كـانَ عِنْدَنـا

وإنْ كنتمُ في العَدِّ أكثَرَ مفخَـرًا * فلا تَظْلِمُونا في القليلِ الَّذي لنا"[5].

كما أن المغاربة أنفسهم قد ساعدوا المشارقة في استنقاص مكانتهم؛ ذلك لأن واقع الشُّعور بالنقص عند الأندلسيين والمغاربة اتجاه المشارقة الّذين جاءوهم باللغة والدّين؛ فقد ظل هذا الإحساس يلازمهم وسيطر عليهم، ولذا أغرقوا في تقليدهم، ونسجوا على منوالهم، وترسّموا خُطَاهم[6].

ومثال ذلك على استنقاص المغاربة لأنفسهم ما ورد في رسالة كتبها الوزير الكاتب الشاعر الـمَغربي أبو المطرّفَ بن الـمُثَنىّ[7] لأبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي (من أعلام الدراسة) يقول فيها: " فما أبعدَ ما بين العلوّ والخَفضِ، والسَّماءِ والأَرض، وأينَ النورُ من الظُّلمةِ، والإفصاحُ من العُجمةِ، ورقَّةُ الطبعِ من جفائِه، وكَدَرُ الجَوِّ من صَفَائِه، وكيفَ مجاراةُ الكَوْدَنِ للعتيقِ، ومقارنةُ التَّشبيهِ بالتَّحقيقِ؟! وكيف نُجاريهم، وإنما نَحكيهم؟ وهل نحنُ-

---

[1]- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، ص414.

[2]- نفسه، ص414/ ويستدل المغاربة بهذا البيت على عدم تقدير المشارقة لهم، والحال أن قائله سجل به عدم تقدير أهل الأندلس له.- نفسه، ص 431 هامش رقم13.

[3]- ابنُ دحية (ت633هـ/1235م): عمر بن حسن بن علي بن الجُميل الكلبي، أبو الخطاب الدّاني ثم السبْني، الحافظُ اللغويُّ، عني بالحديث، وجال في مدن الأندلس ومدن العدوة، وحج وجال بالمشرق، وتوفى في القاهرة. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ج3، ص217.

[4]- يحيى بن الحكم البكري الجياني الأندلسي (156-250هـ/772-864م): الملقب بالغزال، ولقب بذلك لحسنه وجماله، شاعر اشتهر بالهجاء، وكان عالما بالنجوم تولى مناصب إدارية وكذا السفارة، ونفي إلى المشرق بعد هجاءه لزرياب؛ وآثاره: ديوان شعر ضائع، وتاريخ ألفه كله منظوما. ديوان يحيى بن الحكم الغزال، حققه وشرح له وقدم له محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1402هـ/1982م، صص3-25.

[5]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص185؛ وص76.

[6]- نفسه، صص74-75.

[7]- أبو المطرّفَ بن الـمُثَنىّ(ت458هـ/1066م): عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى الكاتب، كتب للمنصور أبي الحسن صاحب بلنسية، ثم رحل إلى طليطلة فغدا وزيراً للمأمون بن يحيى بن ذي النون عدّة سنين. ابن الأبار القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، إعتابُ الكتاب، حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1380هـ/1961م، صص215-217.

أهلَ هذه الجزيرةِ النائيـةِ عن خِيار الأُمم، المجاورةِ لجماهيرِ العَجَم- إلاَّ أجدَرُ البَريَّـةِ بـاللُّكَنِ، وأَوْلاها بعَدَمِ الفِطَن، وأَخلَقَها بالخَرَس، وأحقَّها بِغِلَظِ الحِسِّ؟!"[1].

وكذا اهتمام المغاربة الكبير بكتب المشارقة التي تصلهم مثل كتاب يتيمة الدهر كأول كتاب مشرقي متحدث عن المغاربة؛ وقد كان الأندلسيون والمغاربة يحبون أن يُذكروا في كتب المشارقة لما في ذلك من الإعتراف بفضلهم[2].

وبإزاء هذا الشعور من المغاربة، كان المشارقة يؤكّدون عقدة التَّفَوُّق لديهم كلّما لاحت مناسبة لذلك[3]، وعندما يعالج أبو القاسم محمد كرو تلك النظرة في ميدان الأدب يقول: "هذا إلى أن شكوى المغاربة قديمًا من إهمال المشارقة لهم واستنقاصهم أدبهم كانت شكوى معقدة ومفرطة في الحساسية...لكنني أزعم بأنهم كانوا السبب الوحيد فيها!"[4]، ويعيد الأسباب إلى نوعية الأدب المنتج من طرف المغاربة؛ ولكن في الحقيقة ليس لذلك فقط وإنما عقدة النقص التي كانت مستفحلة لدى المغاربة، والتي تنبَّه إليها مغاربة آخرين وحاولوا معالجتها.

ومن الذين تفطَّنوا إليها ابن خلدون الذي أشار لذلك في المقدمة، في حديثه عن الصنائع، وقد ربطها بالمغاربة المرتحلين شرقاً خاصة، وبيّن سبب ذلك الشعور في قوله: "...حَتَّى إِنَّه لَيَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ رَحَالَةِ أَهْلِ المَغْرِبِ إلى المَشْرِق في طَلَبِ العِلْمِ أنَّ عُقُولَهُمْ-أي عقول أهل المشرق- على الجُمْلَةِ أَكْمَلُ من عُقُولِ أَهْلِ المَغْربِ، وأَنَّهُمْ أَشَدَّ نَبَاهَةً وأَعْظَمُ كَيَسًا بِفِطْرَتِهِم الأولى، وأنَّ نُفُوسَهُمُ النَّاطِقَةَ أَكْمَلُ بِفِطْرَتِهَا منْ نُفُوسِ أهْلِ المغربِ، ويَعْتَقِدُونَ التَّفَاوُتَ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ في حَقِيقَةِ الإنْسَانِيَّة ويَتَشَيَّعونَ لذلك ويُولَعُونَ بِهِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ كَيَسِهِمْ في العُلُومِ والصَّنَائع...وَإِنَّمَا الذِي فَضُلَ بِه أهْلُ المَشْرِقِ أَهْلُ المَغْرِبِ هو مَا يَحْصُلُ في النَّفْسِ منْ آثارِ الحضَارَة من العَقْلِ المَزِيدَ ..."[5].

أجل إنه التقدم في الحضارة كالتقدم في العمر تزداد حكمة ومعرفة، وبذلك فابن خلدون أحسن الرؤية والتحليل، وتفطن لما كان يدور في ذهن ذلك المغربي المرتحل؛ وتلك إذن رؤية

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج3، صص310-311.

[2]- حافظ الحاج لطيف، المرجع السابق، صص14-15.

[3]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص76.

[4]- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، ص416.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، صص546-547.

من عيون المغاربة للمشرق والمشارقة[1]، والتي زادت من عمق هوة الأنا المشرقي على الآخر المغربي.

ونتيجة الشعور بالنقص لجأ المغاربة إلى التقليد الأعمى الذي أقره بعض علماء المغاربة وانتقدوه؛ ومن ذلك القول الصريح والقاسي لأبي الحسن عليّ بن بسّام عن أبناء وطنه؛ وهذا لتقليدهم الفكري والثقافي للمشارقة، وتركهم أبناء وطنهم "إلاَّ أنَّ أهل هذا الأفق، أَبَوْا إلاّ متابعَة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوعَ الحديث إلى قتادة[2]، حتى لو نَعَق بتلك الآفاق غرابٌ، أو طنّ بأقصى الشامِ والعراقِ ذُباب لَجَثَوا على هذا صنماً، وتَلَوْا ذلك كِتاباً مُحكَمًا وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة، مَرْمَى القَصِيّة، ومُناخ الرِذيّة، لا يُعمُر بها جَنانٌ ولا خَلَدُ، ولا يُصَرَّفُ فيها لسان ولا يدُ، فغاظَني منهم ذلك وأَنِفْتُ مِمَّا هنالِكَ... وليتَ شِعري، مَنْ قَصرَ العِلمَ على بَعضِ الزَّمانِ، وخَصَّ أهلَ المَشرقِ بالإِحسانِ؟"[3].

وبذلك فقد عاب ابن بسام سلوك أبناء بلده، وأنحى باللاّئمة عليهم لتَهافُتِهم وَوَلعهم بما لأهل المشرق بالرّغم من أنه برز منهم من بزَّ المشارقة في فنون الأدب[4].

إن القول المذكور لابن بسّام له أهمية كبرى، وهذا على الأقل في توضيح تقليد المغاربة للمشارقة، الذين ولعُوا وفتنوا بالشرق؛ فحتى ولو كان هذا الإنتاج المشرقي صادر عن شخص لم يكن له باع طويل من العلم والأدب أو لم يضرب بسهم وافر فيه، فالمهمّ في نظر المغاربة أنه صادر من الشرق؛ لأنهم كانوا يرون فيه النموذج الأمثل الجدير بالإقتفاء والإحتذاء[5].

ولم يكن التقليد في التأليف بكل أنواع العلوم وضروب الفنون[6] فحسب، بل شمل الألقاب بالنسبة للأعلام خاصة منهم للشعراء والعلماء وكذا أسماء المدن[1].

---

[1]- حول نظرة المغاربة للمشارقة. ينظر صلاح الدين المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى.

[2]- قتادة بن دِعَامة بن قتادة بن عزيز بن عُزيز السَّدُوسيُّ البصريُّ: يكنى أبا الخطاب، مفسر حافظ ضرير، أحفظ أهل البصرة للحيث في زمانه. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص189.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص19-20.

[4]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص75.

[5]- الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، صص38-14.

[6]- ألف أبو الفضل جعفر بن شرف القيرواني " كتاب الزمان" عارض به كتاب "كليلة ودمنة"؛ وصنف أحمد بن محمد بن فرج الجيّاني مؤلف "الحدائق" عارض به" كتاب الزهرة" لابن أبي داود الأصفهاني؛ وألف المظفر بن الأفطس صاحب "بطليوس" كتاب "المظفري" عارض به "عيون الأخبار" لابن قتيبة؛ ووضع الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي كتاب "صفوة الأدب وديوان العرب" مثل الحماسة لأبي تمام (وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق)، وألف ابن بسام "كتاب الذخيرة" حاذياً حذو الثعالبي في كتابه "اليتيمة"؛ وكذا صنف الرشاطي محدث الأندلس كتاب "اقتباس الأنوار" على غرار كتاب "الأنساب" للسمعاني. محمد رضا الشُبُيْبي، المرجع السابق، صص11-17.

ولا ننسى سببا آخر يجعل من المغاربة موالين للمشارقة دوماً زيادة على فضل تبليغ الرسالة فإن المغاربة- وفيما يبدو- كانوا في حاجة إلى تقوية العلاقة مع المشارقة أكثر من المشارقة مع المغاربة؛ وذلك لسلامة حجاجهم وتأمينهم كل عام؛ فإنهم كانوا يبعثون وفودا رسمية تحمل معها رسائل بجانب الهدايا[2] حبا في قضاء ذلك الفرض.

أما عن ردة فعل المغاربة على المشارقة؛ فتلك النظرة جعلت من المغاربة مُدافعين، فلولا التجني على المغرب والمغاربة لما رفع المغاربة راية المُناهضة عن بلادهم، ولما كانت ردود الفعل المغربية التي جسَّدت صوتاً من أصواتهم الإحتجاجية التي جاءت جواباً صارخا للمشارقة؛ وكان ميدانها القوي هو الأدب شعرا ونثرا، ثم بقية الميادين، وكأن المغاربة فهموا ما يمكن أن تتغير به تلك النظرة لذلك ركزوا على ميدان الأدب؛ ولأن الأدب مفخرة أهل المشرق.

وقد سعى المغاربة إلى معالجة تلك النظرة بأسلوب فعال وعملي، أي أسلوب الحضور في المكان والمجابهة بالإنتاج الجيد وبالفائق الباهر، وكثيرة هي المؤلفات التي تندرج في سياق المنافسة والمنافحة بين أدباء المغرب وأدباء المشرق، وكثير من المغاربة ممن تصدى للمشارقة كان يعيش بينهم في بلاد المشرق[3].

ومن عناوين الكتب المغربية التي ألفت خصيصاً للدفاع عن الأدب والأدباء في الأندلس والمغرب، ولإعلاء شأنهم وإبلاغ صوتهم، وبيان فضلهم وعالي مكانتهم لدى المشارقة، كتاب "المطرب من أشعار أهل المغرب" لابن دحية.

يقول إبراهيم الأبياري محقق المطرب في تقديمه للكتاب، وشرح الدواعي الحقيقية لتأليفه[4]: "في الكتاب أكثر من إشارة تُعبِّر في صريح عبارة عن عِلْم الرجل باهتضام المَشارقة للمغاربة، وإنزالهم في الأدب منزلاً غيرَ لائق، والغضّ من شأنهم الفائق".[1]

---

[1]- وفي باب الموازنة بين شعراء المغاربة والمشارقة أو حكمائهم أو علمائهم يقولون عن ابن هاني "متنبي الغرب"، وعن ابن زيدون "بحتري المغرب"، وعن ابن خفاجة أو ابن عمار "صنوبري الغرب"، وعن ابن طفيل "ابن سينا الأندلس"؛ وقيل لابن عبد البر" حافظ المغرب" كما قيل للخطيب البغدادي "حافظ المشرق"؛ كما استعاروا أسماء حواضر الشرق فأطلقوها على حواضر معروفة في الأندلس والمغرب فشبهوا إشبيلية بحمص، وغرناطة بدمشق، وفاس ببغداد إلى غير ذلك؛ وأحدثوا بلدة سميت البصرة تشبيها لها ببصرة العراق. محمد رضا الشُبَيْبي، المرجع السابق، صص12-13/ أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، ص415.

[2]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص238.

[3]- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، ص 417-419.

[4]- نفسه، ص413.



ومن المؤلفات المغربية وأكثرها أهمية ومكانة في تاريخ الأدب كتاب" الشُّهُبَ الثاقبة في الإنصاف بين الـمَشارقة والـمَغاربة" الذي ألفه ابن سعيد لأنّه شعر باستنقاص المشارقة للمغاربة في قوله عن سبب تأليفه نقلا من العمري- ذلك لأن نص ابن سعيد لم يصل منه إلا ما نقل العمري عنه -: "وقَدْ صنَّفْتُهُ بالشَّامِ لضرورةٍ دعت لذلك، مِن شدَّة اتِّحاد الـمَشارِقةِ على المـَغارِبَةِ من كُلّ جِهَة"[2].

ويبدو أن نظرة المشارقة للعلم والحركة العلمية المغربية قد تغيرت مع الزمن، حيث يعتبر القرن الرابع بداية تحسن تلك النظرة وذلك الموقف من المشارقة[3]، ويعود لأسباب يمكن أن نجملها فيما يلي:

- الإنتاج العلمي المغربي: الكم الهائل الذي أنتجه المغاربة والأندلسيين من مؤلفات في شتى مجالات العلوم والآداب مع رقيّه أجبر المشارقة إلى الإلتفات إليه ومحاولة التعرف عليه.
- وصول الكتب المغربية لبلاد المشرق، فالمشارقة "ظلوا لا يعرفون عنا شيئاً، لأننا لم نقدم لهم شيئاً، أو قدمنا نماذج غير صالحة-مقلدة- أو غير جيدة"[4]، لذلك كانت نظرتهم نظرة استخفاف بأدب المغرب؛ ولكن لما انتشرت مؤلفات المغاربة الخاصة بهم والحاملة لأدبهم وإبداعاتهم في الشعر والنقد والتاريخ والتراجم في بلاد الشرق زاد الإهتمام، ولم تتجاهل المؤلفات المشرقية ولا أدباء المشرق أدب المغاربة عامة ومؤلفاتهم، فقد غدوا يملكون أصولاً ومصادر عن المغرب هامة جداً، ومن ثمة ظهر التقدير والإعجاب بمؤلفاتهم.

كما يعتبر تغير ذلك الموقف من نتائج ردود الفعل المغربية التي سعت للدفاع عن المغرب والمغاربة، وتبيان فضل المغرب من خلال التأليف في بلاد المشرق، "وقد زادها قيمة ومكانة أدباء مغاربة أفذاذ عاشوا بين أدباء المشرق وأثروا فيهم، وحملوا إليهم مؤلفات المغاربة وأشعارهم، بل وألفوا لهم خصيصاً كتباً للتعريف بأدب المغاربة من صقلية إلى الأندلس"[5]، وبذلك فإن المغاربة هناك كانوا سفراء وأصواتاً عالية للأدب المغربي والأندلسي؛ وعملوا على نقد وإدحاض فكرة أن المغاربة ليس لهم المقدرة على مضاهاة المشارقة في العلم والأدب.

---

[1]- ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي الكلبي الداني، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، 1374هـ/1955م، ص ك.

[2]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص78.

[3]- أبو القاسم محمد كرو، التواصل الأدبي، ص417.

[4]- نفسه، ص419.

[5]- نفسه، ص417.



ومن دلائل اهتمام المشارقة بالمغاربة ومظاهر التقدير والإعجاب، العناية التي أولوها لهم في مؤلفاتهم ومجاميعهم وموسوعاتهم الأدبية بوجه خاص، فقد خصصوا للمغاربة أجزاء من موسوعاتهم، وفي هذا دليل على أن عنايتهم بهم قد صارت كبيرة وعادلة، "بل إن مؤلفات بعضهم أصبحت اليوم هي المصدر الوحيد عن عدد كبير من شعرائنا وأدبائنا، ذلك لأن الأصول التي نقلوا عنها قد ضاعت كلها تقريباً ولم يعد لها اليوم وجود..."[1].

ويعد يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور (ت429هـ/1038م) الذي ألفه سنة 384هـ/993م أول مؤلف مشرقي تحدث عن أدباء المغرب الإسلامي وشعرائهم، كما ورد ذلك في مقدمة كتابه[2].

من خلال هذا العرض لمختلف الآراء من مظان المؤلفات التي اهتمت بذكر تلك النظرة أو حللت تلك المواقف يمكن للقارئ أن يستنتج:

- أن المشارقة كانوا متعصبين للشرق ولكل شيء مشرقي، وإلى كل علم أو أدب ينسب لأدب الشرق واستخفافهم بالأدب المغربي والأندلسي.

- إن صورة المغرب والمغاربة في عيون المشارقة تغلب عليها الصورة السلبية من استنقاص واحتقار أكثر منها إيجابية.

- كل تلك الأقوال المشرقية لا تعدو أن تكون محاولة لإبراز فضائل المشرق من خلال إشارات الإستنقاص للمغرب والمغاربة؛ ومؤكد أن بعضا من تلك الأقوال لم تكن بتلك القوة والحزم ما لم يكن المغاربة تطلعوا إلى استنقاص المشرق والمشارقة، لذلك كانت بعض منها كردات فعل.

- كان المغاربة واعين بذلك الحكم المُسبق عند المشارقة، لذلك حاول البعض منهم الرد على المشارقة بشتى السبل.

ولكن رغم كل تلك الأقوال المتداولة فقد قصد المشارقة وعلماؤهم - فيما بعد- بالأخصّ بلاد المغارب، بل فيهم من اتخذها وطنا وساهم في تقدُمها كما ستبينه هذه الدراسة.

ولمعرفة إن كان السبب في نظرة استعلاء المشارقة على المغاربة يعود إلى عقدة في المشارقة أنفسهم- أي أنهم هم أصحاب العقدة -! يجب أن ننظر كيف يرى المشارقة للأقوام

---

[1]- نفسه، ص418./ ومن المُحْدَثين الذين حاولو إثبات ذلك الإهتمام محمد زمري في مؤلف حول تلك الأصول المشرقية التي اهتمت بأعلام المغاربة في قوله: " وذلك لإحداث علاقة التأثير والتأثر لمعرفة مدى إهتمام أهل المشرق بالمغاربة لرد مزاعم من اعتقد انعدام هذا الإهتمام". محمد زمري، الأعلام المغاربة في مصنفات المشارقة، دار الغرب، وهران، ط1، 2004م، ص6.

[2]- أبو منصور الثعالبي النيسابوري عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، حققه وفصله وضبطه وشرحه محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1433هـ/2012م، ج1، ص14.

الآخرين- الأمم التي فتحوها كالفرس مثلا-، وهي نقطة مهمة وأساسية لمعرفة جواب لماذا صورة المغرب والمغاربة سيئة في عيون المشارقة أكثر من أن تكون مقبولة؟.

على أننا نرجح أنه لم يكن المشارقة يتفاخرون على المغاربة فقط ويستنقصونهم، بل كل الأمم التي افتتحوها؛ وعليه فإن ذلك كان طبعٌ طُبِعَ به الإنسان المشرقي في التعامل والنظر إلى باقي الأمم.

وإذا فكرنا بتفكير إنسان ذلك العصر نجد أن المشرقي قد سبق للإسلام كل الأجناس، ثم حمل رسالة الإسلام وأوصلها لباقي الشعوب، واستمد تلك العِلِيَّة والأمجدية والفخر من أنه صاحب الرسالة وناشرها رغم أن فحوى الرسالة التي يحملها تدعو إلى المساواة والأخوة وتناقض تلك النظرة.

ثانيا: العوامل المساعدة على توافد المشارقة إلى المغرب الإسلامي: بعد معرفة الصورة المُكوَنَة لدى المشارقة عن المغرب وأهله، والتي حسب رأينا لا تشجع المشارقة للتوجُّه نحو المغرب الإسلامي، إلا أن وجود عوامل أكبر من ذلك فرضت نفسها على واقع المسلمين، وحثت على ارتباطهم ببعضهم البعض، وساعدت على قدوم المشارقة إلى أرض المغرب في العصر الوسيط؛ الأمر الذي يُحتم علينا تحليل تلك العوامل، وتِبيان دور كل منها على حدة، هذا إضافة إلى ذكر أبرزعوامل الجذب التي ساهمت في استقطاب المشرقي إلى المغرب الإسلامي.

تُؤكد الفترة السابقة للإسلام أن موضوع الرحلة والهجرة لم يكن طارئاً على العرب بشكل عام، فقد مارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها[1]، ولم تخل العصور القديمة من ظاهرة الرحلات، وقد أفادت معاصريها أولا ثم من جاء بعدهم[2]؛ وتعود صلات المشرق بالمغرب إلى فجر التاريخ[3] فمنذ الألف الأولى قبل الميلاد بدأ الفينيقيون بالتوسع في الحوض الغربي لبحر الروم[4].

وعليه فسنبحث في العوامل المُشجعة على توافد عموم المشارقة بعد انتهاء مرحلة الفتح والعلميات العسكرية والصدام بين المغاربة والمشارقة القادمين، على أن ذلك الصدام كان دفاعا للمغاربة عن أرضهم، وقد انتهى بالتوافُق بعد الفتح[5]؛ وأحسن المغاربة استقبال المشارقة عندما فهموا مضمون رسالتهم[6]، وانصهرت الفئات الاجتماعية في مجال ثقافي مُتنوّع أسْهم في البناء الحضاري المُتعدد الجوانب لهذه الأمة[7]، وقد كانت تبعية المنطقة في البداية إلى الخلافة الإسلامية في بلاد المشرق، حيث "ظلت الخلافة الإسلامية منذ العهد الراشدي اللُحمة التي جمعت أشتات العالم الإسلامي تحت راية واحدة"[8].

ولمعرفة العوامل الأكثر تأثيراً على ذلك التوافد المشرقي للغرب الإسلامي سنقوم بترتيبها حسب الأهمية، ثم يتْبع ذلك ذِكرٌ لأهم عوامل جذب المشارقة نحو المغرب.

---

[1]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص74.
[2]- عبد القادر خليفي، الرحلات بين المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية، مجلة المواقف- الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ- جامعة معسكر، الجزائر، ع4، 2009م، ص116.
[3]- محمد زمري، المرجع السابق، ص5.
[4]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص116.
[5]- محمد زمري، المرجع السابق، ص6.
[6]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص3.
[7]- محمد زمري، المرجع السابق، ص6.
[8]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص51.

1- الدين الإسلامي: من أكبر العوامل المساعدة على انتقال المشارقة للغرب الإسلامي انتماء بلاد المغرب لدار الإسلام، فقد دخل البربر أفواجا في دين الله، وقَبَلوا دين الإسلام الذي وجدوا فيه متنفساً مما عانَوه[1] من قَبْل؛ فاعتنقوا الإسلام وأخلصوا له لبساطته، وذلك أولُ تحولٍ عميق يمسُّ الشخصية المغربية مسًّا قويًا ويُؤثر فيها[2].

فذاك الفتح كان يحمل معه كتابا فيه قوام العقيدة ودستور حياة[3] للأمة والأشخاص؛ لذلك تحمَّس البربر لدعوة هذا الوافد، شأنه في ذلك شأن بقية العالم الإسلامي[4]، وتم قبول الدين الحنيف على أنه أداة تعبد ومعاملات[5].

إن ظهور الإسلام ديناً عالمياً من جهة، وتنظيماً سياسياً من جهة ثانية أوجد إحساس الجماعة الوليدة بذاتها المتميزة[6] بدينها المُوحد لها، إذْ تعتبر رابطة الدين الإسلامي أقوى الرَّوابط بين الجماعات الإسلامية، يقول حافظ الحاج لطيف: "أعتقد أن الأمة العربية واحدة، وأنَّ المسلمين دون ما سواهم من الأمم، وأنّه ليس هناك بلاد إسلامية أو عربية شرقية وأخرى غربية، ولكن هذا التقسيم وُجد في أذهان الناس منذ القديم"[7]، فالعامل الديني كان له دور كبير، وبفضل وحدة الدين قامت علاقة وطيدة بين المشرق والمغرب.

لقد كان توحيد البلاد الإسلامية تحت ظل خلافة واحدة مطلباً شرعيا لدى كل المسلمين، ذلك أن في الوحدة قوة، وبخاصة حين يتعلق الأمر بمواجهة أعداء الإسلام؛ وفي التفرقة ضُعف، وقد نهى عنها الإسلام[8] في قوله تعالى: «ولاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ»[9].

---

[1]- صافية كساس، الرحلات العلمية، ص178/ صافية كساس، نظام التدريس بالمراكز العلمية في المغرب العربي، مجلة اللغة والإتصال، يصدرها مختبر اللغة العربية والإتصال، جامعة وهران، الجزائر، ع9-10، 2011م، ص229.

[2]- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، القرارة، ط2، 1414هـ/1993م، ص9.

[3]- يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية - المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري- (90-450هـ)، معهد البحوث العلمية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص86.

[4]- مراد بوقصّي، العلاقات العلمية بين المغاربة والأندلسيين من القرن الثالث إلى القرن الثامن هجريا، إشراف فرحات الدريسي، قسم التاريخ، جامعة منوبة، تونس، ص22.

[5]- صافية كساس، الرحلات العلمية، ص178/ صافية كساس، نظام التدريس، ص229.

[6]- نبيل الصافي، أثر الجغرافية السياسية في تدوين وقراءة التاريخ العربي الإسلامي، مجلة البحث التاريخي، تصدر عن الجمعية التاريخية بحمص، ع7، رجب 1423هـ/ سبتمبر2002م، ص151.

[7]- حافظ الحاج لطيف، المرجع السابق، ص5.

[8]- العربي الحمدي، مشروع توحيد المشرق والمغرب في العهد الموحدي والأيوبي من خلال مصادر الرحلة، المغرب- المشرق – العلاقات والصورة، أعمال ندوتي مارس1994، نوفمبر1997م، مجموعة دراسات وأبحاث حول العلاقات المشرقية- المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، بني ملال، 1999م، ص115.

[9]- تمام الآية «وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ». سورة الأنفال- الآية 46.

كما شهدت بلاد المغرب تنوعاً في المِلل والنحل والمذاهب الإسلامية عبر فترات تاريخها، مثلما حصل في بلاد المشرق، فوحدة العقيدة حتى ولو اختلف المذهب واللغة تؤدي إلى التوافق والتقارب (المناخ الإنساني)[1].

تعتبر العوامل الدينية من الثوابت التي دفعت المشارقة للتواصل مع المغرب الإسلامي؛ حيث أن المسلمين إخوة والتواصل واجب بينهم، وقد عمل الحكام والسلاطين والعلماء على تقوية هذا الرابط، يظهر ذلك من خلال المكاتبات والمراسلات التي كانت عادةً ما تبتدئ بذكر أواصر التواصل الدينية، كما أن الحفاظ على الدين الإسلامي ومكتسبات الأمة الإسلامية وأقاليمها وحدودها وثرواتها كان مهمة جميع المسلمين دون استثناء سواء في المشرق أو في المغرب[2]؛ مما شجع على قدوم المشارقة ارتباط بلاد المغرب الإسلامي ببلاد المشرق دينيا، فوحدة الدين تزيد في توطيد علاقة الأخوة وتمتينها[3]، وتسمح للفرد بالترحال في أرض الإسلام مطمئن القلب لاحتمائه بحرمة الدين.

ولعل رابطة الدين الإسلامي هي أهم الروابط بين المشارقة والمغاربة، فالإسلام يقودهم إلى المصير الحتمي المُشترك، مهما اختلفت هذه الأمة فإن مصيرها سيبقى واحدا والخطر واحد، لذلك فتأثير هذا العامل كبير في مساعدة المشارقة للتوجه نحو بلاد المغرب الإسلامي.

2- اللغة العربية: إذ للغة دور كبير في التواصل بين بني البشر، ومن مقومات الدين الإسلامي اللغة العربية، ولا يمكن فصل مسألة الأسلمة عن التعريب[4].

لقد اضطر أهل البلاد المفتوحة مِمَّن أسلم إلى تعلم اللغة العربية لأنها لغة الدين[5] "فكان على المسلم حينئذ من غير العرب تعلم العربية وإتقانها زيادة على ذلك معرفة قيّم العرب وثقافتهم، ولم يكن المسلم غير العربي قادراً على القيام بواجباته الدينية ما لم يتقن العربية

[1]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، صص239-240.

[2]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص51.

[3]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص227.

[4]- محمد سعيد، تعريب النخب الإفريقية، من كتاب أعمال الملتقى الدولي السابع حول: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط" تونس في 26-28 أفريل 2012م، جمع النصوص وأشرف عليها راضي دغفوس، وخالد كشير، مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط - كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس، 2014م، ص101/ التعريب(Arabisation): يقصد منه الإدماج في المنظومة الإسلامية- يتعلق أساسا بتبني اللغة والثقافة العربية- كما يعني لفظ التعريب تعليم غير العرب العربية. أحمد الأسود، التعريب في إفريقية قبل الهجرة الهلالية: قنواته وإشكالياته ومظاهره، من كتاب أعمال الملتقى الدولي السابع حول: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط"، نفسه، ص134؛ وينظر أيضا ص101.

[5]- أنور الجندي، الإسلام تاريخ وحضارة، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1984م، ص39.

ويتكلم بها، فكان ذلك ولا شك دافعا إلى انتشار اللغة العربية"[1]، ومُجمل أسباب انتشار اللغة العربية، هي:

أولا: إنها لغة الدين (لغة القرآن والحديث وسائر كتب الدين)[2] ولغة الإستعمال اليومي؛ كما يجب أن نؤكد أن اللغة العربية التي حملت الإسلام من جهة، قد حملت لغة الشعر والنثر من جهة، واللغة الشفهية- الإستعمال اليومي - من جهة أخرى[3].

ثانيا: لغة الحقوق الرسمية؛ فلقد اضطر أهل البلاد المفتوحة إلى تعلم لغة أهل الدولة تسهيلا لقضاء مصالحهم[4]، إذ أنَّ تعلم اللغة العربية يمنح أبناء البلاد المفتوحة مهما كانت أصولهم العرقية أو الجهوية أو القبلية فُرصة الإندماج في المنظومة وتولي وظيفة أو خطة من الخطط التي ترتبط بمؤسسات الدولة- من دواوين وقضاء وحسبة وغير ذلك[5].

ثالثا: لغة العلم[6]؛ لم تبق العربية لغة العرب وحدهم كما لم يبق العلم العربي حكرا على المشرق، وإنما أصبحت اللغة العربية وعلومها منتشرة في مختلف البلدان المفتوحة، فمعرفة اللغة العربية- وكانت لغة العلوم كلها- أتاحت الفرصة لمن يرحل في طلب العلم أن يدرس أينما ذهب في أنحاء العالم الإسلامي بصرف النظر عن لغة أهل البلاد التي يقصدوها[7]، ولم يكد ينته القرن الثاني الهجري، إلا وكان أبرز علماء اللغة وشُعرائها من غير العرب[8].

ولم تمض بضعة سنوات حتى تغلبت العربية على لغات أهل البلاد المفتوحة[9]، وممّا ساعد على انتشارها أيضا "أنها لغة راقية تستند إلى حضارة عريقة... استطاعت أن تدفن كثيراً من اللغات القديمة التي طال بها الزمن، وهذا نظرا للخصوصيات اللغوية التي هيأتها وتُهيئها لتكون لها مكانة هامة"[10]، وبالتالي فالعربية فرضت نفسها لأنها تمتلك كل مقومات الإستمرارية[11]، فهي لغة الإسلام دين العرب، ولغة القرآن دستور الإسلام.

---

[1]- أحمد الأسود، المرجع السابق، ص138.
[2]- أنور الجندي، المرجع السابق، ص39.
[3]- رشيد فلكاوي، مساهمة علماء دولة بني حماد في نشر اللغة العربية، مجلة اللغة والإتصال، مجلة علمية محكمة يصدرها مختبر اللغة العربية والإتصال، جامعة وهران، الجزائر، ع9-10، نوفمبر 2011م، ص25.
[4]- أنور الجندي، المرجع السابق، ص39.
[5]- محمد سعيد، المرجع السابق، ص119.
[6]- أنور الجندي، المرجع السابق، ص40.
[7]- صافية كساس، الرحلات العلمية، صص194-195.
[8]- أحمد الأسود، المرجع السابق، ص138.
[9]- أنور الجندي، المرجع السابق، ص40.
[10]- رشيد فلكاوي، المرجع السابق، ص23.
[11]- نفسه، ص23.



فكان من نتائجها أن العربية لم تبق لغة العرب وحدهم وإنما أصبحت لغة البلدان المفتوحة[1]، الأمر الذي ساعد على بناء وحدة ثقافية متكاملة في العالم الإسلامي، ويسَّر على الأفراد والجماعات حرية التنقل في مختلف أنحائه.

ولما دخل الإسلام بلاد المغرب قَبِل البربر لغة الإسلام طوعا[2]، وبفضل توافد المهاجرين المسلمين بلا انقطاع إلى المغرب، تعلم السكان مبادئ الدين والعربية، وحفظو القرآن[3] الكريم نظرا للضرورة التي أملتها مُهمة الفاتحين وهي نشر الإسلام واللغة العربية[4]، وما زاد من انتشار العربية تنقُل القبائل العربية واستقرارها في المجال المغربي[5]، فتعرَّبت قبائل بأكملها- خلال فترة وجيزة-، وقد كان قُبُول لغة الإسلام من طرف المغاربة على أنها من مُستلزمات الدين[6].

ولقيت اللغة العربية ترحيبًا من قبل السكان لما تحمله من خصائص[7]، وكان للقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشريف الأثرُ الأوّل في إغراء المغاربة بتعلّم اللّغة العربيَّة[8] أولا، ثم الشروع في تعليمها ثانيا، من خلال إنشاء المراكز لتعلم قواعد اللغة العربية التي درسوها "باقتناع منهم وعن اختيار لا أثر فيه للجبر، وإقناع لا أثر فيه للقهر"[9]؛ إذ حاولوا دراسة هذه اللغة وكل ما يتعلق بها من أجل فهمها وفهم الكتاب الذي نزل بها[10]، كما وفدت الكتابة العربية على البلاد المغاربية على يد الفاتحين العرب سنة 50هـ/670م[11]، ومن هنا فإن المغاربة تمكنوامن اللغة العربية فخبروها، وتبحروا في علومها، وخدموها على اعتبار أنها اللغة العالمة[12].

وبذلك فمسار التعريب في المغرب الإسلامي بدأ منذ قدوم العرب وهو متزامن مع نشر الإسلام باعتبار الحاجة الماسة إلى اللغة لممارسة شعائر الدين من طرف العامة.

1- صافية كساس، نظام التدريس، ص230.
2- صافية كساس، الرحلات العلمية، ص178.
3- خالد بوهند، المذهب الحنفي ورجاله ببلاد المغرب الإسلامي من خلال كتب الطبقات والتراجم، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع7، 2014م، ص110.
4- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص271.
5- أحمد الأسود، المرجع السابق، ص139/ تنظر مواطن بطون القبائل العربية في بلاد المغرب في مواضع كثيرة. اليعقوبي، البلدان، صفحات181، 183،187، 190 وغيرها.
6- صافية كساس، الرحلات العلمية، ص178.
7- رشيد فلكاوي، المرجع السابق، ص24.
8- مجموعة من الكتاب، حوار المشارقة والمغاربة، المرجع السابق، الجزء الخاص بـ" تأثير الثقافة المشرقية في المغرب العربي ودور المشارقة في نشر اللغة العربية في الجزائر"، ج2، ص62.
9- صافية كساس، نظام التدريس بالمراكز العلمية، ص230.
10- نفسه، صص229.
11- محمد الصادق عبد اللطيف، الخط الأندلسي...تاريخ وفكر ومسيرة، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، صيف 1424هـ/2000م، ع15، ص269.
12- صافية كساس، الرحلات العلمية، ص179.

إن اعتناق الدين الإسلامي من طرف البربر كان له الأثر البالغ في نشر اللغة العربية في المغرب، على أنَّ مسألة التعريب تبقى نسبية لأن التعريب بالمفهوم الشامل- تعميق عملية التعريب- سوف يأتي لاحقا مع الهلاليين في منتصف القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي[1].

وهكذا أصبح اللسان العربي الذي نزل به الذكر الحكيم من أهم جوامع الأمة بعد العقيدة المحمدية، وأداة التواصل الأولى داخل الأقطار المغربية والمشرقية على حد سواء، والأهم من ذلك أنها مثلت لغة العلم ورمزه الحضاري، وبفضلها أيضا استمر تبادل الأفكار بين سكان مختلف الأقطار الإسلامية مما أبقى على تلك الوحدة حيَّة وزاد في تماسكها؛ فأسهمت بذلك في الحفاظ على الهوية والوحدة[2] الإسلامية بصفة عامة، وذلك مما ساعد وساهم في حرية انتقال المشارقة أصحاب هذه اللغة أصلا إلى الأقطار التي غدت العربية لسانهم، ومنها انتقالهم نحو المغرب الإسلامي.

3- حرية التنقل والسفر بين أجزاء الدولة الإسلامية: من العوامل الرئيسة المساعدة على تحوّل المشارقة غربا الحرية التامة للتنقل والسفر بين أجزاء الدولة الإسلامية.

إن العلاقات بين القطرين المشرقي والمغربي لم تنقطع بالمرة منذ الفتح الإسلامي للمغرب، على الرغم من استقلال بعض أقاليم بلاد المغرب الإسلامي عن مركز الخلافة بالمشرق فإن العلاقات لم تنقطع بين الشعوب، وأكثر من اشتهر بالسفر والتنقل والترحال في الأقطار الإسلامية في تلك الحقبة هم العلماء والتجار.

كان الأفراد يتنقلون بكامل الحرية بين العواصم الكبرى والمدن الصغرى مشرقا ومغربا؛ يقول عبد الواحد ذنون طه: **"**فلم تكن هناك حدود سياسية تمنع الراغبين في طلب العلم أو التجارة من التوجه إلى أي جهة يرغبونها من العالم الإسلامي المترامي الأطراف، من حدود الصين شرقاً إلى شبه الجزيرة الإيبيرية غرباً**"**[3]، فالمتعارف عليه أن الحدود كانت مفتوحة بين كل الأقطار الإسلامية حيث كان التبادل تلقائي في كل اتجاه، يتم فردياً أوجماعيا، لا تحدده صلات دبلوماسية أو رسميات متعارفة[4]؛ فلأي مسلم حق الهجرة في أرض الله الواسعة التي يُمكن الهجرة إليها ضمن دائرة الوجود الإسلامي.

---

[1]- محمد سعيد، المرجع السابق، ص118-133/ أحمد الأسود، المرجع السابق، صص134-168.
[2]- صافية كساس، نظام التدريس، ص230/ صافية كساس، الرحلات العلمية، صص194-195.
[3]- الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، ص99.
[4]- إبراهيم حركات، الثقافة وتبليغها بالأندلس في عصر الريادة، ص135.

لم تقف الدول القائمة في المشرق والمغرب حائلاً أمام المسلمين في اختيار مقصدِهم وهم يجولون بحرية في العالم الإسلامي[1] الواسع، تلك الحرية في التنقل أشاد بها كثير من الباحثين المُحدثين، منهم محمد قجة الذي قال: "حينما كان ابن خلدون يقوم برحلاته تلك، لم يكن أحد يطلب منه جواز سفر وتأشيرة دخول وخروج فهو ابن هذه الحضارة الواسعة"[2].

كما ساعد المناخ العام الذي قام عليه المجتمع الإسلامي إذ عرف نوعاً من التوَحُد حيث لم يخضع لتقلبات الأوضاع السياسية، ولم يعرف الحدود التي تحدُّ بشكل أو آخر من حرية انتقال المسلم في بلاد الإسلام[3]؛ ولذلك استمرت الوحدة الثقافية بين الأقطار الإسلامية على الرغم من تمزق العالم الإسلامي من الناحية السياسية[4]، وانفصال المغرب عن الشرق.

وعليه، فالتواصل لم يتوقف أو ينقطع، بالرغم من تطاحن الأنظمة القائمة في بعض الفترات، ونتاج ذلك أن النّاس كانوا يتنقلون بكامل الحرية بين هذه الأقطار الإسلامية، وعواصمهما بالخصوص دون قيود أو حدود[5]؛ وكانت القوافل تنتقل بين الأراضي الإسلامية في سهولة دون أن تعترضها صُعوبات تذكر.

وكان الطريق بين المغرب والمشرق كذلك لا يفرغ من المسافرين طيلة السنة[6]، واستمر تنقل الأشخاص بين مدن بلاد المشرق وبلاد المغرب عامة حتى في أحلك أوقات الصراع السياسي، وفي أزمنة القطيعة بين الدول التي كانت تقوم هنا أو هناك ثم تتنافر فيما بينها لأسباب سياسية أو عقائدية[7].

وعن دلائل تواجد المشارقة بكثرة في كل بقاع بلاد المغرب، نستدلُّ بقول ابن حوقل لما تعرَّض لذكر مدينة برقة: "وهي أوّل منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان، وبها من التجارة وكثرة الغرباء في كلّ وقت ما لا ينقطع طُلاّباً لما فيها من التجارة وعابرين مُغرّبين ومُشرّقين... "[8].

ولم تقف تلك القوافل في شمال شرق المغرب الإسلامي، وإنما وصلت إلى أقصى حدوده الجنوبية الغربية إلى مدينة سجلماسة التي استقر بها المشارقة حيث "كانت القوافل تجتاز

1- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص29.
2- محمد قجة، المرجع السابق، ج1، ص261.
3- مراد بوقصّي، المرجع السابق، ص22.
4- صافية كساس، الرحلات العلمية، صص194-195.
5- رشيد الزوادي، المرجع السابق، ص325/ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص8.
6- الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص227.
7- رشيد الزوادي، المرجع السابق، ص325.
8- ابن حوقل، المصدر السابق، صص66-67.

بالمغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتُجّار البصرة والكوفة والبغداديّون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق فهم وأولادهم وتجاراتهم دائرة، ومفردتهم دائمة، وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة، قلّ ما يدانيها التجّار في بلاد الإسلام سعة حالٍ"[1].

إنَّ حرية التنقل والتجوال في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بجناحيه الشرقي والغربي من المظاهر الحضارية في العصر الوسيط، فلم تقف الخلافات السياسية في أي وقت من الأوقات حائلاً أمام هذا التواصل[2]، وذاك عامل مُهم يُسهل انتقال المشارقة غربا.

4- دور المُدوَّنة الجغرافية العربية: من العوامل المساهمة إلى حد كبير في القدرة على التنقل بين الأقطار الإسلامية المُدوَّنة الجغرافية التي ألفها الجغرافيون[3] العرب والإداريون والرحّالون والمسالكيّون؛ فالجغرافية علمٌ يصل العرب بالعالم كلّه، بذواتهم أوّلا وبغيرهم ثانيا، ويربط الشرق بالمغرب[4].

يقول لطفي دبيش عن الجغرافيين العرب: "إنّهم رموز التواصل والتلاقي بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارات الأخرى، فقد ربطوا البلاد الإسلامية ببعضها البعض، وربطوها ببلاد الآخرين أيضا، فقرّبوا هذا من ذاك، وعرفوا هذا بذاك"[5].

لقد مسحت الرّحلات مجالات جغرافيّة ومواقع مُتعدّدة مشرقا ومغربا- كل أقاليم العالم الإسلامي وكوره ومدنه-، فالجغرافية بما أنجزه أعلامها من رحلات استكشافية سبيل إلى التواصل الحضاري، واتصال الشعوب ببعضها البعض عبر ما ينقله الجغرافيون والرحالون العرب الذين لم يتركوا موقعا إلاّ طرقوه، ومجالا للكشف إلاّ كشفوه، وكتبوا عنه بدافع شخصي أو علمي أو مهنيّ سياسي أو حضاري.

كانت الجغرافية أداة معرفية وعلم عيان يستند إلى الرحلة بوصفها أفضل أداة لاكتشاف ديار المسلمين وديار غيرهم للتمكّن منها وفهم مُكوناتها والسيطرة عليها.

---

[1]- نفسه، ص61.
[2]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص13.
[3]- " أقدم الجغرافيين المشارقة التي وصلت إلينا آثارهم: ابن خرداذبة (ت272هـ/985م) وكتابه المسالك والممالك؛ اليعقوبي(ت292هـ/ 905م) وكتابه البلدان؛ ابن الفقيه الهمذاني(المتوفى بعد سنة 290هـ/903م) ومصنفه البلدان؛ ابن رسته (كان حيا سنة 290هـ/909م) ومؤلفه الأعلاق النفيسة؛ البلخي(ت322هـ/934م) وكتابه الأقاليم؛ الإصطخري (346هـ/957م) ومؤلفه المسالك والممالك؛ ابن حوقل(توفي بعد سنة 367هـ/988م) ومصنفه المسالك والممالك؛ المهلّبي (عاش في 365إلى 386 هـ /975-996م) وكتابه المسالك والممالك- الكتاب العزيزي؛ المقدسي(ت378هـ/988م) في أحسن التقاسيم؛ السائح الهروي (611هـ/1214م) في كتابه الإشارات إلى أماكن الزيارات؛ ياقوت الحموي (626هـ/1229م) في معجم البلدان؛ القزويني (682هـ/1283م) في آثار البلدان وأخبار العباد.
[4]- لطفي دبيش، المرجع السابق، ص133؛ وص8.
[5]- نفسه، ص8.



فالمقدسي يقول في ذكر خطّة كتابه واضعا في حسابه المُتقبّل حريصا على إفهامه وتيسير أمره عند مباشرة جغرافيّته[1]: "فصّلنا كُور كلّ إقليم ونصبنا أمصارها وذكرنا قصباتها ورتّبنا مدنها وأجنادها بعدما مثّلناها، ورسمنا حدودها وخِططها، وحرّرنا طرقها المعروفة بالحمرة، وجعلنا رمالها الذهبية بالصّفرة، وبحارها المالحة بالخضرة، وأنهارها المعروفة بالزّرقة، وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف إلى الإفهام، ويقف عليه الخاصّ والعام"[2].

والواقع أن أغلبهم كانوا يهدفون من وراء وضع كتبهم إلى إنارة السبيل للحاج والسائح والتاجر؛ ومن هنا جاءت أهمية الكتب الجغرافية في دراسة المسالك، وهي أهم وسيلة للإتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب[3].

كان الجغرافيون والرحّالة حريصين على أن تكون مصنّفاتهم وخلاصة رحلاتهم نافعة تفيد العام والخاص، وتدعو إلى الرّحلة والترحّل كسلوك ثقافي مطلوب في المجتمع العربي الإسلامي، فإن المقدسي في مقدمة كتابه قد أبان عن أهمية الرحلة فاعتبرها السبيل الأساسي للتصنيف في الجغرافية، وذلك في قوله: "وإنَّما يُدرك بالمعاينة والخبر"[4].

وبذلك فتحت النصوص الجغرافيّة الحدود وكسرت الحواجز، وعدّت اللقاء مع الآخر المشابه أو المختلف مُفيدا ولا غنى عنه بالنسبة إلى الحضور الذاتي[5].

وتجدر الإشارة إلى أن الجغرافيين العرب اهتموا كثيراً بالمسالك الرابطة بين مختلف المدن والقرى والعواصم والأقاليم في البلاد الإسلامية المترامية الأطراف، ولا أدلَّ على ذلك من وضْع بعض أولئك الجغرافيين عبارة "المسالك والممالك"[6] عنونا لمؤلفاتهم[7]؛ فالرحالون والمسالكيون عرّفوا الناس بعالمهم وقرّبوهم من ذواتهم وربطوهم بغيرهم.

إضافة إلى ذلك بيّنت لنا نصوص الجغرافييّن أن موقع العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً من أقصى الشرق الإسلامي إلى الأندلس هو موقع هام يقع في قلب العالم القديم، أقاليمه وكوره ذات أهميّة كبرى، وهي أقاليم مفتوحة على العالم تربطه عبر بحر القلزم وبحر الرّوم وبحر الهند، فيتصل المشرق بالمغرب وبلاد الإسلام ببلاد الهند والصّين.

---

[1]- نفسه، ص4، ص29، صص7-8، ص129، 130، وص32.

[2]- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل، ط2، 1903م، ص9/ وينظر أيضا لطفي دبيش، المرجع السابق، ص29

[3]- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، ص188.

[4]- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص6/ لطفي دبيش، المرجع السابق، ص58.

[5]- لطفي دبيش، المرجع السابق، ص140.

[6]- المسالك والممالك هو عنوان كتاب ابن خرداذبة والإصطخري وابن حوقل والمهلّبي، وهو أيضا عنوان كتاب أبي عبيد البكري (ت487هـ/1094م). بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، ص188-هامش رقم1.

[7]- نفسه، ص188.

كما يُعد الفكر الجغرافي العربي في العصر الوسيط صيغة من صيّغ التواصل وعلامة من علامات نظرتهم الشاملة لدار الإسلام، فالجغرافية ساهمت في التواصل الحضاري والفكري بين جناحي العالم الإسلامي؛ عندما عمل الجغرافيّون على التّصدي لهذا التفكّك والإنهيار وقدّموا العالم الإسلامي قويّا متواصلا، وثقافته كتلة واحدة عربيّة إسلامية.

ولم يكتفِ الخطاب الجغرافيّ بتعيين المواقع والبلدان بل تحوّل في بعض المواقع إلى خِطاب حمائي يُدافع عن مملكة الإسلام، ويحمي وحدتها من الأخطار الحاصلة؛ ذلك أن جغرافيّة المسالك والممالك انطلقت في نظرتها إلى بلاد الإسلام من فكرة تقول بالمركزيّة الإسلامية، وهي فكرة ترى بلاد الإسلام كُلاّ متكاملا ومتماسكاً، وتجعلها كيانا قائما في مقابل بلاد الرّوم أو الخزر أو الهند أو الصين[1].

ولا يعني إقراراهم بهذا الرّأي جهلهم بما كانت عليه بلاد الإسلام من تفكّك وانقسام وأزمات وتراجع إقتصادي وسياسي وعسكري، بل اعتبروا ذلك وضعا طارئاً عابرا، لا يؤثّر في وحدة المملكة ولا يزعزع انسجامها، وسلّموا ثقافيا بوجود حكم مركزيّ رُغم أن التّشتت والإنقسام كان واضحا، ولم تكن وحدة المملكة موجودة إلا في أذهان أهل الثّقافة، فكانت بذلك مطلباً مرجوّا لا واقعا حاصلاً.

وقد ساهمت الجغرافيّة العربية في العصر الوسيط مساهمة إيجابيّة في تنقُّل المشارقة غربا بالإعتماد على مادّة هامّة -المدونة الجغرافية- يثق فيها العامّ والخاصّ لما تقدمه من صور حيّة[2] عن أقاليم بلاد الإسلام مشرقه ومغربه، فقد بيَّنت الطرق التي تقودهم إلى المغرب، ووصفت أقطار البلدان التي تستقبلهم، كما أن النَّظرة الموحَدة لمملكة الإسلام والمُتداولة في كتب الجغرافية أثَّرت في الرحالة ودَعتْهم - بطريقة غير مباشرة- لزيارة أقاليم المملكة ومنها بلاد المغرب.

5- تشابه القطرين المشرقي والمغربي: ومن العوامل المساعدة أيضا، تشابه القطرين في الإقليم وجمال الطبيعة ورقة الهواء، "فتونس والمغرب والأندلس تكاد تكون شامية في طيبها وهوائها وجمال طبيعتها"[3].

---

[1]- لطفي دبيش، المرجع السابق، ص72، وص131، ص5، صص134-135، صص73-74.

[2]- لطفي دبيش، المرجع السابق، ص74، وص66.

[3]- صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص17/ وهناك من المؤرخين المغاربة من يعتبر الأندلس من بلاد الشام" قال صاحب التاريخ، وهو ابن حيان: اعلم أن الأندلس من إقليم الشام، وهي آخر صقع منها".- مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، ص49.

ويذكر ابن سعيد الشبه بين الأندلس ودمشق خاصة فيقول: "ومنذ خرجتُ من جزيرة الأندلس وطُفْتُ في برّ العُدْوة، ورأيت مَدُنَها العظيمة كمراكش وفاس وسَلاَ وسبتة، ثم طفتُ في إفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط فرأيتُ بجايَةَ وتونس، ثم دخلتُ الديار المصريّة فرأيتُ الإسكندريّة والقاهرة والفُسطاط، ثم دخلتُ الشام فرأيتُ دمشق وحلباً وما بينهما- لم أرَ ما يُشْبِهُ رَوْنَقَ الأندلسِ في مياهها وأشجارها إلاّ مدينة فاس بالمغرب الأقصى، ومدينة دمشق بالشام، وفي حَماة مسحةٌ أندلسيّة..."[1]؛ وهذه شهادة شاهد عيان من أبناء المغرب على التشابه الكبير بين القطرين بعدما جال في أصقاعهما.

إن العوامل الجغرافية الطبيعية ثوابتٌ أخرى شجعت على ذلك الإنتقال، فالتشابه في الطبيعة والمناخ بين المغرب والمشرق يجعل المشرقي والمغربي لا يشعر بالوحدة والغربة[2]، حيث يقول أحد العلماء المغاربة في العصور الإسلامية: "وقد تذكرتُ بلادي النائية بذلك المرأى الشاميّ الذي يَبْهَرُ رائيه... وعند رؤيتي لتلك الأقطار الجلية الأوصاف العظيمة الأخطار، تفاءلتُ بالعودة إلى أوطان لي بها أوطار، إذ التَّشابه بينهما قريب في الأنهار والأزهار...وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية مُولعاً بالوطنِ لا سواه، فصار القلب بعد ذلك مُقَسَّمًا بهواه"[3]، ويدل ذلك على تماثل المناخ والطبيعة[4].

ولعل أبلغ وصف للتشابه بين القطر الأندلسي والمشرقي ما ذكره البكري في المسالك والممالك: "الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في إعتدالها واستوائها...أهوازية في عظم جِبايتها، عَدَنية في منافع سواحلها"[5].

إضافة إلى ذلك نجد التشابه العمراني للمدن - من حيث البناء والموقع-؛ فالتطور الفكري والعمراني للإنسان العربي المسلم متشابه سواء في المشرق أو المغرب، ويظهر ذلك من خلال أمرين:

- التطابق الكلي تقريباً في فكرة مواضع المدن.
- التوافق في خِطط المدن استناداً إلى ما أقرَّه الدين الإسلامي.

والمثلُ الأكبر للتشابه العمراني بين مدن المشرق والمغرب يمثله التوافق بل والتطابق أحياناً بين موضع كل من مدينة البصرة ومدينة القيروان، من حيث الهدف العسكري- معسكراً

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص209.
[2]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص239.
[3]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص65-67.
[4]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص239.
[5]- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص894.

للجيش في الأول- في عمارتها، ثم تحولها إلى مدن عامرة لها مكانة سياسية وثقافية واقتصادية[1]، "ولو قارنا بين موضع مدينة البصرة وموضع مدينة القيروان نجد أنهما قد تطابقت فيهما فكرة الخليفة عمر(رضي الله عنه) بالرغم من البعد المكاني والزماني بينهما، وكذلك موافقتهما لذهنية العرب حول القرب والبعد من الريف ومن حيث الكلأ والمحتطب والماء"[2].

بينما يتوافق موضع بغداد مع موضع فاس كونهما اتخذتا عاصمة للدولة بل أصبحت كل منهما عاصمة ملكية للأسرة الحاكمة، كما أن مدينة فاس لم تظهر للوجود مدينة واحدة كما هو حالها فيما بعد، إذ أسست على أساس مدينتين يفصلُهما نهر، وهذا هو حال بغداد إذ كانت مدينتين منفصلتين يفصل بينهما نهر دجلة.

وبذلك يتَّضح لنا مدى التأثُر بين كل من مدن المشرق ومدن المغرب، والتي تمثلت بمدن البصرة وبغداد والقيروان وفاس، والتطابق في الفكر العمراني عند كل المسلمين بعامل الفتح من مُؤسسي المدن شرقاً وغرباً.

إن هذا التوافق والتطابق في الفكرة العمرانية لم يأت بصورة عفوية، بل نتيجة للتواصل الحضاري والفكري، والصلات الحضارية بين العراق والمغرب، سواء عن طريق المُجاهدين الذين ضمتهم الحملات العسكرية الأولى، والعلماء والفقهاء المشرقيِّين الذين حملوا علومهم وآدابهم وثقافاتهم ليوصلوها إلى بلاد المغرب عبر تأسيس المدن التي أصبحت أنموذجاً وصورة لمدن المشرق.

ذلك أن الحضارة العربية الإسلامية تعتبر المدينة أساسا مهما لحياة المسلمين لأنها توضِّح أسس الفكر الحضري العربي الإسلامي، إذ أن هذه المدن انبثقت منها التشريعات التي تضمنت نواحي الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فالإسلام دين مدني في أساسه، إذ كانت حياة المدينة العربية مرتبطة ارتباطا كاملا بالدين الإسلامي منهجا وطريقا في الحياة[3].

---

[1]- عامر حميد حمود السامرائي، الصلات الحضارية بين مدن مشارقية ومدن مغاربية من القرن الأول الهجري حتى بدايات القرن الثالث الهجري- دراسة تاريخية مقارنة-، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص25، وص32، وص69.

[2]- نفسه، ص25.

[3]- نفسه، صص31- 32، وص70، وص9.

ولم يقتصر التشابه من حيث الطبيعة والمناخ والعمران في المدن، وإنما في الطبع الذي طُبع به الإنسان المشرقي والمغربي أيضاً، يقول أحمد مختار العبادي: "البربر عموماً يشبهون العرب في صفات الكرم والشجاعة وحدة المزاج وحب القتال"[1].

إضافة إلى ذلك التقارب الثقافي بين الجانبين، لم يكن الفتح العربي للمغرب والأندلس مُجرَّد فتح عسكري، بل كان حدثاً ثقافيا وحضارياً امتزجت من خلاله الثقافات والحضارات، وتداخلت الشعوب وانخرطت في الحضارة العربية الإسلامية[2].

لقد حمل هؤلاء الفاتحون والنازحون الكثير من روح المشرق إلى بلاد المغرب، فحدث استلطافٌ بين الصقْعَيْن، فالاستلطافُ يكون بين البلدان كما يكون بين الأشخاص[3].

فقد بدأت الصِّلات بين الشام والأندلس منذ القديم، منذ نزحت القبائل العربيّة من أجناد المشرق تفتح إفريقية والمغرب والأندلس، وتدعو أهلها للإسلام حاملة معها عادات المشارقة ورسومَهم في الحياة؛ ومنذ حلّ صقر قريش بقرطبة، وأقام دولة بني أمية في الأندلس.

وإذا أضفنا إلى هذا العامل، تأثر أهل المشرق والمغرب بثقافة إسلامية عربية واحدة، واتّباعهم عادات عربية متقاربة؛ عرفنا لماذا كان العرب المشرقيون يجدون في بلاد المغرب وطناً كوطنهم[4]، فقد كان هناك توافق في كثير من العادات والتقاليد[5].

وتعد العوامل المُتعلقة بالتشابه الكبير بين القطرين إحدى مُحفزات المشارقة للسفر نحو بلاد المغرب الإسلامي والتجوُّل بين مُدنه.

تلك إذن العوامل الرئيسة التي ساعدت المشارقة على التوافد إلى بلاد المغرب، وقد بيَّنا دور كل عامل على حدة، وسنعرج إلى ذكر عوامل أخرى قد ساهمت في جذب المشارقة لبلاد المغارب.

*** عوامل جذب المشارقة لبلاد المغرب الإسلامي:** ونحصرها فيما يلي:

1 - تعلق المغاربة ببلاد المشرق: لقد تعلق أبناء هذه المنطقة بمركز العروبة والإسلام، لذلك لم ينقطع السند ولا التِّرحال ولا الصلات، ولا التبادل العلمي بين المشرق والمغرب على الدوام[6]، وأهم سببين لاستمرار تعلق المغاربة ببلاد المشرق ودوام تواجدهم فيها، هما:

[1]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص16.
[2]- مراد بوقصّي، المرجع السابق، ص22.
[3]- صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص17.
[4]- صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، صص17-18.
[5]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص240.
[6]- رشيد الزوادي، المرجع السابق، ص325.

أ - الحج: ممَّا قوى من تلك العلاقة أيضا أداء فريضة الحج[1]، ذلك أنَّ "المشرق كان أكثر جذباً للرحالة والعلماء والمتديّنين، بحكم أنه كان يضم الأماكن المقدسة... بحيث أن الرحلة إلى الحج تأتي في مقدمة الرحلات عند المسلمين"[2].

يقول بحاز إبراهيم: "لعل الحج يعتبر أهم وسيلة ربطت المغرب بالمشرق ولايزال، وقد تجاوب المغاربة مع هذا الركن من الدين وتحمّسوا له، فكانت أمنية الواحد منهم منذ أن حسُن إسلامهم أن يقوم بهذه الرحلة الدينية العلمية، ولا يزال هذا الشعور فيهم قائما"[3].

ب - طلب العلم: يأتي طلب العلم في المنزلة الثانية بعد الحج عند المسلمين[4]، وقد توجه المغاربة إلى المشرق في فترة مُبكرة للإتصال هناك بالعلماء والتتلمذ عليهم[5]، فارتحل العديد من نُخبهم الدينية والأدبية والعلمية إلى حواضره، حيث نهلوا من معينه المعرفي[6]، وقد ساهم أساتذة المشرق في تشكيل ذِهنياتهم، ونبغوا على أيديهم، مِمَّا يُؤكد قوة ومتانة الصلات العلمية بين المشرق والمغرب الإسلاميين.

فقد مارس المشرق منذ قرون عديدة جاذبية خاصة على أهل المغرب ممّا دفع بالكثير منهم إلى تجشُم الصِّعاب وركوب المخاطر من أجل السفر إليه إما بنيَّة الحج- وهو الغالب، أو طلباً للعلم أو جرياً وراء أسباب الرِّزق أو رغبةً في تحقيق فريضة الجهاد أو غير ذلك، وقد نتج عن ذلك حضور مغربي مُعتبر ببلاد المشرق[7].

وهذين العاملين إضافة إلى التجارة زاد في توطيد علاقة الأُخوة وتمتينها؛ إذ أصبح المشارقة على اطلاع دائم بأحوال المغرب ومُدنه وقُراه، ومعرفة تامة بأوضاعه بل بأعلامه وعُلمائه، وباحتكاك مباشر بأهله مما سيدفع المشارقة للتوجُّه إلى بلاد المغرب[8]، ويُسهل عليهم ذلك؛ فالوجود المغربي في بلاد المشرق كانت له أبعاد إيجابية، حيث عمل على استقطاب المشارقة إلى بلاد المغرب.

---

[1]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص227.
[2]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص73.
[3]- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، ص390.
[4]- أحمد حطيط، مكانة المغاربة الإجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ع25، شتاء1424هـ/2003م، ص276.
[5]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص227.
[6]- أحمد حطيط، المرجع السابق، ص276.
[7]- محمد حواش، صورة المشرق من خلال الترجمانة الكبرى- مكونات الصورة وحدود التأويل-، المغرب- المشرق – العلاقات والصورة، أعمال ندوتي مارس1994- نوفمبر1997م، مجموعة دراسات وأبحاث حول العلاقات المشرقية- المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، بني ملال، 1999م، ص247.
[8]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص227.

2- المكانة الحضارية التي وصلت إليها بلاد المغارب: إن إزدهار الحياة بالمغرب الإسلامي في جميع الميادين السياسية والإجتماعية والثقافية والاقتصادية ارتقى بالبلاد وأثّر بطريقة إيجابية على سلوك الفرد والجماعة، وساهم في استقطاب المشارقة[1] للمغرب، وتظهر تلك المكانة العلمية من خلال:

أ- ظهور الحواضر العلمية المغربية: خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري عرف المغرب الإسلامي ميلاد مدن جديدة إلى جانب القيروان ارتبط ظهورها بالحركة الاستقلالية عن الخلافة الإسلامية بالمشرق، تلك الحركة التي أفضت إلى قيام دول وإمارات ببلاد المغرب[2]، ولكن في إطار الإسلام دائما، وما لبثت أن تحوَّلت عواصم تلك الأمصار إلى حواضر علمية هامة ومراكز ثقافية حضارية لا تقل مكانة عن مراكز الشرق الإسلامي[3]، ومثلت مناطق الجذب والإستقطاب الرئيسية، وكانت محطاً لطلاب العلم والمعرفة، وموطناً للعلماء من مدن مختلفة وبلدان شتى[4].

ومن أبرز حواضر بلاد المغرب: القيروان وتونس وأشير وتاهرت وقلعة بني حماد وبجاية وتلمسان وفاس ومراكش، إلى جانب حواضر الأندلس الكبرى كقرطبة وإشبيلية والمرية، وصقلية الإسلامية التي تعتبر جزءا من هذا الإقليم المغاربي[5].

وكمثال على دور تلك الحواضر المغربية في جلب المشارقة نحوها نذكر مدينتين:

- مدينة تاهرت كمركز ثقافي في المغرب الأوسط: تأسست المدينة سنة 160هـ/776م[6] ونتيجة الأمن السياسي والرخاء الإقتصادي وموقعها التجاري والحرية المذهبية جلبت أنظار المشارقة نحوها، يقول ابن الصغير: "وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار،...ليس أحد ينزل بها من الغرباء إلا استوطن مع أهلها، وابتنى بين أظهرهم؛ لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري... وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد

---

[1]- صافية كساس، الرحلات العلمية، ص194.

[2]- محمد بن معمر، الحياة العلمية في تيهرت إلى منتصف القرن السادس الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ع8، 1423هـ/ أفريل 2002م، ص127.

[3]- يحيى بوعزيز، مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية وفي نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد العالي للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، ع1، السنة الأولى 1414هـ/1993م، ص2.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، صص74-75.

[5]- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص2.

[6]- محمد بن معمر، الحياة العلمية في تيهرت، ص128.

الكوفيين"[1]؛ ولعل التزاحم في المذاهب والنِّحل هو الذي دفع الرحالة اليعقوبي إلى أن يصفها بقوله: "المدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار، عظيمة الأمر تسمى عراق المغرب"[2].

ومن الحواضر الأندلسية التي غدت مقر جذب واستقرار للمشارقة مدينة قرطبة، يقول فيلالي بلقاسم: "لذلك نجد طلبة العلم وغيرهم أصبحوا يقصدون قرطبة من المشرق نفسه، الذي كان محط رحال القرطبيين والأندلسيين عموما من قبل، فأصبحت قرطبة وبلاد الأندلس تستقطب إليها المشارقة"[3].

ب- نبوغ العلماء المغاربة: أنجب المغرب الإسلامي علماء ملأت شهرتهم الآفاق واهتزت بعلمهم الحواضر[4] في مختلف الميادين العلمية: علوم اللغة والعربية، الفقه وعلوم الحديث، السيرة النبوية، العلوم الفلسفية والرياضية، الطب والصيدلة، وكانت لهم إسهامات خاصة وكبيرة فيها أذهلوا بها علماء المشرق، حيث استطاعوا بنشاطهم أن يجعلوا من المغرب الإسلامي معقلاً لدراسة هذه العلوم وبخاصة الدينية واللغوية.

وغدت لعلماء المغرب شهرة كبيرة فقد "بزَّ المغاربة إخوانهم المشارقة في علوم اللغة العربية، وبخاصة في علم النحو وتفوقوا عليهم"[5]؛ وهذا عامل جذب مهم دفع بطلبة العلم من المشارقة للرحلة إلى المغرب والجلوس في حلقات شيوخه؛ كما لا ننسى أن ننوِّه بدور الحكام المغاربة في عملية استقطاب العلماء وغيرهم من بلاد المشرق بالإغداق عليهم ومنحهم المكانة العالية والقدر الرفيع.

3- وصول أخبار المغرب الإسلامي إلى المشرق: كانت أخبار المغرب والأندلس وأخبار ملوكها تتناقل لتبلُغ بلاد المشرق عن طريق عدة وسائل، ولعل أبرزها المؤلفات والتراسل.

أ- وجود المؤلفات المغربية في بلاد المشرق: وصول الكتاب المغربي لبلاد المشرق ساعد المشارقة على التعرُّف عن بلاد المغارب، يقول صاحب التقديم رضوان السيد لكتاب أدب المغاربة والأندلسيين: "وقد استطاع أن يُبيّن- يقصد الشبيبي صاحب المُؤلف- أن المصريين كانوا يملكون مئات الكتب عن الغرب الإسلامي، وأن الغرب الإسلامي شديد الاتصال بهم عبر

---

[1]- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م، صص31-32.
[2]- اليعقوبي، البلدان، صص31-32.
[3]- فيلالي بلقاسم، ابن رشد وموقفه من الرحلة في طلب العلم والحج(450-520هـ/1058-1126م) ، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، دورية علمية محكمة تصدرها كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع15، شعبان 1434هـ/ جوان 2013م، ص359.
[4]- رشيد الزوادي، المرجع السابق، ص324.
[5]- صافية كساس، الرحلات العلمية، ص191.



رحلات الكتب والناس"[1]؛ فالكتاب وسيلة مُهمَّة في نقل الفكر المغربي إلى المشرق، فبين دَفتَيْه كل ما يتعلق ببلاد المغرب في جميع الميادين من أخبار وعلوم وفنون وثقافة؛ أما عن كيفية وصول الكتاب هنالك، فلعل الدور الأكبر في ذلك يعود للمغاربة الذين تنقلوا إلى بلاد المشرق، وبذلك أُتيح للمشرقي التطلُّع على ما يُنتجه المغربي.

كما أكثر المشارقة من الاعتماد على أقوال المغاربة والأندلسيين الذين التقوا بهم في مواضع مختلفة، فقد أخذ المصريون والشاميون عن المغاربة والأندلسيين الكثير من المعلومات التاريخية، ودونوها في كتبهم ومؤلفاتهم، حتى لا يكاد يخلو كتاب تاريخي من معلومات نقلوها عن المؤرخين المغاربة والأندلسيين، ونجحوا إلى حد بعيد في هذه المؤلفات التي أخذوا منها الكثير من المعلومات ودونوها في كتبهم ومؤلفاتهم وبخاصة منهم المؤرخون.

وبذلك حلَّ هؤلاء المؤرخُون محل السياسيين والحكام في ربط صلة العرب والمسلمين ببعضم البعض، ونشر الثقة والأمان في أوساطهم[2].

ب - المراسلات: ومما يجري مجرى الرحلات العلمية في نقل المعارف، المراسلات والإستفادة منها أكيدة[3]؛ فالتراسل وتبادل المعلومات والمخطوطات بين علماء المشرق والمغرب الإسلامي تجعل القطرين على اطلاع مُباشر بجديد ما يجري في كل إقليم.

وعليه فقد استفاد أهل العلم والثقافة من إنتاج بعضهم البعض في عملية أخذ وعطاء علمي، وساهم ذلك في تشكيل معالم الوحدة بين البلدان الإسلامية، وأدى هذا الإتصال والتبادل العلمي والثقافي بين المشرق والمغرب إلى تشجيع المشرقي للوفادة إلى بلاد المغرب الإسلامي ذلك لأنه على دراية بكل ما يدور في تلك الأصقاع.

إضافة إلى العوامل المُساعدة في تنقل المشارقة نحو المغرب، وعوامل الجذب تلك التي تعدُ روابط متينة تجمع المغرب بالمشرق الإسلامي في عملية تواصل حضاري امتدت منذ العصور القديمة، وتوطدت مع دخول الإسلام إلى بلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري، فإن ذلك التواصل أيضاً، كانت ترعاه الدول التي تعاقبت على حُكم بلاد المغرب والمشرق الإسلامي على حد سواء، فقد سعت كل منها إلى إيجاد طرق ومنافذ وسبل للتواصل فيما بينها،

---

[1]- صاحب التقديم "رضوان السيد" لكتاب محمد رضا الشُبَيْبي، المرجع السابق، ص7.

[2]- عيفة الحاج، تأثير المدرسة التاريخية والأندلسية في كتابة المؤرخين المصريين والشاميين(خلال القرنين6-7هـ/12-13م)، مجلة الدراسات التاريخية، يصدرها قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة الجزائر2، ع13، 1433هـ/2011م، ص64، وص37، وص69.

[3]- صافية كساس، نظام التدريس، ص250.

خاصة في خِضَّم الأحداث المشتركة التي شهدتها أقطار العالم الإسلامي مثل التحديات الخارجية كالحروب الصليبية[1].

فالاتصال والتواصل والتأثير والتأثر بين جناحي الدولة العربية الإسلامية مشرقاً ومغربا كان موجوداً ومستمراً عبر العصور الإسلامية المختلفة، مما أسهم مساهمة فعالة في ترسيخ أسس الثقافة العربية الإسلامية الواحدة.

فالمشارقة والمغاربة كانوا يعيشون في دار الإسلام في أمن وأمان، يتنقَّلون بين أطراف العالم الإسلامي من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً[2]، في عالم واسع يضم مناطق شاسعة وأجناساً مختلفة ترتبط بروابط اللغة والدين والمصير الواحد[3]، وبذلك فتأثير العوامل مجتمعة ساعد على ترحال وسفر المشارقة في العصر الوسيط كمكتشفين لديار الإسلام، ومن الأمور البديهية أن تكون بلاد المغارب ضمن مقصدهم في التجوال.

إنَّ رُوح التآزر والتضامن والشعور بالوحدة التي ميَّزت أبناء الأمة الإسلامية في العصر الوسيط على الرُغم من الإنقسامات السياسية والإختلافات المذهبية، ساعدت على قدوم المشارقة إلى بلاد المغرب الإسلامي، يقول أحد الباحثين: "الجدير بالذكر أن العلاقات المغربية المشرقية هي نتاج الكثير من الظروف والعوامل المتلاحمة"[4].

ويبدو أن المشرق الإسلامي لم يكن غافلاً عما يجري في المغرب على الرغم ممّا كان يعانيه من محن لتوحد أهداف الأمة الإسلامية؛ فالإسلام بما يحمله من قيّم وما يدعو إليه من نشر للدين والحفاظ على أواصر الأخوة والإتحاد حول القضايا المصرية[5].

تعددت العوامل المُساعدة لانتقال المشارقة للمغرب، فالبعض منها ظلَّ مفعولها سارياً على مدى قرون من الزمن لأنها عوامل ثابتة استمرت ويمكن أن تستمر، وعلى رأسها الدين الإسلامي.

ولأجل تلك العوامل وأخرى أصبح المشارقة يشدون الرحال إلى بلدان المغرب، وهذا ممّا زاد في توطيد علاقات الأخوة وتمتينها، فانتقل المسلم من أقصى الشرق إلى أقصى المغرب

---

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص9، وص311.
[2]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص125.
[3]- عبد المجيد بهيني، أثر مهاجري المغرب الإسلامي في الحياة العامة بالمشرق خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين، المغرب- المشرق –العلاقات والصورة، أعمال ندوتي مارس1994، نوفمبر1997م، مجموعة دراسات وأبحاث حول العلاقات المشرقية- المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، بني ملال، 1999م، ص15، وص31.
[4]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص9.
[5]- نفسه، ص10.



يجول في دار الإسلام كما أن عوامل الجذب نحو المغرب كان لها التأثير الكبير في بلورة فكرة الرحلة نحو المغرب الإسلامي.

كما أنَّ الإمتداد الطبيعي-الحدود البرية- وتوفر الطرق ساعد في ربط البلاد الإسلامية بين المشرق والمغرب، وهي أيضاً من ضمن أهم العوامل المساهمة في انتقال المشارقة للغرب الإسلامي.

ثالثا: طرق ومسالك توافد المشارقة إلى بلاد المغارب: تمثل الطرق البرية والمسالك البحرية عاملاً أساسيا في الربط بين مشرق بلاد الإسلام ومغربها؛ فهي أساس حركة التنقل؛ لذلك فصَّلت المصادر الجغرافية وغير الجغرافية في ذكرها لخريطة الطرق والمسالك[1]؛ ومنها شبكة الطرق الهامة والمحطات الكبرى التي قادت المشارقة نحو المغرب الإسلامي.

إن حقيقة وجود تلك الشبكة - الطرق البرية والمسالك البحرية- التي تربط المشرق ببلاد المغارب تعود لعصور قديمة سابقة للإسلام، منها تلك التي سلكتها الهجرات البشرية من المشرق إلى المغرب عبر الطرق البرية، وكذلك السفن البحرية التي انطلقت قديما من فينيقية شرقا إلى قرطاجة غرباً ثم استمرت إلى غاية الجزيرة الأندلسية- الأيبيرية[2]-؛ وكذا الطرق البرية التي قادت الفاتحين المشارقة- فيما بعد- نحو بلاد المغرب.

كل ذلك يؤكد لنا أن تنقّل الأشخاص بين المشرق والمغرب كان دائماً ومستمرًّا منذ القديم، ولم يحدث أن انقطع؛ فالروابط بينهما فرضتها طبيعة الجوار، ولأجل ذلك كان الطريق من بلاد المشرق إلى المغرب الإسلامي معروفاً ومتداولا سواء أكان فيه البري أو البحري[3].

الأكيد أن الطرق والمسالك التي سلكها المشارقة القادمين في العصر الوسيط كانت طرق التجار والقوافل التجارية أو طرق ركب الحج.

والمعلوم أن كثيراً من الطرق والمسالك التي تربط المشرق بالمغرب طيلة فترة الدراسة تتغير مع الزمن وظروف قيام الدول وسقوطها، ولذلك وجب علينا في البداية ذكر العوامل المُتحكمة في الاتصال بين القطرين.

1- العوامل المُتحكمة في شبكة الطرق والمسالك البرية والبحرية المشرقية-المغربية:

أ - العامل الطبيعي: عامل تخضع له الطرق والمسالك البحرية بصورة كبيرة؛ حيث نجد خريطة الطرق رهن الظروف الطبيعية، من توفر الآبار المصدر الرئيسي للمياه ذات الأهمية بمكان للقوافل المارة في المناطق ذات المناخ الجاف والقاسي، بالإضافة إلى المراعي؛ المُمَوِّن الرئيسي لوسائل النقل التقليدية من الخيل والإبل، والسلاسل الجبلية التلية والصحراوية الحائلة دون امتداد المناطق السهلية، وكانت خريطة المسالك تخضع لهذه العوامل وتتأثر بغيرها وجودا وعدما، هذا عن الطرق البرية؛ أما عن المسالك البحرية فإن وجود مجموعة

[1]- بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ والحضار الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 1435-1436هـ/2014-2015م، ص97.
[2]- يولي بركوفيتش تسيركين، المرجع السابق، ص23.
[3]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص42؛ وص228.

المسطحات المائية التي تحيط بيابسة المشرق وبلاد المغارب، والمتمثلة في البحر الرومي[1] الممتد من بلاد المشرق من سواحل الشام إلى الأندلس، وبحر القلزم والخليج العربي وبحر العرب وبحر الهند، عوامل طبيعية فرضت استغلال ذلك.

ب - العامل السياسي: ويتمثل في انتشار الأمن والاستقرار؛ فكلما عم الأمن نشطت حركة السير كما ساعدت على سهولة التنقل برا وبحراً؛ فقد تزول دول وتسقط عواصم ومدن وتظهر أخرى في الخرائط عبر القرون؛ إلا أن هناك نقاط – مثلت مدنا- لم تتغير طيلة مرحلة الدراسة -الطويلة- بحكم موقعها كونها محطات لطريق مختصر رغم فقدان الأمن أو تغير السلطة الزمنية مع الوقت؛ وربما بعضٌ من تلك الطرق والمسالك تتغير لفترة فتفقد حيويتها ثم تعود في فترة لاحقة لتوفر الأمن وكل ذلكً نظراً لأهميتها الجغرافية.

كما أن مجموعة الاضطرابات السياسية التي تشهدها الدولة الإسلامية على أراضيها تؤدى إلى استخدام الطرق البديلة والمتمثلة في المسالك البحرية[2].

ج- العامل الاقتصادي: الطرق عصب التجارة، وكانت القوافل التجارية لا تنقطع طوال العام على هذه الطرق[3]؛ إذ تمثل الطرق عاملا أساسيا في ازدهار التجارة لذلك نجد أغلب الطرق التجارية تمر على المدن البارزة، والتي كان لها مكانة على المستوى الاقتصادي؛ وإن كانت هذه المدن متفاوتة الأهمية والمكانة في الواقع الاقتصادي، إذ تعد الطرق التجارية البرية والمسالك البحرية الرابط الأساسي بين مراكز الإنتاج ومناطق الاستهلاك[4]، فكثير من الطرق التجارية في العصور الوسطى تبدأ أو تنتهي عند موانئ نهرية أو بحرية حيث تفرغ فيها البضائع أو تحمل منها[5].

د- العامل الديني: يكمن في رَكْب الحجيج من المغرب للمشرق نحو الحجاز وبلاد الشام لزيارة الأماكن المقدسة، فالحج فريضة دينية باقية، لذلك كان المشرق-وما يزال- قبلة لأنظار المسلمين من كل النواحي ومنهم المغاربة فهو مهوى أفئدتهم، وفي بلاد المشرق حجّهم وفيه الكعبة المُكرمة وقبر النبي صلى الله عليه وسلم[6]؛ فقوافل الحج كانت تشغل الطرق والمسالك



[1]- وله عدة تسميات في الفترة الوسيطية: بحر الروم، البحر الشامي، بحر مانطس. الإدريسي، المصدر السابق، ج1، صص10-11؛ج2، ص581/عبد الواحد المراكُشيّ، المُعْجِب، ص253.

[2]- بغداد غربي، المرجع الساق، ص93، وص113.

[3]- شوقي عبد القوى عثمان، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر السلاطين المماليك(648-922هـ/1250-1517م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م، ص65.

[4]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص92.

[5]- شوقي عبد القوى عثمان، المرجع السابق، ص65.

[6]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص238.



الرابطة بين المشرق والمغرب في كل عام، ولعلَّ بعض من المشارقة قَدم مع قوافل الحج المغربية العائدة إلى ديارهم، ويعتبر أبو عبد الله الشيعي صاحب دعوة الإسماعيلية في المغرب أكبر دليل على ذلك[1].

نركز على ذكر شبكة الطرق البرية والمسالك البحرية والنهرية التي تربط بين القطرين من خلال المراحل المشهورة والمُتداول ذكرها حسبما ورد في كتب الجغرافية والمسالك، على أننا لا ندخل في تفاصيل الطرق والطرق الجانبية لأقاليم بلاد المغرب والمشرق؛ كشبكة الطرق في الأندلس وصقلية أو في بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى أو أقاليم بلاد الشرق كمصر والحجاز وغيرهما، وإنما المتعارف عليها فقط، والتي قادت المشارقة إلى أكبر المدن والحواضر العلمية.

ومما يُساعدنا في ذلك وجود مصادر مكتوبة- مشرقية ومغربية- مُوزعة على مراحل متفاوتة طيلة فترة الدراسة لرحالة وجغرافيين وبعض منهم وافدين[2] مشارقة سالكين تلك الطرق والمسالك، على أن خريطة الطرق تتغير مع الزمن.

2- الطرق البرية من بلاد المشرق إلى بلاد المغارب: يُساعد الامتداد الطبيعي الجغرافي بين المشرق والمغرب الإسلامي على وجود شبكة طرق برّية؛ حيث تُمثل بلاد مصر الحد الفاصل بين المشرق والمغرب؛ فمصر بوابة المغرب للمشارقة، وبوابة المشرق للمغاربة، ولذلك سيتم معالجة هذه النقطة من خلال مرحلتين- تكون بلاد مصر الحد الفاصل بينهما-:

في مرحلة أولى لابد من رصد كل الطرق المؤدية إلى مصر من أقاليم بلاد الشرق؛ ثم من مصر نحو بلاد المغارب كمرحلة ثانية؛ فلقد ربطت الطرق البرية المشرق ببلاد المغرب، كما ربطت بلاد المغارب ببعضها البعض.

أ- الطريق إلى مصر من جميع بلاد المشرق: إن محور الوفادة على بلاد المغارب يتمثل في البلاد المصرية، كما أنها محور الوفادة على بلاد المشرق من بلاد المغرب، وبذلك تمثل طريق الذهاب والعودة للمشارقة القادمين برًا إلى بلاد المغارب، وأيضا فـ"الذاهب إلى المشرق من العُلماء المغاربة، لابد أن يُعرج على مصر ذهاباً وإياباً، فهي محطة حتمية"[3]؛ وبذلك تعتبر

---

[1]- ينظر كتاب القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص34 وما بعدها.

[2]- من ضمن القادمين المشارقة من-أعلام الدراسة- الجغرافيين: اليعقوبي، وابن حوقل والهروي.

[3]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص239.

البلاد المصرية محطة مهمة في الطريق الرابط بين المشرق والمغرب الإسلامي[1] نظرا لموقعها الجغرافي.

أ-1- الطريق من بلاد الحجاز إلى مصر: يذكر ابن خرداذبة الطريق من مكة إلى المدينة، إلى ذي خُشُب، إلى السُّوَيْداء، إلى المُرُّة، إلى ذي المُروءة، إلى الرُّحَيْبة، إلى وادي القُرَى، إلى البَيْضاء، إلى السَّرْحَتَيْن، إلى بَدًّا، إلى شَغْب، إلى الكِلاَبَة، إلى منزل، إلى الإغراء، إلى مَدْيَن، إلى حَقْل، إلى أَيْلَة، إلى منزل، إلى الحَفَرا، إلى الكُرْسيَ، إلى الذَّنْبة، إلى عَجْرُود، إلى منزل ابن بُنْدُقَة، إلى البُوَيب، إلى الجُبّ ثم إلى الفُسْطاط[2].

وهو نفس الطريق الذي يُسميه البكري طريق الجادة ويشير إلى مسالكه - وهي تقريباً نفس المحطات التي ذكرها ابن خرداذبة مع اختلاف في أسماء المحطات واختصار لمسالك بعضها- حيث يذكر البكري: "من المدينة إلى نقَى ذي خشب، إلى السُّويداء، إلى المروة، إلى سيقي يزيد، إلى بدا يعقوب، إلى ضبا، إلى الثبك وإلى الصّلا، إلى عينونة، إلى مدين، إلى أشراف البعل، إلى وادي الغراب، إلى حقل، إلى مدينة أيلة، إلى بطن نجد، إلى قبر أبي جميد- وهي القباب، إلى القلزم، إلى جبّ عميرة، إلى مصر"[3].

أ-2 - الطريق من بلاد العراق والشام إلى مصر: طريقين:

- الطريق الأول: انطلاقا من سامراء[4] ثم الموصل[5]، وصولا إلى حلب وقنسرين[6] وحماة وحمص[7]، ثم بعلبك[8] ودمشق، ثم طبرية[9] الأردن، ثم الفسطاط فمدينة الإسكندرية بمصر.

---

[1]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص103.

[2]- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك(ويليه كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي)، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل 1889م، صص150-149.

[3]- البكري، المسالك والممالك، ج1، ص419.

[4]- سامراء: وهي مدينة سُرَّ مَنْ رأى، بناها المعتصم بن هارون الرشيد للأتراك، تقع بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة بناحية القاطول. إسحاق بن الحسين، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، اعتناء فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، صص36-37.

[5]- الموصل: مدينة قديمة البناء على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي مدينة نينوى، وهي إحدى قواعد بلاد الإسلام، فهي محط رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. ياقوت الحموي، نفسه، ج5، صص223-225.

[6]- قنسرين: وهي كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة، فتحت سنة 17هـ/638م. نفسه، ج4، صص403-404.

[7]- حمص: بلد مشهور كبير مسوّر، قلعة حصينة على تلٍّ عال كبيرة بين دمشق وحلب في نصف الطريق. يسمى باسم من أحدث وهو حمص بن مكنف العمليقي. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- مختصر معجم البلدان لياقوت-، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، ص425.

[8]- بعلبك: مدينة مشهورة بقرب دمشق، وهي قديمة كثيرة الأشجار والمياه والخيرات، وبها أبنية وآثار عجيبة.القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلدان وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص156.

[9]- طبرية: من أعمال الأردن في طرف الغور، مُطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرف جبل وجبل الطور المُطل عليها، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس، وبينها وبين عكا يومان. ياقوت الحموي، نفسه، ج4، صص17-20.

- الطريق الثاني: من بغداد – بعد المرور بمجموعة من المحطات والمدن- وصولا إلى الرقة[1]، ثم طبرية بالأردن فالرملة[2]، وصولا إلى يافا[3] وغزة ورفح بفلسطين، ثم العريش[4] فالفسطاط ثم الإسكندرية بمصر[5]؛ وتقدر تلك المسافة - من بغداد ومصر- بخمسمائة وسبعون فرسخا تُكون ألف ميل وسبعمائة ميل وعشرة أميال[6].

-3- الطريق من بلاد ما وراء النهر[7] والشرق الأدنى مرورا بالعراق والشام إلى مصر:

- الطريق الساحلي أو طريق الجادة: انطلاقا من بلاد الصين ثم بلاد الهند وصولا إلى السند وبلاد فارس، ثم إلى البصرة، ثم إلى مصر؛ حيث يربط مصر بأقصى المغرب – طنجة- عبر ساحل المغربين الأدنى والأوسط؛ وهذا الطريق هو مسلك أكثر تجار المشرق إلى المغرب خاصة تجار البصرة والكوفة البغداديون[8].

من خلال ما سبق ذكره يتأكد لنا أن مصر هي نقطة التقاء لكل المشارقة، وتوقف كل المارِّين إلى بلاد المغارب، فمن مصر كان ينطلق المشرقي إلى بلاد المغارب برا وبحرا.

ب- الطريق من مصر إلى بلاد المغارب:

ب-1- الطريق من مصر إلى برقة: يذكر اليعقوبي الطريق من مصر إلى مدينة برقة واصفاً أشهر المواقع التي يقف فيها المسافر مُفصِّلا في ذلك لأنه، من ضمن الوافدين في القرن الثالث الهجري/10م؛ ولقد تَعمدْنا ذكر وصفه للمسالك الصغيرة التي تربط بعضها ببعض لتكون صورة واضحة حول إن كان المسافر المشرقي القادم سيعاني في الطريق المؤدي إلى أول بلاد المغرب، وكذا لاعتبارها أهم نقطة اتصال بين القطرين.

يقول اليعقوبي: "فأما من أراد أن يسلك من مصر إلى برقة وأقاصي المغرب نفذ من الفسطاط في الجانب الغربي من النيل حتى يأتي ترنوط، ثم يصير إلى منزل يعرف بالمنى...

---

[1]- الرقة: تعرف بالبيضاء، ويقال لها الرافقة، مدينة من ديار مضر على جانب الفرات، وبينها وبين حَرَّان ثلاثة أيام. ياقوت الحموي، نفسه، ج3، صص58-60/ ابن سباهي زاده محمد بن علي البرسويّ، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرّواضيَة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، صص351-352.

[2]- الرملة: بلدة مشهورة من فلسطين، وهي محدثة اختطها سليمان بن عبد الملك الأموي، بينها وبين بيت المقدس مسيرة يوم. نفسه، صص352/351.

[3]- يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا. ياقوت الحموي، نفسه، ج5، ص426.

[4]- العريش: مدينة جليلة من أعمال مصر، أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل. ياقوت الحموي، نفسه، ج4، صص113-114/ القزويني، المصدر السابق، ص221.

[5]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص103.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، صص345.

[7]- بلاد ما وراء النهر: تشمل القُواذِيان والصَّغانِيان والتِرْمِذ وكش ونَسَف وبُخارا واستخر وسمرقند وخجَنْد وأشرسونة والشَّاش وفرغانة وبابات وكلساوان وما والاها واتّصل بها. البكري، المسالك والممالك، ج1، ص442.

[8]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص103.

ثم إلى الدير الكبير المعروف ببومينا... ثم إلى المنزل المعروف بذات الحمام ... ثم يصير في منازل لبني مدلج في البرية بعضها على الساحل وبعضها بالقرب من الساحل، منها: المنزل المعروف بالطاحونة، والمنزل المعروف بالكنائس، والمنزل المعروف بجب العوسج، ثم يصير في عمل لوبية وهي كورة تجري مجرى كورة الإسكندرية، منها: منزل يعرف بمنزل معن، ثم المنزل المعروف بقصر الشماس، ثم خربة القوم، ثم الرمادة وهي أول منازل البربر...، ثم يصير إلى عقبة وهي على ساحل البحر المالح صعبة المسلك حزنة خشنة مخوفة فإذا علاها صار إلى منزل يعرف بالقصر الأبيض، ثم مغاير رقيم، ثم قصور الروم، ثم جب الرمل... ثم يصير إلى وادي مخيل... ومن وادي مخيل إلى مدينة برقة ثلاث مراحل..."[1].

إذن، مدينة برقة أول حد بلاد المغارب في طريق البر للقادم من المشرق، وأهم معبر لبلاد المغرب، ومنها كان ابتداء فتح المغرب، فهي أول حدِّ بلاد إفريقية والمغرب.

ويبدو أن هذا الطريق ظل ثابتاً طيلة عدة قرون لأنه كان معبراً آمناً لغاية منتصف ق5هـ/11م؛ وذلك لاتصال العمران حيث "كان فيما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصونٌ متقاربةٌ جدًّا، فإذا ظهر في البحر عدوٌّ نوَّر كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير، فينتهي خبرُ العدو من طرابلس إلى الإسكندرية، أو من الإسكندرية إلى طرابلس، في ثلاث ساعاتٍ أو أربع ساعاتٍ من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوَّهم"[2].

وتبلغ مسافة ما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب خمسا وأربعين مرحلة؛ وكانت العمارة متصلةً من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان، تمشي فيها القوافل ليلاً ونهاراً.

ويعتبر توفر الأمن من أهم أسباب بقاء المسالك وتداولها، إلا أن هذا المسلك فقد أهميته مع غزوة بني هلال، يقول عبد الواحد المراكشي: "لم يزل هذا معروفاً من أمر هذه البلاد إلى أن خرَّبت الأعرابُ تلك الحصون ونَفَتْ عنها أهلَها أيام خلَّى بنو عبيد بينهم وبين الطريق إلى المغرب- وذلك في حدود سنة 440هـ"[3]؛ ثم عادت إليها الحياة بعد حملات الموحدين لضبط الأمن في شرق المغرب.

---

[1]- البُلدان، المصدر السابق، ص180.
[2]- عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص250.
[3]- الموافق لـ 1084م نفسه، صص250-251.



ومن بين الطرق الداخلية الموغلة في الصحراء الرابطة بين مصر والمغرب الأقصى، من غير العبور على مدينة الإسكندرية **طريق يربط بين مدينة البهنسا**[1] **المصرية وسجلماسة:** حيث تقدر مسافة هذا الطريق بأربع وثلاثين مرحلة فيها أكثر من أربعة عشر مرحلة بدون ماء، ما جعل هذا الطريق نادرة السلوك إلا من قبل التوارق، ولا يكون ذلك إلا مع اتخاذ دليل حاذق له خبرة بهذا الطريق[2].

ويُفصِّل الإدريسي في مراحل هذا الطريق فيقول: "تخرج من مصر على البهنسا سبعة أيام، ومن البهنسا إلى جب مناد مرحلة، ثم إلى فيدلة مرحلة، ثم مرحلة بلا ماء، ثم مرحلة بلا ماء، ثم إلى عين قيس مرحلة، ثم على غيات مرحلة، إلى جبل أمطلاس مرحلة، إلى نسنات مرحلة، إلى وادي قسطرة مرحلة، إلى جبل سرواي مرحلة، إلى صحراء تيديت ثلاث مراحل بلا ماء، إلى غدير شناوة وماؤه شروب مرحلة، إلى جبل تاتى مرحلة، إلى ساملا مرحلة، إلى سيرو في الجبل مرحلة، إلى صحراء متالاوت وهي ست مراحل لا ماء فيها، ثم إلى نقاو مرحلة، ثم إلى سلوبان جبل مرحلة، ثم إلى وادي وجاد مرحلة، ثم إلى ندرمة، ثم إلى جبل قزول مرحلة، ثم إلى جبل أيدمر ثلاث مراحل صحراء بلا ماء، إلى سلكايا مرحلتان، ثم إلى تسامت مرحلة، إلى سجلماسة مرحلة"[3].

وعليه، فإنه كان هناك ندرة في استعمال هذا الطريق، والظاهر أنه من الطرق الخاصة بالقبائل البربرية الملثمة لا تسلكه إلا بدليل لانعدام الأمن به، بالإضافة إلى سبب آخر هو ندرة المياه بمراحله[4].

ومن برقة يتوجه المسافر إلى مقصده؛ ولذلك سنذكر الطرق الرئيسية التي تربط بين حدي المغرب من برقة شرقاً إلى طنجة غربا حيث المجاز للأندلس، والتي تُؤدي إلى عواصم أو مدن اشتهرت في مراحل معينة من تاريخ بلاد المغرب، وكانت مقصداً للمشارقة.

سنركز على ذكر الطرق الخارجية- الطرق العظمى التي تربط الأقاليم الكبرى- باعتبار بلاد المغارب طرف في الدراسة مقابل المشرق، كما أن الطرق داخل الأقاليم الثلاثة كانت منتشرة ومُتشعِّبة وتربط سائر البلاد بعضها ببعض، ولكل إقليم شبكة طرق تربطه بالإقليم المُجاور نظراً للامتداد الطبيعي للمنطقة.

---

[1]- البهنسا: مدينة عامرة كبيرة بمصر من الصعيد الأدنى لغربي النيل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، صص516-517.

[2]- بغداد غربي، المرجع السابق، صص101-102.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، صص344-345.

[4]- بغداد غربي، المرجع السابق، صص101-102.

ب-2- الطريق من برقة إلى مدينة سبتة وطنجة: أي من أقصى شرق بلاد المغرب الأدنى مرورا بالمغرب الأوسط إلى أقصى حدود المغرب الأقصى؛ يقول عبد الواحد المراكشي: "فأول بلاد المغرب مما على ساحل البحر الرومي مدينة أنطابلس المعروفة ببرقة، وآخرها على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة، ومسافة ما بين ذلك على التقريب ست وتسعون مرحلة"[1].

لقد تعددت المسالك البرية الرابطة بين أقاليم المغرب في الفترة الوسيطة[2]، منها الطريق الساحلي الرابط بين المدن الساحلية والطريق الداخلي الرابط بين المدن الداخلية.

لابد للمسافر الوافد على المغرب أن يتوجه من برقة نحو طرابلس، ومنها تتفرع الطرق، فمن مدينة برقة إلى مدينة طرابلس المغرب، قريب من خمسٍ وعشرين مرحلة، وفيما بين برقة وطرابلس حصن يُسمَّى طُلْمَيْثَة بالقرب من مَعْدِنُ كبريت.

وقد غدت مدينة برقة مهجورة في القرن7هـ/13م، يقول صاحب المعجب: "مدينة أنطابُلس هذه خراب، لم يبقَ منها إلا آثارها"، في حين كانت المدينة معمورة من قبل[3].

ومن مدينة طرابلس نرصد المدن على الطريق الساحلي الذي يمر على المدن والبلدات الساحلية أو التي تكون بمحاذاة البحر الرومي، وهذا الطريق الساحلي عرفته بلاد المغرب إبَّان الفترة البيزنطية وبعد الفتح، وتطلق عليه المصادر اسم الطريق الأعظم أو طريق الجادة[4]، وهو: من طَرابُلس إلى مدينة قَابِس عَشْرُ مراحل، ومن قابس إلى مدينة سَفَاقُس وهي على الساحل أربع مراحل؛ ومن سَفَاقُس[5] إلى مَهْدِيَّة بني عُبيد ثلاث مراحل، ومن مهدية بني عُبيد إلى مدينة سُوسَة مرحلتان؛ ومن سُوسَة إلى مدينة تُونُس حاضرةَ إفريقية ثلاث مراحل.

ومن مدينة تُونُس إلى مدينةٍ بُونة ستُّ مراحل، وفيما بين تُونُس وبُونة بُليدةٌ صغيرة تُسمَّى بَنِي زَرْت، بينها وبين تُونُس يومٌ تامٌ في البَرِّ للمُجِدِّ، ومن مدينة بونة إلى مدينة قسطنطنية التي

---

[1]- المعجِب، المصدر السابق، ص254.
[2]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص94.
[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، صص250-251.
[4]- ينظر ابن عبد الحكم أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص264/ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص662/ ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص18/ بغداد غربي، المرجع السابق، ص95
[5]- سفاقس: وتكتب بالصاد أيضا- صفاقس- مدينة قديمة بإفريقية- جنوب البلاد التونسية-، تقع على ساحل البحر - في خليج قابس- مقابل جزيرة قرقنة، وهي مقصدٌ للتجار وتشتهر بالزيت، بينها وبين قفصة ثلاثة أيام ومنها إلى المهدية مرحلتان. الحميري، المصدر السابق، صص365-366.

هي أحد حَدِّيْ إفريقية خمس مراحل - وقسطنطنية بينها وبين البحر مرحلتان أو أكثر من ذلك قليلاً- هذا ما كان على ساحل البحر أو قريب من مدن إفريقية.

ومن قسطنطينية المغرب إلى بَجَاية خمسُ مراحل على الرِّفق، ومن مدينة بَجَاية إلى مدينة صغيرة تُدْعى الجزائر– وتنسب إلى قوم يقال لهم بنو مَزْغَنّة- قريبٌ من أربعة مراحل، ومن الجزائر هذه إلى مدينة صغيرة تُسَمَّى تَنَس أربع مراحل؛ ومن مدينة تَنَس إلى وَهْرَان سبع مراحل، ومن مدينة وهران إلى مدينة سَبْتَةُ على التقريب ثماني عشر مرحلة[1].

ومن مدينة سبتة إلى مدينة طنجة يوم تام في البر، "وطنجة هذه آخر الخليج الذي يلتقي عنده البحران، وهي على ساحل البحر الأعظم الذي لا عمارة وراءه، وهو المعروف عندنا بالبحر المحيط[2]، المتصل ببحر الهند والحبشة"[3]، فمدينة طنجة آخر بلد بالمغرب الأقصى، وآخر مدنه الساحلية وما بعدها في البلد فإنما هو في الجنوب كمدينة سلا ومدينة مراكش[4].

وقد تغير هذا الطريق الساحلي مع الوقت إلى طريق داخلي بتغير مراكز الإنتاج إلى المناطق الداخلية بفعل التطورات السياسية للمنطقة حيث أصبحت الطرق الرابطة بين أقاليم المغرب داخلية وليست ساحلية[5].

وتبتدئ الطرق الداخلية من نفس نقطة انطلاق الطرق الساحلية، ويلتقي الاثنان في عدة محطات، ويتميز الطريق الداخلي بتفرعاته المتعددة[6]، إذ تربط هذه الطرق الداخلية مدن المغرب الأدنى طرابلس وصفاقس والقيروان بمدن المغرب الأوسط كتاهرت والمسيلة وتلمسان التي تعتبر قفل بلاد المغرب- إذ لا بد للداخل والخارج من المرور بها- ثم مدن المغرب الأقصى كمدينة فاس والبصرة[7] والسوس الأقصى[8].

ومن الطرق الفرعية المهمة نذكر طريق السُّفَّار الذي أشار له المراكشي، وهو من بجاية إلى مراكش، فمن بجاية إلى مدينة تلمسان عشرون مرحلة، وفيما بين ذلك بُليداتٌ صغار

---

[1]- عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، صص251-253.
[2]- ويعرف أيضاً ببحر أقيانُس أو أوقيانوس. نفسه، ص253/ ابن سباهي زاده، المصدر السابق، ص47.
[3]- نفسه، صص253-254.
[4]- نفسه، ص254.
[5]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص95.
[6]- مريم محمد عبد الله جبودة، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/1160-1572م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2008م، ص172.
[7]- البصرة: مدينة بالمغرب الأقصى مُحدثة البناء كبيرة واسعة قريبة من فاس، تُعرف بالحمراء وبصرة الذِبَّان وببصرة الكتان.- البكري، المسالك والممالك، ج2، صص788-790.
[8]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص95.

كمليانة ومازونة ووهران؛ وبين مدينة تلمسان وبين البحر أربعون ميلاً؛ وذلك يومٌ للمُجِدّ؛ ومن مدينة تلمسان إلى مدينة فاس عشر مراحل، سبعٌ منها إلى المدينة التي تُدْعى رِباط تازا، وثلاث إلى فاس؛ وقبليُّ مدينة تلمسان في الصحراء مدينة سجلماسة، منها إلى تلمسان عشر مراحل، وهذه المدينة – أعني سجلماسة- متوسطة في الصحراء، مسافة ما بينها وبين تلمسان وفاس ومَرَّاكُش على حَدٍّ سواء؛ فمن حيث قَصَدْتَ إليها من أحد هذه البلاد، كان ذلك مسافة عشر مراحل[1].

كما قصدت قوافل المشارقة الصحراء الإفريقية، ومن المدن التي كانت تسير إليها ركبان المشارقة - تجار وعلماء- مدينة سجلماسة التي غدت مركزاً عظيما من مراكز العلم؛ والتجارة لموقعها على باب الصحراء، حيث سكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون هذا الطريق بتجارتهم الدائمة[2].

وإلى هنا نكون قد استعرضنا أهم محطات شبكة الطرق البرية التي ربطت أقاليم المشرق ببلاد المغرب.

3- المسالك البحرية من بلاد المشرق إلى بلاد المغارب: للموقع الجغرافي للعالم الإسلامي- شرقا وغربا- دور كبير في عملية الاتصال البحري منذ العصور القديمة السابقة للإسلام؛ فالمسالك البحرية بين القطرين ليست بالجديدة في الفترة الإسلامية، فمملكة الإسلام تُطل على مجموعة بحار وخلجان تفصل بينها عدة مضائق، فبلاد العراق- مدينة البصرة- والسواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية وغرب بلاد فارس تطل على الخليج العربي الذي يتصل بخليج عمان عبر مضيق هُرمز، في حين تطل جنوب شبه الجزيرة العربية على البحر العربي - بحر الهند- الذي يتصل ببحر القلزم عبر مضيق باب المندب، وبحر القلزم تطل عليه سواحل شرق شبه الجزيرة العربية والسواحل الغربية لبلاد السودان ثم صعودا نحو مصر، وفي آخر نقطة من هذا البحر ميناء القلزم ومن ثمة مضيق سيناء والعبور نحو البحر الرومي، والذي يمتد من بلاد الشام - الحوض الشرقي للبحر الرومي- شرقاً إلى بلاد المغرب غرباً- حوضه الغربي- وصولا إلى البحر المحيط عبر مضيق جبل طارق[3].

---

[1]- عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، صص 256-258.
[2]- شوقي عبد القوى عثمان، المرجع السابق، صص67-68.
[3]- ينظر عن البحار التي تمر ببلاد الإسلام وتربط أقاليمها كتاب الإدريسي، المصدر السابق، ج1، صص9-11.

يقول الزهري: "اِعلم أن هذا البحر مخرجه من ناحية المغرب ويأخذ إلى ناحية المَشرق حتّى ينتهي إلى بلاد الشام بموضع يُسمّى السُّوَيْرة بمقربة من جزيرة حلب بعِشرين فرسخا فينقطع هناك، وطول البحر من مَخرَجُه إلى المَوضع ألف فرسخ..."[1].

وعليه فإن كل أقاليم المغرب الإسلامي تطل على سواحل البحر الرومي فامتداد الأقاليم الثلاثة على الضفة الغربية الجنوبية لهذا البحر، في حين تطل الأندلس على الضفة الشمالية الغربية والمعلوم أن مُعظم المسالك من وإلى الأندلس تقوم على الطرق البحرية[2]؛ إضافة إلى وجود كثير من جزر البحر الرومي[3] التي كان البعض منها تابعاً لبلاد الإسلام في فترات تاريخية كجزيرة صقلية وإقريطش[4]، تلك الجزر التي تُعتبر نقاط اتصال- للراحة والتزود واللجوء من العواصف البحرية- في كثير من الأحيان، وقد كان بحارة العصور الوسطى يُفضلون أن تبقى مراكبهم ملازمة للشواطئ[5].

ودور البلاد المصرية في المسالك البحرية كمحطة وسطى - خاصة ميناء الإسكندرية والقلزم - يبقى محافظا عليه؛ ورُغم ذلك لن تكون مصر مِحور ارتكاز كبير كما الطرق البرية لوجود مسالك موازية.

أ- المسالك المشرقية إلى ميناء الإسكندرية: يرتبط المشرق الإسلامي ببلاد المغرب عبر ميناء الإسكندرية[6]، حيث مثلت مدينة الإسكندرية ومرساها مرفأ للسفن القادمة من الشرق.

أ-1- من الحجاز إلى الإسكندرية: فمن مكة إلى ميناء جدة أو من المدينة إلى ثغر الجار- ميناء المدينة- تسير السفن عبر بحر القلزم لتصل إلى ميناء القلزم على نفس البحر- وهو من

---

[1]- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجعرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، المركز الإسلامي للطباعة، الجيزة، د.ت، ص127.

[2]- أوليفيا ريمي كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكه، مصر، د.ت، ص54.

[3]- ويذكر المقري أن عددها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرهما.- المقري، المصدر السابق، ج1، ص146.

[4]- إقريطش من جزائر بحر الروم- تابعة لحكم القسطنطنية في زمن رحلة ابن جبير- طولها نحو من ثلاثمائة ميل.- ابن جبير أبو الحسن محمد، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ط2، 1986م، ص11.

[5]- أوليفيا ريمي كونستبل، المرجع السابق، ص54.

[6]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص117.



أهم موانئ مصر-المرتبة الثانية- بعد الإسكندرية- ثم يَعبُرون الصحراء إلى ميناء الفرما[1]، ومن ثمَّة السير بحراً إلى الإسكندرية[2]، ومن الإسكندرية الطريق إلى بلاد المغرب.

أ-2- من أنطاكية[3] للإسكندرية: - عبر بحر الروم- تنطلق الرحلة أولاً من ميناء أنطاكية، ثمَّ إلى اللاذقية[4]، ثمَّ إلى أطرابلس الشام، ثمَّ إلى بيروت، ثمَّ إلى صيدا، ثم إلى مدينة صور، ثمَّ إلى عكا، ثمَّ إلى حيفا، ثمَّ إلى رأس الكرمان، وصولا إلى يافا، ثمَّ إلى قيسارية، ثمَّ إلى عسقلان، ثمَّ إلى ملاَّحة الواردية، ثمَّ إلى غزَّة من بلاد فلسطين، ثمَّ إلى تيدار ميماس، ثمَّ إلى جزيرة دبقو، ثمَّ إلى بحيرة تنِّيس، ثمَّ إلى دمياط، ثمَّ إلى بوقير وصولا إلى مدينة الإسكندرية من مصر[5].

وكذلك الأمر بالنسبة للسفن القادمة من بلاد الصين والهند والسند وما وراء النهر[6] وبلاد فارس عبر بحر العرب تنتقل إلى بحر القلزم، وتمر على موانئ الحجاز أو مباشرة إلى الإسكندرية، ومنها إلى بلاد المغرب[7]؛ ولم يمنع البعد الجغرافي الشاسع بين أقصى المشرق الإسلامي، وأقصى المغرب[8] من التواصل لوجود تلك البحار.

ب - من الإسكندرية إلى المغرب الإسلامي: على أنه المشهور وجود خطين أو طريقين بحريين للمرتحلين بين المشرق وبلاد المغرب الإسلامي عبر البحر الرومي، وهو طريق التجار انطلاقته تكون من المدن الساحلية للحوض الشرقي لهذا البحر.

ب-1- الطريق الأول: يسير بمحاذاة سواحل البحر الرومي الشمالية، وكان يُفضله التجار اليهود والمسيحيون لقربه من الأقاليم المسيحية.

ب-2- الطريق الثاني: الذي كان أكثر شهرة من الأول، ويسير بمحاذاة سواحل البحر الرومي الجنوبية، حيث كان يبدأ من ميناء الإسكندرية ثم أحد موانئ بلاد المغرب الأدنى أو

---

[1]- الفرما: مدينة قديمة على الساحل من ناحية مصر، تقع بين العريش والفسطاط شرقي تنيس على ساحل البحر على يمين القاصد لمصر بينها وبين بحر القلزم المتصل ببحر الهند أربعة أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، صص255-256.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1991م، صص13-15/ محمد عطا الله سالم الخليفات، التجارة في الأندلس في عصر الدولة الأموية 138-422هـ/755-1030م، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، 2004م، ص96.

[3]- أنطاكية: مدينة قديمة من بلاد الشام، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد وأمهاتها، بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل، والسور يصعد مع الجبل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، صص266-270.

[4]- اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام تُعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة بينهما ستة فراسخ. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، صص5-7.

[5]- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص761.

[6]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص9.

[7]- ينظر الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص10.

[8]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص9.



الأوسط أو الأقصى إلى موانئ ومراسي بلاد الأندلس على حسب الوجهة؛ حيث تسير السفن بمحاذاة الساحل المغربي من ميناء إلى آخر، ومن مرفأ إلى آخر لاجئين إلى مصبات الأودية والمناطق المحمية من الرياح[1]، ثم يعبرون إلى موانئ ومراسي بلاد الأندلس.

وبذلك فقد كان لرحالة البحر على طول شواطئ البحر الرومي اختيار واسع بين المرافئ التي يتوقفون فيها للتجارة والتَموُّن والإصلاح أو المبيت أو من أجل معلومات تجارية[2].

ب-3- الرحلة الطويلة من الإسكندرية إلى ألمرية[3]: تقوم بعض السفن إذا كانت الملاحة جيدة باختيار رحلة طويلة فيسيرون مباشرة من الإسكندرية إلى ألمرية[4] بالأندلس.

ج- المسالك البحرية الطويلة من المشرق إلى المغرب الإسلامي: والتي لا تمر على الإسكندرية:

- من أنطاكيه أو عكا إلى موانئ الأندلس الشرقية: تستغرق الرحلة البحرية من أنطاكيه إلى الأندلس ست وثلاثين يوما عبر بحر الشام-الروم-[5]، تنطلق السفن من مدينة عكا أو أنطاكيه إلى جزيرة قبرص، ومن قبرص إلى اقريطش- كريت- ثم تمر إلى جزيرة صقلية- وبينهما مسيرة سبع مائة ميل -، فإلى جزيرة سردانية أو ميناء البروفانس الفرنسي ثم تصل إلى موانئ الأندلس الشرقية[6].

ونظرا لخطورة الإبحار في قلب البحر، فإن السفن المتوجهة نحو المتوجهة نحو الساحل المغربي، كانت تتخذ مجموعة الجزر الواقعة في طريقها محطات للاستراحة والتزود بالمواد الضرورية في السفر.

د- المعابر من العدوة المغربية إلى بلاد الأندلس: لقد أشارت كتب الجغرافيا إلى أكثر من معبر أو من طريق لمن أراد المسير بحراً من المغرب إلى الأندلس، يأت من مصر إلى بلاد المغرب الأدنى أو الأوسط أو الأقصى برًا ثم يركب البحر إلى الأندلس، وقد تعددت الموانئ والمراسي التي كانت تنزل بها السفن القادمة من بلاد المشرق في بلاد المغرب، ثم مرورا إلى

[1]- محمد عطا الله سالم الخليفات، المرجع السابق، صص94-95.
[2]- أوليفيا ريمي كونستبل، المرجع السابق، ص55.
[3]- ألمرية: مدينة مُحدثة بالأندلس، من بناء عبد الرحمن الناصر سنة 344هـ/955م، وهي من أجل أمصار الأندلس وأشهرها، ويعدُ مرساها أهم المراسي الأندلسية على بحر الروم فقد كان مقصداً لمراكب التجار من الإسكندرية والشام وغيرهما، حيث كانت توجه إليه المراكب القادمة للأندلس من الخارج للرسو به وذلك لعظمته ولفساحة خليجه وتوسطه الساحل الأندلسي، كما كانت ألمرية دار صناعة السفن ومجتمع مراكبه. الحميري، الروض المعطار، صص537-538.
[4]- محمد عطا الله سالم الخليفات، المرجع السابق، ص94.
[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص581.
[6]-ابن جبير، المصدر السابق، ص11/ محمد عطا الله سالم الخليفات، المرجع السابق، ص94.

الأندلس؛ ذلك أن بلاد المغرب تُسيطر على مسلك ساحلي يربط أقصى المغرب - المحيط الأطلسي-، أي من نول لمطة غربا، بسواحل طرابلس من الناحية الشرقية، عبر مجموعة الموانئ والمراسي، التي تمتاز بكثرتها وقرب المسافة بينها[1]-.

وبذلك فقد كانت المراكب تنطلق من الإسكندرية وتتابع سيرها بمحاذاة برقة والساحل الليبي حتى تصل إلى خليج سرت[2]، ثم طبرقة والجزائر وتنس ووهران، ومن ثم تسير في البحر بمحاذاة شواطئ عُدوة بلاد المغرب حتى تصل إلى ميناء سبتة؛ ومن ثم تعْبُر للأندلس، وقد تتَّجِه للأندلس من أحد موانئ المغرب الأدنى أو الأوسط أو حتى تصل إلى المغرب الأقصى[3]؛ كما كانت طبيعة بلاد الأندلس مساعدة لوجود مراسي وموانئ تقابل موانئ العُدوة المغربية.

* **المعابر البحرية بين المغرب الأدنى والأندلس:** وتُشير المصادر الجغرافية[4] إلى معابر مشهورة بين العدوة المغربية وبلاد الأندلس[5]، وأهم هذه المعابر:

- **مرسى طبرقة من بلاد إفريقية:** اكتسب شهرته من كثرة المراكب والتجار الأندلسيين الذين كانوا ينزلون به، يقول ابن حوقل: "طَبَرْقة قرية وهي عُدوة لأهل الأندلس إليها ينتهون ومنها إلى الأندلس يركبون"[6] وقوله أيضا: "طبرقة المذكورة مع صغر مقدارها وتفه منزلتها فإنّما اشتهرت لكثرة ورود المراكب بالأندلسيّين عليها ونزولهم فيها، وتعشيرهم كان في سلف الزمان بها، وهي اتجاه أوائل الأندلس من المكان الذي هي به، وتحاذي أيضاً بعض بلاد افرنجه"[7].

- **تونس:** يشير المراكشي عن هذا المعبر - لما يبرر قلة معرفته بأحوال بلد إفريقية- حيث يقول: "لأني لم أدخل منها-أي إفريقية- إلا مدينة تُونُس خاصة، أتيتها في البحر من الأندلس، وذلك سنة 614"[8].

ومن مراسي وموانئ **المغرب الأوسط** التي كانت معابر مشهورة بين هذه البلاد والأندلس:

---

[1]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص118، وص116.
[2]- سُرْت: مدينة كبيرة في برقة، بينها وبين طرابلس مائتا ميل وثلاثون ميلاً، وبينها وبين البحر ميلان. الحميري، المصدر السابق، ص312.
[3]- محمد عطا الله سالم الخليفات، المرجع السابق، ص94.
[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص74 وما بعدها/ المقدسي، المصدر السابق، صص228-229/ البكري، المسالك والممالك، ج2، صص754-761/ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، صص581-582.
[5]- محمد عطا الله سالم الخليفات، المرجع السابق، ص94.
[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، صص74.
[7]- نفسه، صص74-75.
[8]- الموافق لـ1217م. عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص255.

- **جزائر بني مزغناي:** وهي من بين المعابر الثلاثة إلى الأندلس التي أشار إليها المقدسي[1].

- **مرسى تنس:** من مراسي المغرب الأوسط المشهورة؛ فهي أكبر المدن التي يتعدَّى إليها الأندلسيّون بمراكبهم، ويقصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها[2]، يقول اليعقوبي: "ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس على ما ذكرنا، وهي على ساحل البحر المالح فراكب البحر المالح يسير فيه مسيرة عشرة أيام مُسحلاً غير مُوغل حتى يُحاذي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس، بينه وبين تاهرت مسيرة أربعة أيام، أو صار إلى تاهرت يُوافي الجزيرة فيقطع اللج في يوم وليلة حتى يصير إلى بلد تدمير"[3]، بينما أشار الإدريسي أنها تقابل مدينة دانية وبينهما ثلاث مجار[4].

- **معبر مدينة وهران:** أحد المعابر إلى الأندلس، والتي أشار إليها المقدسي، ويجتاز المسافر هذا المعبر في يوم وليلة[5]، وذلك لأن "لمدينة وهران مرسىً في غايةِ السلامة والصَوْن من كل ريح، وما أظنّ له مثلاً في جميع نواحي البربر سوى مرسى مُوسى...، وهي فرضة الأندلس، إليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال"[6].

كما أن مدينة بجاية من عُدوة المغرب الأوسط تُقابل مدينة برشلونة، وبينهما أربعة مجار في عرض البحر[7].

معابر المغرب الأقصى: أهمُّ المعابر من العُدوة المغربية إلى الأندلس، هي:

- **مدينة سبتة[8]:** أشهر المعابر من العدوة المغربية مدينة سبتة إلى الجزيرة الخضراء، وهي على ساحل البحر الرومي، حيث تُقدر المسافة بين الطرفين بثمانية عشر ميلا[9].

- **مدينة طنجة**: مقابل مدينة طنجة من عدوة الأندلس جزيرة طَريف، وجزيرة طريف على ساحل البحر الأعظم؛ فأضْيَقُ ما يكون البحر هناك، وسعته فيما بين هذين الموضعين اثني عشر ميلاً، ترى كل واحد من الشطين من الآخر في كل وقت من أوقات النهار[10]، يقول المقري: "ومخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام هو بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له

---

[1]- المقدسي، المصدر السابق، ص228.
[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.
[3]- اليعقوبي، البُلدان، صص192-193.
[4]- المجرى يساوي مائة ميل. الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص582.
[5]- المقدسي، المصدر السابق، ص229.
[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.
[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص582.
[8]- بساحل سَبْتَة يلتقي البحران، بحر مانطس (بحر الروم) وبحر أقيانُس (البحر الأعظم). عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص253.
[9]- نفسه، صص253-264.
[10]- نفسه، صص263-264.

الخضراء ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس...، ويُعرف هذا الموضع بالزقاق، وهو صعب المجاز لأنه مجمع البحرين لا تزال الأمواج تتطاول فيه والماء يدور، ومن هناك يأخذ البحر في الاتساع إلى ثمانمائة ميل وأزيد، ومُنتهاهُ مدينة صور من الشام..."[1].

وبذلك ارتبطت بلاد الأندلس ببلاد المغرب انطلاقا من ميناءين أساسيين في المنطقة وهما: ميناء طنجة وسبتة اللذين اعتبرا محطة حط وإقلاع في المنطقة[2]، كما تُعد مدينة سلا من المعابر المشهورة بين العُدوتين أيضا حيث كان ميناؤها يستقبل السفن الأندلسية[3].

وعبر موانئ العدوة الأندلسية يتم الوصل بين باقي مناطق الأندلس إلى غاية شنترين[4]، حيث تعتبر هذه الأخيرة أقصى نقطة اتصال في حدود الأندلس الإسلامية[5]، والتي هي جزيرة قد أحدقت بها البحار والأنهار، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة[6]، وصفها صاحب جغرافية وتاريخ الأندلس بقوله: "وقد أحاطت بها البحار من كل ناحية"[7]، وكذا قوله: "وبالأندلس أربعون نهراً كباراً... "[8]، ونكتف بالإشارة إلى ذلك في الأندلس دون التفصيل في الطرق داخل هذا الإقليم سواء البرية أو البحرية، وقد التزمنا بذلك -عدم التفصيل في الطرق الداخلية- في كل الأقاليم الإسلامية لشساعة الجغرافية وطول الخطوط الرابطة وتشابكها، وحاولنا التوصل إلى صُورة عامة عن شبكة الطرق والمسالك الرابطة بين المشرق والمغرب الإسلامي.

وعليه فإن التنقل الدائم بين المشرق وبلاد المغرب في القرون الوسطى عبر الطرق والمسالك البحرية بيَّن أن توافد المشارقة إلى بلاد المغارب، كان يتم عبر طريقين:

- من بلاد المشرق إلى العُدوة المغربية - عبر البر- ثم الجواز إلى الأندلس، والعودة إلى المشرق إما عبر الرحلة الطويلة إلى المشرق، أو عبر صقلية، أو العودة إلى بر العدوة المغربية، ومنها الانتقال إلى المشرق نحو بلاد الشام برا أو عبر بحر الروم، ونحو الحجاز عبر الطرق البرية أو عبر بحر القلزم.

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، صص145-146.
[2]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص116.
[3]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري-، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص63.
[4]- شنترين: من بلاد غربي الأندلس، مدينة عظيمة أزلية، ولها عمل كثير يزيد على ألف قرية، ولهذه المدينة سور عظيم، وأبراج منيعة لا تدرك بالقتال. مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، ص130.
[5]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص117.
[6]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص205.
[7]- مجهول، ص53.
[8]- نفسه، ص56.



- من بلاد المشرق إلى الأندلس مباشرة، ثم العُبور إلى العدوة المغربية في طريق العودة إلى بلاد المشرق؛ وقد يساعد الموقع الجغرافي للأندلس على تفضيل شبكة الطرق البحرية لكثير من المشارقة القادمين، وبخاصة إن كانت الانطلاقة من مصر أو بلاد فلسطين- صيدا-؛ فبلاد الأندلس تمتد على نفس البحر الرومي الذي تنطلق من ضفافه السفن شرقا.

ومن الواضح جدا أن خريطة الطريق تتغير وفق تغير كفة الموازين بين المشرق وبلاد المغرب، حيث لم تبق الطرق البرية والمسالك البحرية بين القطرين على الحال الذي عرفته ابتداء من القرن2هـ/8م وإلى غاية القرن 7هـ/13.

ويمكن رصد ذلك التغيُّر الملحوظ في شبكة الطرق المغربية، فقد كان شرق المغرب في القرون الأولى أهم المعابر من بلاد المشرق، لكن الاضطرابات السياسية التي شهدتها المنطقة في فترات زمنية من تاريخها خلال مرحلة الدراسة؛ من سيطرة العرب الهلالية على المناطق الشرقية في القرن 5هـ/11م، واحتلال النورمانديين لسواحل المغرب الأدنى في القرن6هـ/12م، أدى إلى استخدام الطرق البديلة المتمثلة في المسالك البحرية كوسيلة موازية للطرق البرية من بلاد المشرق الإسلامي إلى بلاد المغارب، والتي تبدو- مقارنة مع الظروف المتعلقة بالطرق البرية المذكورة- أيسر وأسهل[1]؛ أما بالنسبة لتغير المسالك البحرية فالواضح أن هذه الطرق لم تتبدّل على طول الشاطئ عبر زمن السيادة الإسلامية على حسب قول كونستبل [2]، كما لم تسلم المسالك البحرية من انعدام الأمن- أحيانا- بسبب الحروب.

وقد كان البحر الطريق العادي والمألوف للرحلة من المشرق إلى الأندلس إلا أنه شكل أحياناً طريقاً شاقاً وخطراً، وذلك بسبب الرسوم الباهضة التي كانت تُفرض على السفن في الموانئ التي كانت ترسو بها للتزود بالمواد الغذائية أو للراحة أو لإصلاح أي عطل بالسفينة، أو بسبب العواصف الشديدة التي كانت تتعرض لها السفن وبخاصة في فصل الشتاء، حيث قد يبقى المسافر أحيانا في البحر أياما ينتظر هبوب الرياح المناسبة حتى يستطيع متابعة سفره، وعلاوة على ذلك كان هناك خطر آخر يهدد سفن التجار بين الحين والآخر تمثل في قراصنة البحر، وذلك لأن القرصنة كانت سلوكاً متعارف عليه في ذلك الوقت[3].

---

[1]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص93، وص99، وص113.
[2]- أوليفيا ريمي كونستبل، المرجع السابق، ص54.
[3]- محمد عطا الله سالم الخليفات، المرجع السابق، ص96.

وقد عادت الطرق البرية إلى نشاطها في بلاد المغرب في عصر الموحدين والمرابطين، وغدت كفة الموازين إلى غرب المغرب لظهور عواصم ومدن جديدة أيضا، إضافة إلى الحملات الموحدية على هذه المناطق منذ سنة 555هـ/1160م وإخضاعها لسلطة الدولة، من خلال تحرير المغرب الأدنى من الاحتلال النورماندي، وإخضاع قبائل العربية الهلالية وحُلفائها- على الأقل على الشريط الساحلي- ممَّا أعاد التواصل بين المسالك البحرية الرابطة بين أقاليم المغرب الثلاث.

أمَّا بالنسبة للتباين في نسبة استخدام طريق أو مسلك دون آخر، فذلك يعود إلى أسباب أمنية من ناحية، وإلى التباين في درجة الإنتاج والازدهار الاقتصادي الذي يحدد المراكز التجارية وشهرتها وكثرة ورودها والمرور بها[1]، ويمكن تصنيف أنواع الأخطار التي يتعرض لها المسافر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب، وتتمثل في نوعين:

- الخطر الطبيعي: ويكمن في اضطرابات البحر وفي وسائل النقل البحرية بالنبسة للطرق البحرية؛ وخطورة الصحاري المتمثلة في الحرارة الشديدة، وفي الرياح والتيه، والذي يؤدي في الغالب إلى الهلاك بالنسبة للطرق البرية.
- الخطر البشري: يتمثل في دفع المُكوس -الضرائب-، إضافة إلى أن عدم الاستقرار يؤدي إلى نشاط اللصوص وقطاع الطريق الذين لم يسلم منهم ركْب السُّفار العلماء كما التُجار.

لقد كانت الطرق البرية والمسالك البحرية بين المغرب والمشرق لا تفرغ من المسافرين طيلة السنة، على الرغم من طول المسافة الفاصلة بين بلدان المشرق والمغرب، فقد تحمل المشارقة مشاقّ السفر وويلاته إلى المغرب في تلك الرحلة التي يقطع فيها المُسافر أقل ما يمكن بحرا شهر أو شهرين، وبرا في ستة شهور أو سنة.

لقد تواجد المشارقة في بلاد المغارب على الرغم من أنهم كانوا يعيشون في عصور تباعدت فيها المسافات، وساد في معظمها الاستبداد والظلم والفتن، وليس هناك سبب ديني للقدوم كفرض أو أماكن مقدسة[2]؛ ومن المؤكد أن كثيراً من العلماء المشارقة، وإن لم يكونوا تجاراً ضِمن القوافل التجارية المشرقية القادمة، فإنهم يأتون إلى بلاد المغارب بصحبة القوافل التجارية، أو ركب الحج العائد، ولذلك ستكون طريق التجار هي طريق العلماء المشارقة الوافدين على المغرب الإسلامي.

---

[1]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص115، وص98.
[2]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص243، وص42، وصص227-228.

وبذلك كان المسلمون يتنقلون بحرية على امتداد الخطوط البحرية التي تصل بلاد المشرق ببلاد المغرب، وذلك لخضوع أغلب هذه الخطوط لسيطرة المملكة الإسلامية[1] في ذلك العصر.

تلك محاولة لتِبْيَان الطرق والمسالك - وكل ما يرتبط بهما- التي قادت العلماء المشارقة في العصر الوسيط إلى بلاد المغرب الإسلامي، كما لا ننسى الإشارة إلى التيسيرات التي وُجدت في الطرق، والتي كانت تحرص عليها الدول القائمة من حفر للآبار، ومحاولات لنشر الأمن بتلك الطرق، والسماح للسفن بالرُسُو في الموانئ خاصة أثناء العواصف البحرية.

وفي نهاية هذا الفصل الذي بيَّن لنا أن النظرة المشرقية للمغاربة إن لم تكن مُحَفِزة فإنها لم تمنع المشارقة من القدوم لوجود عوامل مُساعدة على السفر غرباً، كما رأينا أن الطرق والمسالك كانت تقُودهم إلى بلاد المغارب فشبكة الطرق البرية التي تخترق العالم الإسلامي والبحار التي تتوسط هذا العالم يَسَّرت سهولة ذلك التوافد إلى المنطقة؛ وبقي علينا الآن أن نتعرَّف على الشخصيات العلمية المشرقية التي توافدت على بلاد المغارب.

---

[1]- محمد عطا الله سالم الخليفات، المرجع السابق، صص93-94.



الفصل الثاني: العلماء المشارقة المُغَرِّبين

أولا: أهل الثقافة والعلوم المشارقة الوافدين على بلاد المغرب

ثانيا: أهل الثقافة والعلوم المشارقة الوافدين على الأندلس

ثالثا: أهل الثقافة والعلوم المشارقة الوافدين على بلاد المغارب

تهميد: خصَّصْنا هذا الفصل لذكر العلماء (أهل العلوم والثقافة والفنون) المشارقة الوافدين على بلاد المغارب، من خلال توزيعهم على ثلاث نقاط، لأسباب منهجية:

- أولا: العلماء المشارقة الداخلين إقليم بلاد المغرب (الأدنى، الأوسط، الأقصى)
- ثانيا: العلماء المشارقة الوافدين على بلاد الأندلس.
- ثالثا: العلماء المشارقة القادمين إلى بلاد المغارب (المغرب والأندلس وصقلية الإسلامية).

وقبل الولوج في ذكر المشارقة الذين هاجروا إلى بلاد المغارب يجدر بنا تحديد الخطوات التي سننتهجها في ذكر هؤلاء الأعلام:

- ترتيب التراجم: كل التراجم مُرتبة ترتيباً زمنياً من سنة 140هـ/ 757م إلى غاية سنة 668هـ/1269م[1]؛ والتّرتيب الزمني- يكون بمُراعاة سنوات أو قرون الوفادة- وكذلك اعتمادا على الموجود: تواريخ الوفاة، تواريخ الولادة؛ والذين أَشْكَل علينا تصنيفهم اسْتدْلَلنا على عصره من خلال المُعطيات التي أمدتْنا بها المادة التَراجميَة، إمَّا قياساً على عصر شُيوخه أو تلامذته إنْ ذُكروا أو مُعاصرته لحاكم ما - مشرقي أو مغربي-، أو مُعاصرته للمؤلف الذي أمدَّنا بخبره - من خلال تصريحاته-، أو بوجود حدث تاريخي شهير؛ فكل ذلك يكون باستغلال المادة المُقدمة وعصر المَصْدر الأول -المُعاصر- المستقى منهُ المعلومات.

والشَخصيات المُترجم لها مُتنوعة الاختصاصات العلمية والمهنية في الحياة وما يجمعُ بينها هي صِفة التَمَغْرُبْ؛ ففيهم السياسيّين: حُكام ودُعاة وجواسيس ووزراء، وفيهم التُّجار، وفيهم الأُدباء والشعراء؛ وفيهم العلماء والفُقهاء والأطِباء، وفيهم المُغنيّن والرَّحالة السَائحين؛ وفيهم النساء والرجال؛ باعتبار كل واحد من هؤلاء له سَهْمٌ في الحركة الفكرية المغربية- ولو قال شطر بيت شعري -.

- طريقة عرض التراجم: اعتمدنا في كل التراجم على طريقة واحدة.

- العنوان الترجمي: ويحمل الاسم الكامل للمترجم له والتاريخ (المولد/ الوفاة).
- مادة الترجمة: تبدأ بالكنية، ثم اللقب الذي اشتهر به، والبلد - مولداً ونشأة- والأصل، والمذهب، ومجال عِلمه، وشيوخه، ورحلاته وما افتتن فيه من علوم، وتلامذته، وتاريخ دخوله بلاد المغارب، وما حُفِظ عنْه من قول مشهور، ثم ما قيل عن شَخصِه، وأخيرا مكان دفنه،

[1]- تشتمل الدراسة على أعلام وجدوا في بلاد المغرب قبل التاريخ المحدد واستمر تواجدهم بعد سنة 140هـ/757م؛ وكذلك الأمر بالنسبة للتاريخ الثاني فقد توجد شخصيات تواريخ وفاتها بعد سنة 668هـ/1269م لكنها موجودة ضمن الدراسة.

وتخْضع حجم الترجمة للمادة الخام التي أمدتنا بها أنواع الكُتب، فقد تجد ترجمة تحوي كل الذي ذكرناه وترجمة ربما تحوي الاسم فقط.

لذلك قد نجد تراجم تشتمل على صفحات، وتراجم في سطر واحد - قلة المعلومات والأخبار التي لا تتعدى السّطر أو السطْرين أو لانعدامهما معا، أو لوجود كلام لا يفي بالغرض-؛ وذلك أمرٌ معلوم بالنسبة لتراجم الأعلام، فهو يخضع لعامل المادة المستقاة من المصادر والمراجع.

كما قد تحوي تراجم أولئك الأعلام على أبيات شعرية، أو أقوال تعبر عن شخصية المترجم له؛ وقد حاولنا تبسيط مادة الأعلام المترجم لهم بصفة مختصرة موضحين جوانب من حياة كل علم من هؤلاء الأعلام .

وبذلك فمحاولتنا في هذا الفصل تكْمن في الإحاطة بأعلام تركوا بصمات في الحياة الفكرية في بلاد المغارب، وكان لآثار تواجدهم بالمغرب صدى.

إلا أن هذه التراجم تُمثل القاعدة – ولو قدمت كمادة جافة دون تحليل- التي بُني عليها البحث أصلاً؛ ففكرة المُعجم كانت لإثبات مدى وجود الموضوع -عمق الإشكالية- وبأنه يستحق البحث فيه والدراسة لمن يرى أن العلماء المشارقة القادمين يُحسبون على الأصابع - وتلك كانت نظرتنا في البداية أيضاً- ولكن بعد المُضي شطرا في البحث فالحقيقة المُؤكدة أن العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب كثيرون جدا، ولن يُوفيهم هذا الفصل ولا الدراسة حقهم- سواء من حيث إحصاء الأعلام الوافدين، أو ما يقدم من مادة تَراجميَة- فكم صادفنا من علماء مشارقة وافدين (خاصة الأندلس) أخذوا يظهرون مع سيرورة البحث في أنواع الكُتب بعد المضي في العمل- وتركناهم ليس اكتفاء بما أوردنا وإنما لطول البحث، فذكر علم هنا يُحتم علينا ذكر دوره في الحركة الفكرية في الشطر الثاني من الدراسة.

أولا: أهل الثقافة والعلوم المشارقة الوافدين على بلاد المغرب:

- سَلمة بن سَعد[1] بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن تَزيد جُشَم بن الخَزْرج[2] (ق2هـ/8م)[3]: من دعاة المذهب الإباضي[4]، وفد على المغرب من البصرة، ودخل القيروان، ويذكر الدرجيني – نقلا عن الإمام أفلح[5] عن أبيه عبد الوهاب[6] عن جده عبد الرحمن بن رستم – أنَّ "أولُ من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية سلامة بن سعيد، قال: قدم علينا من أرض البصرة، ومعه عكرمة مولى ابن العباس[7] مُتعقبين على بعير فسلامة يدعو إلى مذهب الإباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية"[8]، بينما يشير علي يحيى معمر أنه انطلق من العراق إلى إفريقيا وحيداً مُنفرداً، ولم يمضِ عليه عشر سنوات حتى كانت دعوته تنتشر ما بين تلمسان وسرت[9].

- إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (...-177هـ/...-793م): المعروف بإدريس الأكبر أو إدريس الأول، الداخل إلى المغرب بعدما فرّ من وقعة فخ[10] مُتنكراً تحت ستار التجارة[1].

---

[1]- يذكره الدرجيني باسم سلامة بن سعيد، ويضيف عبد الرحمن أيوب محقق كتاب السير إلى اسمه الكامل "الحضرمي". أبو زكريا، المصدر السابق، ص 42-هامش رقم11-/ الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاّيْ، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ج1، ص11.

[2]- في الحقيقة أن هذه الشخصية مشكوك في اندراجها ضمن أعلام الدراسة حسب التاريخ المحدد لذلك(سنة140هـ/757م) لأن تاريخ وفاته مجهول، لكن هناك إشارة في معجم أعلام الإباضية أنه كان حيا في سنة 135هـ/752م، ولا نعرف على أي أساس حُدد هذا التاريخ. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، الاستشارة والمراجعة محمد صالح ناصر، عالم المعرفة، الجزائر،ج2، ص189.

[3]- ابن حزم، الجمهرة، ص358.

[4]- الإباضية: من فرق الخوارج، وهم أتباع عبد الله بن إباض، يقولون أن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة براءٌ من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين، ولكنهم كفار، وقد تفرقت الإباضية إلى أربعة فرق. ابن طاهر البغدادي أبي منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية مِنهم- عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها- دار ابن الجوزي، مصر، ط1، 1435هـ/2014م، ص50.

[5]- الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم بين 208-258هـ/823-871م): ثالث الأئمَّة الرستميّين، تلقَّى العلم على يد أبيه عبد الوهَّاب وجدِّه عبد الرحمن وعن غيرهما من مشايخ تاهرت؛ وكان عالما من أكبر علماء زمانه، فقيهاً وشاعراً، وقد تصدَّر صغيرا للتدريس وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها وترك العديد من الرسائل العليمية، له جوابات وفتاوى في النوازل. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، صص60-61.

[6]- الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم: ثاني أئمة الرستميين حكم في فترة(171- 190هـ/787- 805م)، وقد افترقت إباضية المغرب في عهده، بحيث خرج عليه يزيد بن فندين. الباروني أبو ربيع سليمان، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط4، 1434هـ/2013م، ص65.

[7]- عكرمة مولى ابن عباس: يكنى أبا عبد الله، من دعاة المذهب الصفري، قدم المغرب من البصرة، ودخل القيروان. أبو زكريا، المصدر السابق، ص42 - هامش رقم12/ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص11.

[8]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص11.

[9]- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في ليبيا، مكتبة وهبة، القاهرة، دار الثقافة بيروت، ط1، 1384هـ/1964م، ج2، صص29-31.

[10]- معركة فخ: كانت في أيام الخليفة العباسي موسى الهادي(169-170/785-786م) مع الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، يوم سبت، وصادف يوم التروية 8 ذي الحجة سنة 169هـ/785م، واشترك فيها إدريس الذي نجا وفر للمغرب، وكانوا ستة أخوة إدريس وسليمان ومحمد وإبراهيم وعيسى ويحيى/ وفخ: هو موضع فيه قرية على مسيرة ثلاثة أيام من مكة شرفها الله تعالى. صالح بن عبد الحليم الإيلاني، المصدر السابق، ص250/ ابن القاضي أبو العباس أحمد

توجه إدريس برفقة مولاه راشد غربا، فوصلا إلى مصر، وكان إدريس متخفيا في ثياب رثة كأنه مولى لراشد، وراشد سيده خوفاً عليه من الخليفة العباسي الهادي(169-170هـ/786-787م) حتى بلغا بلاد المغرب.

ولما خرجا من القيروان ألبسه راشد مدرعة صوف خشنة وعمامة صوف أيضاً، وصار يأمره، فلم يزل على ذلك حتى وصلا مدينة تلمسان فاستراح بها أياماً، ثم ارتحلا عنها يريدا بلاد طنجة، فلما وصلاها أقاما بها أياماً فلم يجد إدريس بها مراده، فرجع مع مولاه راشد حتى نزلا مدينة وليلي[2].

وقد حلّ إدريس بمدينة وليلي سنة 172هـ/788م، في خلافة هارون الرشيد (170-193هـ/787-809م)[3]، ونزل على صاحبها الأمير إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي[4] المعتزلي، فأقبل عليه وأكرمه وبالغ في بره، فأظهر له إدريس أمره وعرفه بنفسه فوافقه في حاله وأنزله معه في داره، فتولى خدمته، والقيام بشؤونه بنفسه، فأقام عنده ستة أشهر؛ ولما دخل شهر رمضان من سنة 172هـ/788م جمع إخوانه وقبائل أوربة[5] فعرفهم بنسب إدريس وفضله وقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشرفه، وعلمه، ودينه، وكمال الخصال الحميدة، والفضائل المجتمعة فيه.

وبويع بمدينة وليلي يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة 172هـ/788م، وبايعته قبائل البربر بداية من أوربة، ثم زناتة، وزواغة، وزواوة، ولماية، ولواتة، وسدراتة، وغياثة، ونفزة، ومكناسة، وغمارة؛ ولما تمكَّن سلطانه واستقام ملكه قام بفتح المدن البلاد المجاورة، ودانت له قبائل البربر، ودخل مدينة تلمسان صلحاً .

بن محمد المكناسي، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، تحقيق وتعليق محمد بن عزّوز، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1435هـ/2014م، صص34-35/ عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي والدبلوماسي للدولة الإدريسية في عهدي إدريس الأول والثاني، سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة – السنة الرابعة، ع7/6، رمضان 1402هـ/1982م، ص102.

[1]- عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي، ص102.

[2]- وليلي: مدينة متوسطة حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون، وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل. ابن القاضي، المصدر السابق، ص36.

[3]- صالح بن عبد الحليم الإيلاني، مفاخر البربر، ص251.

[4]- الأمير إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي (ت192هـ/708م): زعيم قبيلة، وأحد مؤسسي دولة الأدارسة فهو الذي احتضن إدريس الأول عند قدومه من بلاد المشرق، وكان أحد أعوان وقواد إدريس الثاني الذي قتله كنتيجة للدسائس والتدخلات والاستفزازات الأغلبية. عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السايسي، ص106.

[5]- أوربة: وكانت هذه القبيلة قد نزحت من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى في أعقاب الفتح الإسلامي لهذه الديار، وهم في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب وأكثرها عدداً وأشدها قوة وبأساً وأحدها شوكة. عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي، صص 104-105.

ولما اتصل بهارون الرشيد أن إدريس قد استقام له أمر المغرب وبايعه كافة من به من القبائل، وأنه قد عزم على غزو أفريقية، خاف الرشيد[1] أن يصل إليه لما يعلم من فضله وكمال عقله، ومحبة الناس في أهل بيت النبي - صلى الله علي وسلم[2]، فدسَ إليه هارون الرشيد رجلا لقتله[3]، وقُتل إدريس مسموماً وكانت وفاته في نهاية شهر ربيع الأول، وقام مولاه راشد بغسله وكفنه وصلى عليه ودُفن بصحن رابطة أمام وليلي، ولم يكن له حين وفاته ولد[4]، فكانت إمارته بالمغرب أربعة أعوام وسبعة أشهر.

- راشد مولى إدريس (...-188هـ[5]/...-803م): وهو مولى إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودخل معه بلاد المغرب.

وفد على مصر برفقة إدريس، ومنها اتجها إلى المغرب ودخلا القيروان، ثم حلا بتلمسان فاستراحا بها ليقصدا المغرب الأقصى مدينة طنجة بالضبط، فأقاما بها أياما إلى أن قرر إدريس الاستقرار أخيرا بمدينة بوليلي سنة 172هـ/788م؛ وفي الطريق كان راشد المولى يلعب دور السيد، في حين إدريس كان يقوم بدور مولاه، في عملية تمويهية على العباسيين.

وبعدما تُوفي إدريس حل راشد محله في الإمامة لفترة انتقالية، بحكم الوصاية على إدريس الثاني، وتورد المصادر رد البربر على راشد لما جمعهم وأخبرهم بوفاة إدريس وأنه لم يترك ولدا، وإنما ترك جاريته كنزة حاملا في شهرها السابع[6] فقالو له: "أيها الشيخ المبارك ما لنا رأي إلا ما تراه، فإنك عندنا العوض من إدريس، تقوم بأمرنا كما كان إدريس، وتصلي بنا وتحكم بيننا بما يقتضيه الكتاب والسنة حتى تضع الجارية حملها...على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك"[7].

فقام راشد بأمر البربر، وكان رجلا عالماً، وقعت عليه مهمة الأستاذية – المشيخة- لإدريس الثاني لأنه لم يكن في البربر أعلم منه – بسبب حداثة إسلام المنطقة وقتها- ويذكر ابن القاضي: "وقام بأمره... وكفله وأدبه أحسن أدبه وعلمه القرآن فحفظه، وعلم السنَّة والفقه،

[1]- عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي، صص 104-105.
[2]- ابن القاضي، المصدر السابق، صص35-37.
[3]- صالح بن عبد الحليم الإيلاني، المصدر السابق، ص251.
[4]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص38.
[5]- هناك من يقول أن مقتله كان سنة 186هـ/792م .عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي، ص105. إلا أن تاريخ سنة188هـ/803م هو الأصح إذا كان إدريس قد بويع وعمره إحدى عشر سنة ذلك لوفاة والده سنة 177هـ/793م، إذ ذاك كان إدريس الثاني في بطن أمه ذا سبعة أشهر، كما لم تصرح المصادر بالشهر الذي قتل فيه راشد.
[6]- صالح بن عبد الحليم الإيلاني، المصدر السابق، صص251-252/ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، صص35-39/ عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي، صص103-105.
[7]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص39.

والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها وعرفه بأيام الناس..."[1].

فلما كمل إدريس من السنين إحدى عشرة سنة أخذ له البيعة على قبائل المغرب، وبويع له بجامع مدينة وليلي يوم الجمعة مستهلّ شهر ربيع الأول من 188هـ/803م.

ولما علم إبراهيم بن الأغلب(184-196هـ/800-812م) عامل الرشيد على إفريقية أن راشداً هو الذي قام له بذلك - البيعة- قتل راشدا بأن دسَّ له من يقتلهُ وأغراهم بالمال[2].

- سليمان بن جرير(ق2 هـ/8م): وتُلقبه بعض المصادر بالشمّاخ[3]، من العراق، قاتل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الداخل المغرب.

وهو من أصحاب يحيى بن خالد البرمكي[4] وزير هارون الرشيد، وهو الذي أشار عليه به، ووقع عليه الاختيار بعناية لصعوبة المهمة حيث تصفه المصادر"فبعث إليه رجلا من أهل الحزم والإقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدال والكلام والمكر والدهاء"[5].

وفد على بلاد المغرب في مهمة قاصداً المغرب الأقصى مُقام إدريس، وتذكر المصادر "فاتصل بإدريس وحدثه بأعذب كلام وأفصح لسان، فركن إليه إدريس لما رأى من كيسه وحذقه بالأمور، فأنس به إدريس وسكن إليه وسر به سروراً عظيماً، فكان لا يأكل إلا معه؛ لأنه لم يجد في بلاد المغرب من يأنس به ويستريح إليه غيره، وذلك لجهل أهل المغرب في ذلك الزمان وجفاء طباعهم، فحل منه محلاً جميلاً"[6] فقد كان يجب أن يكون الرجل عالما ليُجالس إدريس ويتمكن من قلبه، ويكسب ثقته.

انتهز الشمّاخ فرصة غياب راشد، وأهدى للإمام إدريس قارورة عطر مسمومة[7] "فقال له: يا سيدي جعلت فداك إني جئت من المشرق بقارورة طيب، فرأيت أن الإمام أولى بها مني،

---

[1]- جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص39.
[2]- نفسه، ص35-39/ عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي، ص106.
[3]- يضيف الطبري "اليمامي مولى المهدي". الضَّعيفُ والمسْكوتُ عنه تاريخ الطبري- الخلافة في عهد العبَّاسيين (147-193هـ/764-808م)، حققه وخرَّج رواياته وعلق عليه محمد بن طاهر البرزنجي، بإشراف ومراجعة المحقق محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م، ج11، ص148/ صالح بن عبد الحليم الإيلاني، المصدر السابق، ص251.
[4]- يحيى بن خالد البرمكي(120-190هـ/738-805م): يكنى أبا الفضل، سيد بني برمك، مؤدب الرشيد ومعلمه ومربيه، وعلا شأنه وشأن البرامكة بولاية هارون الرشيد الخلافة إلى أن كانت نكبة البرامكة، ومات أبو الفضل مسجونا. الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص144.
[5]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص22/ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص37.
[6]- ابن القاضي ، المصدر السابق، ص37.
[7]- وقيل سمه في حوت من الشابل، وقيل في غير ذلك، وينظر الطبري، ج11، ص148/ ابن القاضي، المصدر السابق، صص37- 38.

فخذها لتتطيب بها، فقد آثرتك بها على نفسي، فشكره إدريس على ذلك ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها..."[1]، فمات إدريس.

وفر بعد ذلك الشمّاخ من المغرب متجها نحو المشرق بعد تنفيذ مهمته، وقد لحق به راشد "وشدَّ عليه بالسيف فعطل يدهُ اليمنى وشجَّهُ في رأسه ثلاث شجَّات، وجرحه في جسده، كل ذلك لا يجد له مقتلاً، وكبى جواد راشد وأفلت سليمان بن جرير جرياً وهو مثخن بالجراح"[2].

عاد الشماخ إلى العراق بعد نجاح المهمة، "فحدَّث بعض الناس أنه رآه ببغداد مبطولة يده اليمنى وبرأسه وجسده أثر جراحات قد برأت"[3]؛ ويُجهل تاريخ وفاته.

- شعيب بن المعروف[4] الأزدي (ق2هـ/8م): من علماء إباضية مصر، وفد على بلاد المغرب؛ وانطلق في رحلته من مصر إلى البصرة لتلقي العلم على يد أبي عبيدة بن أبي مسلم بن أبي كريمة التميمي[5] وغيره من علماء المذهب فيها، ثم عاد إلى مصر ليتوجه منها إلى بلاد المغرب قاصداً مدينة تاهرت، يقول رجب محمد عبد الحليم: "ثم رحل إلى تاهرت عقب وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم[6] في عام 168هـ/784م"[7].

وعليه فإن تاريخ 168هـ/784م يمثل انطلاقة لرحلته غربا وليس تاريخ تواجده بمدينة تاهرت؛ لأنه من المُستبعد أن يُخطأ المؤرخ في تاريخ وفاة الإمام الأول عبد الرحمن بن رستم - وهو ما توهمنا به في البداية-، وبذلك يكون شعيب بن المعروف وفد على المدينة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وذلك ما يُؤكده أبو زكريا في كتاب السيرة، في حين يُجهل مصيره.

---

[1]- نفسه، ص37.

[2]- نفسه، ص38.

[3]- نفسه، ص38.

[4]- يذكره أبو زكريا باسم شُعيب بن المعرف، وقد كان له رأي في الخلاف الذي حصل بعد وفاة عبد الرحمن وخروج ابن فندين على عبد الوهاب، والمحقق يشكك في أنه شعيب بن عثمان حيث قال: "لعلّه شعيب بن عثمان الذي كان من قادة عبد الرحمن بن حبيب عند دخوله قابس وقد توفي سنة 132هـ/749م" لكن هذا قول مستبعد فقد وفد شعيب هذا على بلاد المغرب بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم، وقد استشاره الرسولان اللذان ذهبا للمشرق للاستفسار حول شرعية إمامة عبد الوهاب-إمامة شرط- بمصر، وكان رأيه في الأول بصحة الإمامة ثم أنكرها بعد قدومه وربما طمعا فيها. أبو زكريا، المصدر السابق، صص93-95، وينظر ص93 هامش رقم10.

[5]- مسلم ابن أبي كريمة(توفي نحو145هـ/ 762م): مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء، البصري، يكنى أبا عبيدة، ويُقال له القفاف، فقيه من علماء الإباضية، أخذ المذهب عن جابر بن زيد، ثم صار مرجع فيه تشد إليه الرحال، وكان أعور. الزركلي، المرجع السابق، ج7، صص222-223.

[6]- وفاة عبد الرحمن بن رستم سنة 171هـ/787م. محمد بن موسى بابا عمي وآرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص246.

[7]- رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1437هـ/2016م، صص189-190.

- بشر بن غانم(ق2هـ/8-9م): يُكنى أبا غانم، وأصله من خُراسان[1]، عاش هذا العالم الإباضي في البصرة[2]، ومنها توجه إلى بلاد المغرب[3]؛ فزار جبل نفوسة وتاهرت على عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم؛ وهو صاحب المدونة على المذهب الإباضي المعروفة "بالغانميَّة"، وعدتها اثنا عشر كتابا[4].

- مجهول(ق2هـ/8-9م): لم تُسعفنا المصادر بذكر اسمه، من علماء إباضية البصرة، وفد على المغرب فزار جبل نفوسة، ثم تاهرت على عهد الإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم[5].

وربما يكون نفسه الرجل المشرقي الذي وردت الإشارة إليه عند الدرجيني[6]؛ بحيث يقول: "وبلغنا أن رجلا من أصحابنا من أهل المشرق أقبل من بلاده يريد زيارة أهل الدعوة بالمغرب، فاجتاز بجبل نفوسة، فتصفح أحوال أهل الجبل واختبر كل من يَأوِيه إليه منهم، ثم توجه إلى الإمام بتاهرت..."[7].

- يحيى بن ماسويه(ت243هـ/857م): ويقال يُوحنا بن ماسويه، مسيحي المذهب، سريانيا، ولد بجنديسابور[8]، وكان طبيبا ماهرا.

تعلّم الطبّ على جبريل بن بختشوع[9]، وكان من تلاميذه حنين بن إسحاق[10]، بدأ ممارسته للطبّ تحت خلافة هارون الرشيد، وقد ساهم في ترجمة الكتب اليونانيّة.

---

[1]- الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله، سير الوسياني، دراسة وتحقيق عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ/2009م، ج1، ص233/ الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير- الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس/11م، تحقيق ودراسة محمد حسن، أوربيس للطباعة، تونس، نوفمبر 1995م، صص151-152.

[2]- أحمد بن سعود السيابي، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1435هـ/2014م، ص35.

[3]- رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب، ص191.

[4]- الوسياني،السير ، المصدر السابق، صص233-235/ جميل بن خلفان بن هويشل الغافري، أبو غانم الخراساني ومنهجه الفقهي من خلال كتابه المدونة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في الشريعة الإسلامية، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2002هـ/2003م، صص12-13/ بحّاز إبراهيم، الدَّولة الرستمية، ص396.

[5]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص190.

[6]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، صص293-294.

[7]- نفسه، صص293-294.

[8]- جنديسابور: مدينة بخوزستان، بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه؛ وهي مدينة خصبة واسعة الخير فتحت أيام عمر بن الخطاب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، صص170-171.

[9]- جبريل بن بختشيوع(ت213هـ/828م): رئيس الأطباء في بغداد، كان طبيب يحي بن جعفر البرمكي ثم صار طبيب هارون الرشيد وابنيه الأمين والمأمون؛ من مؤلفاته الروضة الأنيقة ومسالك الأبصار. ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ/1985م، ص64 وهامش رقم 20-21.

[10]- حنين بن إسحاق(260هـ/873م): نصراني، شيخ الأطباء بالعراق، ومُعرّب الكتب اليونانية، ومؤلف الرسائل المشهورة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وحقق هذا الجزء شعيب الأرناؤوط وصالح السمر، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط2، 1402هـ/1982م، ج12، ص492.

قدم القيروان في صحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي[1] في حدود سنة 155هـ/772م فيكون أوّل طبيب مشرقي مشهور يظهر بالقيروان.

وقد ورد في كتاب معالم الإيمان في ترجمة القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري[2] أن يوحنا المتطبب[3] كان حاضرا على مائدة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي مع القاضي عبد الرحمن أنْعُم وذلك بالقيروان[4].

- أحمد بن عبد الله بن صالح (182-261هـ/798-874م): يُكنى أبا الحسن، ويُعرف بالعِجْلي، من الكوفة، إمام وحافظ، قَدِم على المغرب ونزل أطَرَابُلُس الغرب واستقر بها.

سمع أباه، وروى عن حسين بن علي الجُعْفي[5] وشَبَّابة[6] وطبقتهما.

وهو صاحب التاريخ، والجَرْح والتَّعْديل؛ وحدث عنه ولده صالح بمصنفه في"الجرح والتعديل"[7]؛ وذكره السيوطي في الطبقة التاسعة من الحفاظ[8].

- الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا(...- 298هــ/...- 910م): يُكنى أبا عبد الله، ويُعرف بالشيعي[9]، ويعرف بصاحب البذر، والإيكجاني[10] القائم بدعوة العبيديين بالمغرب؛ من أهل

---

[1]- يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب(ت170هـ/786م): أبو خالد، أصله من العراق، من ولاة بني العباس على إفريقية، وقد كان من خواص أبي جعفر المنصور، وتولى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب منها أرمينية والسند ومصر وأذربيجان، ولي مصر سنة 144هـ/761م، ولما ولاه أبو جعفر المنصور المغرب شيعه حتى فلسطين، ودخل القيروان بعد حروب سنة 155هـ/ 771م، وبنى المسجد الأعظم بالقيروان سنة 157هـ/773م، وكان متقدم في علم الخاصة والعامة، قدم إفريقية فأزال الفساد منها، وأصلحها ورتّب القيروان في أسواقها وجعل كل صناعة في مكانها. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب- قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري، تحقيق المنجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1426هـ/2005م، صص181-195.

[2]- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري(94 أو 95-161هـ/712 أو 713-777م): أبو خالد، أول مولود ولد في الإسلام بعد فتح افريقية، ولد ببرقة، كان من جملة المُحدثين والعلماء المتقدمين ذا ورع وزهد، مع تفننه في علم العربية والشعر، يروي عن جماعة من التابعين، ولي قضاء القيروان مرتين، وعزل نفسه عن القضاء في إمارة يزيد بن حاتم. الدباغ، المصدر السابق، ج1، صص230-237.

[3]- في حين سماه الرقيق القيرواني "يحي الطبيب" لما ذكر نفس المجلس. تاريخ إفريقية والمغرب، ص202.

[4]- ابن الجزار، كتاب في طبّ المشائخ وحفظ صحَّتهم، تحقيق فاروق عمر العسلي، الراضي الجازي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، طبعة خاصة بمناسبة احتفالات القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية، سنة 2009م، صص17-18/ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص237.

[5]- الحسين بن علي بن الوليد الجُعْفِي مولاهم الكوفي المقرئ الزاهد (ت203هـ/ 818م): محدث مشهور، وروى عنه جماعة، ويذكر الصفدي "قال أحمد بن حنبل: ما رَأَيتُ أفضلَ منه". الصفدي، المصدر السابق، ج12، ص14.

[6]- شَبَّابة بن سَوَّار الفزاري(ت206هـ/821م): أبو عمرو، أصله من خراسان، سكن المدائن وأقام مدة ببغداد، وتوفي بمكة، من رجال الحديث ، ثقة أخذ عن ابن حنبل. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص154.

[7]- الذهبي، العبر، ج1، ص374.

[8]- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م،-الطبقة التاسعة-، ص246.

[9]- الشِّيعي- بكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة – هذه النسبة إلى من يتولى شيعة الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص193.

[10]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص92.

صنعاء اليمن[1]، قدم المغرب بصفة داع للمذهب الشيعي[2] حتى نجح في تأسيس دولة وإقامة خلافة عبيدية على أرض المغرب.

خرج إلى مكة فصادف بها جماعة من كتامة، ممن حج تلك السنة، وكان منهم من تقدم له شيء من التَشيُّع، فصاحبهم حتى أنزلوه قلعة إيكجان[3] بنظر ميلة من بلاد كتامة[4].

ولقد مهَد القواعد للمهدي عبيد الله، ووطَّد لَه البلاد فأقبل المهدي من المشرق وتوجه إلى سجلماسة، فأحس به صاحبها اليسع بن مدرار[5]، فأمسكه واعتقله، ومضى إليه أبو عبد الله وأخرجه من الاعتقال وفوض إليه أمر المملكة.

قيل عنه: "وكان من الرجال الدُهاة الخَبيرين بما يصنعون، فإنه دخل إفريقية وحيداً بلا مال ولا رجال، ولم يزل يسعى إلى أن ملكها، وهرب ملكها أبو مضر زيادة الله"[6].

قتله[7] المهدي عبيد الله هو وأخوه في ساعة واحدة، في 15جمادى الآخرة بمدينة رَقّادَة[8] بين القصرين[9].

- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي: (...-حوالي 320هـ/...-932م): يُكنى أبا يعقوب، من مصر، امتهن الكحالة[10] في أوليته، ثم مارس الطب، واشتهر به، قدم المغرب وسكن

---

[1]- ويلقبه الدرجيني بالكوفي؛ والإيكجاني نسبة إلى قلعة إيكجان بميلة من بلاد كتامة. نفسه، ج1، ص92.

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص192.

[3]- قلعة إيكجان: تقع شمالي بلزمة بين سطيف وميلة وتضم عدة مراكز عمرانية ريفية تقيم فيا مُختلف بطون كتامة وتبعد عن رقادة بمسافة عشرة أيام. فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365/909-975م)-التاريخ السّياسي والمؤسّسات- نقل إلى العربية حَمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ص87.

[4]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، صص92-93.

[5]- اليسع بن مدرار(207 -296هـ/ 822-908م): واسمه الكامل اليسع بن ميمون بن مِدْرار بن اليَسَع بن سمغون بن مدلال المكناسي تولى الحكم وتلقب بالـمُنتصر، وهو آخر ملوك بني مدرار في سجلماسة، حيث ألقى القبض على أبو عبد الله المهدي وسجنه فتوجه إليه الداعي عبيد الله الشيعي في عسكر من كتامة ففر اليسع بن مدرار ثم قبض عليه وقُتل، وبذلك انقرضت دولة بني مدرار بسجلماسة. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، صص157-158.

[6]- زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب- وهو زيادة الله الثالث(290-296هـ/ 902-908م): يُكنى أبا مضر، تولى إفريقية في خلافة المقتدر بالله، وهو آخر ملوك الأغالبة بالمغرب، استولى على الملك بعد قتل أبيه، عرف بسوء سيرته حيث أهمل الملك وأحوال الرعية وانهمك في الشرب واللهو، وقتل من بيت الأغالبة عدد كبير، وفي عهده استفحل أمر أبي عبد الله الشيعي القائم بدعوة الشيعة الإسماعيلية في المغرب الذي انهزمت جيوش الأغالبة أمامه، ففرَّ زيادة الله بأمواله وأهله نحو المشرق ومات بالرملة ودفن بها، وبذلك زالت دولة الأغالبة في المغرب. ابن وردان، المصدر السابق، صص62-64.

[7]- ويذكر ابن خلكان سبب قتلهما: "اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد، وكان هو الأكبر، أعني أحمد، ونَدَّمه على ما فعل، وقال له تكون أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى في جملة الأتباع، وكرر عليه القول، فندم أبو عبد الله الشيعي على ما صنع وأضمر الغدر، واستشعر منه المهديُّ فدسَّ عليهما من قتلهما". وفيات الأعيان، المصدر السابق، ص192.

[8]- رَقّادَةُ: بفتح الراء وتشديد القاف وبعد الألف دال مهملة وبعد الدال هاء ساكنة – مدينة من أعمال القَيرَوان من بلاد إفريقية، بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، وكان شروعه في بنائها في سنة 263هـ/876م. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص193؛ ج3، ص119.

[9]- نفسه، ج2، ص192.

[10] - الكحالة: اسمٌ يطلقه المسلمون على طب العيون، وكانوا يُسمون الأطباء المشتغلين به الكحَّالين. راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م، ص61.

[11] - ابن جلجل، المصدر السابق، ص87.



ومؤلفاته كثيرة حتى قيل بأن "له تواليف لم يسبقه أحد إلى مثل بعضها"[1]، منها كتاب في البول، وكتاب في الحميات، وكتاب في الغذاء والدواء؛ وله في الفلسفة بستان الحكمة، وكتاب في الحدود، وكتاب في المنطق.

قال عنه ابن جلجل: "وكان طبيبا لسنا عالما بتقاسيم الكلام، وتفريغ المعاني"[2]؛ وعاش مائة سنة ونيفا، ولم يتخذ امرأة ولا أعقب ولدا[3].

- عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4] (259 أو 260 أو 266- 322هـ/872- 873 أو 879-933م): يُكنى أبا محمد، ويُلقب المهدي، أول الخلفاء العبيديين ببلاد المغرب، ولأجل نسبتهم إليه يقال لهم: "العُبَيْدِيون"، ولد في بمدينة سلمية[5]، وقيل بالكوفة.

دخل المغرب، وتوجه إلى سجلماسة وظهر بها يوم الأحد 8 ذي الحجة 296هـ /908م وفيها سجن إلى أن أنقذه أبو عبد الله الشيعي، ودُعي له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة 21 ربيع الثاني297هـ /909م؛ وبذلك خرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس، وبنى المهدية في سنة 308هـ/ 920م فنسبت إليه؛ وتوفي ليلة الثلاثاء 15 ربيع الأول بالمهدية[6].

- محمد بن المهدي عبيد الله (280 أو 282 أو287- 334هـ/ 393 أو 895 أو 900-945م): يُكنى أبا القاسم محمد، ويُدعى نزار، ويُلقب بالقائم، ولد في مدينة سلمية، واستصحبه والده معه عند توجهه إلى بلاد المغرب سنة 296هـ /908م .

---

[1]- نفسه، ص87.

[2]- نفسه، ص87.

[3]- نفسه، ص87.

[4]- يقول ابن خلكان: "وجدت في نسبه اختلافً كثيراً ...قيل هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، وقيل هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل هو عبيد الله بن التقي بن الوفي بن الرضي، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله، والرضي المذكور ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور، واسم التقي الحسين، واسم الوفي أحمد، واسم الرضي عبد الله، هذا عند من يصحح نسبه، ففيه اختلاف كثير. وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواهم في النسب؛ ويقولون أيضاً: إن اسمه سعيد ولقبه عبيد الله، وزوج أُمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وسمي قداحاً لأنه كان كَحَّالاً يقدح العين إذا نزل فيها الماء"؛ ويقول الدرجيني: "الإمام القائم بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب". الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص92/ وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج3، صص117-118.

[5]- سَلَمِيَّة: بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وتخفيفها أيضا مع سكون الميم، وهي بُليدة بالشام من أعمال حمص. ابن خلكان، المصدر السابق ج3، ص119.

[6]- نفسه، ج3، صص117-119.



غزا مصر مرتين في ولاية أبيه: المرة الأولى في 18 من ذي الحجة سنة 301هـ/913م، فوصل إلى الإسكندرية والفيوم؛ والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة 307هـ/919م.

بايع له أبوه بولاية العهد في حياته بإفريقية وما معها، وكانت الكتب تكتب باسمه، والمظلة تحمل على رأسه، ولما توفي أبوه في سنة 322هـ/ 933م جُدِّدَت له البيعة، وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي[1]؛ وتوفي القائم يوم الأحد 13 شوال بالمهدية[2].

- محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان (381-466هـ/991-1073م): يُكنى أبا بكر، ويُعرف بالمقرئ[3]- وقيل ابن المقرئ-، وفد على بلاد المغرب، من أصبهان[4]، وهو من أجَلِّ عُلماء الحديث، ثقة مأمون.

أخذ عن: أبي يَعْلى[5] وعَبدان[6]؛ وسمع منه: أبو الشيخ[7] وابن مردويه[8] وأبو نُعيم[9] وغيرهم؛ من مؤلفاته: "المعجم الكبير" و"مسند أبي حنيفة" و" الأربعين".

---

[1]- مخلد بن كيداد الخارجي(ت336هـ/947م): يُكنى أبا يزيد، وتُلقبه المصادر الشيعية بالدجَّال وصاحب الحمار -لأنه كان يركب حماراً أشهب-، وهو من الإباضية ثار على القائم، وملك جميع مدن القيروان ولم يبق بيد العبيديين غير المهدية، واستمرت ثورته طويلا حتى مات القائم وهو محاصر، ثم حاربه المنصور خليفة القائم إلى أن هزمه. الداعي إدريس عماد الدين بن الحسن القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار- تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب، بيروت، ط1، 1985م، صص264-451.

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، صص19-20.

[3]- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1427-1428هـ/2007م، ج6، ص59.

[4]- أصبهان: اسم إقليم كبير مشهور، كانت مدينتان: في البداية جَيًّا ثم صارت اليهودية، ذلك أن مدينة أصبهان كانت في الموضع المعروف بجيّ، ولما أنزل فيها بختنصر يهود بيت المقدس بنو اليهودية؛ ومساحة أصبهان ثمانين فرسخا، وفيها ستة عشر رستاقاً، وكل رستاق ثلاثمائة وستون قرية قديمة سوى المُحدثة، ويعرف نهرها بزندروذغاية، بداية فتحها وفتح رساتيقها في عهد عمر بن الخطاب من سنة 19هـ/640م إلى 24هـ/644م، ومن أصبهان علماء وأئمة كبار خاصة في علم الحديث، فقد اشتهروا بعلو الإسناد لأن أعمار أهلها تطول. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، صص206-210.

[5]- محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفرّاء (ت527هـ/1132م): أبو خازم بن أبي يعلى الحنبلي، فقيه ومحدث من آثاره: التبصرة في الخلاف ورؤوس الأموال وشرح كتاب الخرقي. الصفدي، المصدر السابق، ج1، ص136.

[6]- عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد ميمون الأزدي العتكي (ت221هـ/836م): أبو عبد الرحمن العتكي المروزي، عبدان أخو عبد العزيز شاذان، وهما سبطا عبد العزيز بن أبي رَوّاد، روى عن عبد الله البخاري، وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن رجل عنه، وجماعة كثيرون، وكان ثقة إماما. الصفدي، المصدر السابق، ج17، صص169-170.

[7]- عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (274- 369هـ/887-979م): أبو محمد الإصبهاني الحافظ أبو الشيخ، عالم محدث، صاحب التصانيف، سمع بالبصرة وبغداد وبمكة والموصل والريّ، وكان حافظاً عارفاً بالرجال والأبواب، صنف تاريخ بلده والتأريخ على السنين وكتاب السنة وكتاب العَظَمة وكتاب ثواب الأعمال وكتاب السنن، وروى عنه جماعة. الصفدي، المصدر السابق، ج17، صص262-263.

[8]- أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني (323-410هـ/935-1019م): أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير، حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان، له كتاب التاريخ وكتاب في تفسير القرآن ومسند ومستخرج في الحديث. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص261.

[9]- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهْران سبط محمد بن موسى البَنَّاء (330-430هـ/941-1038م): يكنى أبا نعيم، ولد ومات في أصبهان، الحافظ المشهور، من الثقات في الحفظ والرواية، ومؤرخ، صاحب التصانيف، منها حلية الأولياء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص210.

وقال عن نفسه: "طفت المشرق والمغرب أربع مرات، ومشيت لنسخة مفضل بن فضالة[1] سبعين مرحلة، ولو عرضت على خباز برغيف لم يقبلها"[2]؛ ومات في شوال من السنة المذكورة عن ست وتسعين سنة[3].

- **ابن الجمع (ق4هـ/10م):** ويقال ابن الجمعي أيضا، قَدم هذا العالم الإباضي إلى مصر، ومنها رحل إلى بلاد المغرب الأدنى حيث زار توزر[4] ببلاد الجريد، فالمغرب الأوسط، ثم الأقصى أين استقر بمدينة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى وبها توفي[5]، يقول الدرجيني: "وكان ابن الجمعي رجلا من أهل الحيل والنظر، نحريرا..."[6].

- **أسامة بن مُرْشد بن علي بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنقِذ الكناني الكلبي الشَّيْزَري: (488-584هـ/1095-1188م):** أبو المظفر، الملقب بـ"مؤيد الدولة" مجد الدين، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شَيْزَر[7] وعلمائهم وشجعانهم، ولد يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بقلعة شَيْزَرَ[8]؛ مشرقي أوفده صلاح الدين الأيوبي في سفارة إلى المغرب على عهد المنصور الموحدي.

نقل ابن خلكان عن العماد قوله: "سكن دمشق ثم انتقل إلى مصر فبقي بها مُؤمَّراً مشاراً إليه بالتعظيم إلى أيام الصالح بن رُزِّيك[9] ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق، ثم رماه الزمان إلى

---

[1]- المُفَضَّل بن فضالة بن عبيد (107-181هـ/725-797م): أبو معاوية الحميري القتباني المصري، من حفاظ الحديث، ولي قضاء مصر مرتين. الزركلي، الأعلام، ج7، صص279-280.

[2]- السيوطي، طبقات الحفاظ، ص388.

[3]- نفسه، ص388.

[4]- توزر: من بلاد قسطيلية وأم مدنها، وتوزر مدينة كبيرة حصينة عليها سور مبني بالحجر، ولها أربعة أبواب، وحولها أرباض واسعة آهلة، وأسواقها كثيرة، وبينها وبين نفزاوة مرحلة. البكري، المسالك والممالك، ج2، صص708-709.

[5] - رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص192.

[6]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص109.

[7]- شَيْزَرُ: بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي مفتوحة ثم راء، قلعة بالقرب من حماة وهي معروفة بهم، أول من ملك قلعة شيزَر من بني منقذ هو علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، أبو الحسن، الملقب سديد الملك، كان نازلاً مجاورا القلعة بالقرب من الجسر المعروف اليوم بجسر بني منقذ، وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها، فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة 474هـ/1081م؛ وكانت وفاته في سنة 475هـ/1082م، ويعد سديد الملك مؤسس الدولة المنقذية بشيزر التي انتهى حكمها بزلزال قضى على كل بني منقذ ومدينة شيزر سنة 552هـ/1157م.أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتى.د.ف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1930م، صص ح،خ/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص199/نفسه، ج3، صص409-410.

[8]- نفسه، ج3، صص195-199.

[9]- الصالح بن رُزِّيك:(ت556هـ/1160م) يُكنى أبا الغارات، ويعرف أيضاً بطلائع بن رزيك الأرمني، وزير الفائز الفاطمي لمدة سبع سنين، تلقب بالملك الصالح سنة 549هـ/1154م-لأنه كان المُدبر في حكم الفائز، وكان شاعراً وأديباً كاتباً، مُحبا لجمع المال، مائلاً إلى المغالاة في مذهب الرفض، ومات مقتولا. ابن تغري بردي جمال الدين أبي الحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ/1992م، ج5، صص298-299، وص342.

حصن كيفا[1]، فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى دمشق، فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين"[2].

والتقى بالعماد صاحب الخريدة حيث يذكر ابن خلكان قول العماد: "وكنت أتمنى أبداً لقياه وأشيمُ على البعد حَيَاه حتى لقيته في صفر سنة إحدى وسبعين"[3].

وله تصانيف عديدة في فنون الأدب منها كتاب الاعتبار[4] ولباب الآداب والمنازل والديار، وأزهار الأنهار والبديع في علم البلاغة- مجلد- والتجاير المريحة والمساعي المنجحة[5].

قال ابن خلكان: "وله ديوان شعر في جزأين موجود في أيدي الناس، ورأيته بخطه ونقلت منه قوله: (الكامل)

لا تَستعرْ جَلَداً علَى هُجْرَانِهِمْ * فقواكَ تَضْعُفُ عِنْدَ صُدُودٍ دائـمِ

واعْلَم بأنكَ إنْ رَجَعَتَ إليهـمُ * طوعًا وإلا عُدْت عَوْدَة رَاغـمِ"[6].

وتوفي ليلة الثلاثاء 23 من شهر رمضان بدمشق؛ ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون[7]؛ يقول صاحب الوفيات: "ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي، وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه"[8].

- **عبد الكريم(ق6هـ/12م):** ولا يُعرف اسمه الكامل، وفد على المغرب بصفة رسول، أوفده السلطان صلاح الدين الأيوبي على أبي يعقوب المنصور الموحدي سلطان المغرب[9].

- **عبد الرحمن بن يحيى بن الحسين بن محمد القرشي الأموي (ق6هـ/12م):** يكنى أبا القاسم، من العلماء المشارقة الذين وفدوا على المغرب، وقد نزل على بجاية، وكان من أهل

1- حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص265.

2- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص196.

3- الموافق لـ 1157م/ نفسه، ج1، ص199.

4- يمثل الاعتبار جانبا من سيرة حياته - مذكراته- وهوعبارة عن أبواب يفتتح الباب الأول منه بالحروب والأسفار، ويرصد فيه رحلاته وحوادث عصره. أسامة بن منقذ، المصدر السابق، صص د-ي؛ صص1-2.

5- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج5، ص162.

6- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص196.

7- قَاسِيُونُ: وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق، وهو جبل مقدّس يُرْوَى فيه آثار للصالحين، وفيه عدة مغاور، وفيه آثار الأنبياء وكهوف، وفيه فسحة مقبرة أهل الصلاح. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، صص295-296.

8- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، صص 199.

9- سليمان داود بن يوسف، الحضارة الإسلامية بصقلية وأثرها في الداخل والخارج - حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، د.ت، ص42.

المعرفة والذكاء والعدالة، والتقى ببجاية بالمحدث عبد الحق البجائي الإشبيلي[1]، المعروف بسعة علمه في مدينة بجاية في شتى صنوف العلم[2].

- **محمود بن أبي القاسم الفارسي (7هـ/13م):** يكنى أبا المعالي، ويلقب شمس الدين، من بلاد خراسان، شافعي المذهب.

ذكره ابن الأبار ضمن الغرباء الداخلين بلاد الأندلس[3]، إلا أن ابن عبد الملك نفى كل ذلك وصرح بأنه لم يرِد الأندلس، وحتى بلاد المغرب اكتفى من تونس، في قوله: "دخل تونس وهي أقصى أثره من بلاد المغرب، ومنها كر قافلا إلى بلاده"[4].

وكانت وفادته إلى بلاد المغرب على محمد الناصر من بني عبد المومن(596-610هـ/1199-1213م) بإفريقية وقد حظي عنده وأجزل صلته.

يقول صاحب الذيل في وصفه: "كان أبو المعالي هذا فقيها، شافعي المذهب، نظارا فيه قوي الانتصار له، راسخ القدم في التحقق به، متقدما في الكلام فصيحا في المناظرة، سديد العبارة عن أغراضها، ذا حظ صالح من الأدب، ناظما ناثرا حسن المحاضرة، طيب المحادثة، آلفا مألوفا"[5].

- **أبو زكريا المرجاني (ق7هـ/13م):** من بلاد الموصل، سائح مشرقي دخل المغرب، أشار الغبريني إلى وفادته على بجاية بقوله: "ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العابد الزاهد الورع الناسك المكاشف ... أحد الأتقياء الأبرار ممن اختصه بالله بخالصة ذكر الدار"[6].

عاد إلى المشرق فدخل الموصل يوم وفاة أبيه؛ قال صاحب عنوان الدراية: "وحكي أن في يوم وصوله إلى بلده وصل والناس منصرفون عن قبر أبيه، وكان له مال جليل فطلبه إخوته بالحضور معهم لقسم الميراث فقال لهم: إني أحب أن لا أرث ولا أَورث والنبي (صلى الله علي

---

[1]- عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي (514-581هـ/1120-1185م): أبو محمد، المعروف بابن الخراط، الأندلسي الاشبيلي، إمام علامة مُحدث، سكن بجاية وولي بها الخطابة، وصنف التصانيف: الأحكام الكبرى، الأحكام الوسطى، الأحكام الصغرى، والمعتل من الحديث، ومات ممتحناً ببجاية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، صص198-199.

[2]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص305.

[3]- ابن الأبار القُضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهرّاس، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج2، ص203.

[4]- ابن عبد الملك أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ج8، السفر2، ص368.

[5]- نفسه، ج2، القسم 2، صص368-372.

[6]- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007م، صص82-83.

وسلّم) يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[1]، وسلّم لهم الميراث وانفصل في سياحته، واستمر على عبادته إلى أن مات"[2].

- أبو العباس الجدلي الشريف(ق7هـ/13م): فقيه ومحدث؛ من أهل أصبهان، وفد على بلاد المغرب بعدما طاف في بلاد المشرق والصين والهند والعراقين العربي والعجمي وبلاد الدروب.

ودخل المغرب فوصل إلى إفريقية في خلافة المستنصر بالله[3]؛ ثم انفصل من إفريقية وورد على بجاية وأقام بها مدة ثم رحل إلى المغرب، ودخل سبتة ومنها ذهب إلى درعة.

قال عنه الغبريني: "وكان عالماً بجدل العميد[4]، محكماً له، باحثاً عن طريقته، وقفت من تقييده في أصول الدين على مقال محكم الإيرادِ، غرٍ عن الانتقاد رحمه الله تعالى"[5].

وتوفي بالمغرب[6] باعتبار أن آخر المدن التي تواجد بها تقع بالمغرب الأقصى.

- تقي الدين (ق7هـ/13م): وتقي الدين لقبه ولا يعرف اسمه، رحالة موصلي، قدم المشرق ووصل إلى بجاية في مدة الشيخ أبي الحسن الحرالي[7] رضي الله عنه، وأقام بها مدة ثم رحل إلى المغرب.

---

[1]- لم يرد هذا الحديث بنفس اللفظ في صحيح مسلم (مع تطابق في المعنى) في كتاب الجهاد والسير(32)/ باب(16) قول النبي صلى الله علي وسلم: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»: في هذا الباب أورد مسلم عدة أحاديث في نفس المعنى وألفاظ مختلفة من رقم 1758-1761 وعن طريق رواة عدة، ولم يرد اللفظ المذكور في المتن؛ نورد الحديث الأول تحت رقم 1758 من صحيح مسلم بسنده: "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا قَالَتْ: إنّ أَزْوَاجَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم، حِينَ تُوُفّيَ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَيَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنّ مِنَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ عَائِشَةُ لَهُنّ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»" وفي الهامش مكتوب: "هذا الحديث له تتمةٌ في هذه الرواية، وهي: «إنما يأكل آل محمد في هذا المال»". صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير(رقم32)/ باب 16، صص841-843 / وهامش رقم1ص841.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص83.

[3]- المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1276م): أبو عبد الله محمد بن ابن أبي زكريا يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص، تولى الحكم بعد وفاة والده وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، بويع أولا ببونة ثم بتونس، وتسمى في أول أمره بالأمير فقط ثم تلقب بأمير المؤمنين المستنصر في سنة 665هـ/1266م بعدما بايعه أهل مكة، ثم الشام والأندلس، وقرب إليه العلماء والأدباء، ثار عليه ابن عمه في تونس سنة 648هـ/1250م، وتوفي بداره في تونس. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، صص32-40.

[4]- جدل العميد: وهو أحد طرق علم الجدل، أو الطريقة الثانية لعلم الجدل حيث تسمى الطريقة الأولى طريقة البزدوي- خاصة بالأدلة الشرعية والإجماع والاستدلال – والثانية هي الجدل العميدي، ويسمى بجدل العميد نسبة إلى ركن الدين العميدي، وهذه الطريقة عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان، والعميدي هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه ووضع كتابه المسمى بالإرشاد مختصراً وتبعه من بعده المتأخرين فكثرت في الطريقة التآليف. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص457.

[5]- الغبريني، المصدر السابق، صص84-85.

[6]- نفسه، صص84-85.

[7]- أبو الحسن الحَرَالِّي(ت 683هـ/1241م): علي بن أحمد بن الحسن التجيبي، مُفسرٌ، من علماء المغرب، أصله من حرالة من أعمال مرسية، ولد ونشأ في مراكش، رحل إلى المشرق وتصوف، ثم استوطن بجاية، وعاد للمشرق، فأخرج من مصر، وتوفي بحماة ، وله كتاب مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل في التفسير؛ والمعقولات الأول في المنطق، والوافي في الفرائض...وغيرها. الزركلي، المرجع السابق، صص256-257.

وكان قد طاف بلاد المشرق جميعها، ودخل أقاليم النصارى والمجوس من الترك والطرر- التتار- والسودان[1]؛ حتى قيل: "سُخّرت له أقاليم الدنيا، لم يبق عليه من الأقاليم إقليم إلا سلكه، وكان يحدث عن غرائب وعجائب"[2].

ويذكر الغبريني ما جرى له مع ملك صقلية عند وفادته عليه حيث يقول: "ومن جملة الأقاليم التي دخلها إقليم صقلية في مدة الأنبرور؛ فعرف الأنبرور به وعرف عنه وسأل حضوره بمجلسه فحضر، فقال له الأقساء: تقع المناظرة بيننا وبينك في أمر محمد وعيسى عليهما السلام، فقال للملك: هذا يكون بشرط إن قبلتموه ناظرتكم وإلا فلا، قالوا: وما الشرط؟ قال: أن لا تتعصبوا أنتم لعيسى ولا أتعصب أنا لمحمد، وإنما نسقط التعصب من بيننا ونبحث طالبين للحق؛ فعلم الأنبرور والحاضرون معه أنه ما قصد بهذا الكلام إلا إفحامهم"[3].

وكان لا يُعارض في أي إقليم يدخله، ويذكر الغبريني أن: "من جملة ما عرض له في بلاد النصارى أنهم قالوا له: إن عيسى عليه السلام كان يواصل أربعين يوما، فقال لهم: أواصل لكم أربعين يوما، فجعلوه في بيت من يخدمه ويساق له الماء للوضوء للصلاة وأقام أربعين يوماً، ولقد سمعت في هذه الحكاية أنه قال لهم: وأزيدكم أربعين يوماً أخرى وأن الأقساء سألوا من الملك أن يصرفه لئلا يفسد عليهم ملتهم واعتقادهم في عيسى عليه السلام فصرفه بالحسنى"[4].

ويجهل مصيره حيث يقول الغبريني: "ولم يعلم له خبر، ولا ظهر من حديثه أثر، والغالب أنه مات رحمه الله ورضي عنه"[5].

*** ومن القادمين الذين لا تعرف تواريخ وفادتهم:**

- محمد بن أبي القاسم بن نفيس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن عبد الله بن أبي الطيب، أحمد، الملقب بطاهر- بن أبي الحارث محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المجاب بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي الأصغر، الملقب بزين العابدين، **بن الحسين بن علي وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم-(...-...هـ/...-... م)**: يكنى أبا عبد الله؛ ويلقب بالهادي، عراقي من الكوفة، وهو أول من قدم من أهل بيته إلى مدينة فاس، -

1- الغبريني، عنوان الدراية، صص83-84.
2- الغبريني نقلا عن السهروردي صاحب "حكمة الإشراق"، نفسه، ص83.
3- نفسه، صص83-84.
4- نفسه، ص84.
5- نفسه، ص84.



واستقر بها - وهو شريف حسيني، وبمدينة فاس تواتر اشتهار أهل بيته بالعلم، ومنهم العالم أبو العلا إدريس العراقي الفاسي[1].

قال ابن فرتوت: وقد وهم صاحب الأُقْنُوم والابتهاج حيث جعل السيد نفيسا هو ملتقاهم، فكأنه القادم على فاس، والتحقيق ما ذكر، ونص الأقنوم لأبي زيد الفاسي:(الكامل)

بَانَّ الْهَدِى بتواتر الْآَثَار * وتوارد الْوُرّادُ بِالْأَخْبَار

أن الإمَامُ مُحمد الهَادي الْذِّي * شَرُفَتْ بَهِ فَاسٍ على الْأَقْطَار

حَازَ المفاخِر بالعراق * مِثْلَ الْغَزَالَّةُ كامل الْأُنْوَارُ[2].

ولا نعرف عن هذا القادم تاريخ وفادته أو وفاته؛ ولا نعلم أي العلوم يُتقن.

---

[1]- بدر الدين العمراني الطنجي، الحافظ أبو العلاء إدريس العراقي الفاسي ودوره في إغناء الدرس الحديثي بالمغرب، المدرسة الحديثية بالمغرب والأندلس- الإمام ابن القطان أنموذجا- بحوث الندوة العلمية الأولى التي نظمها مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة التابع للرابطة المحمدية للعلماء بالكلية المتعددة التخصصات- بمدينة العرائش- السبت والأحد 3-4 ذو القعدة1432هـ/1-2 أكتوبر 2011م، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1435هـ/2014م، المجلد الأول، صص258-259.

- أبو العلا إدريس العراقي الفاسي: إدريس بن محمد بن إدريس بن أحمد المدعو حمدون بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي القاسم بن علي بن محمد، المدعو الجواد بن القادم من الكوفة أبي عبد الله سيدي محمد، المدعو الهادي...وينتهي نسبه إلى الحسين بن أبي طالب(1120-1184هـ/1708-1770م): من علماء مدينة فاس، اشتهر بعلم الحديث ، تولي عدة وظائف كالإمامة في المسجد، والوراقة، وله دور كبير في إغناء الدرس الحديثي بفاس، أخذ عنه عدة علماء وله عدة تآليف تصل إلى 34 عنوانا أغلبها في علم الحديث، ومن ضمنها تأليف في نسبه الشريف ذكر فيه حرفة كل واحد من آبائه وبلده، من كان فيهم من أهل العلم والصلاح. بدر الدين العمراني الطنجي، المرجع السابق، صص258-282.

[2]- بدر الدين العمراني الطنجي، المرجع السابق، صص258-259.

ثانيا: أهل الثقافة والعلوم المشارقة الوافدين على بلاد الأندلس

- معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان بن سعيد بن سعد بن فهر الحَضْرَميُّ (...-158 أو 161هـ[1]/...-777 أو 784م): يكنى أبا عمرو، ويعرف بغناة عبس، من أهل الشام من مدينة حمص ووفد على بلاد الأندلس ونزل بإشبيلية.

من جلة أهل العلم، وكبار رواة الحديث، شارك مالك بن أنس[2] في بعض رجاله كَيَحْيى بن سعيد[3] وأمثاله، وروى عن العلاء بن حارث[4] ومكحول[5] وأبي الزاهرية[6].

وأخذ عنه جملةٌ من الأئمة، منهم سُفيان الثوريُّ[7] والليث بن سَعْد[8] وابن عُيَيْنة[1] وابن مهدي[2]؛ ويذُكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً.

---

[1]- يلقبه الذهبي والسيوطي بقاضي الأندلس، ويذكران أن وفاته سنة 158هـ/777م ويضيف الذهبي أنه توفي بعد قضاء الحج، بينما يذكر النُباهي تاريخ وفاته سنة161هـ/784م. الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص176/ النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس - كتاب المرقبة العُليا فيمن يسْتحق القضاء والفتيا-، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1403هـ/1983م، ص43/ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص84.

[2]- مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث (96أو92أو93-179هـ/714أو710أو711-795م): أبو عبد الله الأصبحي المدني الحافظ المحدث، إمام دار الهجرة، وفقيه الأمة، حدث عن نافع، والمقبري، ونعيم المجمر، والزهري، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن دينار...وخلق كثير، وحدث عنه أمم لا يكادون يحصون، منهم ابن المبارك، وابن القطان، وابن مهدي، ويحيى بن يحيى الأندلسي...وآخرون، عرف بعلو روايته والفهم وسعة العلم فقد اتفق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، وقد تقدم في الفقه والفتوى، وعاش ست وثمانين سنة، وله كتاب الموطأ. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، صص207-213.

[3]- يحيي بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل أبو سعيد الأنصاري النجاري المدني (ت143هـ/760م): شيخ الإسلام وقاضي المدينة ثم قاضي القضاة للمنصور، حدَّثَ عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد وأبي أمامة بن سهل وسعيد بن المسيب، وروى عنه شعبة بن مالك، والسفيانان- سفيان الثوري وابن عيينة. نفسه، ج1، صص138-139.

[4]- العلاء بن الحارث بن عبد الوارث الحضرمي (ت136هـ/753م): أبو وهب ويقال أبو محمد؛ محدث ثقة، وهو صاحب مكحول، روى عن عبد الله بن بشر وزيد بن أرطأة، وحزام بن حكيم وعلي بن أبي طلحة وغيرهم؛ وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن حمزة وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ومعاوية بن صالح الحضرمي. العجمي برهان الدين أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن خليل سبط أبي العجمي، نهاية الاغتباط بمن رُوي من الرواة بالاختلاط - وهو دراسة وتحقيق وزيادات في التراجم على كتاب الاغتباط بمن رمي في الاختلاط علاء الدين علي الرضا، دار الحديث، القاهرة، د.ت، صص260-261.

[5]- مكحول(ت113هـ/731م): أبو عبد الله بن أبي مسلم الهذلي مولى امرأة من هذيل وأصله من كابل وقيل هو من أولاد كسرى، عالم أهل الشام، فقيه ومُحدث، أخذ العلم في مصر والعراق والمدينة والشام؛ وروى عن أبي أمامة الباهلي، وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك ومحمود بن الربيع وعبد الرحمن بن غنم...وغيره، وروى عنه أيوب بن موسى والعلاء بن الحارث، وزيد بن واقد والأوزاعي... وغيره كثير. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، صص107-108.

[6]- أبو الزاهرية(ت 100أو117/718أو 735م): حُدير بن كُريب الحمصي إمام مشهور من علماء الشام، سمع أبا أمامة الباهلي، وعبد الله بن بسر، وجُبير بن نُفير وغيره...، روى عن إبراهيم بن أبي عَبلة، وسعيد بن سنان، وأحوص بن حكيم ومعاوية بن صالح. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص193.

[7]- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت161هـ/778م): أبو عبد الله، ولد ونشأ في الكوفة، سيد أهل الحديث، وعلوم الدين في زمانه، حدث عن أبيه وزيد بن الحارث وحبيب بن أبي ثابت والأسود بن قيس وزياد بن علاقة وغيرهم..، وحدث عنه ابن المبارك ويحيى القطان وابن وهب ووكيع..وجماعة؛ ويذكر الذهبي أنه يحفظ ثلاثين ألف حديث. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، صص203-206.

[8]- الليث بن سَعْد(ت175هـ/791م): أبو الحارث الفهمي مولاهم الأصبهاني الأصل، شيخ الديار المصرية وعالمها من كبار المحدثين والفقهاء، حدث عنه عطاء بن أبي رباح ونافع العمري وابن أبي مليكة وسعد المقبري والزهري وأبي الزبير المكي...وغيرهم كثير وينزل إلى أن يروي عن تلامذته؛ حدث عنه محمد بن عجلان وهو شيخه وابن وهب ويحيى بن بكير ويحيى بن يحيى القرطبي ..وخلق كثير، إمام حجة كثير التصانيف، مات وعمره إحدى وثمانون سنة. نفسه، ج1، صص224-226.

خرج من الشام إلى الأندلسُ، فوصلها سنة 123هـ/740م، واستوطن مدينة مَالَقة[3]، ثم انتقل إلى اشبيلية[4]، فسكنها.

ومما قيل عنه: "وكان ممن يُسْتَغْنَىَ بعقله وعلمه وفهمه عن مشاورة غيره"[5]؛ توفي بقرطبة، ودفن ببقيع رَبضها، وصلى عليه الأمير هشام بن عبد الرحمن[6]، ومشى على قَدَمَيْه في جنازته[7].

- زيد بن الحباب (ق 2هـ/8): يكنى أبا الحسين، مولى لعبكل، من الكوفة، وقدم الأندلس طلبا لعلم الحديث عن القاضي معاوية بن صالح الحضرمي، فسمع منه بالأندلس حديثاً كثيراً[8].

- أبو الأشعث الكلبي: (ق2هـ/8م): محدث، من الوافدين على الأندلس على عهد عبد الرحمن بن معاوية؛ وكان شيخًا مُسناً يروي عن أمه عن عائشة رضي الله تعالى عنها[9].

- عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي[10] (ق2هـ/8م): قدم من الشام إلى الأندلس مرورا بمصر، شاعر، وقد كان من أكابر بني أمية [11].

---

[1]- سفيان بن عيينة بن ميمون (107-198هـ/725-813م): أبو محمد الهلالي الكوفي، العلامة الحافظ شيخ الإسلام، سمع عمرو بن دينار والزهري وزياد بن علاقة وأبا إسحاق والأسود بن قيس وزيد بن أسلم وعبد الله بن دينار ومنصور بن المعتمر وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهم، وحدث عن خلق كثير، منهم الأعمش وابن جريج وشعبة وابن المبارك وابن مهدي، قال الذهبي: "وكان إماما حجة حافظا واسع العلم كبير القدر... أعلم الناس بحديث أهل الحجاز... والمعرفة بالقرآن وتفسير الحديث" وحج سبعين سنة. نفسه، ج1، صص262-264.

[2]- عبد الرحمن بن مهدي ابن حسَّان بن عبد الرحمن (ولد135هـ/752م): أبو سعيد العنبري، وقيل الزهدي، مولاهم البصري اللؤلؤي، الإمام النَّاقد المُجوِّد، المحدث سيِّدُ الحفاظ، ثقة سمع أيمن بن نابل، وعُمر بن أبي زائدة، ومعاوية بن صالح الحضرمي، وحدث عنه ابن المبارك، وابن وهب- وهما من شيوخه- وأبو ثور. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، صص192-208.

[3]- مَالَقة: بالأندلس، مدينة على شاطئ البحر، عليها سور وصخر، والبحر في قبليها، وهي مدينة قديمة من آثار الأول حسنة عامرة آهلة كثيرة الديار، في غاية الحصانة والمنعة، ومن مالقة إلى أرشذونة ثمانية وعشرون ميلاً. الحميري، المصدر السابق، صص517-518.

[4]- إشبيلية: مدينة قديمة أزلية عظيمة الشأن، تقع غرب قرطبة وشرق مدينة لبلة، وهي على ضفة الوادي الكبير، وتعد من أعظم المدن وأكبرها فهي قاعدة بلاد الأندلس وحاضرتها، وتعرف أيضا بمدينة الأدب واللهو والطرب. مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، صص145-146.

[5]- النباهي، المصدر السابق، ص43.

[6] -الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل(172-180هـ/788-796م): أبو الوليد، تولى الإمارة وعمره ثلاثون سنة، ودام عهده سبعة أعوام، وكان حسن السيرة مُتحيِّزاً للعدل، يَعُود المَرضى ويشهدُ الجَنائز. الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، قدم له وضبط وشرح فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م، ص24.

[7]- النباهي، المصدر السابق، ص43/ الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد القيرواني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، ص50/ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص84.

[8]- النباهي، المصدر السابق، ص43/ الخشني، المصدر السابق، ص52/ ويشير المقري إليهما في ترجمة رزيق بن حكيم: "ومعاوية ابن صالح وزيد بن الحباب العكلي". المقري، المصدر السابق، ج3، ص57.

[9]- نفسه، ج3، ص55.

[10]- ودخل معه أولاده الأندلس، ويشير المقري إلى ابنه أمية الذي قتله والده في الأندلس بسبب فراره من معركة. ينظر خبره في النفح؛ وابنته التي زَوَجَها عبد الرحمن الداخل لابنه وولي عهده هشام بن عبد الرحمن. نفسه، ج3، صص 58-60.

[11]- نفسه، ج3، صص58-60.

- العجفاء(2هـ/8م) جارية لمسلم بن يحيى[1]، لا يعرف اسمها الحقيقي، مُغَنِية وشاعرة، وفدت من المشرق على الأندلس؛ وبَعثَ عبد الرحمن بن معاوية لشرائها فحُملت إليه.

كانت تقول الشعر وتغنيه خاصة في مجال الغزل والشكوى، ومن شعرها: (البسيط)

برَح الخفـاْء فأيما يَـكُ تكتـم * ولسَوْف يظْهرُ مَاْ تسرُّ فيعلـم

ممّا تضمّن مـن غريزة قلبه * يـاْ قلب إنَّـك بالحِسَان لمُغْـرَم[2].

وتعتبر العجفاء من أوائل الذين نقلوا موسيقى المشرق إلى الأندلس[3].

- جزي بن عبد العزيز(2هـ/8م): أخو عمر بن عبد العزيز (رضي الله تعالى عنه)، وفد على الأندلس، ومات في مدة عبد الرحمن الداخل، قال المقري: "وكان من أولياء الله تعالى، مقتفيا سبيل أخيه عمر بن عبد العزيز"[4].

- علون (2أو3هـ/8أو9م): وفد مع زرقون، وهما أول من وفد على الأندلس من المُغنين؛ دخلا في أيام الحكم بن هشام[5]، فأنفق عليهما، وكان محسنين، لكن عناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه[6].

- زرقون (2أو3هـ/8أو9م): وفد رفقة علون السابق، وهما أول من وفد على الأندلس من المغنين؛ دخلا في أيام الحكم بن هشام، فأنفق عليهما[7]، وعلون وزرقون من أوائل الذين نقلوا موسيقى المشرق إلى الأندلس[8].

- عابدة المدنية (ق2و3هـ/9م): جارية سوداء، عالمة بالحديث رواية وسنداً، أم ولد حبيب بن الوليد المرواني المعروف بدحون[9]، وُهِبت له في رحلة الحج من طرف محمد بن يزيد بن

[1]- مسلم بن يحيى: مولى بني زهرة- نفسه، ج3، ص141.

[2]- نفسه، ج3، صص141-142/ سي عبد القادر عمر، الدور الثقافي للمرأة الأندلسية، مجلة القرطاس-الدراسات الحضارية والفكرية ببلاد المغرب-، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع1، 2012م، ص122.

[3]- محمد محمود عبد الحميد فايد، زرياب طائر غرد في الأندلس، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، ع135، خريف 2008، ص128.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص55.

[5] - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (180-206هـ/796-821م): أبو العاص، ويعرف بالحكم الربضي -لأنه أوقع بأهل الربض- ثاني أمراء بني أمية في الأندلس، أمه أم ولد اسمها زُخْرُفْ، وكان طاغية مسرف. الحميدي، المصدر السابق، ص24.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص130.

[7]- نفسه، ج3، ص130.

[8]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص128.

[9]- حبيب بن الوليد المرواني بن حبيب (ق3هـ/9م):أبو سليمان المعروف بدحون، شاعر أندلسي. سامي مكي العاني، معجم ألقاب الشعراء، مكتبة الفلاح، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1402هـ/1982م، ص84.

مسلمة بن عبد الملك بن مروان[1]، فقدم بها الأندلس؛ ويصفها المقري بقوله: "وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة، حالكة اللون"[2]، ويضيف قائلا: "تروي عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة، حتى قال بعض الحفاظ: إنّها تروي عشرة آلاف حديث"[3].

- **رُزَيق بن حُكَيْم (2هـ/8م):** أحد المعدودين في الداخلين إلى الأندلس[4]، والمرجح وفادته في القرن 2هـ لأن المقري جمعه مع المشارقة الداخلين في ذلك القرن.

- **إبراهيم بن سليمان (**كان حيا**273هـ/886م):** من الشام، وهو من موالي بني أمية، شاعر، كان قد أدرك بالمشرق كبار المحدثين كأبي نواس[5] وأبي العتاهية[6].

دخل الأندلس من المشرق في أخريات أيام الحكم، وكان حيا حتى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[7].

- **فضل المدينة (3هـ/9م):** جارية، مُغَنِية، وأصلها لإحدى بنات هارون الرشيد، نشأت وتعلمت ببغداد، ودرجت من هناك إلى المدينة المشرَّفة.

واشتريت للأمير عبد الرحمن بن الحكم[8] صاحب الأندلس من المدينة مع غيرها، وإليهن تنسب دار المدنيات بالقصر، وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن، يقول المقري في وصفها: "كانت حاذقة بالغناء، كاملة الخصال"[1].

---

[1]- محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (بين ق2و3هـ/9م): أبو الأصبع المسلمي الحصْني- لأنه كان ينزل حصن مسلمة بديار مضر فنسب إليه-، شاعر محسن مدح المأمون، وهجا عبد الله بن طاهر. الصفدي، المصدر السابق، ج5، ص143.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص139.

[3]- نفسه، ج3، ص140.

[4]- نفسه، ج3، ص57.

[5]- الحسن بن هانئ بن صباح بن عبد الأول بن الجراح بن وُهَيب، مولى الجراح بن علي الحَكَمي (140-195هـ/757-810م): يكنى أبا علي الحَكَمي، والمعروف بأبي نُوَاس، ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة، واختلف في طلب الحديث، وقرأ القرآن، واختلف إلى أبي زيد النحوي فكتب الغريب والألفاظ، وهو شاعر عرف باللهو والمجون، قدم دمشق ثم خرج منها لمصر، وانتقل إلى بغداد وتوفي بها، وعاصر أبو العتاهية. ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهليها، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج13، صص407-464.

[6]- إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عنزة (130-210هـ/748-826م): يكنى أبا إسحاق، ولكن غلب عليه أبو العتاهية، شاعر مشهور، من مجددي الشعر العربي، قيل عنه: "إنّه أشعر الإنس والجن"، قدم من الكوفة إلى بغداد، ونزل الحيرة، واتصل بالخلفاء من عهد المهدي إلى الرشيد، وعاصر المأمون، ودفن ببغداد. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، معجم شعراء الحماسة، دار المريخ، الرياض، 1982م، صص8-9.

[7]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص121/الأمير محمد الأول بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (238-273هـ/852-886م): أبو عبد الله، خامس الأمراء الأمويين في الأندلس، أمه أم ولد اسمها تهتر، كان محبا للعلوم مؤثرا لأهل الحديث. الحميدي، المصدر السابق، ص25.

[8]- يذكر المقري الأمير عبد الرحمن فقط، دون إشارة أخرى، إلا أن سي عبد القادر عمر في مقالة له يذهب إلى القول بأنها اشتريت للأمير عبد الرحمن الأوسط الذي حكم من (206-238هـ/821-852م)، وقياسا على أن الجارية تعود لابنة الخليفة هارون الرشيد الذي حكم (170-193هـ/786-808م) فنحن نوافقه في ذلك لأنه الأقرب زمنيا، وكذلك فإن بناء دار المدنيات تم خلال عهد عبد الرحمن الأوسط، وهي توافق فترة توافد زرياب الذي درسهُنَّ. المقري، المصدر السابق، ج3، ص140/ سي عبد القادر عمر، المرجع السابق، ص129./ عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل: أبو الـمُطرِّف،

- علم المدينة (3هـ/9م): جارية، مُغَنِيَة، اشتريت من المدينة المنورة للأمير عبد الرحمن الأوسط صاحب الأندلس[2].

- قلم (3هـ/9م): جارية، مُغَنِيَة، أندلسية الأصل، رومية من سبي البشكنس؛ وحُملت صبية إلى المشرق، فوقعت بالمدينة المنورة، وتعلمت هناك الغناء والأدب[3].

يقول مؤلف جغرافية وتاريخ الأندلس أنها كانت: " أديبة حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الأدب"[4]، ويضيف المقري: "وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الأمير عبد الرحمن"[5] بن الحكم.

- أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير بن إبراهيم بن مالك بن الحرث الأشتر النخعي (ق3هـ/9م): يكنى أبا جعفر، وأصله من الكوفة، وفد على الأندلس فأنزله الأمير محمد بن عبد الرحمن برَيّة[6]؛ وكان يروي أحاديث عظيمة العدد[7]، ويجهل مصيره.

- قمر (3هـ/9م): وهي جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي[8] صاحب إشبيلية، وجُلبت إليه من بغداد، وكانت من أهل الفصاحة والبيان، والمعرفة بصَوْغ الألحان، وجمعت أدباً وظَرْفاً، ورواية وحفظاً، مع فهم بارع، وجمال رائع، وكانت تقول الشعر بفضل أدبها[9]؛ ولها في مولاها تمدحه: (البسيط)

مَاْ في المَغَارب مِن كَريم يُرْتَجَى * إلا حَليف الجُودِ إبْراهيم

إنّي حلَلْتُ لَديه مَنْزلَ نعمةٍ * كلُّ المَنَاْزل مَاْ عَداْه ذَمِيم[10].

- عباس بن نصاري(ق3هـ/9م): مغني من المشرق ، وفد على الأندلس قبل زرياب، من أوائل الذين نقلوا موسيقى المشرق إلى الأندلس[1].

رابع أمراء بني أمية في الأندلس، ويعرف بعبد الرحمن الأوسط أو عبد الرحمن الثاني، وأمه أم ولد اسمها حلاوة، وكان محمود السيرة. الحميدي، المصدر السابق، ص24.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص140.

[2]- نفسه، ج3، ص140.

[3]- نفسه، ج3، ص140/ سي عبد القادر عمر، المرجع السابق، ص129.

[4]- مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، ص253.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص140.

[6]- رَيّة: من كور الأندلس في قبلي قرطبة، نزلها جند الأردن من العرب، وهي كثيرة الخيرات. الحميري، المصدر السابق، صص279-280.

[7]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.

[8]- إبراهيم بن حجاج بن عُمير بن حبيب اللخمي (ت288هـ/900م): أبو إسحاق، حاكم إشبيلية وقرمونة خلال حكم الأمير عبد الله بن محمد، وكان يضاهي في فعله كبار الأمراء، ويعطي الشعراء، وولي ابنه عبد الرحمن اشبيلية بعده. ابن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1958م، ج2، صص376-377/ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج2، صص135-139.

[9]- نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص140.

[10]- نفسه، ج3، صص140-141/ سي عبد القادر عمر، المرجع السابق، ص123.

- منصور(ق3هـ/9م): مغني يهودي، وفد على بلاط الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن، حيث يذكر أن الحكم قد اختاره رسولا ومستقبلا لزرياب الذي عزم على العودة في الطريق لما سمع بوفاة الأمير الحكم، لكن منصور هذا شجَّع زرياب على الوفادة على الأمير عبد الرحمن، وفي ذلك يقول المقري: "فثَنا عنه ذلك، ورغبه في قصد القائم مقام الحكم"[2]، وهو من الأوائل الذين نقلوا موسيقى المشرق إلى الأندلس[3].

- مُحمَّدُ بن عبد الله (ق3هـ/10م): يُكْنَىَ أبا عبد الله، شَيْخٌ خُرَاسانيّ، محدث، دخل الأندلس[4].

- مُحمَّدُ بن أحمد الهمداني(ق3هـ/10م): يُكْنَى أبا الصَّقْر، من أهل خُرَاسان، قدم الأندلس[5].

- علي بن بُنْدار بن إسماعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك، البرمكي (ق 4هـ/10م): من أهل بغداد، تاجر، قدم الأندلس سنة 337هـ/948م.

أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي[6]، وتَلْمَذَ له، وسمع منه "الموضح" و"المنجح" من تآليفه في الفقه، وما تم له من أحكام القرآن[7].

- أحمد بن الفضل بن العبَّاس البهراني الخفّاف(267[8]-349هـ/880- 960م): يُكْنىَ أبا بَكْر، ولد بالدَّينَور، ثم تحوَّل إلى بَغْدَاد، وتَعَلَّم الكتابة بالرَّامور؛ وقدم الأندلس في شهر ربيع الأول سنة 341هـ/952م.

سمع الحديث من جماعة بِبَغْدَاد والبَصْرَة والشَّام، ولزم محُمَّد بن جَرِير الطَّبريّ[9] وخدمه، وتحقق به وسمع منه مُصَنَّفاته، وسمع بِبَغْداد: من أحمد بن الحَسَن بن عبد الجبَّار الصُّوفي[10]

---

[1]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص124-135.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص124-125.

[3]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص124-135.

[4]- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزديّ، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ج2، ص101.

[5]- نفسه، ج2، ص104.

[6]- عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي (ت324هـ/935م): أبو الحسن، أحد علماء الظاهر، تفقه على محمد بن داود الظاهري، وله مصنفات كثيرة. ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1412هـ/1991م، ج4، ص128.

[7]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص242/ نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص66.

[8]- بما أنه عاش 82 سنة فيرجح أن ولد سنة 267هـ/880م.

[9]- محُمَّد بن جَرير بن يزيد بن كثير الطَّبريّ (224-310هـ/838-922م): من أهل آمل طَبَرِسْتان، أكثر الترحال في طلب العلم ولقاء رجاله زار مصر وبغداد وجمع من العلوم، وكان حافظا لكتاب الله عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عارفا بالسنن وطرقها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، يعتبر من كبار علماء أئمة الاجتهاد، استقر في آخر عمره ببغداد، وله مؤلفات كثيرة في التاريخ، والفقه والتفسير. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص267-282.

[10]- أحمد بن الحَسَن بن عبد الجبَّار الصُّوفي (220-306هـ/835-919م): أبو عبد الله البغدادي الصُّوفي الكبير، مُحدِّثٌ ثقة، روى عن الهيثم بن خارجة وعلي بن الجعد ويحيى بن معين، وتوفي ببغداد. نفسه، ج14، صص152-153.

وأحمد بن العبَّاس الطوسيّ[1]، وابن مُجاهِد[2] صاحب القراءات، وجَعْفَر بن مُحَمَّد المستفاض الفريابي[3] وأبي بَكْر عبد الله بن أبي دَاود بن الأَشْعَث السِّجِسْتاني[4]، وسمع من أبي خليفة الفضل بن الحُباب[5]، وسمع بالشام من خَيْثَمة بن سُلَيْمان[6]، وغيره جماعة يطول ذكرهم.

وَتُوفِّي بِقُرْطُبَة ليلة الثلاثاء 6 محرم، وقد بلغ من السن اثنتين وثمانين سنة وأياماً[7].

- **أحمد** -واسمه- **يزيد بن أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري (ق 4هـ/10):** من ولد عبد الرحمن بن عوف[8]، فقيه من أهل مصر؛ وفد على الناصر بقرطبة في المحرم سنة 343[9]/954م.

- **ظفر (ق 4هـ/10):** من بغداد، وفد على الأندلس، وسكن قرطبة، وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط استخدمه الحكم المستنصر بالله[10] في الوراقة[1].

---

[1]- أحمد بن العبَّاس وقيل بن محمد بن مَسْروق (ت299هـ/911م): أبو العباس الصُّوفي، ويعرف بالطوسي، إمام محدث وكان معروفاً بالخير، مذكوراً بالصلاح، دخل الري، حدث عن جماعة منهم الزبير بن بكار، وروى عنه كثيرون منهم أبو بكر الشافعي. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد المسمى مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، ج6، صص279-284.

[2]- أحمد بن موسى بن العباس التميمي (ت324هـ/936م): أبو بكر المعروف بابن مجاهد، شيخ القُرَّاء وكبير العلماء في القراءات، ومصنف السَّبعة، من أهل بغداد، سمع الرمادي، وسعْدان بن نصر، وأبا بكر الصنعاني...وجماعة؛ وروى عنه أبو حفص بن شاهين، وأبو بكر بن شاذان، والدارقطني...وغيره. السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/1964م، ج3، صص57-58.

[3]- جعفر بن محمد بن الحسن بن الـمُستفاض الفِرْيَابيّ (207-301هـ/822-914م): أبو بكر، من فِيرياب- مدينة من بلاد الترك- إمام، حافظ، علاَّمة، قاضٍ مشهور- بالدينور-، ولقي الأعلام وسمع في بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر والجزيرة، وصنف التصانيف النافعة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص96-99.

[4]- عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق (230-316هـ/844-929م): أبو بكر بن أبي داود، ولد بسجستان، ونشأ بنيسابور، سمع بخراسان والجبال وأصبهان وفارس والبصرة وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والشام ومصر والجزيرة والثغور، واستوطن بغداد، فغدا من كبار الحفَّاظ والعلماء، وصنف السنن والتفسير والقراءات والناسخ والمنسوخ. أبو يعلى الفرّاء البغدادي الحنبلي محمد أبو الحسين، طبقات الحنابلة، حققه وقدم له وعلق عليه عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، فهرسة الملك فهد الوطنية، 1419هـ/1999م، صص96-102.

[5]- الفضلُ بن الحُباب - واسم الحباب عمرو- بن محمد بن شعيب الجُمحيُّ (206-305هـ/821-917م): أبو خليفة، عالم بالحديث، والأخبار والأشعار والأنساب، سمع القَعْنَبيَّ ومحمد بن سلام الجُمْحي وعمر بن مرزوق...، وحدث عنه أبو بكر الصُّولي وأبو علي النيسابوري وأبو القاسم الطبراني، وتوفي بالبصرة .الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص7-11.

[6]- خَيْثَمة بن سُلَيْمان ابن حَيْدَرة بن سليمان الشامي القُرَشي الشَّامي الأَطْرَابُلُسي (250-343هـ/873-954م): أبو الحسن، مُحَدِّثُ الشام، إمام ثقة، رحل في طلب الحديث فسمع بالشام والحرمين والعراق والجزيرة، ومن شيوخه: أبو عتبة أحمد بن الفرج الحجازي ومحمد بن عيسى بن حيان المدائني وأبو إسماعيل الترمذي، وحدث عنه كثيرون، وصنف فضائل الصَّحابة. نفسه، ج15، صص412-416.

[7]- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس، ج1، صص70-71.

[8]- عبد الرحمن بن عوف (ت32هـ/224م): ابن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، يكنى أبا محمد، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، صحابي جليل، من أحد السابقين الثمانية للإسلام، وشهد بدرا، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، روي الحديث، وروى عنه عدد كبير، وكان يفتي في عهد الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وعمر، ودفن بالبقيع. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، صص 68-92.

[9]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.

[10]- الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-967م): الحكم بن عبد الرحمن الناصر، يكنى أبا العاص، كان حسن السيرة جامعاً للعلوم، محباً لها، مكرماً لأهلها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، وذلك بإرساله عنها إلى الأقطار وشرائه لها بأغلى الأثمان، وكان مواصلا لغزو الروم. الحميدي، جذوة المقتبس، ص29.

- إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي(ق4هـ/10م): من ذرية عبد بن زَمْعَة أخي سَوْدَة أم المؤمنين (رضي الله تعالى عنها).

رحل من مصر إلى الأندلس فحل يومئذ على الحكم المستنصر بقرطبة محل الرحب والسعة، ثم استوطن إشبيلية[2].

- مُحمَّد بن العبَّاس بن يَحْيَى بن العبَّاس بن عبد الله بن سَعيد بن العبَّاس بن عبد الملك بن عبد العزيز بن سَعيد بن عبد الله، مولى أمير المؤمنين هِشَام بن عبد الملك[3] وَدِهْقَانُهُ **(...-376هـ/...-989م):** يُكْنىَ: أبا الحسين، من أهْلِ حلب، محدثٌ وأديب؛ وقدم الأندلس على أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله.

رَوَى عن: أبي الحسن عليّ بن عبد الحميد بن عبد الله الغضايري[4]، وأبي عبد الرَّحمن محُمَّد بن عبد الله بن عبد السلام مَكْحُول البيروتي[5] وأبي بَكْر محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطيّ[6] بِحَلب، وأبي الجَهْم أحمد بن طلاب المَشْغراني[7]، لقيه بمشغرى[8]، وعن أبي عروبة الحسين بن مُحمَّد الحرَّاني[9] بحرَّان[10]، وجماعة سوى هؤلاء من الشاميين والمصريين.

وكفّ بصره بالأندلس، ودُفن في مقبرة أم سَلَمة، وصلَّى عليه أبو مُحمّد بن الشامة[11].

---

[1]- ابن الأبار القضاعي، التكملة، ج1، ص278/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص111.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص69.

[3]- هِشَام بن عبد الملك(105-125هـ/723-743م):أبو الوليد، من خلفاء الأمويين في الشام، ولد سنة 72هـ/691م، حكم بعد أخيه يزيد، وكان فصيحاً طيباً، وفي عهده كانت ثورة زيد بن علي بن الحسين سنة 121هـ/ 738م. ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك، الاكتفاء في أخبار الخلفاء دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009م، ج1، ص353-366.

[4]- عليُّ بن عبد الحميد بن عبد الله ابن سليمان الغضائري (ت313هـ/925م): يكنى أبا الحسن، إمام ثقة، مُحدِّث حلب ومُسندُ الشام؛ حدَّث عن عبد الأعلى بن حمّاد النرسي، وبشر بن الوليد، وبُنْدار؛ وحدَّث عنه عبد الله بن عديّ، وأبو بكر بن المقرئ، وعليُّ بن محمد بن إسحاق الحلبي وخلق سواهم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص432-433.

[5]- محُمَّد بن عبد الله بن عبد السَّلام (ت321هـ/933م): يكنى أبا عبد الرَّحمن، ويُعرف بمَكْحُول البيروتي، حافظ للحديث ثقة، ثبت، من أهل بيروت؛ سمع أبا عُمير عيسى بن محمدٍ النَّحَّاس وأحمدَ بن سليمان الرُّهَاوِيَّ وأحمدَ بن حربٍ الطَّائيَّ ومحمدَ بن إسماعيل بن عُلَيَّة وغيرهم؛ وسمع عنه أبو سُليمان بنُ زَبْر وأبو بكر الرَّبْعي وأبو محمد بن ذَكْوان وأبو بكر المقرئ وغيرهم. نفسه، ج15، صص33-34.

[6]- محمد بن إبراهيم بن نيروز (ت318هـ/930م): يكنى أبا بَكْرٍ، البغدادي الأنماطيّ، مُحدثٌ، سمع عَمْرو بن علي الفَلاَّس، ومحمد بن المثنَّى العَنَزيَّ، وخَلاَّد بن أَسْلَم، ومحمد بن عوف الطَّائيَّ؛ حدث عنه محمد بن الـمُظَفَّر والدَّارَقُطْني ومحمد بن إبراهيم العَاقُوليُّ ويوسف القَوَّاس وعيسى بن الجراح. نفسه، ج15، صص8-9.

[7]- أحمدُ بن الحسين بن أحمد بن طلاب بن كثير (ت319هـ/931م): يكنى أبا الجَهْم، الدمشقي ثم المَشْغراني، أصله من قرية بنت لهيا، خطيب مشغرى. نفسه، صص512-513.

[8]- مشغرى: قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج6، ص134.

[9]- الحسين بن مُحمَّد بن أبي معشر مودود السلمي، الحرَّاني(ت318هـ/930م): أبو عروبة، محدث حَرَّان ومفتيها، كان حافظاً للحديث ثقة، عارفاً بالرجال، والفقه والكلام، سمع مخلد بن مالك السلمسيني ومحمد بن الحارث الرافقي ومحمد بن وهب وإسماعيل بن موسى الفزازي، حدث عنه أبو حاتم بن حبان وأبو محمد بن عدي وابن المقرئ والقاضي أبو بكر الأبهري، صاحب التاريخ. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، صص774-775.

[10]- حرَّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مُضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص236.

[11]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، صص105-106.

- عُبَيْد الله بن عُمَر بن أحمد بن مُحمَّد بن جَعْفَر القَيْسي(295-360هـ/907-970م): يكنى أبا القاسم، من أهل بغداد ومولده فيها[1]، قدِم الأندلس في المحرم من سنة 347هـ/958م.

تفقه ببغداد عَلَى مذهب الشافعي، وتحقق فيه وناظر فيه عند أبي إسْحَاق بن أحمد المروَزيّ[2]، وأبي عبد الله الحُسَين بن إسماعيل المُحامليّ القاضي[3] وغيرهم، كما أخذ عن المالكيّين الفقه.

وقرأ القرآن على أبي بَكْر بن مُجَاهد وآخرين، وكتب الحديث ببغداد عن أبي القَاسم البَغويّ عبد الله بن مُحمَّد [4]، وأبي بَكْر عبد الله بن أبي داود السّجستانيِّ، ويَحْيَى بن مُحمَّد بن صَاعِد[5]، وجماعة غيرهم.

وكتب الحديث بالرقة وحلب ودمشق والرملة ومكة ومصر؛ وكان فَقيهاً على مذهب الشافعي، إماماً فيه، بصيراً به، عالماً بالأصول والفتوى، حسن النظر والقياس، وكان مع ذلك إماماً في القراءات، ضابطاً للحروف، كثير الرواية للحديث إلَّا أنه لم يكُن ضابطاً لما رواه، وكان التفقه أغلب عليه من الحديث.

وله كُتُبٌ مؤلفة كثيرة في الفقه والحجّة والردّ، والقراءات والفرائض وغير ذلك؛ وكان الحكم قد أنزله وتوسع له في الجراية، ولم يزل مُوالفاً له إلى أن مات.

وكانت وفاته بقرطبة ليلة الجمعة لأربع بقين من ذي الحجة[6].

- عبيد الله بن عمر بن أحمد (...-360هـ/...-970م): من بغداد، وتوفي بقرطبة[1].

---

[1]- وكان مسكنه ببغداد في الجانب الغربي، بالكرم المفرش، فيما يُجاوز نهر عِيسَى. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص234.

[2]- إبراهيم بن أحمد المَرْوَزِيّ (ت340هـ/951م): أبو إسحاق، فقيه بغداد انتهت إليه رياسة الشافعية بالعراق وشرح المذهب ولخصه، صحب ابن سريج، وأخذ عنه، وتخرج على يديه أمة من العلماء، توفي بمصر ودفن عند ضريح الإمام الشافعي، صنف كتاب في السُنّة وقرأه بجامع مصر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، صص429-430.

[3]- الحُسينُ بنُ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبَان، الضَّبِّي البغدادي (235-330هـ/849-941م): أبو عبد الله، إمامٌ فقيه، قاضٍ، مُحدّث ثقة، سمع أبي حُذَافَة أحمد بن إسماعيل السَّهْمِيِّ وأبي الأشْعَث أحمد بن المقدام العِجْليِّ وزياد بن أيوب..وخلق كثير؛ وصار أسند أهلِ العراق مع التَّصَدُّر للإفادة والفُتْيا ستين سنة بالكوفة؛ وحدث عنه دعلج بن أحمد الطبراني والدارقطني وابن شاهين، وصنف السنن. نفسه، ج15، صص258-263.

[4]- عبدُ الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرْزُبان بن سابور بن شاهِنْشاه (214-317هـ/829-929م): أبو القاسم، بغوي- منسوب إلى مدينة بغْشُور من مدائن إقليم خراسان- الأصل، وابن بنت منيع نسبة إلى جده لأُمِّه؛ بغداديُّ الدار والمولد، من العلماء المعمِّرين إمام حافظ مُحُدِّث، مسند، طلب الحديث في سن صغيرة وكتب وأخذ عن جماعة من صغار التابعين، صنَّف مسنَدَ عمِّه عليِّ بن عبد العزيز. نفسه، ج15، صص440-457.

[5]- يحيى بن محمد بن صاعد(228-318هـ/842-930م): أبو محمد، الهاشمي البغدادي مولى أبي جعفر المنصور، إمام مُحدث حافظ ثقة ثبت، كتب الحديث عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس، وسمع من لوين وأحمد بن منيع وسوار بن عبد الله القاضي وخلقا لا يحصون، حَدَّث عنه أبو القاسم البغوي والدارقطني وأبو طاهر المخلص وأبو مسلم الكاتب وخلق كثير، وله تصانيف في السنن والأحكام. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، صص 776-778.

[6]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، صص232-234.

- **عبد الملك بن محمد بن عبد الملك(4هـ/10م):** من الأمويين، واسمه الكامل عبد الملك بن مُحمَّد بن عبد الملك بن مُحمَّد بن الوليد بن سُلَيمان بن عبد الملك بن عبد الوَاحِد بن سُلَيْمان بن عبد الملك بن مَرْوَان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس؛ يُكْنَى أبا مروان، ويُعرف بالسُّلَيمانيّ، من أهل بيت المقدِس.

قدم الأندلس نحو سنة 360هـ/970م على الخليفة الحكم المستنصر فأكرمه، وقد وصفه ابن الفرضي قائلا: "كان حَليماً، أديباً، لبساً للثياب، يلبس الخز ويعتَمُّ به"[2].

حَدَّث بالأندلس عن أبي عبد الله بن الفَضْل بن عُبيد الله الهاشمي، وأبي عبد الله مُحمَّد بن إبراهيم بن السراج، وأبي الحَسَن عليّ بن السِّرِيّ بن الصّقْر بن حَمَّاد الورثاني[3].

- **هاشم بن الحسين بن إبراهيم بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: (**قبل **ق4هـ/10م):** من الداخلين من المشرق إلى الأندلس، ونزل حين دخوله لَبْلَة[4]، وتُعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي[5].

- **علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر التميمي (299-377هـ/911-987م):** يكنى أبا الحسن، ولد بأنطاكية، وفد على الأندلس ولا يُذكر تاريخ ذلك، عالم مشارك في الفقه والعربية والحساب، وإمام في القراءات.

أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن جماعة كثيرة منهم محمد بن الأخرم[6]، يقول ابن الفرضي: "وكان رأساً في القراءات، لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته، بصيراً بالعربية والحساب، وله حظ من الفقه"[7]، ومات بقرطبة في ربيع الأول[8].

---

[1]- الضبي أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي-، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، ص329.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص251.

[3]- نفسه، ج1، صص250-251.

[4]- لبلة: في غرب الأندلس، مدينة قديمة، وهي حسنة متوسطة القدر لها سور منيع، ومن إشبيلية إليها مرحلتان من أربعين ميلاً. الحميري، الروض المعطار، صص507-508.

[5]- وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتاب "أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب". المقري، المصدر السابق، ج3، ص60.

[6]- محمد بن الأخرم(250-344هـ/846-955م): أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري، ويعرف أبوه بابن الكرماني، عالم بالحديث، سمع بنيسابور من علي بن الحسن الهلالي وإبراهيم بن عبد الله السعدي ومحمد عبد الوهاب الفراء ويحيى بن محمد الهذلي وغيره، ولم يرحل من نيسابور؛ وروى عنه أبو بكر بن إسحاق الصبغي وحسان بن محمد الفقيه وأبو عبد الله الحاكم ويحيى بن إبراهيم المزكي ومحمد بن إسحاق وغيره، صنف مستخرجا على الصحيحين والمسند الكبير ومستخرج على كتاب صحيح مسلم. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، صص864-866.

[7]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1، ص281.

[8]- نفسه، ج 1، ص281/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص144.

- **أحمد بن محمد بن صالح بن النضر الصوفي(4هـ/10م):** يُكْنَى أبا بَكْر، من أنطاكية، كان جوَّالاً في البلاد على مذهب التصوف والسياحة؛ قدم الأندلس 372هـ/982م؛ وكان يُحدِّث عن خَيْثَمة بن سُلَيْمان الطَّرابلسي[1].

- **طَاهِرُ بن مُحَمَّد (4هـ/10م):** المعروف **بالمـُهَنَّد البغداديّ**، من ولَدِ أحمد بن أبي طَاهِر صاحب تاريخ بغداد، أديب وشاعر، رحل إلى الأندلس، ووفَدَ على المنصور أبي عَامِر مُحَمَّد بن أبي عَامِر[2].

- **الشيخ عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن (5هـ/11م):** أصله الموصل، وفد على الأندلس قبل سنة 414هـ/1023م رسولاً من ملك مصر إلى ملك الأندلس، ودخل الـمَرِية[3].

- **عُبَيْد الله بن سَعد بن عليّ بن مِهْران (341-...هـ/952-...م):** يكنى أبا الفضل، من دمشق، تاجر، وفد على الأندلس سنة 416هـ/1025م؛ ودخل إشبيلية.

يقول ابن بشكوال: "كان من أهل العلم والفضل، وروايته واسعة عن جماعة من العلماء بالحجاز والعراق ومصر والشام"[4].

- **علي بن زريق (5هـ/11م):** يُكْنَى أبا الحسن، من بغداد، شاعر وكاتب، وكان يكتب ببغداد.

وفد على الأندلس بعد سنة 420هـ/1029م، وما لبث فيها إلا أياما قليلة حتى وُجد ميتا في خان، وكان سبب وفاته انفطار قلبه، وترك قصيدة تروي قصته الحزينة[5]، ومطلعها: (البسيط)

لا تَعْذليهِ فإنَّ العذلَ يـولعُـه * قد قلتِ حقًّا ولكن ليس يسمعُـه

ومن أروع أبياتها، قوله:

أستودِعُ اللهَ في بغدادَ لي قمرا * بالكرْخِ من فلَكِ الأزْرارِ مطلعُـه[6].

---

[1]- خَيْثَمة بن سُلَيْمان بن حَيْدَرة بن سليمان الشَّامي الأطْرابُلُسي(217-343هـ/832-954م): يكنى أبا الحسن، محدث الشَّام، كان رحالاً جوالاً صاحب حديث، وله كتاب فضائل الصَّحابة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، صص412-416.

[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص237/ المنصور بن أبي عامر(حكم 368-392هـ/978-1001م): محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافريُّ، اتصل بالخدمة السلطانية على عهد الحكم المستنصر وصار من خواص رجال الدولة، وتقلب في عدة مناصب، فتقلد المواريث والقضاء والشرطة الوسطى والأمانات والنظر في الحشم ووكالة ولي العهد هشام، ثم حجابة هشام بوفاة المستنصر، وما لبث أن سيطر على أمور الدولة وقضى على منافسيه، وبذلك بدأ عهد الدولة العامرية التي استمرت مع ابنيه المظفر وشنجول، وتوفي المنصور منصرفا من غزوة بمدينة سالم. ابن الخطيب لسان الدين السلماني، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م، صص59-83.

[3]-المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.

[4]- ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به وصححه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت،1430هـ/2009م،ج1، ص252.

[5]- السبكي، المصدر السابق، ج1، صص308-312/ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ج2، ص66.

[6]- السبكي، المصدر السابق، ج1، صص308-309.

- أيوب بن نصر بن علي بن المبارك الشامي (302-...هـ/914-...م): يكنى أبا العلاء، من بيت المقدس، شافعي المذهب، له رواية بالشام وغيرها، وكان ثقةً حافظاً، قدم الأندلس تاجراً سنة 424هـ/1032م[1].

- عبد الله بن محمد بن آدم القارئ: (النصف الأول من القرن 5هـ/11م): يكنى أبا محمد، من خراسان، رحل منها ونزل بالأندلس، واشتهر فيها بحسن صوته في قراءة القرآن[2].

يصفه ابن بسام الذي التقى به بقوله: "...كان مع ذلك حلْو الحوار، مليحَ التندير، يُلهي ولا يضحك من حضر، ولا يضحكُ هو إذ ندَّر... وكان الفكيك قصيراً دميماً"[3]، كما اشتهر بالهجاء[4].

سُجن بإشبيلية من طرف المعتمد بن عباد، وقيل إن سبب ذلك أنه "كان يُرَهَّقُ في دينه، فأفضت به الحال في إشبيلية إلى الاعتقال"[5].

ومن شعر الفكيك في قصيدة:(البسيط)

غَنّى حُسامُكَ في أرْجَاء قُرْطبة * صَوتاً أبادَ العِدى والليلُ مُعْتكرُ

حَيثُ الدماء مُدامٌ والقَنا زَهَرٌ * والقومُ صَرْعى بكأس الحتفِ قد سكرو[6].

- ثابت بن محمد العدوي (350-431هـ/961-1039م): يكنى أبا الفتوح، من جرجان[7]، ولد سنة خمسين وثلاثمائة، عالم بالعربية، متمكن في علم الأدب، متقدم في علم المنطق وعلمُ اللسان، وحفظُ الغريبِ والشّعر الجاهليّ والإسلامي، ومشارك في أنواع التعاليم، والتصرّفِ في حَمْلِ السّلاح، والحِذْقِ بالآلاتِ الجُنديّة، والنفاذِ في معاني الفروسيّة، ويروي كثير من الآداب واللغات؛ دخل بغداد ودرس بها.

ومن شيوخه: ابن جني[8]، وأبو الحسن علي بن عيسى الربعي[9].

1- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص105.
2- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص302/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص138.
3- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص255-260.
4- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص255-260/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص121.
5- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص259.
6- المقري، المصدر السابق، ج3، ص120.
7- جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، صص119-123.
8- عثمان بن جني الموصلي(ولد قبل300-392هـ/912-1001م): أبو الفتح الموصلي النحوي، له أشعار حسنة، وتصانيف مفيدة منها كتاب الخصائص والمقصور والممدود، مات ببغداد. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج4، صص494-495.
9- أبو الحسن علي بن عيسى الربعي(ت420هـ/1029م): علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري، أبو الحسن النحوي، أحد أئمة النحويين وحذّاقهم الجيدي النظر الدقيق الفهم والقياس، أخذ عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي بشيراز، وعاد إلى بغداد فمات بها، صنف عدة كتب. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، صص1828-1832.

قدم الأندلس سنة 406هـ/1015م، وجال في أقطارها، وبلغ إلى ثغورها، ولقي ملوكها، وأوّلَ من لَقي من ملوك الأندلس مجاهدٌ العامريّ[1] بدانية.

وقتل أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني في غرناطة[2].

- مُحَمَّد بن عبد الله بن طَالِب الظّاهري(352-...هـ/963-...م): يكنى أبا عبد الله، من البصرة، على مذهب داود القياسي الظّاهري، ابتدأ بطلب العلْم على حداثة سِنّه، تجوَّل كثيراً ببلاد المشرق، وأخذ عن شيوخها؛ ثم قَدِم الأندلس تاجِراً سنة 420[3]هـ/1029م.

- تمَّام بن الحارث بن أسد عُفير (351-...هـ/962-...م): يُكْنى أبا سَهْل، من البصرة، قَدِم الأندلس مع ابنِه سَهْل تَاجِريْن في سنة 420هـ/1029م.

ولهُ رواية عن شيوخ البصرة وغيرهم، وكان ثقةً فاضلاً على مذهب أبي حنيفة، ذكره أبو محمد بن خَزْرَج[4] الذي لقِيَهُ باشبيلية ورَوَى عنه[5].

- مُحَمَّد بن الفَضْل بن عُبَيْد الله بن قُثَم القُرشي العبَّاسي(350-...هـ/961-...م): يُكْنَى أبا هاشم، بغدادي عَلَى مَذْهَب أبي حَنِيفة، واسع الرِّوَاية، من أهل العربيّة على مذهب الكوفيِّين؛ قَدِمَ الأندلس تاجراً سنة 422[6]هـ/1030م.

- مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن محمود (قدم الأندلس423هـ/1031-...م): يُكْنَى أبا سالم، من حران، وكان مُعْتَقِداً لمذهب داود الظاهري وأصْحَابه، عالم مُصنف، ومُتصرِّف في فنون العِلم من الشعر والقراءات، وذا روَايةٍ واسعةٍ وعالية؛ وقَدِمَ الأندلس تاجراً سنة423هـ/1031م.

روَى عن جلّةٍ من شيوخ العراق وخُرَاسان وغَيْرِها، وقرأ القِراءات السَّبْع عَلَى أبي أحمد السّامري[1] بمصر[2].

---

[1]- الموفق مجاهد بن عبد الله العامري (400-436هـ/1009-1044م): أبو الجيوش، من فحول فتيان بني عامر، قدمه المنصور بن أبي عامر على دانية والجزائر الشرقية (ميورقة، منورقة، يابسة)، وبوقوع الفتنة تغلَّب مجاهد على مدينة دانية وضبطها وتسمى بالموفق بالله وغدا من ملوك الطوائف، وكان ذا علم ومعرفة بالأدب، مشارك في علوم اللسان، وعلوم القرآن، ذا نباهة ورياسة، من أهل الشجاعة والتدبير والسياسة، قصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب، فأجزل لهم العطاء، وألفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم، وحكم مدة 36سنة، وتوفي بدانية. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، صص155-156.

[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص90-92/ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، صص114-115/ غرناطة: مدينة بالأندلس، من مدن البيرة، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس، وحَبُّوس الصنهاجي هو الذي مدَّنَ غرناطة وحصَّنَ أسوارها، وبنى قصبتها، ويشق المدينة نهر يسمى حَدَرُّه، بينها وبين إلبيرة ستة أميال، وبينها وبين وادي آش أربعون ميلاً. الحميري، المصدر السابق، صص45-46.

[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص465.

[4]- عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج بن محمد بن إسماعيل بن الحارث الداخل بالأندلس(407-478هـ/1016-1085م): يكنى أبا محمد، لخميّ النسب، من أهل إشبيلية، حافظ، مجود، مؤرخ، ثقة في روايته، سمع الناس منه كثيرا. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 238.

[5]- نفسه، ج1،ص113.

[6] - نفسه، ج2، 466.



- **مُحَمَّد بن زَيْد بن عليّ بن الحُسَيْن العَلَوي (358-...هـ/968-...م):** يُكْنَى أبا زَيْد، شافعي المَذْهَب، فقيه وأديب وشاعر، حافظ للأخبار، واسع الرِّواية، يُحسن عِلْم التّعبير مُتَقَدِّماً فيه؛ وقَدِم الأندلس سنة 428[3]هـ/1036م.

- **مُحَمَّد بن عبد الملك بن سُلَيْمان بن أبي الجَعْد (355-...هـ/965-...م):** ، يُكْنىَ: أبا بَكْر، ولد بِتُسْتَر[4]، حَنْبَلي المذهب، واسع الرواية، عَالم بفنون علوم القرآن من قراءاتِ وإعرابٍ وتفسير، قَدِمَ الأندلس تاجِراً سنة 430هـ/1053م؛ وروى عن شيوخٍ جلّة بالعراق، وخراسان[5].

- **محمد بن سَعِيد بن عُثْمَان بن الوَليد بن عِمَارة الكِلاَبي المدني(355-...هـ/965-...م):** يُكْنىَ أبا عبد الله، شَافِعي المَذْهب، وَاسع الرِّواية، حافظ للأخبار، ثقةً ثَبْتاً.

وفد على الأندلس وتواجد بإشبيلية سنة 432[6]هـ/1040م.

- **مُحَمَّد بن عبد الواحد بن مُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الزبيري (357-** كان حيا **434هـ/967-1041م):** يكنى أبا البركات، وولد بمكّة.

دَخل العراق وبغداد والشام ومصر وسَمِع بها؛ ثم دخل الأندلس[7].

- **مُحَمَّد بن الحَسن بن عبد الرَّحمن بن عبد الوارث الرَّازي (...- بعد 450هـ/...-1058م):** يُكنىَ أبا بَكْر، من خراسان.

سَمِعَ بأصْبَهان من أبي نُعَيْم الحافظ، وبمصر من أبي مُحَمَّد عبد الرَّحمن بن عُمَر النحَّاس[8]، كما سمع ببيت المقدس.

وفد على بالأندلس ومات بها غَرَقاً[9].

- **مُحمَّدُ بن طاهر العسكري (**قبل القرن **5هـ/10-11م):** أديب، من بغداد، وفد على

---

[1]- عبد الله بن الحسين بن حسنون السّامري البغدادي (295-386هـ/907-996م): يكنى أبا أحمد، شيخ القراء، روى الحديث واتهم بالكذب فيه. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، صص515-516.

[2] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص465-466.

[3]- نفسه، ج2، ص466.

[4]- تستر: تستر تعريب لكلمة شوشتر، أعظم مدينة بخوزستان، تقع على مكان مرتفع من الأرض وبها نهر كبير، بناؤها قديم محكم وسورها منيع، أقرب المدن إليها البصرة ثم الكوفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، صص29-31.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص466-467.

[6]- نفسه، ج2، ص467.

[7]- نفسه، ج2، صص 462-463.

[8]- عبد الرَّحمن بن عُمَر بن محمد بن سعيد التجيبي (ت416هـ/1025م): أبو مُحَمَّد، المعروف بابن النحَّاس، مُسند الديار المصرية في وقته ومحدثها، سمع الحديث بمكة والمدينة، وتوفي بالقاهرة. الزركلي، الأعلام، ج3، ص319.

[9]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص467.

[10]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص103.

- الحُسَيْن بن الحَسَن بن أحمد بن الفَتْح (5هـ/11م): يكنى أبا عبد الله، من دمياط، كان واعظا، قدم الأندلس سنة 473هـ/1080م، وحَدَّث بِطُلَيْطُلة عن أبي إسحاق الشِّيرازي[1] الفقيه وأبي بَكْر الخطيب[2] وغيرهما؛ ثم صارَ إلى بَطَلْيَوْس، وحدث بها وأخذ عنه كثير من الأندلسيين[3].

- المُبَارَكُ بن سَعِيد بن مُحمَّد بن الحَسَن الأَسَدِي(ت490هـ/1096م): يكنى أبا الحسن، ويعرف بان الخَشَّاب، من بغداد، تاجر.

دخل الأندلس 483هـ/1090م، وتجول في قرطبة وألمرية، حيث حَدَّث عن أبي عبد الله القُضَاعي[4] بكتاب "الشِّهاب" له، وعن أبي بَكْر أحمد بن عليّ بن ثَابِت الخطيب بتاريخه في رجال بغداد، وعن أبي الفَتْح نَصْر بن إبراهيم المقدسي وغيرهم؛ كما أسمع منه بقرطبة وأُخِذ عنه.

يصفه ابن بشكوال بقوله: "وكان من أهل الثِّقة والصِّدق والثَّرْوَة"، وغادر الأندلس إلى بغداد ومات بها[5].

- مُحَمَّد بن مُحَمَّد الزّعيمي (5هـ/11م): ، يُكْنَى أبا سعد، من بغداد، من خاصة الـمُرْتَضَى العَلَوي[6]؛ وكان ذا أدبٍ ونُبْلٍ وشِعْر، دَخَلَ الأندلس وتجوَّل بها[7].

- إبراهيم بن بَكْر (5هـ/11م): من الموصل، دخل إشبيلية، وحَدَّث بها ، وليست لدينا معلومات عن نشاطات إبراهيم بن بكر الموصلي في الأندلس، وهل بقي فيها أم رجع[8].

---

[1]- إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآباذيّ الشِّيرازي(393-476هـ/1002-1083م): يكنى أبا إسحاق، شيخ الإسلام، جال في البلد طلبا للعلم من شيراز والبصرة وبغداد، كان يضرب به المثل في الفصاحة والمناظرة، وكانت الفتاوى ترحل من المشرق والمغرب إليه، والفتاوى تحمل من البر والبحر إلى ما بين يديه، وله عدة مؤلفات، منها كتاب التنبيه وطبقات الفقهاء. السبكي، طبقات الشافعية، ج4، صص215-256.

[2]- أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (392-463هـ/1001-1070م): يكنى أبا بكر، ويعرف بالخطيب، رحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان والحجاز والبلاد الشامية واستقر ببغداد، وكان كثير التصنيف. ابن الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج1، صص17-44.

[3]- ويبدو أنه كان من المتصوفة. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص134.

[4]- محمد بن سَلامة بن جعفر بن علي بن حكمون (ت454هـ/1062م): يكنى أبا عبد الله، يعرف بالقُضَاعي، مصري، فقيه شافعي، كان متفننا في عدة علوم، وهو قاضي الديار المصرية، وقد صنف عدة مؤلفات، منها كتاب الشهاب، وكتاب مناقب الإمام الشافعي وأخباره وكتاب خطط مصر. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص230.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص490-491.

[6]- الـمُرْتَضَى العَلَوي (355-436هـ/965-1044م): عليّ بن الحُسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب، أبو القاسم الموسويُّ العَلَويُّ، ذا الـمَجْدين، وكانت إليه نقابة الطَّالبيين، وكان شاعراً كثير الشِّعْر متكَلِّمًا له تصانيف على مَذاهب الشِّيعة، وحدَّث عن سهل بن أحمد الدِّيباجي، وأبي عبيد الله المَرْزُبَاني، وأبي الحسن بن الجُنْدي. ابن الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج13، صص344-345.

[7]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص468.

[8]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص96/ عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة، ص68.

- عبيد بن محمد بن عبيد (النصف الثاني من القرن5هـ وأوائل القرن 6هـ/12-13م): يكنى أبا العلاء، من نيسابور[1]، مُحدث.

وهو أحد شيوخ أبي علي الصدفي[2]، لقيه ببغداد إذ قدم حاجاً؛ يذكر ابن الأبار: "قال أبو علي: وأراه دخل الأندلس ويغلب على ظني أني رأيته بسَرَقُسْطة"[3].

- عَليُّ بن أحمد بن عليّ الرّبعي (ت531هـ/1136م): يكنى أبا الحسن، من بيت المَقْدِس، شافعي المذهب، تاجر.

لهُ سَمَاعٌ من أبي بَكْر الخطيب، ومن نَصْر بن إبراهيم المَقْدِسي[4]، ودَرَس على أبي إسحاق الشِّيرازي، وسكن المرية[5].

- أبو الحسن البغدادي: (6هـ/12م): لم تشر المصادر[6] إلى اسمه، يعروف بالفُكَيْك[7]، أديب من أهل العراق[8]، وفد على الأندلس وتواجد بها قبل سنة 542هـ/1147م.

---

[1]- نَيسابور: -بفتح أوله- والعامة يسمونه نَشَاوُر، وتسمى إيرانشهر أيضا، من بلاد خراسان، مدينة مابين جيجون إلى القادسية، ومن الريّ إلى نيسابور مائة وستون فرسخًا، وهي عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، صص331-333.

[2]- حسين بن محمد بن حيون بن فيارة الصدفي (ت514هـ/1120م): أبو علي، المعروف بابن سُكّرة القاضي، من مرسية الأندلس، إمام محدث زاهد كثير الرواية سمع بالأندلس ورحل إلى المشرق، ودخل مصر وبلاد الحجاز والعراق ودمشق، ولم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييده الحديث وضبطه والعلو في الرواية وقد كتب سفرين صحيح مسلم وصحيح البخاري، وتقلد قضاء مرسية 505هـ/1111م، ومات شهيدا في وقعة قتندة- ثغر سرقسطة. الضبي، المصدر السابق، ص247/ ابن الأبار القضاعي، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م، صص4-9.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج4/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص67/ سَرَقُسْطة: المدينة البيضاء في شرق الأندلس، من قواعد مدنها، على ضفة نهر الروم، لها سور حجارة حصين من بناء قديم، واسعة الخطة، كبيرة القطر، وسقطت بيد النصارى 502هـ/1108م. الحميري، الروض المعطار، ص317.

[4]- نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود (ت490هـ/1096م): أبو الفتح المقدسي النابلسي، الزاهد، الفقيه، شيخ الشافعية بالشام، أقام بالقدس مدة طويلة ثم استقر بدمشق، إمام، علامة، مفتي، محدث، حافظ، ورع، كبير القدر، سمع بدمشق وبغزة وبآمد وصور والقدس، وتفقه وأملى وصنَّف وتفقه به جماعة من دمشق وغيرها، ومن مؤلفاته التهذيب والتقريب والكافي والإشارة والحُجة على تارك المَحَجَّة. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص396-397.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص346.

[6]- ترجم له: ابن بسام في الذخيرة، ج4، صص255-260/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص119-121.

[7]- ورد في كتاب الذخيرة في ترجمة صاعد البغدادي ذكر رجل بغدادي يعرف بـ**"الكيك"**، - ولم يقل الفكيك- وأشار إليه على أنه من أصحاب ابن شُهيد، كان قد حضر معه مجلس أنسه، في فترة حكم المنصور بن أبي عامر، كما نوه ابن بسام إلى صفته بقوله: "وله نَوادِرُ تُضْحِك" لكن المشكلة تكمن في أن ابن بسام لما ترجم للفكيك - وليس الكيك– ترجمة منفردة، لم يُشر إلى أنه من أصحاب ابن شهيد ولا لحضوره مجلس أنس المنصور ابن أبي عامر؛ وقد اشترك الكيك والفكيك بالتندير، وبذلك يُرجح افتراض وجود شخص آخر باسم الكيك ذلك لأن ما ألفناه عند ابن بسام أن يقول "أشرنا لمجلس كذا في رواية كذا" في ترجمة قد سبقت وخاصة أن الفكيك قد عاصر ابن بسام المتوفى 542هـ/1147م والتقى به؛ والخلط بين الشخصيتين وقع فيه المقري لما نقل عن ابن بسام؛ وقد نفي إحسان عباس محقق الذخيرة ونفح الطيب أن يكون الكيك والفكيك واحد في قوله: "ونقل المقري القسم الأول ويشمل ج1وج2 حكاية المضحك البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر وسماه الفكيك، وهو خطأ لأن الفكيك لا يمكن أن يكون قد أدرك عهد المنصور". ابن بسام، الذخيرة، ج4، ص255 وهامش رقم2.

[8]- بدليل قوله في بيت شعري:

وأنسيتني أرضَ العراقِ ودجلةً * وربعيَ حتى ما أحنُّ إلى أهلي. المقري، المصدر السابق، ج3، ص120.

- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون القيسي (ق6هـ/12م): يكنى أبا القاسم، ويعرف بالقسطلاني، روى عن أبي القاسم عن البوصيري[1] والميانشي[2] وغيرهم.

- مُحَمَّد بن إبراهيم (قبل ق6هـ/12م): يُكْنَىَ أبا نَصْر، ويعرف بالـمَهْديّ، من بغداد، شَّافعي المذهب وأشار إليه ابن بشكوال[3].

- إسماعيل بن الإسكندراني(6هـ/12م): يكنى أبا الطاهر، فقيه على مذهب الشافعي، قدم الأندلس ودخل مُرْسِية تاجراً.

لقي ببلده أبا طاهر السلفي[4] وسمع منه، ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني؛ ومن شعره لنفسه:

أناَ مِن أهْلِ الحَدِيثِ * وهُمُ خيْرُ فِئَة

عِشْتُ تِسْعِينَ وأرْجُو * أنْ أعِيشَ لِمِائَهْ[5].

- عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الباخرزي المالينى(560-...هـ/1164-...م): يكنى أبا بكر، من خراسان، وفد على الأندلس، فدخل غرناطة ومرسية[6] ومالقة، وكان لا يزال بالأندلس سنة 600هـ/1203م.

سمع من أبي الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني[7]، وغيره؛ ولا تشير المصادر إلى عودته إلى المشرق، أو وفاته في الأندلس[8].

---

[1]- هبة الله بن الحسن بن علي بن سعود الأنصاري الخزرجي (ت598هـ/1201م): أبو القاسم الـمُنَسْتِيري البُوصيري، الكاتب الأديب، مسند الدِّيار المصرية. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص550.

[2]- عمر بن عبد المجيد القُرشي (ت581هـ/1185م): أبو حفص الـمَيَّانِشي، شيخ الحرمين تتلمذ على أبي عبد الله الرَّازي وسمع من جماعة، وله كرَّاسٌ في علم الحديث، توفي بمكة. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 6، ص447.

[3] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص468.

[4]- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السِّلَفِيُّ(475-576هـ/1082-1180م): أبو طاهر الأصبهاني الجَرْوانيُّ، إمام، علامة، حافظ، مفتي، شيخ الإسلام، ولقب بالسِّلَفِيُّ نسبة إلى جده أحمد سِلَفة، رحل إلى بلاد كثيرة مدة ثمانية عشر عاما، فسمع بأصبهان وبغداد والكوفة، والبصرة، وخراسان، ومكة والمدينة، وهمذان، وسلماس، والأهواز، ومصر ودمشق وقد كتب الحديث والفقه والأدب والشعر؛ كما جلس للتدريس في الأماكن التي ارتحل إليها ينشر علمه، واستوطن ثغر الإسكندرية ومات بها، ورحل إليه خلق كثير منهم صلاح الدين الأيوبي وإخوته، وحدث عنه كثير من علماء الأمة، وكان ينظم الشعر، وله تصانيف كثيرة: منها كتاب معجم السِّفَر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص5-39.

[5]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص160/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.

[6]- مرسية: مدينة من بلاد الأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 216هـ/831م، تقع على نهر كبير، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدودة، ومنها إلى قرطبة عشر مراحل. الحميري، المصدر السابق، ص539.

[7]- رضي الدين أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطَّالْقَاني القَزْويني(512-580هـ/1114-1184م): أبو الخير الفقيه الشافعي الواعظ، تفقه على ملكذاذ العُمَرَكِيّ، وقرأ بالروايات على إبراهيم بن عبد الملك القَزْوِيِني، وسمع من الفُرَاوي، وزاهر الشّحَاميّ، دَرَّسَ ببغداد، وكان إماماً في المذهب والخِلاف والأصول والتفسير والوعظ، وروى كتباً كباراً، عاد إلى قزوين ومات بها، وصنف كتاب البيان في مسائل القرآن. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، صص492-493.

[8]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص103.

- أبو البساتين الواعظ الصوفي: (6هـ/12م): صنفه ابن الأبار من الغرباء وقال: "حُدِثت عن أبي خالد يزيد بن عبد الجبار القرشي المرواني[1]، قال أنشدني شيخنا أبو عبد الرحمن بن إبراهيم النحوي، قال أنشدني الأستاذ أبو البساتين الواعظ الصوفي: (المتقارب)

مُكِبٌّ عَلَى النَّحْوِ يُعْنَى بِهِ * لِيَسْلَمَ في قَولِه مِنْ زَلَل

يَقُولُ أُقَوِّمُ زَيْغَ اللِّسَانِ * فَهَلاَّ يُقَوِّمُ زَيْغَ اَلْعَمَلْ"[2].

- محمد بن يحيى بن إبراهيم الخزرجي(...-حوالي 610هـ/...-1213م): يكنى أبا القاسم، ويعرف بأخي أبي الوفاء، من أهل مصر، دخل الأندلس وقدم إشبيلية.

له سماع من السلفي وغيره[3].

- محمد بن أبي الحسن الفارسي المروزي(7هـ/13م): يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالجوهري، قرأ القرآن بأصبهان، وقدم الأندلس فدخل قرطبة في أوائل شهر جمادى الآخرة من سنة 613هـ/1216م.

قال عنه ابن الأبار: "وكان حافظاً مجوداً، حسن السمت"[4].

- عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي الصوفي(...- كان حيا 615هـ/...-1218م): يكنى أبا محمد، ويعرف بالذهبي، وقيل النَّرْسي[5]، من أهل بغداد، دخل الأندلس، ووفد على غرناطة قريبا من سنة613هـ/1216م.

سمع عن أبي الوقت السجزي[6] صحيح البخاري، وأبي الفرج الجوزي[7] وغيرهما؛ وله تأليف سماه "بالدليل في الطريق من أقاويل أهل التحقيق"، وتواليف في التصوف منها تأليف في "إباحة السماع" و" عوالي النقيب"، وكانت وفاته باشبيلية [1].

---

[1]- يزيد بن عبد الجبار القرشي المرواني(ت562هـ/1166م) واسمه الكامل: يزيد بن عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن عبد الله بن المطرف بن أحمد بن المطرف بن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية القرشي المرواني، أبو خالد، من أهل قرطبة؛ كان عارفا بالقراءات والعربية والآداب من أهل الضبط والتجويد والمشاركة في العلوم، من قرض الشعر وحسن الخط، قعد للإقراء في مسجد قرطبة، له تأليف في قراءة نافع وآخر في شرح خطبة أدب الكتاب وشرح قصيدتين لكعب بن زهير. ابن الأبار، التكملة، ج4، ص233.

[2]- نفسه، ج1، ص187.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص164/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص220.

[4]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص164.

[5]- نسبة إلى قرية من قرى بغداد. نفسه، ج3، ص145/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص65، ولم يذكر المقري لقبه الذهبي رغم أنه نقل عن ابن الأبار وإنما اكتفى بالقول عنه: قال: إنه يعرف بالنَّرْسي.

[6]- عبد الأول ابن الشيخ أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق (458-512هـ/1065-1118م): أبو الوقت السِّجْزيُّ ثم الهَرَويُّ الماليني، سمع من خلق كثير؛ وحدث بخراسان وأصبهان وكرمان وهمذان وبغداد والبصرة، وحدث عنه كثيرون منهم ابن عساكر والسمعانيّ وابن الجوزي، ومات بمالين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، صص303-311.

[7]- أبو الفرج الجوزي(510-597هـ/1116-1200م): واسمه الكامل: عبد الرحمن بن الجوزي بن علي بن محمد بن علي بن عُبيد الله بن عبد الله بن حُمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق- رضي الله عن- القُرشي التَّيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ

- **علي بن محمد بن أبي عشرة (ق 7هـ/13م):** يكنى أبا الحسن، وهو من أهل فارس. ولي قضاء بلنسية[2] في سنة 617هـ/1220م ، ثم نقل منها إلى قضاء إشبيلية، وولي بعذ ذلك قضاء الجماعة سنة 621هـ/1224م.

قال عنه ابن الأبار: "وكان فقيها درباً بالأحكام، يعرف الفرض والحساب"[3].

- **عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب (توفى بعد 642هـ/1244م):** يكنى أبا محمد، ويعرف بالطندثائي- الطنديالي- نسبة إلى قرية بمصر، وهو من أهل مصر وسكن بغداد، وقدم الأندلس رسولاً من قبل الخليفة العباسي، فسكن مرسية، وكان قد روى عن أبي محمد الشارمساحي[4] وتفقه به.

وخرج من مرسية في سنة 642هـ/1244م بعد أن تملكها النصارى صلحاً، وأسر بناحية صقلية ثم تخلص ولحق ببلده[5].

- **أشهب بن العضد (ق7هـ/13م):** خراساني، من الداخلين إلى الأندلس، ونزل على ابن هود[6] في إشبيلية[7].

- **محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكافي الأنصاري (...-654 أو655هـ/...-1256أو 1257م):** يكنى أبا بكر، يعرف بسعد الدين، من دمشق، أصم شديد الصمم، لا يكاد يسمع شيئا البتة، شافعي المذهب؛ وعالم مشارك في النحو والتفسير والقراءات وعلم الطب، وامتهن الوعظ.

وفد على الأندلس والمغرب، وورد على الأندلس سنة 651هـ/1253م، وتجول بمرسية، وغرناطة، ثم دخل المغرب وتجول بها، وأقام مدة بمدينة سبتة.

المتفنن، صاحب التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والزهد، والوعظ، والأخبار، والتاريخ، والطب. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص537.

[1]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص145.

[2]- بلنسية: مدينة في شرق الأندلس من إحدى قواعد البلاد، بينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي على نهر جار، وسورها مبني بالحجر والطوابي، ولها أربعة أبواب، وبينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما، وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما، استولى عليها ملك الروم سنة 636هـ/1238م. الحميري، المصدر السابق، ص97.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص250.

[4]- عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد (589-699هـ/1193-1299م): مغربي الأصل شارمساحي المولد، إسكندري المنشأ والدار، إمام عالم على مذهب مالك، رحل إلى بغداد، وتولى التدريس في المدرسة المستنصرية، وله عدة كتب، منها كتاب نظم الدرر في اختصار المدونة وكتاب الفوائد في الفقه. ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، صص231-232.

[5]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص64.

[6]- محمد بن يوسف بن هود الجذامي(ت635هـ/1237م): أبو عبد الله، ويعرف ابن هود، تلقب المتوكل على الله، ثار على الموحدين سنة 625هـ/1227م في مرسية وخطب للعباسيين خلفاء بغداد، ودانت له بلاد كثيرة من الأندلس وسبتة وطنجة من العدوة المغربية. مجهول، تاريخ وجغرافية الأندلس، صص355-375، وهامش رقم1 ص355.

[7]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص118-119.

وأخذ عن علماء كثر، أشهرهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الإمام الواعظ، وله تأليف سماه مصباح الواعظ وتفسير جملة كبيرة من الكتاب العزيز.

وقد توفي يوم رجوعه إلى المشرق، وله نحو من خمس وثمانين عاما[1].

- عبد الخالق بن إبراهيم الطيب(النصف الأول من القرن **7هـ/13م): يكنى أبا القاسم، ولا يعرف موطنه من المشرق، دخل الأندلس ثم رحل عنها، قال ابن الأبار: "وكان أديبا قوي العارضة، مطبوع الشعر، مديد النفس"[2].

- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن محارب القيسي(554-641هـ/1159-1243م): يكنى أبا عبد الله، من أهل الإسكندرية، وأصله من المغرب، ودخل الأندلس.

سمع أبا الطاهر بن عوف[3] وأبا عبد الله الحضرمي[4] وأبا القاسم بن موقى[5] وأبا الحسن بن مفضل[6]، سمع من أبي طاهر السلفي الأربعين حديثاً له وغيرها[7].

- عبد الله المعمر(7هـ/13م): من الوافدين على الأندلس[8].

- زرعة بن رَوْح: (...هـ/...م): والد مسلمة بن زرعة، من الشام، ودخل الأندلس[9].

---

[1]- ابن الزبير، صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، الشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1414هـ/1994م، القسم3، صص34-35.

[2]- نفسه، ج3، ص140/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص64-65.

[3]- أبو الطاهر بن عَوْف(ت581هـ/1185م): إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل بن عيسى عن عوف الزُّهري الإسكندراني المالكي، تفقّه على أبي بكر الطُّرطُوشي، وسمع منه ومن أبي عبد الله الرَّازي، وبرع في المذهب، وعليه تخرَّج علماء، وقصده السلطان صلاح الدِّين وسمع منه الموطأ. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص441.

[4]- أبو عبد الله الحضرمي(514-589هـ/1121-1193م): محمّدُ بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن محمد بن الفضلِ الحَضْرَميُّ العلائي- نسبة إلى العلاء بن الحضرمي- الصِّقلِّيّ، ثم الإسكندرانيُّ، المالكي، الفقيه، وسمع من أبي عبد الله الرازي، وغيره كثير. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، صص216-217.

[5]- أبو القاسم بن موقى(505-599هـ/1111-1202م): عبدُ الرحمن بنُ مكّيَّ بن حمزَة بن مُوَقَّى بن علي الأنصاريُّ السَّعْدِيُّ الثَّغْرِيُّ، أبو القاسِمِ المالكيُّ التاجُر، ويعرف بان علاَّس، مُسْنِدٌ الإسكندرية، سمع من أبي عبد الله الرازيّ مشيخَتَهُ وأجاز له، وحدَّث عنه عليُّ بن المُفَضَّل...وغيرهم. نفسه، ج21، صص392-393.

[6]- أبو الحسن بن مفضل(ت611هـ/1214م)علي بن المفضّل بن علي بن أبي الغَيثِ مُفَرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر، العلامة الحافظ شرف الدين، أبو الحسن، ابن القاضي بن أبي المكارم اللخمي، المقدسي الأصل، الإسكندراني المالكي القاضي، إمام محدِّث، له تصانيف مفيدة في الحديث وغيره. الصفدي، المصدر السابق، ج22، ص136.

[7]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص168.

[8]- نفسه، ج2، ص302/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص60.

[9]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص269/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص58.

ثالثا: أهل الثقافة والعلوم المشارقة الوافدين إلى بلاد المغارب (المغرب والأندلس وصقلية)

- عبد الرَّحْمن بن معاوية بن هِشَام بن عبد الـمَلكِ بن مَرْوَان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف(113-172هـ/731-788م): يُكْنَى أبا المطرِّف، وُلد بالشام، وأمه أم ولد اسمها "راح" من سبي زناتة، أوَّلُ أمراء بني أمية بالأندلس، وكان قد فر من المشرق بعد أن أزاح العباسيون بني أمية عن الخلافة.

خرج عبد الرحمن إلى مصر مع أربعة من مواليه وهم: بدر وتمام وزياد وأبو شجاع، وتوجه إلى برقة فأقام بها أياما، ثم دخل إفريقية ووصل إلى القيروان ومنها سار إلى نفزة وهم أخواله، ثم ارتحل إلى زناتة ونزل بقرية مغيلة[1] الساحلية وبدأ في تدبير أمر جوازه إلى الأندلس.

وكان دخوله الأندلس سنة 138هـ/ 755م في زمن أبي جعفر المنصور[2] فقامت معه اليمانية، وحارب يوسف الفِهْرِي[3] الوالي على الأندلس فهزمه، واستولى عبد الرَّحْمن على قرطبة يوم عيد الأضحى 138هـ/755م، وكانت وفاته بماردة[4] وحمل إلى قرطبة ودفن بها[5].

وهو من أهل العلم، وله أدب وشعر، "كان فصيحاً بليغاً، كاتبا مرسلا، جيد الفصول...مطبوع الشعر، وكان شاعراً مجيداً"[6].

- وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي (...-237هـ/...-851م): يكنى أبا زيد، تاجر، أصله من فارس، قدم إلى مصر من البصرة، وأقام بها، ثم خرج إلى المغرب قاصداً تاهرت، ومنها توجه إلى الأندلس، ثم عاد إلى مصر وتوفي بها؛ وله كتاب أخبار الردة[7].

- علي بن نافع (...-238هـ/...-852م): يكنى أبا الحسن، ويُعرف بزرياب[1]؛ مولى الخليفة العباسي المهدي[2]، وهارون الرشيد؛ ويقال إنه من أصل فارسي[3]، وفد على بلاد المغارب،

---

[1]- مغيلة: مرسى صيفي، وله رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير، ويقابله من بر الأندلس مرسى قبطيل من تدمير.- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص756.

[2]- أبو جعفر المنصور (حكم136-158هـ/753-770م): عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطّلب العباسي، ثاني خلفاء بني العباس، تولى الخلافة بعد أخيه السفاح، أمه سلاّمة البربرية، ولد سنة 95هـ/713م، ويقال له فحل بني العباس، وهو قاتل أبا مسلم الخراساني مؤسس دولتهم. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، صص 233-234.

[3]- يوسف بن عبد الرَّحْمن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفِهْرِي(ت142/759م): ولي الأندلس عشر سنين وهو آخر ولاتها، قتل بنواحي طليطلة.- ابن الكردبوس، المصدر السابق، صص379-380، وص380 هامش رقم3.

[4]- ماردة: مدينة قديمة أزلية في جوف قرطبة مائلة إلى المغرب، بينها وبين قرطبة خمسة أيام، وهي كبيرة ولها أعمال كثيرة. مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، صص13-137.

[5]- الحميدي، المصدر السابق، صص23-24/ ابن الكردبوس، صص379-380/ مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، صص211-225.

[6]- نفسه، ص213.

[7]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص148/ الضبي، المصدر السابق، ص447-448.

فقدم المغرب أولا على أيام الأغالبة ونزل على الأمير الأغلبي زيادة الله[4] بالقيروان، ولكن لم يُحالفه التوفيق بها فسارع زرياب بركوب البحر مُتجهاً نحو الأندلس، فوصل قرطبة على عهد عبد الرحمن بن الحكم سنة 207هـ/822م.

وتتلمذ في المشرق على يد إسحاق الموصلي[5] ببغداد، واشتُهر بالموسيقى والغناء في الأندلس حتى عرف برئيس المغنين، وكان شاعراً، جمع في شخصه فنون الأدب مع فصاحة لسانه وحلو شمائله، عالما بسير الخلفاء ونوادر العلماء؛ وأيضاً عالماً بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعُب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها، مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها.

وتوفي زرياب[6] بعد أربعين يوماً من وفاة الأمير محمد.

-أولاده الوافدون معه[7]:

-عبيد الله بن زرياب (ق3هـ/9م): وفد الأندلس رُفقة والده، واشتهر بالغناء أيضاً، وكان الأعلى طبقة من جميع إخوته.

---

[1]- لقب غُلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه، فقد شبه بطائر أسود غرد عندهم، وكان شاعرا مطبوعا؛ وهناك من يقول إن زرياب معناه ماء الذهب، وسبب ذلك جماله وحلو شمائله؛ ويسميه جارجي سيمون بالبلبل المغرد "le rossignol chanteur" المقري، المصدر السابق، ج3، ص122/ سمير شيخاني، أشهر المغنين عند العرب ونوادرهم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م، ص145.

-Simon JARGY¸ LA MUSIQUE ARABE¸ Presses Universitaire de France¸ Troisième édition¸ 1971¸ paris¸ pp-42-43.

[2]- محمد بن عبد الله بن المنصور(حكم158-169هـ/774-785م): يكنى أبا عبد الله، ويُلقب بالمهدي، ولد سنة 121هـ/738م، وقيل في غيرها بالحُمَيمة من أرض البلقاء، ثالث الخلفاء العباسيين، توفي بماسَبَذان، ودامت خلافته عشر سنين. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية دار هجر، الجيزة، ط1، 1419هـ/1998م، صص450-552.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص145/ يقول محمد الأسعد قريعة في بحث له حول زرياب: "فنحن لا نعلم على وجه التدقيق تاريخ ولادته ولا مكانها رغم تأكيد البعض بأنه من مواليد بغداد ولكن بدون حجج كافية، ولا نعرف أيضا من أي أصل ينحدر رغم ذهاب بعضهم إلى القول بأنه من أصل فارسي". زرياب وأسطورة الوتر الخامس، مجلة الحياة الثقافية، تصفيف وطباعة ألفا للنشر، تونس، السنة 22، أكتوبر1997م، ع88، ص22.

[4]- زيادة الله الأغلبي (201-223هـ/817-838م): أول من تسمى في الإسلام بزيادة الله، تولى حكم إفريقية من قبل المأمون، وفتحت في أيامه جزيرة صقلية، وهو من بنى جامع القيروان. ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، صص55-57.

[5]- وقيل أنه كان تلميذاً للموصليين إبراهيم وابنه إسحاق. محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص22/ إسحاق الموصلي: كنيته أبو محمد، من أهل العلم ورواة الحديث فقد لقي كبار المحدثين، واشتهر بالأدب والشعر والغناء، وكوَّن كثير من الجواري والغِلمان في فن الغناء، وألف كتابا جمع فيه الغناء القديم والحديث، توفي في بغداد في أول خلافة المتوكل (232-247هـ/846-861م)، وكان قد عاصر الرشيد. أحمد الطويلي، الجواري والمغنيات، دار أسود على أبيض، تونس، ط1997م، ص163/ سمير شيخاني، المرجع السابق، صص135-144.

[6]- نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، صص122-127./Simon Jargy¸ op. cit. pp.43.

[7]- له من الذكور ثمانية: عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد وقاسم وأحمد وحسن، ومن الإناث اثنتين: علية وحمدونة؛ وكلّهم غَنّى، أما القادمين معه فهم أربعة، يقول المقري: "وأن يجري على بنيه الذين قدموا معه- وكانوا أربعة: عبد الرحمن وجعفر وعبيد الله ويحيى" من الذكور، وكذلك حمدونة وعلية من الوافدات، وبقية الأولاد الآخرين ربما ولدوا في الأندلس. المقري، المصدر السابق، ج3، صص125-129.

- **عبد الرحمن بن زرياب (ق3هـ/9م):** دخل الأندلس مع والده، وكانت صنعته الغناء أيضاً.

- **جعفر بن زرياب (ق3هـ/9م):** قدم الأندلس مع أبيه، ومارس الغناء.

- **يحيى بن زرياب (ق3هـ/9م):** دخل الأندلس مع والده، وغَنّى ومارس صناعة والده.

- **حمدونة بنت زرياب(ق3هـ/9م):** من الوافدات، فقد تزوجها الوزير هشام بن عبد العزيز[1]، وكانت مغنية أيضا، يقول المقري[2]: "كانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في أهل بيتها محسنة لصناعتها، متقدمة على أختها علية"[3].

- **علية بنت زرياب(ق3هـ/9م):** ومارست صناعة أفراد بيتها، وهي أطول أهل بيتها عمرا، وآخر من حمل عنها الغناء من آل زرياب[4] في الأندلس.

- **أما الجارية[5] الوافدة معه، فهي متعة:** جارية مشرقية وفدت مع زرياب؛ كانت مُغنية ورائعة الجمال، يقول المقري: "أدَّبها وعلَّما أحسن أغانيه حتى شبت"[6] ومن ثمة أهداها للأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي أُعجب بها وبفنَّها فحظيت عنده[7].

- **إسحاق بن عمران** (توفي في حدود **251هـ/865م**)**:** يُلقب بسم ساعة؛ بغدادي الأصل، طبيب مسلم، دخل المغرب والأندلس[8]، وسكن القيروان على عهد زيادة الله بن الأغلب الثالث[9].

ومن مؤلفاته: نزهة النفس، وكتاب في داء المالخونيا، وكتاب في الفصد، وكتاب في النبض، والعنصر والتمام.

ومات مصلوبا فقد دارت له مع زيادة الله بن الأغلب محنة أوجبت الوَحْشة بينهما، حتى غضب عليه زيادة الله، وأمر بفصده في ذراعيه، وسال دمه حتى مات، وأمر بصلبه.

---

[1]- هشام بن عبد العزيز(ت273هـ/886م) أبو خالد، وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن، من أهل البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة، قُتل من قبل الأمير المنذر بن محمد. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، صص137-142.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص125-130

[3]- نفسه، ج3، صص129-130.

[4]- نفسه، ج3، صص129-131.

[5]- تذكر المصادر ثلاثة جواري ارتبط اسمهن بزرياب وهن متعة وغزلان وهنيدة، ومُتعة مشرقية وافدة معه. المقري، المصدر السابق، ج3، صص126-131.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص131.

[7]- نفسه، ج3، ص131.

[8] - تشير سهى بعيون إلى رحلة هذا الطبيب البغدادي إلى الأندلس، ولعله وفد عليها من عدوة المغرب ثم عاد واستقر في القيروان. إسهام العلماء المسلمين في العلوم، المرجع السابق، ص357.

[9]- ابن جلجل، المصدر السابق، صص84-85/ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج5، ص163/ ويذكر ابن عذارى تاريخ وفادته سنة 293هـ/ 905م، إلا أن ذلك مستبعد. البيان المغرب، ج1، ص241.

نقل ابن جلجل قول أبو جعفر أحمد بن إبراهيم - الطبيب المعروف بان الجزار:[1] " طال مُقام إسحاق مصلوبا، حتى عشش في جوفه صقر لطول مُقامه، وكان طويل اللحية فما تساقط شعرها، ولقد كان يهتز بالريح"[2].

- محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني، الرازي (...-273هـ/...-886م): من أهل مرو، وغلب عليه اسم بلده فسمي بالرازي، وأشار إلى ذلك دوزي في حديث عن ابنه أحمد أبو بكر الرازي[3] حيث يذكر أن والده "قدم الأندلس من أجل أشغال التجارة" [4]، وكان عالما مُتقناً.

وقد عُرف بكثرة تردده على ملوك بني مروان في الأندلس الذين كلفوه بسفارة إلى الأغالبة في إفريقية؛ وأول وفادة له على الأندلس كانت سنة 250هـ/864م، حين جاء ببضائع مشرقية نالت إعجاب الأمير محمد بن عبد الرحمن فأجزل له العطاء، وقربه إليه.

وقد توثقت مكانة هذا المشرقي عند الأمير محمد، وأخذ يتردد بين الأندلس وبلاد المشرق، واستمر هكذا في عهد المنذر بن الأمير محمد، لكنه بعد وفاة الأخير قرر مغادرة الأندلس، وهلك مُنَصَرَفه من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد[5] بالبيرة[6]، في شهر ربيع الثاني[1].

---

[1]- أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد (توفي حوالي 395هـ/1004م): يكنى أبا جعفر ويعرف بابن الجزار، ولد بالقيروان حوالي 285هـ/898م، وينتمي لعائلة عرفت باشتغالها بالطب، تتلمذ على يد إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وقد ترك حوالي 44 كتابا أكثرها في الطب، وأغلبها مفقودة، ومن مؤلفاته زاد المسافر وقوت الحاضر، وأخبار الدولة وهو في ظهور دولة العبيديين والتعريف بصحيح التواريخ. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ج1، ص88.

[2]- ابن جلجل، المصدر السابق، صص 84-87.

[3]- أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الرازي الكناني (ت 344هـ/955م): يكنى أبا بكر، ويعرف بابن لقيط، وفد مع أبيه للأندلس، وهو أول من وضع قواعد التاريخ في الأندلس، وله عدة مؤلفات منها وصف الأندلس وأخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم، وكتاب أنساب مشاهير أهل الأندلس. عبد القادر بوباية ، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م، صص30-31.

[4]- دوزي في عرضه للمدن الأندلسية يذكر أن كل مدن الأندلس غير المحدثة - من بناء المسلمين- اشتقت أسمائها من أسماء قديمة-لاتينية-، وفي إطار حديثه عن مدينة رية يحاول ربط اسمها بمدينة ري بفارس من جهة ويقول بأن عددا كبيرا من سكانها قدموا من تلك المدينة واستقروا بالأندلس لذلك سميت منطقتهم برية؛ كما حاول تقريب ري وربطها باسم الرازي وتعرض إلى ذكر ما ورد عن المدينة عند الرازي (ري- رية) وقارن ذلك بما ورد عند ابن حوقل (ريو: مشتق من اسم لاتيني).

R. Dozy, L'Histoire el la littérature de L'Espagne pendant le moyen Age, troisième édition, T.1, Leyde – E .J Brill, 1881, pp.317-318.

[5]- المنذر بن محمد(حكم273-275هـ/ 886- 888م): أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، سادس أمراء بني أمية بالأندلس، يكنى أبا الحكم، وثار عليه عمر بن حفصون، فمات وهو محاصر له بقلعة بُبَشْترُ. الحميدي، المصدر السابق، ص25.

[6]- البيرة: من كور الأندلس، جليلة القدر، نزلها جند دمشق، أسسها عبد الرحمن بن معاوية، وأسكن فيها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، وعلى ساحلها نزل عبد الرحمن الداخل. الحميري، المصدر السابق، صص28-29.

- **أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح[2] الكاتب العباسي (كان حيا سنة 292هـ/904م[3])**: يكنى أبا العباس، يُعرف باليعقوبي وبابن واضح، ولد ببغداد، من أسرة عرفت بميولها الشيعية، مؤرخ وجغرافي وشاعر؛ وفد على بلاد المغرب والأندلس.

وقد كان جده ووالده من كبار عمال البريد، ولا يعرف ما إذا كان أحمد اليعقوبي نفسه قد شغل بعض المناصب الحكومية[4]، يقول عبد الرحمن حميدة: "ولكن أسفاره العديدة تدفعنا لأن نكون من أنصار هذا الافتراض"[5]، ويؤكد على ذلك أيضا مصنفه "والواقع أن من يقرأ كتاب البلدان يشعر بأنه كتاب مثالي لعمال الحكومة المعنيين في مختلف أنحاء هذه الإمبراطورية الواسعة الأرجاء..."[6]؛ كما كان المعتصم[7] يوجهه في أيام المأمون[8] إلى سمرقند[9] كل سنة في شراء الرقيق الأتراك.

رحل من بغداد في سن مبكرة، فعاش طويلاً بأرمينيا وخراسان حتى عام 260هـ/873م، وزار الهند وفلسطين، وأقام بمصر طويلا وتمتع برعاية الطولونيين هنالك[10]؛ كما زار الشام، ووفد على بلاد المغرب والأندلس[11]، وزار تاهرت في أواخر أيام الدولة الرستمية[12].

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص155/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص111/ عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، صص100-101.

[2]- واضح: كان من موالي الخليفة المنصور وشغل في وقت ما منصب حاكم أرمينيا ومصر، وقد كلفته ميوله الشيعية حياته. اليعقوبي، البُلدان، ص5/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص173.

[3]- اليعقوبي من رجال القرن 3هـ/9م، وقد اختلف كثيراً في تاريخ وفاته؛ ويُؤكد محقق كتاب البلدان محمَّد أمين ضنّاوي في ترجمته لصاحب الكتاب- أي اليعقوبي- بأن تاريخ وفاته يكون بعد سنة 292هـ/904م بعدة دلائل، مُفنِّداً ما ورد عند معجم البلدان وكشف الظنون لحاجي خليفة في أن اليعقوبي توفي سنة 284هـ/897م؛ وكذلك الزركلي في الأعلام الذي أرخ سنة وفاته 278هـ/891م؛ إلا أن المحقق يناقض نفسه لما ذكره في غلاف الكتاب [المتوفى سنة 284هـ/897م]. اليعقوبي، البُلدان، صص5-6 وينظر غلاف الكتاب/ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج5، ص46.

[4]- اليعقوبي، البُلدان، صص5-7/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص173.

[5]- نفسه، ص173.

[6]- نفسه، صص173-174.

[7]- المعتصم بالله العباسي(218-227هـ/833-841م): محمد بن هارون الرشيد، الخليفة العباسي الثامن، ولي بعد أخيه المأمون، وفي عهده استمرت فتنة خلق القرآن وامتحان العلماء، وثار عليه محمد بن القاسم بالطالقان، وكان إفساد الزُّط بالبصرة ثم بغداد، وثورة الخُرَّمية، وفتح عمورية. الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمُري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1416هـ/1991م، ج15- صص27-33/ ج16، صص5-28.

[8]- المأمون بالله العباسي (198-218هـ/813-833م): عبد الله بن هارون ويكنى أبو العباس، الخليفة العباسي السابع، ولد سنة 170هـ/786م، دامت خلافته عشرين سنة وستة أشهر، وفي عهده كان القول بخلق القرآن، وحمل العلماء بقول ذلك، وامتحن كثير منهم . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص349-353.

[9]- سمرقند: من بلاد خراسان، مدينة حسنة كبيرة على جنوب وادي الصغد، لها أربعة أبواب، كثيرة الخصب والنعم والفواكه، وفيها شوارع ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات، وعليها سور تراب متسع منيع. الحميري، الروض المعطار، ص322.

[10]- عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص173.

[11]- اليعقوبي، البُلدان، ص5/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، صص173-175.

[12]- يقول بحاز إبراهيم بكير في كتابه الدولة الرستمية: "ولا نعرف بالضبط متى زار اليعقوبي تيهرت، إلا أننا لا نشك في أن ذلك في أواخر الدولة الرستمية، أيام الإمام أبي حاتم بن أبي اليقظان محمد بن أفلح281-294هـ/894-906م وعامله على نفوسة إلياس إذ يذكرهما ذكر من يعرفهما أو عاصرهما"، ونفس المؤلف لكن في مقال آخر يشير إلى أن زيارته لتاهرت كانت قبل ذلك بقوله: "وقد زارها اليعقوبي المؤرخ والجغرافي المشهور في عهد الإمام أبي يقظان"، ويبدو أن القول الأخير

وفي بلاد المغرب لم يدخل اليعقوبي المغرب الأقصى، يقول أحد الباحثين: "فالمؤرخ الرحالة اليعقوبي الذي تجول في المغربين الأدنى والأوسط في حدود سنة 260هـ ولم يدخل المغرب الأقصى، إذ يُرَّجح أنه توقف في تلمسان، اقتصر على الوصف العمراني لهذه المدينة لا غير"[1].

ومصنفاته: البلدان، التاريخ، أخبار الأمم السالفة، مشاكلة الناس لزمانهم، الممالك والمسالك[2]؛ ولا يعرف تاريخ وفاته بالضبط - وقد أشرنا للاختلاف-، كما لا نعرف المدة التي بقيها ببلاد المغرب، لأنه لم يصرح بتاريخ وفادته، ولكن المؤكد أن قدومه لبلاد المغرب كان قبل سنة 277هـ/890م أي قبل الانتهاءه من مصنفه الجغرافي (كتاب البلدان) الذي وضعه بمصر.

- إبراهيم بن أحمد الشيباني (...-298هـ/...-910م): يكنى أبا اليُسْر، ويعرف بالرياضي، عالم أديب وشاعر من أهل بغداد؛ جال في البلاد شرقاً وغرباً من خراسان إلى الأندلس؛ وفد على بلاد المغرب وسكن القيروان، وكان الكاتب أيام الأغالبة ومتولي بيت الحكمة، كما وفد على الأندلس أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن.

كان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين: لقي الجاحظ[3] والمبرد[4] وثعلب[5] وابن قتيبة[6]، ولقي من الشعراء: أبا تمّام[7] ودعبل[1] وابن الجَهْم[2] والبحتري[3]؛ ومن الكتّاب سعيد بن حُميد[4] وسليمان بن وهب[5] وأحمد بن أبي طاهر[6] وغيرهم.

هو الأصح لأن أبي اليقظان كانت إمامته 241-281هـ/855-894م واليعقوبي انتهى من مؤلفه277هـ/890م في مصر في خلافة المعتمد العباسي. بحاز إبراهيم، مجالس العلم والعلماء، الملتقى الوطني الأول حول تاريخ تيهرت الحضاري من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثالث الهجري - بلدية تيهرت بمشاركة المركز الوطني للدراسات التاريخية من 1 إلى 12 أفريل 1987م، ص15/ بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، ص396.

[1]- محمد بن معمر، مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية، حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2005م، ع3-4، ص103.

[2]- اليعقوبي، البُلدان، ص7/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص174/ بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، ص396.

[3]- عمرو بن بحر الجَاحظ (ت250هـ/864م): أبو عثمان البصريّ المعتزليّ، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة، عالم مشارك في ضروب من العلوم، اشتهر خاصة بعلم الكلام والاعتزال، وله عدة مؤلفات منها كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص231.

[4]- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري (ت285هـ/898م): أبو العباس، ويعرف بالمبرد، إمام العربية ببغداد، وله تصانيف منها كتاب الكامل والمقتضب والمقصور والممدود. الصفدي، المصدر السابق، ج5، صص141-142.

[5]- أحمد بن يحيى ين يزيد الشَّيْباني مولاهم البغدادي (200-291هـ/815-903م): أبو العباس، ويلقب بثعلب، إمام النحو، وله كتاب اختلاف النحويين وكتاب القراءات ومعاني القرآن. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص5-7.

[6]- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م): أبو محمد، العلامة الكاتب المشهور، ذو الفنون من كبار العلماء، برع في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس، ونزل بغداد، ومؤلفاته كثيرة متنوعة منها غريب القرآن وغريب الحديث وطبقات الشعراء والرد على من يقول بخلق القرآن. نفسه، ج13، صص296-302.

[7]- حبيب: أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ - ويصل نسبه-إلى يعرب بن قحطان، شاعر، نشأ بمصر، وكان يحفظ عشرة آلاف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع، حتى غدا أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه، جاب البلاد ومدح الخلفاء، له كتاب الحماسة ومجموع فحول الشعراء وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء،

وكان عالماً أديباً، ومرسِّلاً بليغاً، ضاربا في كل علم وأدب بسهم، وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه، وحسن وراقته.

ومن مؤلفاته: لقيط المرجان، عُيون الأخبار، كتاب سراج الهدى في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه، والمرصَّعة، والمدبَّجة، إفادة الوفادة، والرسالة الوحيدة والمؤنسة، وقطب الأدب، ومسنداً في الحديث.

توفي بالقيروان يوم الأحد 14 ربيع الأول في بداية ولاية عبيد الله الشيعي، وهو ابن خمس وسبعين سنة، ودفن باب سلْم[7].

- الوليد بن محمد بن يوسف بن عبيد الله بن عبد العزيز بن عمرو بن عثمان بن محمد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط القرشي (...-323هـ/...-934م): وفد على المغرب ودخلها من برقة، ودخل الأندلس مرتين؛ أولها سنة 282هـ/900م ثم عاد للمشرق سنة 290هـ/902م، ثم رجع مرة ثانية إلى الأندلس سنة 304هـ/916م، ووفد على عبد الرحمن بن محمد الناصر؛ وتوفي بقرطبة ليلة الاثنين مستهل ذي الحجة[8].

وقد جمع أبو بكر الصولي شعر أبي تمام، وتوفي بالموصل سنة 231هـ/ 748م وقيل 288هـ/900م، وقيل 229هـ/843م وقيل 232هـ/846م. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص11-26.

[1]- دعبل بن علي بن رزين بن بن سليمان الخزاعي (148-246هـ/765-860م): أبو جعفر الشاعر، أصله من الكوفة وأقام ببغداد، اشتهر بالهجاء حتى أنه هجا الخلفاء المأمون وغيره، وكان صديق البحتري، توفي بالعراق. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، صص266-270.

[2]- علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسد بن أذنية، وينتهي إلى لؤي بن غالب، الشاعر القرشيّ (ت249هـ/863م): أبو الحسن الساميّ، شاعر مجيد وعالم بفنون الشعر، كان مختصا بالمتوكل الذي نفاه إلى خراسان لأنه هجاه. الصفدي، المصدر السابق، ج20، صص178-179.

[3]- الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البحتري المنجبي (ت284هـ/897م): شاعر مدح الخلفاء والوزراء وصاحب مصر خُمارويه، وله كتاب في معاني الشعر وحماسة، توفي بمنبج وقيل بحلب. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، صص486-487.

[4]- سعيد بن حميد بن سعد أبو عثمان الكاتب (ت250هـ/864م): من أولاد الدهاقين، من بغداد، وادعى أنه من أولاد ملوك الفرس، ووالده من وجوه المعتزلة، تقلد ديوان الرسائل بسُرَّ من رأى، وكان كثير السرقات والإغارة، وله كتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية وديوان شعره. الصفدي، المصدر السابق، ج15، صص133-134.

[5]- سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فناك- وهؤلاء كلهم تقلدوا منصب كاتب في بلاطات بني أمية وبني العباس وخدموا الخلفاء حتى سليمان- (ت272هـ/885م): تقلد منصب الكاتب وهو ابن أربعة عشر سنة، ثم ولي الوزارة للمعتمد، وولي مصر كذلك، وله ديوان رسائل. الصفدي، المصدر السابق، ج15، صص268-270.

[6]- أحمد بن أبي طاهر(204-280هـ/819-893م): أبو الفضل، مرورذي الأصل، أحد البلغاء الشعراء الرواة، من أهل الفهم المذكورين بالعلم، واشتهر بتصنيف الكتب وقول الشعر، وهو صاحب كتاب تاريخ بغداد في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم وسرقات الشعراء وكتاب بغداد، مات ببغداد ودفن بباب الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، صص282-285.

[7]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص147-148/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص134-135/ رشيد الزوادي، المرجع السابق، ص331.

[8]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص156.

- إسماعيل بن القاسم بن عيذون[1] بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان[2] (280 أو 288-356هـ/893 أو 900-966م): يكنى أبا علي، ويعرف بالقالي[3]، ويقال له أيضا البغدادي[4]، ولد بمَنَازجِرْد[5] من ديار بكر، أديب ولغوي، وشاعر ونحوي اشتهر بنحو البصريين خاصة.

وفد على الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر[6]، ودخل قرطبة 27 رجب سنة 330هـ/941م واستوطنها.

قرأ النّحو والعربيّة والأدب على ابن دُرُسْتُوَيَه[7] والزّجّاج[8] والأخفش الصغير[9] ونِفْطَويه[10]، وأبي بكر ابن دُرَيد الأزدي[11]، وابن السّراج[12] وأبي بكر ابن الأنباري[1]، وابن أبي الأزهر[2] وابن شُقير[3] والمطرّز[4] وجَحظة[5] وغيرهم.

---

[1]- عيذون: بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الذال المُعجمة وبعد الواو نون. ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226.

[2]- سليمان مولى عبد الملك ابن مروان الأموي. السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دمشق، ط2، 1399هـ/1979م، ج1، ص453.

[3]- القالي: نسبة إلى قالي قلا – بفتح القاف وبعد الألف لام مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم قاف بعدها لام ألف-، قال أبو بكر الزبيدي: "وسألت أبا علي: لمَ قيل له القالي؟ فقال: لما انحَدرْنَا إلى بغداد كُنَّا في رفقة أهلُ قَالي قلا...فلما دخلت بغداد، انتسبت إلى قالي قلا " فبقي عليه الاسم. الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م، ص188/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، صص227-228.

[4]- وسمّي بالبغدادي لوصوله إلى الأندلس من بغداد. المقري، المصدر السابق، ج3، ص75.

[5]- منازجرد: بزيادة جيم مكسورة وبعدها راء ساكنة ثم دال مهملة- وهي مدينة من خرت برت، وهي غير مناذكرد القلعة من أعمال خلاط. ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص114.

[6]- يقول المقري: "بعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبي علي القالي إنما كانت في زمن خلافة الحكم المستنصر بالأندلس لا في خلافة أبيه، والصواب أن وفادته في أيام الناصر". نفح الطيب، ج3، صص70- 73.

[7]- عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان (ت347هـ/958م): أبو محمد الفارسي النحوي، من أهل فسا، عالم مشهور بكثرة علمه ومُلَح تأليفه. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، صص1511-1513.

[8]- إبراهيم بن السري بن سهل (ت311هـ/923م): أبو إسحاق النحوي، ويعرف بالزّجّاج، له مصنفاتٌ حسان في الأدب، أخذ عنه المبرد، وهو أستاذ أبو علي الفارسي، وأخذ عنه أبو العلاء المعري، ومؤلفاته كثيرة منها كتاب معاني القرآن والاشتقاق وخلق الإنسان وفعلت وأفعلت والنوادر. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، صص 51-63.

[9]- علي بن سليمان بن الفضل (ت 315هـ/927م): أبو الحسن النحوي، ويعرف بالأخفش الصغير، من أهل اللغة والنحو، دخل مصر وخرج منها إلى حلب، له كتاب الأنواء وكتاب التثنية والجمع، وكتاب شرح سيبويه وكتاب الحداد. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، صص1770-1774.

[10]- إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن أبي صفرة العتكي الأزدي (244-323هـ/858-934م): أبو عبد الله المعروف بنفطويه، من أهل واسط، من علماء العربية واللغة والحديث، حسن الحفظ للقرآن، متقن الحفظ للسير وأيام الناس وتواريخ الزمان ووفاة العلماء، يقول في الشعر المقطعات من الغزل، حسن المجالسة للخلفاء والوزراء، أما مؤلفاته فكثيرة منها كتاب البارع وغريب القرآن. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، صص 114-122.

[11]- محمد بن الحسن بن دريد بن عتاية بن حنتم بن حمامي بن واسع (223-321هـ/837-933م): ويصل نسبه- إلى يعرب بن قحطان، أبو بكر ابن دُرَيد الأزدي، ولد بالبصرة وبها تأدب وأخذ علم اللغة وأشعار العرب، ثم ارتحل إلى عمان وجزيرة ابن عمارة وبلاد فارس، ثم بغداد وأقام بها، وله شعر كثير وروى من أخبار العرب وأشعارها ما لم يرو كثير من أهل العلم، وتصدَّر في العلم ستين سنة وهو أعلم الناس بلغة البصريين، وله كتاب الجمهرة والأمالي والوشاح ولم يتم وفعلت وأفعلت... . ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2489-2499.

[12]- محمد بن السري بن سهل (ت316هـ/928م): أبو بكر ابن السراج البغدادي النحوي، عالم مشهور وإليه تنتهي الرياسة في النحو بعد المبرد الذي صاحبه وأخذ عنه، كما اشتغل بالموسيقى أيضا، من مصنفاته كتاب الأصول والاشتقاق ولم يتم والشعر والشعراء والهجاء، وغيرها. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص483-484.

وسمع الحديث من أبي بكرَ بن أبي داود السّجستانيّ، والحسين بن إسماعيل المحامليّ، وأبي بكر بن مجاهد، ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبي القاسم ابن بنت مَنيع البغويّ، وأبي يعلَى الموصلي[6].

كما دخل الموصل، وسافر إلى بغداد سنة 303هـ/915م، وأقام بها إلى غاية 328هـ/934م، ثم خرج منها قاصداً الأندلس.

مؤلفاته: كتاب الأفعال، المقصور والممدود، النّوادر، والأمالي، شرح المعلّقات، لم يتمّ، والبارع في اللّغة، الإبل، والخيل، فعلت وأفعلت، وكتاب مقاتل الفرسان، مقاتل العرب، حَلْي الإنسان، وتفسير السبع الطوال- هو كتاب شرح في القصائد السبع-.

توفي أبو علي بقرطبة ليلة السبت 7 جمادى الأولى، وصلى عليه أبو عبد الله الجبيري، ودفن بمقبرة متعة ظاهر قُرطبة[7].

ويذكر المقري: "حكى ابن الطيلسان[8] عن ابن جابر أنّه قرأ هذين البيتين في لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبي علي البغدادي عند تهدمها، وهما: (الطويل)

صِلُوْا لَحْدَ قُبْرَيْ بِالْطَّرْيَقُ وُوْدّعُوْا * فَلَيْسَ لِمَنْ وَارَّى الْتِّرَابُ حَبِيْبُ

وَلَاً تَدْفِنُوْنِيْ بِالْعَرَاءِ فَرَبّمَاً * بكى مِنْ رَأَىً قَبْرَ الْغَرْيَبِ غَرْيَبُ"[9].

---

[1]- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة (271-328هـ/884-939م): أبو بكر ابن الأنباري، النحوي اللغوي الأديب، أعلم الناس بنحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة والشعر، وله من التصانيف غريب الحديث، الأمالي، المقصور والممدود. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، صص2614-2618.

[2]- محمدُ بن مَزْيَد بن محمود بن منصور (ت325هـ/936م): أبو بكر ابن أبي الأزهر الخُزَاعِيُّ البغداديُّ، حَدَّثَ عن لُوَين، وأبي إسحاق بن إسرائيل والحسين الإحتياطي وأبي كُرَيب، وحَدَّثَ عنه الدَّارقُطْني وأبو بكر بن شَاذان والمعافى الجَريريُّ، وقال الطيب: " يَضَعُ الحديثَ على الثّقات". الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، صص41-42.

[3]- أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرج (ت317هـ/929م): أبو بكر، المعروف بابن شُقير النحوي، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح، وكان مشهورا برواية كتب الواقدي عن أحمد بن عبيد عنه، من مؤلفاته كتاب مختصر في النحو وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص232.

[4]- القاسم بن زكريا بن يحيى البغدادي (ولد في حدود220- 305هـ/835-917م): أبو بكر المطرّز، إمام مقرئ، محدث، ثقة مأمون، تلا على أبي حمدون الطيب وعلي أبي عمر الدوري، تصدَّر للإقراء، وصَنَّفَ المسْنَد والأبواب. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص149-150.

[5]- أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي (224-324هـ/838-935م): أبو الحسن النديم، يلقب بجَحظة وله لقب آخر "خنياكر"، عالم بالنحو واللغة والنجوم، حسن الأدب كثيرَ الرواية للأخبار، حسنَ الشعر مقبول الألفاظ حاضر النادرَة، ومن مصنفاته: كتاب الطنبوريين،...وغيرها وديوان شعره. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، صص207-226.

[6]- أحمدُ بن علي بن المثنَّى بن يحيى بن عيسى بن هلال التَّميميُّ (210-307هـ/825-919م): أبو يعلى الموصلي، محَدِّثُ الموصل، لقي الكبار وارتحل إلى الأمصار، وله المسنَد والمعجم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، صص174-182.

[7]- الزبيدي، المصدر السابق، صص185-188/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226-227/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص453/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص72-74.

[8]- القاسم بن محمد بن أحمد الأنصاري الأوسي القرطبي (575-642هـ/1180-1244م): يعرف بابن الطيلسان، عالم بالقرآت، باحث، وبسقوط قرطبة رحل إلى مالقة، من مؤلفاته: الجواهر المفصلات في المسلسلات وغرائب أخبار المسندين وأخبار صلحاء الأندلس. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص181.

[9]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص72.

- مُحمَّدُ بن أحمد بن مُحمَّد بن عبد الله بن حَامد بن مُوسى ابن العباس ابن مُحمَّد بن يَزيد – وهو الحِصْني الشَّاعر- ابن مَسْلَمة بن عبد الملك بن مَرْوَان ابن الحكم بن أبي العاص **(319-385هـ/931-995)**: يُكْنَى: أبا بَكْر، ويُعرف بابن الأزْرَق، من أهل مصر، وولد بها سنة 319هـ/931م، مُحدث وأديب شاعر.

خرج من مصر سنة 343هـ/954م متجها إلى المغرب فصار إلى القَيْرَوان، فامْتُحِنَ بها مع الشِّيعة، وأقام محبوساً بالمهدية مُعْتَقَلاً في دار البحر ثلاثة أعوام وسبعة أشهر، ثم أطلق سراحه، ووصل إلى الأندلُس سنة 349هـ/960م.

كتب الحديث عن مُحمَّد بن أيوب بن الصَّمُوت[1]، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي مَطَر[2]، وسمع من خاله أبي بَكْر أحمد بن مَسْعُود الزَّبيدي[3].

وتُوفِّي بقُرْطُبة في شهر ذي القعدة، ودُفن في مقبرة بني العبَّاس[4].

- أحمدُ بن مُحمَّد بن هَارون (ق4هـ/10م): ونجده باسم **محمد بن أحمد بن هارون**[5]، يُكْنَى أبا جَعْفَر، من بغداد، دخل المغرب والأندلس، وزير وكاتب في الدولة العبيدية بالمغرب، عاد إلى المشرق واستُوزر بعد ذلك هناك[6]، ويجهل تاريخ وفاته.

- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة (...-373هـ/...-983م): يُكْنَىَ أبا الطيب، من بغداد، شافعي المذهب.

وفد على الأندلس سنة 361هـ/ 971م، وأُخرج منها في رجب سنة 373هـ/ 983م، فسار إلى المغرب قاصداً تاهرت.

سمع الحديث ببغداد من أبي القاسِم البغوي وأبي بَكْر بن أبي داود وغيرهم؛ وتفقه بالشَّافعية على أبي إسحاق المَرْوَزِي وأبي سعيد الإصطخري[1]، وكانا رَئِيسَي الشافعية في وقتهما.

1- مُحمَّد بن أيوب بن الصَّمُوت الرَّقِّي (ت341هـ/952م): نزيل مصر، روى عن هِلال بن العلاء وطائفة، وهو من الضعفاء. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج4، ص224.

2- علي بن عبد الله بن يزيد بن أبي مَطَر(339هـ/950م): أبو الحسن، المعافري الإسكندراني المالكي، قاضي الإسكندرية ومسندها، تفرد بالرواية عن محمد بن عبد الله بن ميمون وأحمد بن عبدون، وتفقّه بالمـوّاز، ورحل الطّلبة إليه وسُمع منه. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص357.

3- أحمد بن مَسْعُود بن عمرو بن إدريس (ت333هـ/944م): أبو بَكْر الزَّبيدي، وقيل الزنبري المصري، حدث عن بحر بن نصر الخَوْلاني والربيع بن عبد الحكم وجماعة؛ وحدث عنه ابن المقرئ وابن يونس وعمر بن شاهين. نفسه، ج15، ص333.

4- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، صص106-108/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص122.

5- في التكملة ذكر باسم محمد بن أحمد. ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص155.

6- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص69/ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص155.

قال ابن الفرضي: "قال لي أبو الطيب: حججنا سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقدمت مصر فألفيت بها أصحاب يونس بن عبد الأعلى[2] والمزني[3] والربيع بن سليمان[4] فما كتبت عنهم شيئا، ولقد صغروا في قلبي لما كنت أعرف من رجال بغداد"[5].

وكان من أعلم الناس بمذهب الشافعي، وأحسنهم قياما به، ولم يصل إلى الأندلس أَفْهمَ منه بالمذهب، وينسب إلى الاعتزال، ولم تكن له كتب، ذكر أنها ذهبت له مع مال جسيم في المغرب.

توفي بتاهرت، يقول ابن الفرضي: "وسألت أبا الطيب عن سنّه في غرة رجب سنة إحدى وسبعين فقال لي: أنا ابن نيف وسبعين سنة"[6].

- صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي (...- 410هـ/...-1019م): يكنى أبا العلاء، ربَّعيّ النسب ينتمي في ربيعة الفَرَس، وأصله من بلاد الموصل، ودخل بغداد، عالم باللغة والأدب ورواية الأخبار، نحوي، وشاعر مجيد، وعَلمُ في الموسيقى، من الداخلين الأندلس.

لقي بالمشرق أبا سعيد السيرافي[7] وقرأ عليه كتاب سيبويه[8]، وأبي علي الفارسي[9] وأبا سليمان الخطابي[1] وروى عنهم.

---

[1]- الحسن بن أحمد بن يزيد الإصْطَخْري (244-328هـ/858-940م): أبو سعيد فقيه ومفتي شافعي ولي قضاء قُم، ثم حِسْبَة بغداد، ثم قضاء سجستان للخليفة المقتدر بالله. السُبكي، المصدر السابق، ج3، صص230-233.

[2]- يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن مَيْسَرة بن حفص بن حيَّان (ت264هـ/877م): مصري إمام شافعي وفقيه ومقرئ انتهت إلي رياسة العلم بمصر، قرأ القرآن على ورش وغيره، وأقرأ الناس؛ وسمع الحديث من سفيان بن عُيَينة وابن وهب والشافعي الذي أخذ عنه الفقه؛ وروى عنه مسلم والنسائي وابن ماجة وأبو الطاهر المـَدِينيّ، وختم به السُبكي الطبقة الأولى للشافعية. السُبكي، المصدر السابق، ج2، صص170-173.

[3]- المزني(175-294هـ/791-906م): إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق، أبو إبراهيم المزني، أحد أئمة الشافعية الكبار، كانت له قدرة على المناظرة وبها اشتهر قال الشافعي عنه: "لو ناظر الشيطان لغلبه" روى عنه كثير من علماء خراسان والعراق والشام؛ صنف كتبا كثيرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير والمختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم. نفسه، ج2، صص93-95.

[4]- الربيع بن سليمان بن عبد الجبّار بن كامل المـُرَادي مولاهم (174-270هـ/790-883م) الشيخ أبو محمد المؤذن، صاحب الشافعي، ورواية كتبه، حدَّثَ عنْ الشافعي وعبد الله بن وهب، وأذن بالمسجد الجامع بفسطاط مصر، ويقرأ بالألحان، وقد خدم الشافعي وكان يحبه. نفسه، ج2، صص132-135.

[5]- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، صص104-105.

[6]- نفسه، ج2، صص104-105.

[7]- الحَسن بن عبد الله بن الـمَرْزُبان (ت368هـ/978م): أبو سعيد السيرافيّ النحوي، الإمام المحدث القاضي نزيل بغداد؛ تصدر لإقراء القراءات والنّحو واللُّغة والفِقه والفرائض والحِساب والعَرُوض، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، عارفاً بفقه أبي حنيفة، وألف شرح كتاب سيبويه وشرح مقصورة ابن دُرَيد. الصفدي، المصدر السابق، ج12، صص47-49.

[8]- عمرو بن عثمان(ت 180هـ/796م): أبو بشر، يلقب بسيبويه البصري الحارثي وكتابه مشهور باسمه في النحو، وهو في مجلد أوله هذا باب علم ما كلم، من العربية ثم هذا باب كذا إلى آخر الكتاب ليس فيه ترتيب ولا خطبة ولا خاتمة، ولم يعمل في علم من العلوم مثله، ويقال إن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها وكتاب سيبويه لا يحتاج إلى غيره، وعليه شروح وتعليقات وردود، نشأت عن اعتناء الأئمة واشتغالهم به، وله عدة تلخيصات أيضاً. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، صص367-369.

[9]- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان (ت377هـ/987م): أبو عليّ الفارسيّ، أحد أشهر علماء العربية، ونُسِبَ إلى الاعتزال، وصنّف لعضد الدولة الإيضاح في النّحو، كما له كتاب التّكملة في التّصريف، المقصور والممدود... ، ولم يقل الشعر، وتوفي ببغداد. السيوطي، بغية الوعاة ،ج1، صص496-498.

وفد على الأندلس في أيام هشام بن الحكم[2] وولاية المنصور بن أبي عامر في حدود 380هـ/990م؛ كما دخل مدينة دانية[3]، وحضر مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمير البلد.

خرج من الأندلس في الفتنة وقصد صقلية فمات بها، ومن مؤلفاته: كتاب الفصوص[4].

- محمد بن علي النصيبي[5] (...-431هـ/...-1039م): يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن حوقل، ولد ببغداد ونشأ بها، وأصله من نصيبين من الجزيرة، تاجر ومن كبار الرحالين والجغرافيين العرب، جاب ربوع المغرب والأندلس وصقلية.

كان ابن حوقل شغوفا بقراءة أدب الرحلة في صغره قبل أن يشرع في القيام بسلسلة من الأسفار والرحلات الطويلة فقد طالع كتاب ابن خرداذبة، وكتاب الجيهاني[6]، وتذكرة أبي الفرج قدامة ابن جعفر(ت337هـ/948م).

كما التقى ابن حوقل في أسفاره بمعاصره أبي إسحاق الفارسي المشهور بالإصطخري في بلاد السند على ضفاف نهر مهران عام 340هـ/952م.

يعتبر ابن حوقل واحداً من ضحايا الوضع السياسي، فقد كانت أوضاع الدولة العباسية في عهده قد بلغت حدا كبيرا من التدهور، حيث أفلت زمامها من أيدي الخلفاء، ووقعت الدولة في قبضة قواد الجيش الأتراك، فاضطرب الأمن واختل النظام العام وانهارت القواعد والأسس.

في ظل هذا الوضع فقد ابن حوقل الثروة التي ورثها عن أبيه وجده، مما اضطره إلى مغادرة بلده والضرب في الآفاق بغية تعويض ثروته بالتجارة في عرض البلاد، وكان هدف

---

[1]- حَمَد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب (319-388 أو 386هـ/931- 998 أو 996م): أبو سليمان الخطابيّ من ولد زيد بن الخطاب، أخي عمر -رضي الله عنه- رحل في طلب العلم إلى العراق والحجاز وخراسان، وما وراء النهر، وكان حُجّة صدوقا، ألف في فنون عدة، وله من التصانيف غريب الحديث، شرح البخاري، شرح أبي داود، العزلة. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، صص546-547.

[2]- هشام بن الحكم (366-403هـ/976-1012م): هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل، ويعرف بالمؤيد، بويع بولاية عهد من والده الحكم المستنصر، تولى الخلافة وهو صبي ابن عشر سنين فحجبه المنصور العامري وابنيه، واستأثروا بالحكم، وقتل بنار الفتنة في قرطبة. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، صص43-58.

[3]- دانية: مدينة بالأندلس، من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً، وهي قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري، وأهلها أقرأ أهل الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص434.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص10-14/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، صص488-489/ السيوطي، بغية الوعاة، ج2، صص7-8/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص76-98.

[5]- أطلق عليه عبد الرحمن حميدة في مؤلفه أعلام الجغرافيين العرب "الموصلي" ، كما يذكر بأنه تعاطى التجارة في الموصل فترة من الزمن. أعلام الجغرافيين العرب، ص210.

[6]- إبراهيم بن محمد الجيهاني (أواخر القرن3هـ/10م): أبو عبد الله، عالم عربي من علماء الجغرافيا، كان وزيرا لأمير خراسان، كما كان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة، ويقال أنه كان يجمع الغرباء ويسألهم عن الممالك ودخْلها وكيف يمكن أن تكون مسالكها، وكان الوزير الجيهاني يتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ويقدر دخْلها، لينتقل بعد ذلك إلى دراسة علم النجوم، ودوران الفلك. قصي الحسين، من معالم الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، صص86-87.

أسفار ابن حوقل حب الاستطلاع والرغبة في معرفة البلاد ودراسة أحوال الشعوب، إضافة إلى ممارسة التجارة.

بدأ رحلاته انطلاقا من بغداد في يوم الخميس 8 رمضان سنة 331هـ/945م، وقد أمضى في رحلاته الواسعة زهاء ثلاثين عاماً ساح خلالها في أرجاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من نهر السند حتى ضفاف البحر المحيط، وتوغل في مناطق أخرى كثيرة، عدا الصحراء الكبرى التي لم يشاهد منها إلا جزءا يسيراً؛ وألف كتابه صورة الأرض[1] معتمداً على ما جمعه وشاهده خلال رحلاته.

- **مجهول (5هـ /11م):** من البصرة، مُغَنٍ، وفد على المغرب ودخل إفريقية على المعز بن باديس[2]، ثم ارتحل إلى بلاد الأندلس ومات بها.[3]

- **عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن إسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي البخاري الحافظ: (382-471هـ/992-1078م):** يكنى أبا زكريا، ولد ببخارى[4] في شهر ربيع الأول، ونزل مصر، من الوافدين على المغرب والأندلس.

من الحفاظ الأثبات والرَّحالين في الآفاق، قيل أنه يُحدِّث عن مَئين من أهل الحديث، وفي مشايخه كثرة فقد طاف البلاد في طلب الحديث، وسمع بعدّة أقطار بما وراء النهر- بخارى وخراسان- والعراق والشام واليمن ومصر وإفريقية ضمن رحلته الشامية التي انتهت بالمغرب والأندلس.

وسمع ببُخارى من بلده، ومن أبي الفضل السليماني بِبِيكَند[5]، وأبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغُنْجار[6]، وأبي يَعْلَى حمزة بن عبد العزيز الـمُهَلَّبي[1] باليمن، وببغداد من أبي عُمر

---

[1]- عبد الرحمن بن حميدة، المرجع السابق، صص210-211/ إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص302.

[2]- المعز بن باديس(حكم 406-455هـ/1015-1063م): ولد سنة 399هـ/1008م، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه، وكانت دولته تابعة للعبيديين بمصر في البداية، ولكن المعز قطع الدعوة لهم وعادت إفريقية إلى السنية المالكية بداية من سنة 440هـ/1048م حيث دعا للعباس بن عبد المطلب على المنابر، كما غير السكَّة. ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، صص267-279.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص148.

[4]- بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، مدينة قديمة كانت قاعدة ملك السامانية، بينها وبين جيجون يومان، وبينها وبين سمرقند سبعة أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، صص353-356.

[5]- أحمد بن علي بن عمرو بن حمد بن إبراهيم بن يوسف بن عنبر، سبط أحمد بن سليمان (311-404هـ/923-1013م): أبو الفضل السُّليمانيّ، البيكنديّ، البخاريّ، مُحدّث ما وراء النهر ولم يكن مثله إسناداً وحفظاً ودراية وإتقاناً، رحل في طلب علم الحديث؛ وله التصانيف الكبار وكان يحدث بما صنف. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، صص200-202.

[6]- محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل البخاري (ت412هـ/1021م): أبو عبد الله، المعروف بغُنْجار محدث ما وراء النهر، لم يرحل في طلب العلم، حدث عن خلف بن محمد الخيام وعثمان السلمي وإبراهيم بن هارون الملاحمي وخلق كثير، وألف كتاب تاريخ بخارى. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، صص1052-1053.

بن مهدي[2]، وأبي القاسم تمام بن محمد الرازي بدمشق[3]، وابن أبي الكامل[4] بأطرابلس الشام، وأبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي الحافظ[5] بمصر، وله رواية عن أبي نصر الكلاباذي[6] وأبي عبد الله الحاكم[7]، وأبي بكر بن فُورَك[8] المتكلم، وأبي العباس بن الحاج الاشبيلي[9]، وأبي القاسم علي بن أحمد الخُزاعي[10]، وهلال الحفار[11] وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقي[12].

وروى عنه عبد الوهاب بن عبد الله بن الحباب[13] شيخه، والفقيه نصر المقدسي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي[1] وآخرون.

---

[1]- حمزة بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن حمزة (ت406هـ/1015م): أبو يعلى المهلبي النيسابوري؛ من ذرية أمير خراسان المهلب بن أبي صفرة الأزدي؛ إمام الحديث وشيخ الأطباء، وسمع من محمد بن محمد بن دلُّويه وأبي حامد بن بلال والقطان؛ وحدث عنه خلق كثير. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص264.

[2]- عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مدين الفارسيّ الكازوروني، ثم البغدادي البزّاز (318-410هـ/930-1019م): أبو عمر، المحدث مسند وقته، سمع كثيرا من القاضي المجاملي ومن أبي العباس بن عقدة والحسين بن يحيى بن عياش. نفسه، ج17، صص221-222.

[3]- محمد بن عبد الله بن جعفر (330-414هـ/941-1023م): أبو القاسم تمام الرازي ثمّ الدمشقي محدث الشام، ولد بدمشق الإمام الحافظ عالم بالحديث ومعرفة الرجال، سمع أباه وخيثمة الأطرابلسي وأبا الميمون بن راشد وأحمد بن محمد بن فضالة وجماعة. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص1056-1058.

[4]- الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أبي كامل (332-414هـ/943-1023م): أبو عبد الله العبسي البصري الأصل، الطرابلسي، حدث عن خيثمة بن سليمان ومحمد بن إبراهيم السراج وأبي محمد بن الورد؛ وحدث عنه الصُّوري وعبد الرحيم البخاريّ وعبد العزيز الكتاني، وتوفي بأطرابلس. نفسه، ج17، ص339.

[5]- عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد ابن بشر بن مروان (ت409هـ/1018م): أبو محمد الأزدي المصري، المحدث، سمع من عثمان بن محمد السمرقندي وأحمد بن بهزاد السيرافي وإسماعيل بن يعقوب الجراب وجماعة يطول ذكرهم. نفسه، ج3، صص1047-1050.

[6]- أحمد بن محمد بن الحسين البخاري (ت378هـ/988م): أبو نصر الكلاباذي- كلاباذ محلة من بخارى-، محدّث بلاد ما وراء النهر، عارف بصحيح البخاري، وكتب بما وراء النهر وبخراسان والعراق؛ وحدث ببغداد وله مصنف في معرفة من أخرج له البخاري في صحيحه. نفسه، ج3، ص1027-1028.

[7]- محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، الحاكم(321-405هـ/933-1014م): أبو عبد الله، المعروف بابن البيع، إمام المـُحدثين، طلب الحديث من الصغر ورحل إلى العراق والحجاز وخراسان وما وراء النهر، وسمع من ألْف شيخ، صاحب التصانيف التي قد تصل إلى الألف جزء من تخريج الصحيحين، وتاريخ نيسابور، وفضائل الشافعي، والمدخل إلى علم الصحيح، وغيرها. نفسه، ج3، صص1039-1045.

[8]- محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت406هـ/1015م): أبو بكر، شيخ المتكلمين الأشعري الواعظ، الأصولي، وأديب نحوي، درس بالعراق والري ونيسابور، وناظر بغزنة، وبلغت مصنفاته قرابة المائة، ومات مسموما. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، صص214-216.

[9]- أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى (ت415هـ/1024م): أبو العباس الإشبيلي، المـُحدث نزيل مصر؛ سمع عثمان بن محمد السَّمرقندي والحسن بن مروان القَيْسراني وأبا الفوارس أحمد بن محمد الصابوني وعلي بن أبي العقب الدمشقي وغيرهم. نفسه، ج17، صص329-331.

[10]- أبو القاسم علي بن أحمد الخُزاعي(ت411هـ/1020م): علي بن أحمد بن محمد البلخي، راوي مسند الهيثم بن كليب الشاشي عنه، وقد روى عنه جماعة كثيرة، وحدَّث ببلخ، وبخارى، وسمرقند، ومات في صفر ببخارى عن بضع وثمانين سنة. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص64.

[11]- هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان الحفار (ت414هـ/1023م): أبو الفتح، روى عن ابن عيَّاش القطان وابن البَخْتَري وطائفة، وتوفي ببغداد. نفسه، ج5، ص76.

[12]- صدقة بن محمد بن مروان الدمشقي(ت413هـ/1022م): صدقة بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك القرشي الدمشقي، ابن الدِّلم، أبو القاسم المحدث، سمع من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، وعثمان بن محمد الذهبي وأبي علي الحصائري وخيثمة الأطرابلسي؛ حدث عنه عبد الرحيم البخاري وأبو علي الأهْوازي وعلي بن الخضر السُّلمي. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، صص266-267.

[13]- عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر بن أيوب (ت425هـ/1033م): المـُرِّيّ، الأذرعيّ، ثم الدمشقيّ، الشُّروطي، ابن الجبّان، يحفظ الحديث، ولم يرحل، وصنف كتب كثيرة. نفسه، ج17، صص468-469.

من مصنفاته: رسالةُ الرحلة وأسبابها وقول لا إله إلا الله وثوابها.

وعاش تسعاً وسبعين سنة، وتوفي في المحرّم بالحوراء[2].

- هاشم بن عطاء بن أبي يزيد بن هاشم: (351-...هـ/962-...م): يكنى أبا زيد، من أطرابلس الشام، مالكي المذهب، دخل العراق، وسكن بغداد مدة ؛ وأخذ فيها عن أبي بكر الأبهري[3].

قدم إلى بلاد المغارب، ودخل الأندلس تاجراً سنة 432هـ/1040م، ثم جاز إلى عدوة المغرب ودخل مدينة القيروان[4].

- محمد بن عبد الواحد بن عبد العَزيز بن الحارث بن أسَد بن اللَّيث بن سُلَيمان بن الأسود بن سُفْيَان التميمي (388-454أو455هـ/998-1062أو1063): يُكْنَى أبا الفضل، ويعرف بالدَّارمي، من بغداد، مِنْ أهل بيت عِلْمٍ وأدب.

دخل المغرب والأندلس، ووفد إلى القيروان على المعز بن باديس سنة 439هـ/1047م، واستقر بها ثم تحول إلى سوسة وأقام بها عشر سنين، ثم خرج منها إلى الأندلس واستقر بطُلَيطلَة[5]، وكان دخوله إليها يوم الجمعة 27 ربيع الثاني سنة 454هـ/1062م[6].

ومختصر سيرته من الذخيرة: خرج أبو الفضل من بغداد إذ مات أبوه، وأساء عشرته إخوته، وسِنّه دون العشرين فلحق بالأمير محمود[7] الغزنوي، وشهد حروبه بأرض الهند؛ ولما

1- أبو عبد الله محمد بن أحمد الرَّازي(ت525هـ/1130م): محمد بن أحمد بن إبراهيم الشاهد، المعروف بابن الحَطَّاب، مسند الدِّيار المصرية، وأحد عدول الإسكندرية، صاحب السداسيات والمشيخة، سمَّعه أبوه الكثير من مشيخة مصر كابن حِمَّصَة والطَّفَّال وأبي القاسم الفارسي وطبقتهم. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، صص124-125.

2- ابن الأبار، التكملة، ج3، صص61-63/ الذهبي، العبر، ج2، صص311-312/ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص85/ السيوطي، طبقات الحفاظ، صص436-437/ المقري، نفح الطيب، ج3، صص62-64/ ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص259/ الحوراء: كورة من كور مصر القبلية في آخر حدودها من جهة الحجاز، وهي على البحر في شرقي القلزم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص316.

3- محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح(289-375هـ/901-985م): يكنى أبا بكر، الشهير بالأبهري، شيخ المالكية في العراق، له تصانيف في شرح مذهب مالك والرد على مخالفيه. الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص225.

4- الترجمة في الواقع مضطربة، وحسب المعطيات يكون قد دخل الأندلس تاجرا في عمر81 سنة. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص508.

5- طليطلة: مدينة بالأندلس، قديمة أزلية، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، تقع على ضفة النهر الكبير، وهي عالية القدر حسنة البقعة، حصينة لها أسوار حسنة، ولها قنطرة، ولها من جميع جهاتها أقاليم وقلاع منيعة، وفي شمالها الجبل العظيم المعروف بالشارات. الحميري، المصدر السابق، صص393-395.

6 - ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص465/ الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص194-195/ ابن بسام، الذخيرة، ج4، صص63-65/ المقري، المصدر السابق،ج3، صص111-113.

7- الأمير محمود(361-421هـ/971-1030م): محمود بن سُبكتكين الغزنوي، وهو تركي الأصل مستعرب، يعرف بالسلطان يمين الدولة أبو القاسم بن الأمير ناصر الدولة أبي منصور، تغلب محمود بعد وفاة أبيه على البلاد سنة 389هـ/998م وذلك بعد حروب مع إخوته، وأرسل إليه القادر بالله العباسي خلعة السلطنة، افتتح بلاد شاسعة من الهند، وقد كان حازما يجالس العلماء ويناظرهم وكان من أعيان الفقهاء، فصيحا بليغا، استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة، نسبت إليه منها كتاب"التفريد"في فقه الحنفية، وخطب ورسائل، وشعر، وصنف له المؤرخ العتبي التاريخ الذي سماه "اليميني". الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص171.

توفّى الأمير محمود وَليَ أكبرُ وَلَدِه بعده جلال الدولة محمد بن محمود فبقي أبو الفضل على حاله؛ ثم تولى الحكم مسعود بعد أن ثار على أخيه جلال الدولة فقرَّبَ أبا الفضل إليه واستوزره، إلى أن خرج عنه ولحق بشروان شاه[1] وصحبه إلى أن توفّي؛ فكاتب أبو الفضل الخليفة أبا جعفر[2] القائم ببغدادَ في الوصول إليه، فاتفق وُرود كتابه إثر وفود رسول المعزّ بن باديس عليه فطلب الخليفةُ رجلاً يسفرُ بينهما، فأرشد إلى أبي الفضل، فوجّهه إلى المغرب بعدما جهّزه، حيث خرج مستتراً حتى وصل حلب، وبها مدح معزَّ الدولة[3]، ثم انفصل عنه واجتاز بمعرَّة النعمان[4]، فالتقى بالمعرّي أحمد بنُ سليمان[5]، ثم وصلَ مصرَ وخرج من مصر في زيّ التجار، يَؤمُّ بلاد إفريقية، فوقع على خبره صاحب الإسكندرية، وطلبَه فأعجزه، وبلغ طرابُلُسَ المغرب أوَّلَ عمَلِ المعزّ[6].

وكان قد سمع بالمشرق من أبي الطاهر محمد بن عبد الرَّحمن المخلِّص[7]، ومن ابن الصَّلْت[8]، وتوفّي بطليطلة ليلة الجمعة 15 شوال في كنف المأمون يحيى بن ذي النون[9].

- **الفرج بن إبراهيم (قبل 5هـ/11م):** يكنى أبا يسر، من بغداد، كاتب وأديب وشاعر، وفد على المغرب والأندلس وتواجد بالأندلس بسرقسطة قبل سنة 475هـ/1082م.

روى عن أبي القاسم الحسين بن علي بن المغربي الوزير[1] كتابه المنخل في اختصار إصلاح المنطق؛ قال ابن الأبار: "كان أديباً كاتباً حافلاً شاعراً"[2].

---

[1]- ليس هناك ملك بهذا الاسم، وإنما هذا لقب لحاكم شروان، ولعل المقصود هنا منوجر بن يزيد أو علي بن يزيد أو قباذ بن يزيد (418-441هـ/1027-1049م). ابن بسام، الذخيرة، ج4، هامش رقم 1- ص64.

[2]- تولى القائم أبو جعفر الخلافة سنة 422هـ/ 1030م، وثار عليه البساسيري سنة 450هـ/ 1058م، ثم أعاده السلاجقة وبقي حتى توفي 467هـ/1074م- نفسه، ج4، (هامش رقم 3)ص64.

[3]- هو ثمال بن صالح المرادسي ولي قلعة حلب أول مرة سنة 420هـ/1029م، ثم أقصي عنها وعاد إليها سنة 429هـ/1037م، فلم تطل مدته، وأقصي مرة أخرى ثم عاد إليها سنة 434هـ/1042م، واعتزل بنفسه سنة 449هـ/1057م؛ وقد مدحه المعري بقصيدته المشورة التي أوَّلها "عُهودَ الصبا مَنْ بعدَ عهدِكِ آمُلُ". نفسه، ج3، (هامش رقم4)ص64.

[4]- مَعَرَّةُ النُّعْمَانِ: مدينة قديمة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، وقيل أن اسمها اشتق من اسم النعمان بن بشير صحابي اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص156.

[5]- أبو العلاء الـمَعَرِّي (363-449هـ/973-1095م): أحمد بن عبد الله بن سليمان التَّنُوخي، ولد بالمعرَّة، الشاعر والأديب واللُّغوي؛ قرأ النحو واللغة، ودخل بغداد، اشتهر بالذكاء المفرط والزهد الفلسفي والزندقة، وله تصانيف كثيرة ومشهورة، ورسائل مأثورة. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، صص209-212.

[6]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص63-64.

[7]- محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص(ت393هـ/-1002م): أبو الطاهر البغدادي الذهبي، إمام محدث ثقة، مسند وقته. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج4، ص500.

[8]- أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصِّلت الأهوازي (324-409هـ/935-1018م): سمع من المحاملي وابن عقدة وجماعة، وهو ثقة. نفسه، ج5، ص53.

[9]- الدباغ، المصدر السابق، ج3، صص 194-196/ ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص65/ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص465/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص114./ المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (ت467هـ/1074م): ثاني حكام طليطلة بعد أبيه الذي استولى عليها أيام الفتنة عهد ملوك الطوائف، وكانت بينه – أي المأمون- وسليمان ابن هود حروب بين سنتي 435هـ/1043م و438هـ/1046م. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص177 .

ومن آثاره: أنه صنف مجموعاً حسنا في الطيب والتطبيب جعله كالرسالة[3].

- **موسى بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين** بن علي بن أبي جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين **بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (...-486هـ/...-1093م):** يكنى أبا البسام، وأصله من الكوفة، ثم صار إلى صقلية، ودخل الأندلس والمغرب.

عالمٌ وأديبٌ ورعٌ، وشاعر بديع، له معرفةٌ بأصول الدين على مذاهب السنة[4]؛ توفي ببلاد بني حماد، حيث قتل ذبحاً ليلة 27 رمضان[5].

- **بشارة الزامر(5هـ/11م):** قدم من المشرق، وكان من حُذَّاق زمرة الشرق[6]، وقد وفد على المغرب ثم رحل إلى الأندلس.

- **محمد بن عيسى بن حسين التميمي البستي[7]: (428-503 أو 504 أو 505هـ/1036-1109أو1110أو1111):** يكنى أبا عبد الله، من بلاد خراسان، من أهل العلم والفضل، تولى القضاء بالمغرب.

وفد على بلاد المغارب فدخل الأندلس ومنها المرية، ثم بلاد المغرب سبتة وفاس[8].

- **سهل بن علي بن عثمان[9] (...-531هـ/...-1136م):** يكنى أبا نصر، وقيل أبي قصر، من نيسابور، تاجر، كان عالماً بالحديث النبوي الشريف، وفقيهاً شافعياً، وفد على المغرب والأندلسن وأقام بمدينة سبتة مدة طويلة.

---

[1]- الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام وينتهي نسبه إلى يزدجرد بن بهرام (370-418هـ/980-1027م): أبو القاسم، المعروف بالوزير المغربي، مصري فر إلى الرملة ثم الحجاز والعراق، وعلمٌ مشارك في القرآن والنحو وعلم اللغة والشعر القديم، والخط والكتابة، ومن الدهاة العارفين، صاحب الديوان الشعر والنثر، وله مختصر إصلاح المنطق وأدب الخواص؛ توفي بميّافارقين، وحُمل إلى الكوفة. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، صص172-177.

[2]- ابن الأبار، التكملة، ج4، صص65-66.

[3]- نفسه، ج4، ص65.

[4]- يقول ابن الزبير"له معرفة بالكلام على طريقة الأشعرية". صلة الصلة، المصدر السابق، ج3، ص57.

[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2، ص476/ ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، صص56-57.

[6]- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذُويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط2، 2016م. صص337-338.

[7]- بست: من خراسان، مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، بلاد كبيرة كثيرة الأنهار والبساتين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، صص414-415.

[8]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص470.

[9]- لم يصرح ابن الأبار ولا المقري بوفادته على المغرب في حين يؤكدان دخوله الأندلس؛ ولكن القاضي عياض التقاه وأخذ عنه، وضمَّنه في فهرسة شيوخه، وكذلك ذكره ابن القاضي في كتابه جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس لذلك ارتأينا إدراجه ضمن هذا المبحث، لأن المؤلفان الأولان يهتمان بالأندلس فقط ولا يأتي ذكر المشارقة الوافدين على المغرب والأندلس إلا عرضاً. ابن الأبار، التكملة، ج4، صص126-127/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص67/ القاضي عياض، الغنية- فهرسة شيوخ القاضي عياض- تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م، ص209-210/ ابن القاضي، المصدر السابق، صص531-532.

سمع من جماعة من الخُراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي[1]، وأبو الفضل أحمد بن محمد المنداني[2]، وأدرك الإمام أبا المعالي الجُوَيني[3]، وحضر مجلسه ودرسه؛ توفي غريقاً في البحر منصرفا إلى بلده من ألمرية[4].

- نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس[5](532-567هـ/1137-1171م): أبو الفتوح اللخمي الأزهري الإسكندريّ، الملقب القاضي الأعز، الشاعر المشهور، صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي وانتفع به.

وفد على صقلية في شعبان سنة 563هـ/1167م، ثم سافر منها إلى اليمن ووصلها سنة 565هـ/1169م، وتوفي راجعاً بعيذاب[6] شاطىء جدة.

من تصانيفه ديوان شعره مشهور، وكتاب روضة الأزهار في الأدب، والزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم من أمراء صقلية[7].

قال السيوطي: "كان شاعراً مجيداً، وفاضلاً نبيلاً"[8].

- هبة الله بن الحسين المصري (...- 586هـ/...-1190م): يكنى أبا المكارم، من مصر، وفد على المغرب ودخل الأندلس؛ وكان من أهل العلم، عارفاً بالأصول، حافظاً للحديث، متيقظاً، حسن الصورة والشّارة؛ وكانت وفاته بتونس وهو متولي القضاء[9].

---

[1]- أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن خلف (ت478هـ/1085م): أبو بكر الشيرازي ثم النيسابوري، العلامة النحوي، مسند وقته، كان عارفا باللغة والأدب ومعاني الحديث. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، صص478-479.

[2]- أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم (510هـ/1116م): أبو الفضل، المَيْدَاني، النَّيسابوري، شيخ الأدب والكاتب اللغوي للشير. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص489.

[3]- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن حيويه (419-478هـ/1028-1085م): أبو المعالي الجويني، النيسابوري، شيخ الإسلام، إمام شافعي المذهب، وأصولي متكلم، بليغ فصيح الأدب، اشتهر بالمناظرة، دخل بغداد، ثم الحجاز، وعاد إلى نيسابور، وبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور. السبكي، المصدر السابق، ج5، صص165-181.

[4]- القاضي عياض، الغنية، صص209-210/ ابن الأبار، التكملة، ج4، صص126-127/ ابن القاضي، المصدر السابق، صص531-532 / المقري، المصدر السابق، ج3، ص67.

[5]- قَلاقِس: بقافين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبينهما لام ألف وفي آخره سين مهملة مفتوحة، وهو جمع قلقاس بضم القاف وهو معروف. ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص388.

[6]- عيذاب: بليدة على شاطئ بحر جدة، يعدي منها الركب المصري المتوجه إلى الحجاز، عن طريق قوص في ليلة واحدة في أغلب الأوقات فيصل إلى جدة ومنها إلى مكة. نفسه، ج5، صص388-389.

[7]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، صص385-389/ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1387هـ/1967م، ج1، ص564 /حاجي خليفة، كشف الظنون، ج6، ص381-382.

[8]- السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص564.

[9]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص150/ ابن القاضي، المصدر السابق، صص546-547/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص68/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص218/ ويصفه لطفي بن ميلاد- هو وصديقه القادم معه أبو الوفاء المصري-"بالشيعيّ" و"بالمشارقة الشيعة"، ويستغرب من توليته منصب القضاء لدى الموحدين وسكوت المصادر والمراجع عن تحليل ذلك الأمر، ويرجِّح- في محاولة منه- لتبرير ذلك باعتناق القادمين أبي المكارم وأبي الوفاء المذهب الموحدي.- ينظر المشارقة في إفريقية، صص109-110.

- أبو الوفاء المصري [1](ق6 هـ/12م): وفد مع هبة الله بن الحسين المصري-الترجمة السابقة-، وولي القضاء[2] أيضاً.

- الأمير شعبان كوجبا (ق6 هـ/12م): من غُزّ الموصل؛ وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين، ورفع له أمداحاً جليلة، وقدمه على إمارة مدينة بسطة من الأندلس، يقول عبد الواحد المراكشي: "ولم يرِد المغربَ من هذه الطائفة- أعني الغُزّ- ألطف حِسًّا ولا أزكى نفساً ولا أحسنُ محاضَرةً ولا أطْيَبُ عِشرة من شَعْبَانَ...، ما لقيتُه إلا استنشدني أو أنشدني"[3].

قال أبو عمران بن سعيد، أنشدني لنفسه: (الطويل)

يَقُوْلُوْنَ إنَّ الْعَدْلُ فِيْ الْنَّاسَ ظَاهُرٌ * ولم أر شيئاً مِنْهُ سراً ولا جَهْرا

وَلُكْنُ رُأِيْتُ كن رأيت الْنَّاسَ غَالُبٌ أَمْرهُمْ * إذْ مَا جَنى زَيدٌ أَقَادُوا بِه عَمْرا

وَإلَّاً فما بال الْنُطَاسَّيَّ كُلَّمَا * شَكَوْتُ له يُمني فصد الْيُسْرى[4].

- يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي (547 أو 548-608هـ/ 1152أو1211م): يكنى أبا زكريا، ويلقب بمجد الدين، ويعرف بالأصبهاني[5]، من أهل دمشق ولد ونشأ بها، عالم، جل علمه الخلافيات، ولم يشتغل برواية الحديث إلا بآخره، كما اشتغل بالوعظ، وكان فقيها على المذهب الشافعي، عارفاً بالأصول والتصوف، زاهداً ورعا، وبعد أداء فريضة الحج قصد بلاد المغرب، ثم الأندلس فاستوطن غرناطة.

وكان قد رحل إلى مدينة أصبهان فأقام بها يطلب العلم مدة تزيد عن الخمسة أعوام لقراءة الخلافيات، وأخذ بها أنواع العلوم عن كثير من علمائها المشهورين، كما أخذ بالإسكندرية عن أبي طاهر السِّلفي، سمع عليه جملة أجزاء من عوالي حديثه، ومن مصنفاته: كتاب الروضة الأنيقة.

توفي بغرناطة يوم الأحد بعد صلاة الظهر، وقيل يوم الإثنين 6 شوال، وشهد جنازته جمع عظيم من المسلمين السلطان فمن دونه[6].

---

[1]- لم تخصص له المصادر ترجمة مفردة وإنما أتت ترجمته عرضا في أواخر ترجمة هبة الله بن الحسين المصري وتناقلتها المصادر تباعا، ولذلك فالمعلومات حوله شخصه شحيحة.

[2]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص150/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص68/ هبة الله محمد عبد الفتاح، ص218.

[3]- عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص210.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص133-134/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص219.

[5]- عرف بهذا اللقب في مجلس أبي طاهر السِّلفي لأنه أقام مدة بهذه المدينة يطلب العلم. ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197.

[6]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم5، صص269-271/ ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص68-69/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص220.

- إبراهيم بن خلف بن منصور الغساني الدمشقي (ق7هـ/13م): يكنى أبا إسحاق، ويعرف بالسنهوري- وسنْهُور من ديار مصر-، وكان عالما بالحديث.

وفد على المغرب فدخل تونس سنة 602هـ/1205م، ثم انصرف إلى المغرب الأقصى، ودخل الأندلس، وحل بإشبيلية سنة 603هـ/1206م.

وعاد السنهوري إلى المشرق، وفي مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب(حكم615-636هـ/1218-1238م) فضرب بالسياط، وطيف به على حمار مبالغة في إهانته، وأُخرج من ديار مصر[1].

- عبد الرحمن بن داود بن علي (...- حدود 610هـ/...-1213م): يكنى أبا البركات وأبا القاسم، ويلقب بركن الدين[2]، ويعرف بالزيزاري[3] وبالسقسيني، من أهل مصر، فقيه على مذهب الشافعي واعظاً، حافظاً، مشاركاً في فنون من العلم.

وفد على الأندلس والمغرب، وكان دخوله الأندلس سنة 608هـ/1211م، وتجول في بلادها بإشبيلية وقرطبة ومرسية وبلنسية.

روى عن أبي الوقت السجزي، وعن أبي الطاهر السلفي، وشُهدة الكاتبة بنت أحمد الإبري[4]، وغيرهم خلق كثير.

وجمع أربعين حديثا مسلسلة سماها "باللآلئ المفصلة"؛ وتوفي بإفريقية راجعا إلى المشرق[5].

- علي بن أبي بكر[6] بن علي الهروي[1] السائح(...- 611هـ/...- 1214م): يكنى أبا الحسن[2]، ولد بالموصل، وأصله من هراة، ونزل بحلب واستقر بها، ولا يُعرف شيئا عن نشأته؛ رحالة،

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ج1، صص149-150/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص135-138/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، صص218-219.

[2]- يسميه المقري زكي الدين. نفح الطيب، ج3، ص139.

[3]- المقري: يعرف بالزبزاري فقط. نفسه، ج3، ص139.

[4]- شُهدة الكاتبة بنت أحمد الإبري(ت574هـ/1178م): شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الدَينوري، البغدادي، الإبري، فخر النساء ومُسندة العراق، عرفت بالكاتبة لجودة خطها، من عالمات عصرها، أصلها من الدينور، مولدها ووفاتها ببغداد، روت الحديث وسمع إليها خلقٌ كثير وذاع صيتها، تزوج بها ثقة الدولة ابن الأنباري وكان من رجال المقتفي العباسي - توفي عنها سنة 549هـ/1154م-، وكانت ذات دين وورع وعبادة، ولها قصائد شعرية رقيقة جيدة المعاني. السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار المعارف، تونس، ط1، 2003م/ خازن عبود، نساء شاعرات من الجاهلية إلى نهاية القرن العشرين، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 2000م، ص146.

[5]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، صص220-221/ ابن الأبار، التكملة، ج3، صص53-54/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص139.

[6]- وقيل كنيته أبو طالب. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرشيد العربي، دار الرائد العربي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص89.

ومؤرخ، وعالم مشارك في علم السيمياء[3]، والشعر؛ بدأ حياته العلمية بجمع المعارف الجغرافية والتاريخية والأدبية عبر مشاهدته ولقاءاته بكبار المفكرين وقراءاته للمراجع المعروفة الموثوق بها.[4]

وعُرف بالتجوال، فقد طاف البلاد وأكثر من الزيارات، وكان يُطْبق الأرض بالدوران، فإنه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه، ولم يصل إلى موضع إلا كتب خطه في حائطه، ولقد شاهد ابن خلكان كَتْب خَطِّه "ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها مع كثرتها"[5].

يقول محمد مؤنس أحمد عوض: "وقد وجدت فيه صفة مميزة وهي: حب التِّرحال والأسفار، ثم كتابة اسمه على الآثار التي يزورها ويبدو أنه رغِب من وراء ذلك أن يخلد اسمه من بعد وفاته على اعتبار أن الأشخاص يرحلون وتبقى الآثار شاهدة عليهم حتى بعد رحيلهم"[6]، هذا الاحتمال وارد والتفسير الذي ذهب إليه هذا الباحث منطقي جداً، لكن من المُؤكد أن المؤلفات التي تركها الهروي هي أولى بتخليد اسمه.

وعليه؛ فالهروي من الرحالة الذين وفدوا على بلاد المغرب، ولم يتم الإشارة إلى تاريخ ذلك، كما زار بلاد الشام ومصر وبلاد الروم والعراق، ومكة المكرمة والمدينة، واليمن وبلاد فارس، وذهب إلى الهند وصقلية والعديد من جزائر البحر المتوسط[7].

وينفي إسماعيل العربي دخول الهروي بلاد المغرب والحبشة بقوله: "وقد اهتم في كتبه ببلاد المغرب وبلاد الحبشة، ولو أنه لم يزر المغرب والحبشة، وإنما هو يتحدث عنها بالسماع ونقلا عمن شاهدوها"[8]، ولكنه في كتاب الإشارات يذكر زياراته لبلاد المغرب، ويبدو أنه وصل إلى حدود مدينة قسنطينة، ومن ثم انتقل إلى صقلية، ولم يدخل بلاد الأندلس[9].

---

[1]- الهروي: بفتح الهاء والراء وبعدها واو، هذه النسبة إلى مدينة هراة، وهي إحدى كراسي مملكة خراسان، فإنها مملكة عظيمة، وكراسيها أربعة نيسابور، ومرو وبلخ وهراة؛ وهراة بناها الإسكندر ذو القرنين عند مسيره إلى المشرق. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص348.

[2]- يلقبه علي بن عبد الله الدفاع بـ"الموصلي" ويذكر أنه: "استوطن الموصل ومن هنا جاء لقب الموصلي". الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، ط2، 1993م، ص169.

[3]- علم السيمياء: هو علم السحر والتمويه. هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص223.

[4]- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص346/ خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 266/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، صص223 -224.

[5]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص348.

[6]- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية في عصر الحروب الصليبية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم - مصر، ط1، 1955م، ص265.

[7]- محمد مؤنس أحمد عوض، المرجع السابق، ص265/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص223.

[8]- دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية، المرجع السابق، ص173.

[9]- الهروي، الإشارات، صص53-54.

وبعلم السيمياء تقدم عند الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين[1] صاحب حلب، وأقام عنده، وكان كثير الرعاية له، وبنى له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة؛ وفي وصفها قال ابن خلكان: "بتلك المدرسة بيوت، كُتب على باب كل بيت ما يليق به، ورأيته كتب على باب الميضأة «بيت المال في بيت الماء»"[2].

ولما اشتهر بكثرة زياراته ضُرب به المثل في السياحة والتجوال، من ذلك قول ابن شمس الخلافة[3] بيتين في شخص يستجدي من الناس بأوراقه: (البسيط)

أوْراقُ كُدْيتِهِ في بيت كلِّ فتىً * على اتفاقِ معانٍ واختلافِ رَوي

قد طبَّق الأرض من سَهْل إلى جَبَل * كأن خَطٌّ ذاك السائح الهروي.

ومن مصنفاته: كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، كتاب الخطب الهَرَوية، منازل الأرض ذات الطول والعرض، كتاب الأصول، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، الآثار والعجائب والأصنام، وكتاب رحلته الذي كتبه سنة 602هـ[4]/1205م.

وتوفي في شهر رمضان في مدرسته ودفن بالقبة[5] في المدرسة بحلب؛ يقول صاحب الوفيات: "ورأيته في قبته معلقا عند رأسه غصناً وهو حلقة خِلْقية ليس فيها صنعة، وهو أعجوبة، وقيل إنه رآه في بعض سياحاته فاستصحبه وأوصى أن يكون عند رأس ليعجب منه من يراه"[6].

- مودود بن عمر بن مودود الفارسي أو عمر بن مودود بن عمر الفارسي[7](...-639 أو بعد **640هـ/...-1241** أو بعد **1242م):** يكنى أبا البركات، ويلقب بشرف الدين ويعرف

---

[1]- الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين (568-613هـ/1173-1216م): يسمى غازي، من ملوك الدولة الأيوبية، ولد بالقاهرة، وتسلم مملكة حلب منذ سنة 582هـ/ 1186م إلى غاية وفاته، وعمرت دولته بالعلماء والعظماء. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص113.

[2]- وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج3، ص347.

[3]- ابن شمس الخلافة (543-622هـ/1148-1225م): جعفر بن محمد بن مختار، وهو الأمير مجد الملك أبو الفضل ابن شمس الخلافة أبي عبد الله الأفضل المصري القوصي، شاعر أديب، ولقي الأدباء، رافق السلطان صلاح الدين الأيوبي، ثم ابنه العزيز، وقدم حلب وخدم صاحبها غازي ثم عاد لمصر، وله ديوان شعر ، وكتاب الأرج الشائق في كرم الخلائق، وكانت وفاته بمصر. الصفدي، المصدر السابق، ج11، ص110.

[4]- ابن خلكان، نفسه، ج3، ص347/ الزركلي، نفسه، ج4، ص266/ هبة الله محمد عبد الفتاح، نفسه، صص223-224.

[5]- كتب على قبره يصف نفسه: "عاش غريباً ومات وحيداً، لا صديق يرثيه ولا خليل يبكيه، ولا أهل يزورونه ولا إخوان يقصدونه، ولا ولد يطلبه ولا زوجة تندبه، سلكت القفار وطفت الديار وركبت البحار ورأيت الآثار وسافرت البلاد وعاشرت العباد فلم أر صديقاً صادقاً ولا رفيقاً موافقاً، فمن قرأ هذا الخط فلا يغتر بأحد قط". الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص266.

[6]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، صص347/ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج7،ص90.

[7]- تضطرب ترجمة هذه الشخصية عند ابن الأبار في كتابه التكملة، فقد ترجم له في جزأين منفصلين: الجزء الثاني وذكره باسم مودود بن عمر بن مودود الفارسي؛ وفي الجزء الثالث: وذكره باسم عمر بن مودود بن عمر الفارسي، ونجد الترجمة الموجودة في الجزء الثاني مضطربة -الاسم، تواريخ- ولا أعرف كيف لم يتنبه محقق الكتاب إلى ذلك؛ أما ابن الزبير والمقري فترجما له بالاسم الثاني عمر، ولا تختلف المعطيات حول الشخصية بينهما وبين الترجمة الموجودة في الجزء الثالث

بالسلماسي، شافعي المذهب، وهو من أبناء الملوك، من أهل بخارى، ولد بسَلماس ببلاد فارس، ونشأ بها وكتب الحديث هنالك، وتعلم العربية والفقه، وسمع صحيح البخاري بالدامغانِ[1]، وكان من أهل التصوف، له معرفة بالفقه وعلم الكلام، وله رواية بالمشرق.

وفد على المغرب والأندلس؛ فقدم سبتة وسكنها مدة، ثم رحل إلى الأندلس ودخل إشبيلية ثم مالقة في حدود 630هـ/1232م واستوطنها؛ ثم انتقل إلى مراكش عام 635هـ/1237م وسكنها ومات بها[2].

- عبد الله بن عمر بن محمد بن حمويه السرخسي(572-642هـ/1176-1244م): يكنى أبا أحمد، ويلقب بتاج الدين، من الشام، خراساني الأصل، وهو من بيت كبير؛ حفظ القرآن، وسمع الحديث عن أبي القاسم بن عساكر والفقيه مسعود النيسابوري وأبي الفرج الثقفي وأبي طاهر الخشوعي؛ وسمع منه المؤرخ أبو شامة (ت665هـ/1266م)حيث قال عنه: "... سمعت عليه أنا وابني محمد كثيراً وأجاز لنا جميع ما يرويه"[3].

يعرف بشيخ الشيوخ بدمشق، مؤرخ مصنف، وشاعر متفنن في عدة علوم، وعارف بالأصول والفروع والترسل والهندسة والطب.

له الرحلة المغربية[4] التي ابتدأها بزيارة بيت المقدس، ثم مصر فالإسكندرية، ومنها توجه إلى المغرب الإسلامي.

وفد على الأندلس والمغرب، ودخل بلاد المغرب سنة 593هـ/1196م، واتصل في مراكش، بملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فأقام هنالك إلى ما بعد وفاته.

عاد إلى المشرق وقدم مصر، وفيها ولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين ابن حمويه، ثم رحل إلى الشام سنة 600هـ/1203م، وحج سنة 604هـ/1207م.

من كتاب ابن الأبار. ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 4، ص80/ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص210؛ نفسه، ج3، صص165-166/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص144-145.

[1]- الدامغانِ: بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قصبة قومس، كثيرة الفواكه. ياقوت الحموي، معجم البدان، ج2، ص433.

[2]- يذكر الرعيني وابن الزبير تاريخ وفاته سنة 639هـ/1241م بينما يذهب ابن الأبار- في ترجمة عمر- والمقري إلى القول بأن وفاته كانت بعد 640هـ/1242م. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص210/ الرعيني الإشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني، حققه إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1381هـ/1962م، ص174/ ابن الزبير، المصدر السابق، ج4، ص80/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص144-145.

[3]- أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي البغدادي، الذيل على الروضتين- تراجم رجال القرنين السادس والسابع- وضح حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، ج5، ص267.

[4]- تعتبره الباحثة نجاة المريني أحد السفراء (السفير الثاني) بين الموحدين والأيوبيين وتضيف لاسمه عبد السلام، وتذكر أن بداية سفارته سنة 594هـ/ 1197م. الرحلة المغربية لابن حمويه السرخسي مشرق مغرب عرب ومسلمون، أعمال ندوة "الرحالة العرب والمسلمين: اكتشاف الذات والآخر" المنعقدة في الرباط ما بين 22-25 ماي 2009م تحت عنوان: الرحلة العربية في ألف عام - وهو القسم المعنون "مشرق مغرب عرب مسلمون ديار الإسلام من الأندلس إلى استانبول"، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي، أبو ظبي، 2009م، المجلد2، صص152-155.

ومن مصنفاته: كتاب الرحلة المغربية، وكتاب المؤنس في أصول الأشياء في ثمانية مجلدات، وعطف الذيل في التاريخ والسياسة والملوكية، صنفها للملك الكامل محمد، وأمال وتواريخ كثيرة.

توفي بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية عند المنيبع، وكان قد بلغ الثمانين، وقيل لم يبلغها[1]، وقيل في وصفه: "وكان ...سخياً، متواضعاً، عالماً، فاضلاً، ديناً صحيح الإعتقاد"[2].

- أشهب بن محمد الأنصاري(...- توفى في حدود 646هـ/...-1248م): يكنى أبا محمد، أصله من البطائح من كورة بغداد، شافعي المذهب، أديب شاعر، وفد على المغرب والأندلس؛ فدخل مدينة فاس وسجلماسة وغيرهما، ثم جاز إلى الأندلس فدخل مرسية وغرناطة وغيرهما، ثم عاد إلى المغرب، ومنها منصرفا إلى المشرق، وتوفي بتونس في طريقه عائداً للمشرق[3].

- يونس بن مهذب الدين عثمان الحسني المازندراني(ق7هـ/13م): يُلقب بنجم الدين، أصله من بغداد، رحالة، مشارك في الأدب والشعر والأخبار.

وفد على المغرب والأندلس بعدما زار الحرمين ثم مصر، ثم قدم الأندلس ودخل إشبيلية، وروى عنه علماؤها، ثم أجاز إلى العدوة، وعاد منها إلى الأندلس حيث ورد على غرناطة؛ ثم عاد إلى العدوة وحلَّ بمدينة سبتة، ثم سلا ورباط الفتح متوجهاً إلى مراكش، ثم عاد إلى إشبيلية مرة أخرى ثم عبر إلى سبتة [4]، ومنها عاد إلى المشرق.

- تقي الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الغَرْس (ق7هـ/13م): عالم من أعيان مصر، حنفي المذهب[5].

[1]- أبو شامة، المصدر السابق، ج5، ص267/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص99-110/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، صص221-222/ عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1403هـ/1983م، ص43.
[2]- أبو شامة، المصدر السابق،ج5، ص267.
[3]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص168-169.
[4]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج8، القسم2، صص452-473/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص145.
[5]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص147.



الفصل الثالث: العلماء المشارقة في بلاد المغارب

أولا: أسباب توافد العلماء المشارقة في بلاد المغارب

ثانيا: مكانة العلماء المشارقة في بلاد المغارب

ثالثا: التوزيع الجغرافي والزمني للمشارقة المغربين

أولا- أسباب توافد أهل الثقافة والعلوم والفنون من المشارقة إلى بلاد المغارب: ساعدت حرية تَنقل الأفراد في العصور الوسطى على توافد أهل الثقافة والعلوم والفنون من المشارقة إلى بلاد المغارب كظاهرةٍ كان مسارها عكس التيار المعهود في فترة الدراسة، ذلك لأنَّ مرحلة الفتح قد انتهت منذ زمن بعيد، أما مرحلة التبعية السياسية فقد انفصل المغرب عن المشرق باستثناء بعض الفترات التي يُعلن فيها بعض الحكام المغاربة الولاء والطاعة لبلاط المشرق لمدة قصيرة، كما لم يكن في بلاد المغرب بقاع مقدسة تُشدُّ الرِّحال إليها.

لذلك وجب علينا رصْد أسباب وجود الطبقة المشرقية العالمة على أرض بلاد المغارب من خلال تَتبُعِنا لتراجمهم، وعموماً فالعلماء المشارقة لم يتَّجهوا إلى بلاد المغرب إلا في حالات فرارٍ من سلطةٍ أو كسْب رزقٍ أو طلب علمٍ[1] أو طلب مُلكٍ أو نشر مذهب.

كما أن الكثير منهم كانت أسباب تواجدهم مُتداخلة، في بعضها البعض ممّا أشْكل علينا تصنيف الأسباب الرئيسة لكثير من الأعلام العلماء، لذلك ارتأينا تصنيف مُبررات التواجد للعلم الواحد مع الإشارة للدوافع الأخرى عند ذكر شخصية العالم؛ وحتى في الإطار العام للدافع نفسه، فمثلا اشترك الكثير منهم في العلم والتعليم فحصل التبادل- بالأخذ عمَّنْ هم أعلى منه درجة وتلقين من هم دُونه-، وهناك بعض من العلماء القادمين لم نجد لهم سببا ولا حُجّة لدخولهم بلاد المغرب أساساً فاكتفينا بالإشارة إلى ذلك.

إن تنوع الهدف من وراء رحلة العلماء المشارقة إلى المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وانتشار تواجدهم به في أوقات زمنية مُتباينة وأقاليم جغرافية مُتنوعة أدَّى إلى التنوع في تمييز الأسباب الرئيسة التي دفعت هؤلاء الأعلام إلى الرحلة غربا.

1- الدوافع السياسية والمذهبية:

- الدعاية والدعوة المذهبية والسياسية: يخص هذا أعلام الدعوة والسياسة المشارقة الذين أُرسلوا في مهمة نشر مذهب ما، والمعلوم أن الدعوة تكون في بيئة لم توجد فيها تلك الأفكارالمُراد نشرها، وإن كانت موجودة تكون مُهمة هؤلاء تحويل الدعوة إلى دولة - مذهب سياسي-.

و تنحصر في فترة الدراسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكان هؤلاء الأعلام عُلماء مُشاركين في أنواع من العُلوم والفنون، وعلى قدرٍ من المَعارف مُهيئين لنوعية مهامهم مُجيدين أسلوب التبليغ والحِجَاج على حسب مِحور العمل والنشاط.

[1]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص8.

كان دعاة الإباضية على رأس هؤلاء بإفريقية؛ منهم سلامة بن سعيد الذي قدم من أرض البصرة، يدعو إلى مذهب الإباضية والقائل بالمغرب "ودِدْتُ أن لو ظهر هذا الأمر يعني مذهب الإباضية يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فلا آسَف لي على الحياة بعدها"[1]، ويُقال إن عبد الرحمن بن رستم قد سمعه فكان له أثر كبير في نفسه مما جعله يقوم مجتهداً لتحقيق ذلك الأمر[2].

ومن أشهر الدعاة الوافدين إلى بلاد المغرب أيضاً عالم مشرقي[3]، داعي الإسماعيلية أبو عبد الله الشيعي القائم بدعوة عبيد الله المهدي، الذي هُيء لذلك حيث كان عالماً بأصول المذهب - الظاهر والباطن-[4]، ومُقتدراً على الحجة.

وعليه فإن اختياره تمَّ بعناية لأن المهمة كانت كبيرة، فتلك العملية التي بدأت بأسلوب تعليمي دعوي تمكَّن خلالها من كسب ثقة البربر لينْتقل إلى المرحلة العَمَليّة المتمثلة في تحضير الجيوش وإعلان الدولة.

أمَّا عبيد الله المهدي فلم يخرج لاجئاً أو فاراً، وإنما جاء لتسلم أرقى المناصب وهو الخلافة وتسيير أمور دولة بشرعية النسب؛ ذلك النسب الذي اختلف فيه كثيرا- كما أنَّ أي محاولة لنقاش هذه المسألة ميؤوس من نتائجها.

وعلى الأندلس وفد صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية أشهر رجلٍ داخل من المشرق في تاريخ الأندلس، على قدرٍ كبير من العلم والأدب والشعر، ذا دعوة سياسية، فرَّ من المشرق لما ظهرت دولة بني العباس، وقصد المغرب لبعْث الدولة الأموية من جديد في الأندلس وتسلم زمام حكمها، وتمكن من ذلك سنة 138هـ/755م[5] وورث أبناؤه من بعده السلطة (الإمارة ثم الخلافة)، ليدوم حُكمهم أكثر من قرنين ونصف، وبذلك فهم أطول عمراً من أمويي المشرق[6].

- **اللجوء السياسي:** لقد مثَّلت بلاد المغارب أرض اللجوء على مدى أزمان في العصر الوسيط لكثير من المُضْطهدين الفارِّين من المشرق، فعرفت توافد العلويين والأمويين وغيرهم، ويتمّ اختيارها للجوء لعدة عوامل وعلى رأسها البُعد الجغرافي عن السلطة المشرقية.

---

[1]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، صص11-12.
[2]- نفسه، ج1، ص12.
[3]- ينظر في وصفه فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص89.
[4]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص30.
[5]- الحميدي، المصدر السابق، ص23.
[6]- يقول مؤلف تاريخ وجغرافية الأندلس: " كان جملة ملوك بني أمية، ومبلغ دولهم بقصر قرطبة أربعة عشر ملكا، وعدد أيام بني أمية المذكورين مائتا سنة واثنتان وسبعون سنة وسبعة أشهر". مجهول، المصدر السابق، ص211.

ومن صُور اللجوء السياسي إلى بلاد المغرب بعد اضطهاد العباسيين للعلويين هروب إدريس وأخيه سليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، اللذان اشتركا في الثورة ضد العباسيين في مكة والتي انتهت بالفشل، وقد نجا إدريس من هذه المعركة وفر على إثرها إلى بلاد المغرب الأقصى[1].

ويُصنَّف إدريس ضمن اللاجئين ببلاد المغارب وليس ضمن أصحاب الدعاوى السياسية، ذلك أن الدولة الإدريسية قد ظهرت فجأة، وبدون تمهيد أو دعاية لقيامها، كما هو الشأن عند قيام بقية الدول المستقلة ببلاد المغرب، ويبدو أنها لم تقم على مبادىء سياسية أو مذهبية دينية معينة، بل قامت على أكتاف بعض القبائل المغربية التي احتضنت إدريس الأول والتفت حوله، لأنه يمثل هيبة الأسرة العلوية، فهي لا تعتني بمذهب سياسي أو ديني معين، بالرغم من أن الكتاب ينْعتونها بأنها علوية شيعية، وحتى إن كانت كذلك، فهي شيعية من الناحية الشكلية شيعتها مُعتدلة وهم الأقرب إلى أهل السنة[2].

وقد وفد مع إدريس مولاه راشد الذي حكم المرحلة الإنتقالية للدولة الإدريسية بالوصاية، وكان من أهل العلم والخبرة بالأمور السياسية[3].

وهناك من دخل المغرب في مهمة سياسية عسكرية وهي القتل، وهو سليمان بن جرير قاتل إدريس الأول، أرْسِل ليقوم بمهمة الجيوش بحيث تناقلت المصادر قول هارون الرشيد: "وقد عزمت أن أبعث له جيشا عظيماً لقتاله...، ثم إني فكرت في بعد البلاد وطول المسافة، ولا طاقة لجيوش العراق على الوصول إلى السوس من أرض المغرب"[4] .

وبعدما أرسى عبد الرحمن الداخل قواعد دولته فرَّ كثير من الأمويين الذين نجوا من اضطهاد العباسيين إلى الأندلس، يقول المقري: "اعلم أن من دخل الأندلس أيام الداخل من بني مروان وغيرهم من بني أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين، وذكر أعقابهم بالأندلس"[5].

ويبدو أن عبد الرحمن بن معاوية كان يَسْعَد بدخول هؤلاء لاستعمالهم كبطانة له،- فهم أهل علم ودراية بشؤون الدُول- يؤكد ذلك المقري حين يقول: "وكان الداخل يرتاح، لما استقر

[1]- نزل سليمان بالمغرب الأوسط بتلمسان، ثم دخل المغرب بعدهما ابن عمّهما داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. صالح بن عبد الحليم الإيلاني، المصدر السابق، ص251.

[2]- عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي والدبلوماسي للدولة الإدريسية، ص 104.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص18/ ابن القاضي، المصدر السابق، ص39/عبد العزيز فيلالي، جوانب من النشاط السياسي، ص105.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص22.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص48.

سلطانه بالأندلس، إلى أن يَفِدَ عليه فَلُّ بيته بني مروان، حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه، وتظهر يده عليهم"[1]، ومن هؤلاء الوافدين عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الذي فر خوفاً من المسوّدة، والوليد بن معاوية أخو الداخل، وعبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي ابن عم الداخل، وعبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام وهو ابن أخ الداخل، والمغيرة بن الوليد بن معاوية ابن أخ الداخل[2]، وجزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز.

ولى أمير الأندلس البعض منهم مناصب سياسية، واستعملهم في توطيد أركان حكمه وإخماذ الثورات، وقد تواتر عن الداخل أنه كان يقول: "أعظم ما أنعم الله تعالى به علي بَعْدَ تمكني من هذا الأمر القُدرة على إيواء من يَصِل إليَّ من أقاربي، والتوسع في الإحسان إليهم، وكِبَري في أعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا مِنَّةَ علي فيه لأحد غيره"[3].

مثلما كان من هؤلاء الأمويين اللاجئين للأندلس رجال أوفياء؛ كان منهم الطامعين لمُلك المغرب الذين كادوا الدسائس للداخل، وقد ضرب عبد الرحمن طموحاتم السياسية، فقتل منهم من قتل، ونفى الآخرين إلى العُدوة المغربية بعدما قدموا لاجئين، ونقل المقري قول الداخل: "ما عجبي إلا من هؤلاء القوم، سَعَينا فيما يضجعهم في مهاد الأمن والنعمة، وخاطرنا فيه بحياتنا، حتى إذا بلغنا منه إلى مطلوبنا، ويسّر الله تعالى أسبابه، أقبلوا علينا بالسيوف، ولـمّا آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا، ودَرَّت عليهم أخلافُ النعم هَزُّوا أعطافهم، وشمخوا بآنافهم، وسموا إلى العظمى، فنازعونا فيما منحنا الله تعالى، فخذلهم الله بكفرهم النعم... "[4].

واللجوء عموما لا يقْتصر على المشارقة من أعلام الحكم، وإنما سادة العلم أيضاً ممَّن كانوا يلقون معارضة شديدة من السلطة بسبب أفكارهم ومؤلفاتهم.

فقد كان المغرب الإسلامي وجهة العلماء والفقهاء الذين كانوا يفرون خوفا من بطش الحكام بهم، بعدما كانوا يعارضونهم في اتخاذ مواقف معينة، ومن ذلك نزوح الإمام أبي الحسن العِجْلي إلى المغرب أيام محنة خلق القرآن[5] في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص46.
[2]- نفسه، ج3، صص46-60.
[3]- نفسه، ج3، ص46.
[4]- نفسه، ج3، ص47.
[5]- الذهبي، العبر، ص374.

وقد استمرت بلاد المغرب الإسلامي تمثل مقصداً للمرتحلين المضطهدين حتى فترات متأخرة؛ ففي القرن السادس الهجري/ 12م رحل العالم أبو المكارم هبة الله بن الحسين المصري إلى الأندلس، وتُصرِّح المصادر بسبب وفادته فتقول: "وكان قدوم أبي المكارم هذا المغرب خوفا من صلاح الدين يوسف بن أيوب في قوم من شيعة العبيدي ملك مصر، ووفد أيضاً أبو الوفاء المصري معه"[1]، ولا نعرف إن كان هذا الثاني أيضا قد فر ولجأ لبلاد المغارب.

- الولاء السياسي: لقد هاجر موالي بني أمية من المشرق بعد نجاح عبد الرحمن الداخل في إرساء الإمارة الأموية بالأندلس، ومن موالي بني أمية الوافدين من الشام تشير المصادر إلى وافد واحد هو إبراهيم بن سليمان الشامي الداخل للأندلس على عهد الحكم بن هشام الربضي، ولعل سبب وفادته البحث عن الشُهرة والحظوة عند السلاطين، خاصة إذ ما عرفنا أنه شاعر عاصر فطاحلة شعراء المشرق مثل أبي نواس وأبي العتاهية، وذلك استناداً لما ورد في ترجمته حيث يذكر المقري أنه دخل الأندلس من المشرق شادياً للشعر[2].

كما لجأ إلى بلاد الأندلس علماء ينتسبون للبيت الأموي، منهم عبد الملك بن محمد السليماني، الذي سمع منه علماء الأندلس الحديث النبوي الشريف، وكتب عنه ابن الفرضي (ت403هـ/1013م) بعض الأجزاء من أحاديثه[3]، حيث يقول ابن الفرضي: "كَتبنا عنهُ جزءاً من حديثه، وقد سمع من غير واحد منهُ أصحَابنا، وكان ينزل المدينة"[4].

- الهجرة بسبب العبيديين: لما استولى بنو عبيد على مصر قاموا بإظهار مذهبهم، مما دفع بكثير من فقهاء وعلماء أهل السنة بمصر إلى الهجرة، ومن هؤلاء إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي الذي اختار الأندلس موطنا له، يقول المقري: "رحل من مصر إلى الأندلس في زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلاثمائة حين ملك بنو عُبَيْد مصر وأظهروا فيها مُعتقدهم الخبيث"[5].

- العلماء السفراء: إن بعض العلماء المشارقة وفدوا كمراسيل لحكامهم، ولقد كان اختيار الرسل للسفارة يتم بعناية فائقة لأن محور عمله الشؤون السياسية و"كان السفير المسلم بجانب

1- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص150/ ابن القاضي، المصدر السابق، صص546-547/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.
2- المقري، المصدر السابق، ج3، ص121.
3- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص14.
4- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص251.
5- المقري، المصدر السابق، ج3، ص69.

تقواه عالي الثقافة معروفاً بعلمه وفقهه"[1]، ومن العلماء السفراء المشارقة في بلاد المغارب أسامة بن منقذ أحد العلماء المرموقين المعروفين بعمقهم وانتاجهم الغزير[2]، وعبد الكريم اللذين أوفدهما السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور الموحدي، وكانا مُكلفَين بمطالبة المنصور الموحدي بالعمل على منع أساطيل الفرنج من الوصول إلى سواحل الشام، وقطع المدد عنها، ولكن لم تسفر سفارتهما عن نتيجة إيجابية[3].

ومن الرسل أيضا الشيخ عبد القاهر بن محمد الموصلي الذي قدم الأندلس رسولاً من ملك مصر إلى ملك الأندلس، وقد جلس للتدريس وسُمع منه، يقول المقري: "قال أبو حيان: قدم علينا رسولاً من ملك مصر إلى الأندلس، فسمعت منه بالمرية"[4]؛ وكذلك أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله الطندتائي الذي"قدم الأندلس رسولاً بزعمه من عند الخليفة العباسي"[5] ولكنه استوطن مرسية ودرَس بها[6].

ورسول آخر ورد على المغرب والأندلس لكن وفادته كانت في الأصل إلى المغرب، ثم انتقل إلى الأندلس، وهو أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي؛ ما يُفْهم من هذه الشخصية أن عملها في الأصل المجال السياسي، ولها حِنكة كبيرة، فقد عاصرت سلاطين وتقلبت في بلاطات، وتدرجت في مناصب في بلاد المشرق.

أُرْسِل أبو الفضل من قبل القائم العباسي إلى المعز بن باديس، وقد اختير شخصه بعناية لأن المهمة كانت تبدو سرية، خاصة إذا ما علمنا تطويق الشيعة للعباسيين وخطبة البساسيري للعبيديين في بغداد التي ألغى فيها اسم العباسيين[7]، ويبدو أن ولاءه لم يكن لدولة العباسيين وإنما كان في مهمة فقط.

وقد كان الخليفة العباسي جهزه لهذه السفارة، ولما كُشِف أمره بمصر استطاع الفرار ممَّن طلبه من وزراء مصر والإسكندرية، ودخل المغرب بزي التجار، وكان دخوله المغرب سرا، يقول ابن بسام: "وبلغ طرابُلُسَ المغرب أوَّلَ عمَلِ المعزّ، فأمشيَ أمرُه، وفُضِحَ سرُّه، فأمرَ

---

[1]- عبد الرحمن علي الحجي، جوانب من الحضارة الإسلامية، مكتبة الصحوة، بيروت، ط1، 1399هـ/1979م، ص26.
[2]- نفسه، ص26.
[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، صص195-199/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص222/ سليمان داود بن يوسف، المرجع السابق، ص42.
[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.
[5]- نفسه، ج3، ص64.
[6]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص64.
[7]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص64.

المعزُّ بإشخاصه، فلمّا وصل سُعيَ به عنده وأراد قتلَه، فقال له: تأنّ فيّ، واستقصِ عليّ، فإنْ صدقتُ وإلاَّ قُتلتُ، فمشى أبو الفضل بالقيروان مرقباً عليه، إلى أن ورد كتابُ القائم بصدقه"[1]؛

وممَّا يستنتج من هذه الرواية أن الحكام كانوا على إطلاع بالوافدين من المشرق، وبخاصة باعتبار مرحلة حساسة، وهي مرحلة القطيعة بين العبيديين بالمشرق والصنهاجيين بالمغرب.

ويُبيِّن لنا ابن بشكوال مُهمة أبو الفضل الدارمي التي قدم من أجلها بقوله: "فدعاه-أي المُعز- إلى دولة بني العباس فاسْتَجاب لذلك، ثم وَقَعَت الفِتَنُ واستولَت العربُ على البلاد فخرجَ منها إلى الأندلس"[2].

ولعل توطد العلاقات بين العباسيين والصنهاجيين كان بوفادة هذه الشخصية وعِلم العبيديين بذلك أيضا كان من أسباب إرسال العبيديين للقبائل العربية (بني هلال وبني سليم) والمهم بعد تلك السفارة أنه توجه للأندلس واستقر بطليطلة، ونال الحظوة عند حاكمها المأمون يَحْيَى بن ذي النُّون بأدبه وعلمه، ولم يعد لبلاد المشرق أو المغرب[3].

- **الجوسسة:** في هذه النقطة بالذات- نعتبر الجاسوسية تهمة بالنسبة للعلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب ما لم يُصرِّح العالم نفسه- حتى ولو ذكرت المصادر التي ترجمت له ذلك - بأنه جاسوس - وذلك لم يحصل وما كان ليحصل، وأغلب هؤلاء يُتَّهمون بالتجسس لصالح الشيعة "أما المشارقة الذين كانوا يَقْدمون إلى الأندلس بقصد الدعاية الشيعية فإنم كانوا يسترون أهدافهم الحقيقية بستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم أو السياحة الصوفية"[4].

لما وضع محمود علي مكي كتابه التشيُّع في الأندلس؛ أول من افتتح به قائمة الجواسيس المشارقة في بلاد الأندلس الأديب الشاعر الوافد أبو اليسر الرياضي، وهو في كل ذلك مُرجِحٌ غير مُؤكِد لأنه لا توجد إشارة إلى التُهمة في المصادر[5]؛ ولكن ما ينفي هذه التهمة عن هذا العالم حسب رأينا أنه تواجد بالمغرب، وكان كاتب الأغالبة قبل مجيئ العُبيديين، ومات في أول ولاية عبيدالله المهدي ببلاد المغرب سنة 298هـ/910م، والدولة أعلنت رسميا في شهر ربيع الثاني فلم تُوطَّد أركانها بعد حتى ترسل الجواسيس إلى الأندلس- لمن يذهب في تفكيره بأنه - ربّما- كان جاسوسا للمهدي أو للداعية أبي عبد الله الشيعي.

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص64.
[2]- ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص465.
[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص65/ ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص465/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص112.
[4]- محمود علي مكي، التشيُّع في الأندلس من الفتح حتى نهاية الالدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م، ص24.
[5]- نفسه، ص27.

ومن العلماء المشارقة الوافدين على المغرب والأندلس ممن اتّهم بالجوسسة أيضاً، أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي الذي اعتبر جاسوسا لصالح العبيديين، حيث أنه دخل الأندلس مُتستراً بغرض العلم[1]، يقول ابن الفرضي: "وأخبرني سُلَيْمان بن أيوب أن أبا جَعْفَر البَغْدادي إنما دخل الأندلس مُتَجَسِّساً"[2]، ويؤكد محمود علي مكي على تلك التهمة ومدى نجاحه بقوله: "يبدو أنه أفاد موالي العبيديين بمعلومات على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بأوضاع الأندلس الإجتماعية والدينية، وذلك بدليل أنهم عدوا إليه بأكبر منصب في دولتهم"[3]، حيث غدا كاتب عبيد الله الشيعي ووزيره[4].

مشرقي آخر نالت قضية اتهامه أيضا بالجوسسة لصالح العبيديين بين المؤرخين المُحْدثين بحثاً ونقاشا طويلا خاصة بين المستشرقين ألا وهو التاجر والرحالة الجغرافي العربي محمد بن حوقل النصيبي البغدادي، الذي زار المغرب والأندلس، وقيل إنه كان له هدف آخر من رحلاته وهو الجوسسة ونشر الدعاية للعبيديين.

تمَّ إثارة هذه المسألة منذ القرن الماضي بين المهتمين بجغرافية ابن حوقل وآرائه بين المستشرقين، وهي تتعلق أساسا بالمذهب السياسي الذي يدين به هذا الرحالة؛ فقد ادعى دوزي أنه كان يعمل جاسوسا لحساب العبيديين في الأندلس، وذلك في رأيه أن هؤلاء كانوا في البداية يتطلعون إلى الاستيلاء على تلك البلاد، ولعلهم كانوا يمهدون لذلك بجمع المعلومات الضرورية عن تلك الأصقاع.

أما ليفي بروفنسال، وهو من المتخصصين في تاريخ الأندلس فقد عبَّر عن رأيه دون الجزم في الأمر، ولكن ربما كان عميلا للفاطميين أو العباسيين[5].

ولم يتوان محمود علي مكي في تأكيد رأي المُستشرقين، وصنَّف ابن حوقل ضمن قائمة الجواسيس العبيديين الذين كان لهم دور مهم في الأندلس، واعتبر التجارة ستاراً على مهمته[6].

يقول إسماعيل العربي: إن ابن حوقل لا يخفي عواطفه نحو الفاطميين الذين يدعوهم "موالينا عليهم السلام"، بل إن هذا الرجل الذي كان يعيش في ظل الخليفة عبد الرحمن الناصر، لا يتردد في توجيه دعوة صريحة إلى العبيديين وإغرائهم بالعبور لنشر سلطانهم على

[1]- نفسه، ص27.
[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص69.
[3]- محمود علي مكي، المرجع السابق، ص27.
[4]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص155.
[5]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص302.
[6]- محمود علي مكي، المرجع السابق، ص28.

الأندلس وانتزاعها من الأمويين[1]؛ مستنداً في ذلك على قول ابن حوقل: "ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده... وعلم موالينا (عليهم السلام) بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها، ومواقع نعمها ولذاتها"[2].

وتفسيره منطقي جدا، فلو كان الرجل داعية وعميلا للفاطميين لتردد كثيرا قبل أن يعلن رأيه في الأندلسيين، وينعت الخليفة الأموي بهذه الصورة، حتى لا يُثير شكوكا حوله؛ والمعلوم أن أنظار هؤلاء كانت تتجّه منذ حلول عبيد الله بإفريقية إلى المشرق لا إلى المغرب الإسلامي، ومصر كانت موضع أحلامهم، وقد حاولوا فتحها بطريق البحر منذ المراحل الأولى من حكمهم، قبل أن تُكلل حملاتهم بالنجاح الذي نعرفه في نهاية الأمر.

ومن غريب الأمر أنَّ العبيديين فتحوا مصر وشرعوا في بناء القاهرة سنة 358-359هـ/968-969م في الوقت الذي كان فيه ابن حوقل يكتب كتابه، وقبل ظهور المسودة الأولى منه بسنوات قليلة، وأغلب الظن أنه كان يمكن أن يعْدل عن رأيه بعد ذلك، على الأقل في المسودة الثانية.

وأما القول بأن ابن حوقل قد يكون من عملاء العباسيين، فإن هذا لا يستند على أي دليل من النصوص والاستنتاج؛ والدولة العباسية في هذا الوقت انتهى عهدها أو كاد، وكانت السلطة بيد الأتراك[3]؛ وبذلك فهو أمر مُستبعد أيضاً؛ كما أن هذا الأمر لا يكون علناً مثلما فعل ابن حوقل في الأندلس، بل يُوجبْ السرية .

حتى وإن كانت تلك الدوافع لقدوم كثير من العلماء المشارقة إلى بلاد المغرب الإسلامي تحمل في الظاهر دواعي سياسية ومذهبية، فإن من ورائها مصالح مادية أيضا كالتجارة ونيل المناصب في البلاطات، وحتى الدواعي العلمية.

- المُسْتجلبين من قبل حكام بلاد المغارب: هناك من العلماء المشارقة الذين دخلوا بلاد المغرب استجابة لطلب حكام المغرب والأندلس.

فقد حرص القائمون على أمور الدولة على استقدام المشارقة من العلماء والفقهاء والأدباء والأطباء إلى حواضرهم[4] وبلاطاتهم؛ ولعل أبرز مثال على العلماء المشارقة الذين استجلبهم حكام المغرب الطبيب إسحاق بن عمران الذي استقدمه زيادة الله بن الأغلب، يؤكد ابن جلجل

---

[1]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص302.
[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 108-109.
[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص302/ عبد الرحمن بن حميدة، المرجع السابق، صص210-211.
[4]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص6.

ذلك فيقول: "وهو استجلبه - يقصد زيادة الله بن الأغلب- وأعطاه شروطا ثلاثة لم يفِ له بأحدها: بعث إليه عند وروده عليه راحلة أقلته، وألف دينار لنفقته، وكتاب أمان بخط يده، أن متى أحب الانصراف إلى وطنه انصرف"[1].

نظراً لعظِم شهرة البعض منهم في مجالات معينة كاتبهم ملوك المغارب، وحثوهم على الوفادة عليهم، وأغرَوْهُم بالمناصب والأموال، كما عملوا على تشجيع وتحفيز النخبة المثقفة من أجل المكوث في المغرب والسكنْ فيه[2] للذين دخلوا المغرب لغرض مُعين ثم العودة إلى بلدانهم.

2- التجارة: لم تتأثر العلاقات التجارية بالعلاقات السياسية، فقد كانت حرية التجارة وتنقل البضائع والسلع دائمة بين المشرق والمغرب حتى شُبِّهت حركة تنقل المشارقة والمغاربة المُتاجرين بين القطْرين بحركة سير النمل[3].

وأغلب العلماء المشارقة الوافدين على المغرب الإسلامي في الدراسة هم في الأصل تُجار بصفة عُلماء أو طُلاب عِلم؛ وتَتبُعهم سهل لأن أغلب من ترجم لهم يُضيف إلى أسمائهم صفة "التاجر".

فالكثير من المشارقة لم تكن رحلته غربا لأهداف تجارية خالصة، بل قَدِمُوا إما لبثِّ علمهم بين المغاربة أو لطلب العلم، خاصة لمن كان يجد ضالته في حواضر المغرب والأندلس، فانتفع واستزاد من العلم[4].

ومن العلماء المشارقة التجار الذين كانوا كثيري التردد على الأندلس محمد الرازي، الذي "كان يفد من المشرق على ملوك بني مروان تاجراً، وكان مع ذلك متقناً في العلوم"[5].

وممَّن رحلوا إلى الأندلس بقصد التجارة، لكنهم مع ذلك، أخذوا معهم علوم المشرق، ولاسيما في مجال الحديث[6] التاجر أبا عبد الله مُحَمَّد بن طَالِب البَصْري الظّاهري الذي قَدِم الأندلس وأَسْمَعَ بها، قال ابن بشكوال: "ذكره ابن خَزْرَج وذكر أنه سَمِع منه ما رواه"[7]؛ وكذلك

[1]- ابن جلجل، المصدر السابق، صص84-85.
[2]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص6.
[3]- مؤلف جماعي، النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين (160-962هـ/777-1554م) من إنجاز فرقة بحث تحت إشرف فاطمة بلهواري، الجزء الخاص بـ "العاملون بالتجارة في دويلات المغرب الأوسط"، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014م، ص57.
[4]- فيلالي بلقاسم، المرجع السابق، ص359.
[5]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص155/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص111.
[6]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص15.
[7]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص645.

مُحَمَّد بن الفَضْل القُرشي العبَّاسي التاجر الذي اشتهر بسعة الرواية، وقَدِمَ الأندلس من بغداد، وكان التقى علي أبو بَكْر بن المِيراثي[1] لمعرفته به واجتماعه به بمكّة[2].

ومن التجار الذين قدموا الأندلس وجلسوا للتدريس وبث علومهم، وقدَّموا الإجازة لطلاب العلم الأندلسيين نجد المُتفنن في العلوم المُحدث ذي الروَايةٍ الواسعة، الذي رُوِيَ عنه بالأندلس مُحَمَّد بن سُلَيْمَان الحرَّاني، يقول ابن بشكوال: "ذكره ابن خَزْرَج وقال: دلَّنا علي أبو الحسن بن عَبادِل فلقيته، وروينا عنه بعض كتبه...وأجاز لي روايته"[3]؛ وكذلك المُحدِّث العالم التاجر الذي اتَّصف بسعة الرواية ومعرفته فنون وضروب العلوم أبو بكر مُحَمَّد بن عبد الملك التُّسْتُري الذي قَدِمَ إلى الأندلس وأخذ عنه طلابها[4]، كما نجد أيضاً أبو الحسن علي بن أحمد الربعي المقدسي التاجر الذي أفاد منه علماء المغرب، ومنهم القاضي عياض بن موسى السبتي (ت544هـ/1159م)[5]، وكذا الفقيه الشافعي إسماعيل بن الإسكندراني الذي دخل مُرْسِية تاجراً[6].

وممن سجلت المصادر من العلماء التجار المشارقة قدومهم على بلاد المغرب والأندلس أبو نصر النيسابوري[7] الذي استفاد منه أهل المغرب والأندلس، ولاسيما القاضي عياض السبتي، الذي التقاه بمدينة سبتة، وأخذ عنه الأحاديث، وأجازه جميع رواياته، قال القاضي عياض: "وحدثني بحكايات وفوائد، وحدثني بأمالي الشيخ أبي بكر أحمد بن محمد بن خلف الشيرازي سماعاً منه"[8]؛ وأيضا تاجر آخر هو وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي الذي كان يُتاجر في الوشي[9]، وقد حَدثَ بالأندلس والمغرب[10].

[1]- أحمد بن محمد بن عيسى بن اسماعيل(ت428هـ/1036م): أبو بكر البلوي القرطبي، يعرف بابن الميراثي، محدث حافظ. الصفدي، المصدر السابق، ج8، ص50.
[2]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص466.
[3] - نفسه، ج2، ص466.
[4]- نفسه، ج2، صص466-467.
[5]- نفسه، ج2، ص346/ عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص15.
[6]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص160/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.
[7]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص126-127/ ابن القاضي، المصدر السابق، صص531-532.
[8]- القاضي عياض، الغنية، ص209.
[9]- الوشي: نوع من الثياب المنقوشة المُلونة، يقول الفيروزآبادي: الوَشْي: نَقْشُ الثَّوْبِ، ويكونُ من كل لونٍ. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ/2005م، ص1342.
[10]- الضبي، المصدر السابق، ص477/ صادق قاسم، النظم التجارية، ص58.

وعلى الرغم من أنَّ التجارة كانت مهنة هؤلاء[1]، فإنهم كانوا علماء وفقهاء كما بيَّنت تراجمهم، لهم سماع بالمشرق، فقد أخذوا العلم من مصدره، لذلك نرى المغاربة والأندلسيين يتسابقون على هؤلاء القادمين من التجار المشارقة للجلوس بين أيديهم والأخذ عنهم.

ومن المشارقة التُّجار الذين كانوا يعملون بالتجارة، ووردوا على المغرب الإسلامي طلباً للعلم نجد أبا زيد هاشم بن عطاء الأطرابلسي، الذي قدم الأندلس، وأخذ بالقيروان عن أبي محمد بن أبي زيد[2] ونظرائه[3].

وهناك فئة من التجار الذين وردوا على بلاد المغرب، وبثُّوا عِلمهم كما أخذوا العلم أيضا، ومثال ذلك التاجر أبو الحسن بن الخشاب البغدادي، الذي دخل الأندلس تاجراً، يقول عنه ابن بشكوال: "وقد سمع منه بقرطبة أبو عليّ الغسَّاني[4]، وغير واحد من شيوخنا، وسمع هو أيضاً بقرطبة من أبي مَرْوَان بن سِرَاج[5] كتاب النَّوَادِر لأبي عليّ البغدادي، وسَمِع أيضا بالمَرية من أبي إسحاق بن وَرْدون[6] كتاب أحكام القرآن للقاضي إسماعيل"[7].

كثير من المشارقة الذين تطرقت لهم الدراسة هم في الأصل تجارا، كانت التجارة المقصد الأول لوفادتهم على بلاد المغارب، منهم علماء وفقهاء وأدباء وشعراء زاولوا النشاط التجاري كمهنة في الحياة، مع شغف الرحلة وحب الإطلاع وتقصي الحقائق والتعرف على المجهول، أو كحجة يدخلون بها على السلاطين التماساً للمال والجاه، ويتجولون بها في الأصقاع للجلوس بين أيدي العلماء، أو ربما بحثا عن الثراء، كما ساهموا في تلقين الدروس أثناء تواجدهم ببلاد المغارب؛ في نفس الوقت تلقوا مختلف العلوم على أيدي علماء المغرب.

---

[1]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص101/ وعن طبيعة السلع المتداولة من قبل هؤلاء التجار المشارقة ينظر أحمد الطاهري، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس- عصري الخلافة والطوائف-، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص60.

[2]- عبد الرحمن ويعرف عبد الله بن أبي زيد (386هـ/996م): أبو محمد، نفزي النسب، سكن القيروان، إمام المالكية، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، واسع العلم، كثير الحفظ والرواية، يقول الشعر ويجيده، حاز رئاسة الدين والدنيا، وإليه كانت الرحلة من الأقطار، له مؤلفات كثيرة، منها النوادر والزيادات على المدونة، المعرفة واليقين، كتاب المناسك. ابن فرحون، المصدر السابق، صص223-223.

[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص508.

[4]- الحسين بن محمد بن أحمد الغسَّاني(498هـ/1104م): أبو عليّ، إمامٌ مُحَدِّثٌ حافظٌ عالمٌ بالرجال، له كتاب تقييد المهمل وتمييز المشكل. الضبي، المصدر السابق، صص243-244.

[5]- عبد الملك بن سِرَاج بن عبد الله بن محمد بن سِرَاج (400-489هـ/1009-1095م): أبو مَرْوَان، مولى بني أمية، من أهل قرطبة، وهو الذي قال فيه القالي: "هو أكثر من لقيته عِلماً بضروب الآداب، ومعاني القرآن والحديث، وقرأ عليَّ كثيراً من كتب اللغة، والغريب، والأدب". ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص294-295.

[6]- إبراهيم بن سعيد بن عثمان بن وَرْدون(470هـ/1077م): أبو إسحاق النُّمَيْري، من أهل المرية، كان معتنياً بالعلم والرواية، أخذ الناس عنه كثيراً. نفسه، ج1، ص93.

[7]- نفسه، ج2، صص490-491.

3- الشهرة والحظوة وتحصيل الأموال في بلاطات الحكام: كثير من العلماء الوافدين من بلاد المشرق قادهم شغفهم إلى الحظوة في البلاطات أوحُبْ الشهرة، وطلب المناصب والارتقاء فيها، والسَعْي وراء الأموال إلى الوَفادة على القُطْر المغربي، وبخاصة بلاد الأندلس ذات الأُبَّهة في السُلطان "بعد أن كانت أخبار الأندلس وأخبار ملوكها قد بلغت المشرق"[1].

يتعلق الأمر أكثر بالشعراء والأدباء والمُغنيين، فهم أكثر الفئات الوافدة الذين كانوا يقْصدون البلاطات المغربية في القيروان والمهدية ومراكش، والأندلسية وبخاصة قرطبة في عهدي الإمارة والخلافة الأموية، وبلاطات حُكام ملوك الطوائف مثل إشبيلية والمرية وبلنسية، فيتجولون فيها تقرُّباً من السلاطين يَمْدحون هذا ويهجون ذاك.

ومن الكتاب والأدباء والشعراء المشارقة القادمين علي بن زريق البغدادي الذي كان مقصده صاحب الأندلس[2] بقرطبة من أجل المال[3]، ومنهم أيضا المــُهَنَّد البغداديّ الذي اسْتأذن المنصور بن أبي عَامِر في الوصول إليه بقصيدة، مَطْلعها:(المجتث)

أَتَيتُ أُكَحــَّلُ طَــرْفي * في نُورِ وَجْهِكَ لَحْظَــهْ

وَلا أَزِيدُكَ بَعْدَ التَّسْــ * ــليمِ والشُّكْرِ لَفْظَـــهْ[4].

والأديب الشاعر الذي تقلَّب في بلاطات سلاطين ملوك الطوائف الفكيك، فقد زار في بلاط المعتمد بن عباد والمقتدر بن هود[5] مادحاً لهما، وأشهر بيت له في مدح المُعتمد بن عباد قوله: (الكامل)

وَأَنْتَ سِلَّيْمَانُ فِيْ مُلَّكِهُ * وَبْيَنُ يَدِّيْكَ أنا الْهُدَّهْدُ[6].

1- سمير شيخاني، أشهر المغنيين عند العرب، صص145-152.

2- لا يعرف من هو صاحب الأندلس الذي قصده الشاعر؛ حيث يذكر السبكي "أن رجلا من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي، وتقرب إليه بنسبه..." وهو يقصد علي بن زريق، ويحاول بروكلمان تحديد تاريخ مغادرته بغداد بسنة 420هـ/1029م؛ وبالعودة إلى الحميدي فإن أبا عبد الرحمن الذي ملك الأندلس هو المستكفي أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر وقد ولي قرطبة 16 شهرا ابتداء من ذي القعدة سنة 414هـ/1023م؛ وهذا يعني أن علي بن زريق لم يفد على أبي عبد الرحمن؛ أمَّا من تولى الأندلس من سنة 418هـ/1027م إلى غاية 422هـ/1031م فهو المعتد بالله أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وهو آخر أمراء بني أمية بقرطبة التي سيتولى حكمها الوزير جَهْور بن محمد. الحميدي، جذوة المقتبس، صص35-37/ السبكي، المصدر السابق، ج1، صص308-311/ كارل بروكلمان، المرجع السابق، ج2، ص6.

3- محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص28.

4- الحميدي، المصدر السابق، صص237-238.

5- أحمد بن سليمان بن هود الجُذاميُّ(ت475هـ/1082م): أبو جعفر المقتدر بالله أحد أبناء الـمُسْتَعِين، حاكم سرقوسة، تغلب على إخوته وأضاف مدينة طرطوشة ودانية إلى عمله، وكانت بينه وبين الروم حروب عظيمة. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، صص171-176.

6- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص256/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص119.

ومن علماء اللغة والأدب المشارقة الذين مرُّوا على المغرب قاصدين الأندلس أبو علي القالي الوافد على عبد الرحمن الناصر بقرطبة التي استوطنها وألف وبث علومه بها، وتصدَّر للتدريس، وأخذ عنه بالأندلس الكثير من أدبائها وشعرائها، وشمله الناصر والحكم بواسع العطاء والإكرام، ويقال إن الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم[1].

ولعل الأديب اللغوي أبو العلاء صاعد البغدادي يكون أبرز مثال مشرقي في الأندلس طلباً للحظوة والتقرب للملوك ورغبة في المال، فقد لازم البلاط وغدا من مُتقدّمي ندماء المنصور بن أبي عامر، ونال منه دُنيا عريضة، وأكثر أخباره تتعلق بالمجالس السلطانية، إلا أنه كان مِثْقالاً لا يُبقي على شيء، "وكان مُمتعاً مُحسناً للسؤال، حاذقاً في استخراجِ الأموال"[2]، كما كان مُسرفاً وإنما حَطّه عند أهل الأدب ما غلب عليه من حب الشراب والبَطالة وإيثار السخف والفُكاهة[3].

ويذكر له المقري قصة طريفة في طريقة جمعه للأموال حيث يقول: "دخَل على المنصور يومَ أنسٍ وقد تقدَّمَ واتخذَ قميصاً من رقاع الخرائِطِ التي وَصَلتْ إليها فيها صِلاَتُه ولبِسَه تحت ثِيابه، فلمّا خلا المجلسُ ورأى فُرْصةً لما أراد، تجرَّد وبقي في القميصِ المَخيطِ من الخرائطِ، فقال له ما هذا؟ قال: هذهِ رِقاعُ صِلاتِ مَولانا اتخَذْتهُا شِعاراً وبكى، وأتْبعَ ذلك من الشكر بما استوفاه، فأعْجِبَ المنصور وقال له: عندي مَزيد"[4].

كما شهدت بلاد المغارب توافد المغنين، وقد كانت هجرة الكثير منهم غربا بسبب ضعف الخلافة العبّاسية وبخاصة أيام الحنابلة الذين دعوا إلى التَّشدد في تكسير آلات اللهو[5]، ومنع الغناء.

وأشهر وافد في مجال الغناء، وهو من موالي العباسيين في المشرق ونال الحظوة والشهرة عند الأمويين بالأندلس، زرياب، ويبدو أنه خرج من المشرق مُجبراً، ولكن اختياره بلاطات المغرب القيروان وقرطبة بالذات أبداً لم يكن مُلزماً، لولا طلبه للشهرة والحُظْوة، وحُباً في جمع المال، وقد نال بالفعل بقرطبة ما أرادَه وزيادة بعدما فشل في المشرق وإفريقية.

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226-228/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص473/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص 75.
[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص22.
[3]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص7.
[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص83-84.
[5]- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذّويب، المرجع السابق، ص338.

وكان السبب في وصوله إلى الأندلس كونه تلميذاً لإسحاق الموصلي ببغداد، حيث تلقف من أغانيه اسْترِاقاً، وهُديَ من فَهْمِ الصناعة وصِدْق العقل مع طِيب الصَوت وصُورة الطَّبع إلى ما فاق به إسحاق، فلما قُدِّمَ للخليفة هارون الرشيد أُعْجِب به وبِغنائه، فحسده إسحاق على ذلك، فخلا بزرياب وقال له: "يا عليّ، إنَّ الحَسَدَ أقْدم الأدْواء وأدْواها، والدنيا فَتّانة، والشركة في الصناعة عداوة، لا حيلة لي في حَسْمها، وقد مكَرت بي فيما انْطَويت عليه من إجادتك وعلوّ طبقتك، وقَصدْت منفعتك فإذا أنا قد أتَيتُ نفسي من مَأمنها بإدنائك، وعن قليلٍ تَسْقُط مَنزلتي، وتَرْتقي أنت فَوْقي، وهذا ما لا أُصَاحِبك عليه ولو أنَّك ولدي، ولولا رَعْيِي لذمة تربيتك لما قدمت شيئاً على أن أُذْهِبَ نفسك، يكون في ذلك ما كان"[1].

ومنه فإن أستاذه هو الذي اضطره للهجرة والبحث عن موطن ويقال أن خَيَّره بين أمرين: "فتخيَّر في ثِنتين لا بدَّ لك منهما: إما أن تذهب عني في الأرض العريضة لا أسمع لك خبرا بعد أن تُعطيني على ذلك الأيمان الموثقة، وأنْهِضك لذلك بما أردتَ من مالٍ وغيره، وإما أن تُقيم على كُرهي ورَغْمِي مُستهدفاً إليّ، فخُذْ الآن حِذْرك مني فلست والله أُبقي عليك، ولا أَدَعُ اغْتيالك باذلاً في ذلك بَدَني ومَالي، فاقضِ قضاءك، فخَرج زرياب لوقته"[2]، كان ذلك، داعي الخروج من المشرق وليس داعي اخْتيار عواصم المغرب حيث أحْسن زرياب قصدِه قرطبة - كمحاولة ثانية في بلاد المغرب الإسلامي-، فلولا ذلك لما بَزَغ نجمه وسُمِعَ خَبره.

4- العلماء المشارقة الوافدين بحثاً عن المناصب المرموقة في بلاد المغرب: نذكر ذلك على حسب الوظائف الهامة التي تقلدوها:

- الإمارة: من القادمين للمغرب طلباً للإمارة الأمير شعبان كوجبا الغزي الذي وفد على المنصور الموحدي ومدحه، فأكرمه الخليفة، وقدَّمه على إمارة مدينة بسطة في الأندلس، وأقطعه إقطاعات كثيرة في هذا البلد[3].

- القضاء: من أشهر المشارقة الذين نالوا منصب القضاء بالأندلس مُعَاوية بن صالح الحَضْرَميُّ الحِمْصيُّ ولاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية القضاء بقرطبة[4]، وكذلك أبو الحسن علي بن أبي عشرة الفارسي الذي تولى قضاء بلنسية واشبيلية، ثم تقلد منْصب قضاء الجماعة[5]

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص123-124.
[2]- نفسه، 124.
[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص133-134/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص219.
[4]- النباهي، المصدر السابق، ص43/ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص84.
[5]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص250.

في الأندلس؛ وفي بلاد المغرب تولى أبو عبد الله محمد التميمي البستي قضاء مدينة سبتة ثم قضاء فاس[1].

- **الكتابة:** من المشارقة القادمين الذين تولوا منصب الكاتب في بلاد المغرب، أبو اليسر الرياضي الذي كتب لابرهيم بن أحمد الأغلبي صاحب إفريقية ثم لابنه أبي العباس عبد الله، وكان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغالبة على بيت الحكمة[2]، وكذا أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي الذي استكتبه عبيد الله المهدي كما كان **وزير** دولته[3]، وهو الوحيد الذي نال الوزارة من المشارقة القادمين.

- **الوراقة:** أما بالنسبة لامتهان الوراقة في البلاطات المغاربية فقد غدا ظفر البغدادي الوافد على قرطبة من رؤساء الوراقين في دولة الحكم المستنصر لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها[4].

- **الجلوس للتدريس:** قام كثير من العلماء المشارقة بالتدريس مقابل أجرة في المساجد دون وجود أدلة لأمرين؛ أولهما لأن العلم كان يُطْلبْ ويُمنح في المساجد خاصة بالأندلس؛ وثانيهما لتعلق قلوب أهل المغرب بحب العلم واجتهادهم لنيله، يقول المقري عن الأندلس: "ليس لأهل الأندلس مَدَارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرأون لأن يعلموا... فالعالم منهم بارع لأنّه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، ويُنفق من عنده حتى يَعْلم"[5].

كثيرة هي أسماء العلماء المشارقة الذين جلسوا لإلقاء الدروس وتلقين علومهم فأصبح لهم تلاميذ وأتباع من المغاربة والأندلسيين ذوي الشهرة، لذلك نجد في سلسلة شيوخ أغلب علماء المغاربة تناقلٌ لأسماء أعلام مشارقة أخذوا عنهم ضروبا من العلوم في بلاد المغرب دون عناء الرحلة إلى بلاد المشرق، ذلك لأنهم تواجدوا في فترات متباينة ببلاد المغارب.

ومن الذين وصلوا إلى الأندلس وكانت سفرياتهم للتدريس أحمد بن الحسن الأشتر النخعي الذي دخل الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، يقول المقري: "وكان يروي أحاديث عظيمة العدد، ذكر ذلك الرازي، وحكى أن الأمير محمداً روى عنه منها"[6]؛ والمحدث أبو

---

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص470.
[2]- ابن الأبار، التكملة، ج2، صص147-148/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص134-135.
[3]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص155.
[4]- نفسه، ج1،ص278/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص111.
[5]- المقري، المصدر السابق، ج1، صص220-221.
[6]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.

الحسين مُحمَّد بن العبَّاس بن يَحْيَى الذي قدم الأندلس على أمير المؤمنين المستنصر بالله وكان عنده إسناد الشام، وكُتَب عنه حديثه وأخباره[1]؛ وأبو الحسن علي بن بشر الأنطاكي نزيل الأندلس ومُقْرئها ومُسندها، الذي قرأ عليه طائفة كبيرة من قراء الأندلس[2]؛ وأبو عبد الله محمد بن سَعِيد الكِلاَبي الشَافِعي، الذي كان واسع الرِّواية، وحُمِلتْ عنه روايته بالأندلس[3]، وأبو البركات مُحمَّد بن عبد الواحد الزبيري، الذي دخل الأندلس وحَدَّث بها[4].

واستمر توافد الشيوخ المشارقة إلى الأندلس حتى القرن السابع الهجري/13م، حيث نجد محمد بن يحيى بن إبراهيم الخزرجي الذي أُخذ عنه بإشبيلية[5]؛ وأبو محمد عبد اللطيف بن أبي الطاهر الهاشمي الذي قُرِئ عليه وسَمِعَ منه خلقٌ كثير بإشبيلية[6]؛ وأبو عبد الله محمد بن محمد القيسي الذي كُتب عنه وسُمع منه، وكانت له رواية بغرناطة[7]؛ وغيرهم كثير من العلماء الوافدين.

نكون من أصحاب الحكم القاسي إن تركنا هؤلاء الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء بهذا التصنيف دون تعقيب، ذلك أن الإنسان ابن ظروفه، فهؤلاء لم يطلبوا المال أو الشهرة زيادة فيها، وإنما طلبوها لأنهم ليسو أصحابها ولأنهم رأوا أنفسم أهل لها، علقوا آمالم على بلاطات المغرب الإسلامي إذ لم يستطيعوا تحقيق ذلك الأمر في بلاد المشرق، فشدوا الرحال من بعيد سعياً وراء أحلامهم وآمالهم.

يقول محسن جمال الدين: "إن للضرورات أحكاما كما يذكرون تُبعد الإنسان عن مراتع صبوته، وتذيق الفرد مرارة الفرقة ولب الهوى والنوى"[8]؛ فالظروف دوما وراء هجرة الأوطان سعيا لرزق مُكتسب بأدبٍ أو صنعةٍ، ولو نرى ظروف بلاد المشرق في زمن بعض من هؤلاء وكيف ضاعت بيت الخلافة وحَكَمها الغرباء، وتفرق أبناؤها، وتكالب أعداؤها؛ إن لم ينالوا ما قطعوا البلدان لأجله فسيكونون من الخاسرين.

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، صص105-106.
[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص144.
[3] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص467.
[4]- نفسه، ج2، صص462-463.
[5]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص163/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص220.
[6]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص145/ المقري، المصدر السابق، ج 3، ص65.
[7]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص168.
[8]- محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص28.

5- الرحلة العلمية إلى بلاد المغارب: لم تكن الرحلة وقفاً على المغاربة فقط بل رحل المشارقة غربا لطلب العلم، وإن لم يبلغوا في ذلك عدد المغاربة المُرتحلين شرقاً؛ فالرحلة "لا بُدَّ مِنْها في طَلَبِ العلم لاكْتِسَابِ الفَوَائِدَ والكَمَالِ بِلِقَاء المَشَايخ ومُبَاشَرَة الرِّجَالِ"[1].

وأغلب الرحلات العلمية المُبكرة التي قام بها بعض علماء المشرق إلى بلاد المغرب هي رحلات لعلماء الإباضية، ومن الذين أسْعفتنا المصادر بذكر رحلاتهم العلمية إلى المنطقة وأقدم رحلة على الإطلاق تعود لشعيب بن المعروف حيث انطلق في رحلته العلمية من مصر إلى البصرة ثم عاد منها إلى مصر، ثم رحل إلى تاهرت عقب وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم.

ولم يذهب شعيب بن المعروف إلى البصرة للقاء علماء المذهب فيها وحده، ولم يرحل إلى بلاد المغرب بعد ذلك وحده، وإنما كان معه في الرحلتين مجموعة من علماء الإباضية المصريين الذين عرفوا باسم حملة العلم، تلقوا العلم في البصرة على يد أبي عبيدة بن أبي مسلم بن أبي كريمة التميمي وغيره من علماء المذهب فيها، ثم عادوا مع شعيب إلى مصر، ورحل بعضهم وعلى رأسهم شعيب إلى تاهرت[2].

ويُصنف أبو غانم بشر بن غانم الإباضي أيضا ضمن أصحاب الرحلات" رحلة علمية وسياسية"[3]، ذلك لأنه التقى بشعيب بن المعروف وهو في طريقه إلى نفوسة وتاهرت، وهناك روى عنه، وأخذ عنه علم الإباضية، وذكر ذلك في مؤلفه[4].

وهذا ما يدل على أن بلاد المغرب عرفت في وقت متقدم رحلات علمية جماعية إليها لطلب العلم واقتصرت في رحلات الإباضيين إلى وِجهات محددة، وهي معاقل الإباضية في المغرب.

وقد شهدت الأندلس أيضا زيارة العديد من المشرقيين طلبا للعلم منهم زيد بن الحباب من الكوفة، وقد رحل للقاء القاضي معاوية بن صالح الحضرمي الذي اشتهر بالحديث، فسمع عنه حديثا كثيرا[5].

والوافد أيضا على المغرب والأندلس أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد التميمي البخاري الذي جال بلاد المشرق ثم المغرب لطلب الحديث، فلقي علماء إفريقية ثم الأندلس، وكتب بهما

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص745.
[2]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، صص189-190.
[3]- جميل بن خلفان بن هويشل الغافري، المرجع السابق، ص13.
[4]- أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، ص36/ جميل بن خلفان بن هويشل الغافري، المرجع السابق، ص21.
[5]- النُباهيَ، المصدر السابق، ص43.

عن شيوخها، وكتب عمّن دونه وفي مشايخه كثير من المغاربة، يقول ابن الأبار: "دخل الأندلس وبلاد المغرب، وكتب بها عن شيوخها، ولم يزل يكتب إلى أن مات حتّى كتب عمن دونه..."[1].

ولا يسعنا إيراد كل أسماء طلبة العلم المشارقة الوافدين على بلاد المغارب في رحلة علمية، مع العلم أنهم كثيرون مع تنوع أسباب وفادتهم، إضافة إلى تلك الأسباب التي أوردناها آنفا، هناك أسباب أخرى لقدوم بعض المشارقة، نذكر منها:

*** أسباب أخرى:**

- **الجهاد:** ومن العلماء المشارقة الذين دخلوا الأندلس رغبة في الجهاد أبو البسام موسى بن عبد الله بن الحسين، وقد أُخِذَ عنه بميورقة[2].

- **صلة القرابة:** ذكر ابن الأبار أن سبب وفادة أحد العلماء المشارقة على الأندلس صلة قرابة بقاضي إشبيلية، وهو أبو القاسم محمد الخزرجي المعروف بأخي أبي الوفاء المصري[3]، وكذلك العالم الشّافعي البغدادي أبو الطيب مُحمَّد بن أبي بُرْدَة الشّافعي الذي توجه إلى تاهرت عند بنت له هناك[4].

- **الرحالة والسياح المتجولين:** لم تقصد هذه الفئة بلاد المغارب فقط وإنما تجولوا في مملكة الإسلام شرقاً وغرباً، يسيحون في الأرض ومنهم الجغرافيين، كما نجد منهم المُصنفين؛ وغالبا ما كان هؤلاء من المتصوفة، وبخاصة في أواخر فترة الدراسة.

وعلى رأس هؤلاء المؤرخ والجغرافي اليعقوبي الذي زار كل أقطار المغرب الإسلامي في ق3هـ/10م، ونقل مشاهداته التاريخية والجغرافية في كتابه "البلدان"[5]؛ وكذلك الرحالة الهروي في ق7هـ/13م، الذي عرف بالسياحة والتجوال وحب الترحال والأسفار، وقد وفد على بلاد المغرب وصقلية[6].

والرحالة الشهير صاحب الرحلة المغربية الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي، وعن سبب تلك الرحلة يقول السرخسي نقلا من المقري: "... فَحَدَث باعثٌ يدعو إلى الحركات والأسفار، ومشاهدة الغرائب في النواحي والأقطار، وذلك في حال رَيْعان الشباب الذي تَعْضده

1- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص62.
2- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص222-223/ ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، ص57.
3- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص163.
4- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص105.
5- ينظر اليعقوبي، كتاب البلدان.
6- ينظر الهروي، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات.

عزائم النفوس بنَشاطها، والجوارح بخفّة حركاتها وانبساطها"[1]، وقد تكون هذه الرحلة هي التي أهلته لنيل منصب شيخ الشيوخ بعد عودته من المغرب إلى بلده في المشرق.

ومن الرحالة المتصوفة الشيخ الفقيه أبو زكريا المرجاني الموصلي الذي سكن بجاية مدة ثم انفصل في سياحته، واستمر على عبادته إلى أن مات[2]؛ وكذا تقي الدين الموصلي الذي وصل إلى بجاية وأقام بها مدة من الزمن، ثم انصرف إلى المغرب وكان يقول: "إنه جال بلاد المشرق أجمعها، وإنه لم يبق عليه إلا إقليم المغرب، وإن قصده إنما هو التطلع على ملكوت الله"[3]؛ ومنهم أيضاً الشيخ الفقيه الفاضل المحدث الجدلي أبو العباس الشريف، من أهل أصبهان الذي دخل بلاد المشرق والصين والهند والعراقين العربي والعجمي وبلاد الدروب، ثم أقام الله في خاطره دخول المغرب ووصل إلى إفريقية[4].

كما أن احتمال اللقاء بين المشارقة والأندلسيين بمكة في موسم الحج والبقاع المقدسة الأخرى بالمشرق، أين أثبت المغاربة تفوقهم في عدة علوم من خلال المناظرات، وربما حديثهم عن بلادهم ووصفها دفع بكثير من المشارقة إلى شدِّ الرحال نحو المغرب الإسلامي للقاء مشايخها ورؤية هذا القطر الحضاري، "ولا ريب أنه قد حصلت أثناء تلك الرحلات- يقصد الحجيَّة- محادثات وتبادل وجهات النظر في الأدب وغيره، وتعارف بين أدباء الشرق والغرب"[5].

كما أن كثيرين جداً من العلماء المشارقة الذين وفدوا على بلاد المغارب لا يعرف سبب وفادتهم ولكنهم كانوا من أهل الأدب ورجال العلم؛ وبعض من الذين سردنا أسباب وفادتهم لم تكن تلك الدواعي مُقنعة؛ أما فيما يخص الجواري، فلم يكن يملكن أنفسهن؛ فإما اشترين أو وُهبن كهدايا لحكام المغرب ورجالها.

وعليه فقد تعددت دوافع الراحلين من أهل المشارقة إلى بلاد المغارب، والملاحظ أن أكثرهم تولوا أرقى المناصب، فمنهم الذين قدموا دون أملٍ في العودة فاستوطنوها وأصبحوا من رجالاتها؛ وربما كان منهم من قد دخلها وفي نيته العودة للمشرق لكن لما رأى من حُسن الإستقبال والعيش الرغيد تراجع عن ذلك، وبقي في المغرب الإسلامي، وهناك من دخلها أكثر من مرة فالأولى تبدوا زيارة والثانية بقصد الإستيطان.

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص101.
[2]- الغبريني، المصدر السابق، صص82-83.
[3]- نفسه، صص83-84.
[4] - الغبريني، المصدر السابق، صص84-85.
[5]- حافظ الحاج لطيف، المرجع السابق، ص11.

ثانيا: مكانة أهل العلوم والثقافة والفنون المشارقة في بلاد المغارب: بعدما تعرَّضنا لأسباب وِفادتهم وجب أن نعرف مَكَانتهم في البلاد التي قدموا إليها وحلوا بها، أو مرو عليها، من طرف ذوي السلطة الزمنية أولاً- حكام وملوك وخلفاء دول بلاد المغارب عامة-، ثم من طرف ذوي العِلم من شيوخ وعلماء بلاد المغارب ثانيا.

أما رصد مظاهر تلك المكانة فتتَّضح من خلال الإستقبال والإنزال والنفقة، وتولية المناصب، وفي المجالس السلطانية ومجالس الأُنْسْ، وعند الوفاة بالنسبة للحكام؛ والمُصاحبة وتبادل الزيارات ورسائل التوصية ونَظْم الشعر بالنسبة للعلماء.

علينا التنويه إلى أنَّ الكثير من هؤلاء العلماء الوافدين قد نال بعض منهم الحُظوة والمكانة الرَّفيعة ثم انقلب ذلك الأمر إلى نِقْمة وهوَان؛ وهناك من نال النِّقْمة ثم تغيرت حاله إلى النِّعمة والعزَّة، وقد تتحكم في مكانة العالم المشرقي الوافد - بين السُمُوّ والوَضاعة- في بلاد المغارب أربعة أمور:

- شخصية القادم: من حيث علمه وأخلاقه، والدِراية بمجالس الأمراء والحكام من معرفة أساليب المداهنة والتحايل بما يتعطاه خَدَمةُ الملوك من المدح والإطراء والتقريظ.
- شخصية الحاكم: حسب درجة علمه وميولاته تكون مكانة العالم القادم- بين الرضا والسخط-.
- بطانة الحاكم: وهم علماء البلاط وكبار رجال الدولة، ولهم دور كبير في تغيير رأي الحاكم والعامة حول الوافد الجديد.
- الظروف السياسية للدول القائمة: ولها دور في تحديد موقع ومقام القادم لبلاد المغرب الإسلامي؛ ففي فترة الأمن والرخاء يُجلُّ قدْرُ القادم ويُعظَّم، أما في زمن الفتن والحروب فلا يلقَ الترحاب ولربما لا يُعرفُ قدومه وبذلك لن يُشهر اسمه.

وتلك النصوص التي تُلامس مكانة العالم المشرقي وتوضِّح علاقته بالحُكام أو بأمثاله من العُلماء المغاربة قليلة مقارنة بعدد الوافدين، بل بعضها إشارات مُقتضبة في حين هناك من لم تتمّ الإشارة إليه مُطلقاً سواء من حيث علاقته بالحكام أو العلماء؛ وفي الحقيقة نحن لا نُحمِّل المصادر نوع أفكارنا أو ما نصْبو إلى توضيحه، ولا نُحمِّل المؤرخين ذلك فقد كانت لهم غاية ومقصد غير مقصدنا نحن.

ومن وجوه الاعتناء بالوافدين وتكرمة منزلتهم تأليف الكتب فيهم؛ فهناك من المغاربة من ألَّف في الوافدين المشارقة أفرادا وجماعات؛ فقد ألف الحكم المستنصر في الجماعات كتابا في

الطالبيين والعلويين يذكره المقري بعنوان "أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب"[1]، وهناك من خصَّص مُؤلفه لعلم واحدٍ منهم، فقد ألف أبو محمد الفِهري[2] كتاباً في نسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله الأندلس[3].

وقد نال المشارقة عموما مكانة عالية ورفيعة في المغرب الإسلامي، مما أكسبهم شهرة، وعن ذلك يذكر ابن بسام في خطبة تقديم كتابه الذخيرة: "ذكر مَنْ هاجرَ إليها مِنْ تلك الآفاق، وطرأ عليها مِنْ شُعراءِ الشّامِ والعِراق، ممّن تَبَحْبَحَ ذَرَاها، وتَسَرْبَل نُعماها، ونَجم في أفلاكها، وخيّم في ظِلالِ أملاكِها... أسْنَدُوا إلى أعْلامِها، وتردَّدوا بَيْنَ جَمِيمها وجِمامِها، فصاروا من أهلِها بالوِفادَةِ عليها، وخَلْع أوطانِهم إليها؛ مع أنَّ هذِه الطَّائفةَ لمْ يَسْمُ إلاَّ بالأندلسِ ذكرهم، ولا طارَ إلاَّ بمدحِ مُلوكنا شعرُهم"[4].

1- مكانة أهل العلوم والثقافة والفنون المشارقة عند ذوي السلطة في بلاد المغارب:

- في الإستقبال: من شرف المكانة الاستقبال الرسمي للقادم، حيث توجد مراسيم رسمية لاستقبال الضيوف القاصِدين عواصم وبلاطات الدول؛ ونرصد ما نجده من أمثلة في حفاوة التِّرحاب بالقادمين لبلاد المغرب من أوطان المشرق.

على أن أول ما يكون من القادم رسمياً كتاب الوِفَادة الذي يمثل طلب الوفادة أو الإستئذان للنزول على الحكام، وتبعاً للرسميات فإن تبادل الرسائل فرصة ليُعرِّف الوافد بنفسه وصناعته قبل الوصول[5]، ومن ثمة يرى الحاكم رتبة هذا القادم فتُحضر المواكب ويُهيئ العمال لاستقبال القادم إن كان من أهل الوقار.

ومثال ذلك عندما راسل زرياب الحكم بن هشام يستأذنه في الوفادة عليه ويُخبره ما يجيد من صناعة؛ "فسُرَّ الحكم بكتابه، وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع إليه، وإجمال الموعد ما تمناه"[6]؛ لكن الحكم توفي قبل وصول زرياب، فتمت مراسلة ابنه عبد الرحمن؛ "فجاء كتاب عبد الرحمن يذكر تطلّعه إليه والسرور بقدومه عليه"[7].

---

[1]- ذكر فيه من الوافدين هاشم بن الحسين الذي شملته دراستنا، وأشار المقري إلى اسم المؤلف في ترجمة هاشم هذا، ويبدو أن المقري كان على دراية به أو اطلاع عليه. المقري، المصدر السابق، ج3، ص60.

[2]- لعله عبد الله بن فتُّوح بن مُوسَى بن أبي الفَتْح بن عبد الواحد الفِهري(ت462هـ/1069م): أبو محمد، من أهل المعرفة والعلم والحفظ، وله كتاب في الوثائق والأحكام. ابن بشكوال، المصدر السابق، صص235-236.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص72.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص9.

[5]- كما راسل القادم أبو الفضل الدارمي أبو المطرف بن المثنى وزير المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة طالبا الوفادة، والرسالة أوردها ابن بسام وهي ملحقة بالدراسة. الذخيرة، ج3، صص307-310.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص124.

[7]- نفسه، ج3، ص125.

وقد استُقبل زرياب بحفاوة بالغة من طرف الأمير عبد الرحمن بن الحكم حيث "كتب إلى عماله على البلاد أن يحسنوا إليه ويوصلوه إلى قرطبة، وأمر خصّياً من كبار خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور وإناث وآلات حسنة، فدخل هو وأهله البلد ليلاً صيانة للحُرَم"[1].

وفي عهد الخلافة بالأندلس وفد أبو علي القالي على الناصر، ومن حُسن الإستقبال وكرم الضيافة يذكر أنه "أمر ابنُه الحكم – وكان يتصرّف عن أمر أبيه كالوزير- عاملَهم ابنَ رماحس[2] أن يجيء مع أبي علي إلى قرطبة، ويتلقّاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكرمةً لأبي علي، ففعل، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل"[3]؛ فاستقبال العلماء المشارقة كان يبدأ من طريقهم في المدن التي يمرون بها بتعيين أصحاب يصاحبونهم في شؤونهم[4].

- في العناية والرعاية من حيث النفقة والإنزال: لقد كان حكام المغرب يبْذلون الجهد في إكرام ضيوفهم المشارقة حيث تُخَصِّص الدول مقداراً من بيت المال للنفقة على الأضياف، إضافة إلى الأعطيات والمنح والهدايا، وفي الأندلس وُضع "ديوان قريش" للقرشيين، ومنهم الوافدين من المشرق؛ و"ديوان النُدماء" لندامى الحاكم وخاصَته المُقرَّبين، كما كان الحُكام يقومون باختيار المدن لإنزال الواردين عليهم كتعبير عن الاهتمام وحسن المعاملة.

في النفقة، يُذْكر أن المغنيَيْن علون وزرقون اللذان دخلا قرطبة أنفق عليهما الحكم وأحسن إليهما[5]؛ ومن الذين نالوا الرعاية الكبيرة والمكانة الرفيعة في الإنزال والنفقة من أول دخوله للأندلس زرياب، فلم يُكرم وافد مثله –على حسب الشخصيات التي تعرضنا لها في الدراسة- فقد "أنزله -الأمير عبد الرحمن بن الحكم- في دار من أحسن الدور، وحمل إليها جميع ما يُحتْاج إليه، وخَلَع عليه، وبعد ثلاثة أيام استدعاه، وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتباً، وأن يجري على بنيه الذين قدموا معه- وكانوا أربعة: عبد الرحمن وجعفر وعبيد الله ويحيى عشرون ديناراً لكل واحد منهم كل شهر، وأن يجري على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار، منها لكل عيد ألف دينار، ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار، وأن يُقطع له من الطعام العام ثلاثمائة مدي ثلثاها شعير وثلثها قمح، وأقطع من الدور والمستغلات بقرطبة

1- نفسه، ج3، ص125.

2- عبد الرحمن بن رماحس: أحد كبار عمال عبد الرحمن الناصر وقائد أسطوله البحري. حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس- تاريخ وفكر وحضارة وتراث-، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1415هـ/1996م، ج1، ص391.

3- المقري، المصدر السابق، ج3، ص70.

4- عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص26.

5- المقري، المصدر السابق، ج3، ص130.

وبساتينها ومن الضياع ما يقوَّم بأربعين ألف دينار"[1]، وقد كُتب كل ذلك في وثيقة رسمية عليها ختم الأمير عبد الرحمن[2].

إن صدى المكانة والرعاية التي مُنحت لزرياب قد بلغت المشرق؛ فهذا علوية[3] أحد موالي الأمويين الشاعر ونديم للخليفة العباسي المأمون يقول لما غَضِب عليه المأمون عند ذكر مواليه الأمويين: "قلت: يا أمير المؤمنين، أتلومني أن أذكر مواليَّ بني أمية، وهذا زرياب مولاك عندهم بالأندلس، يركب في أكثر من مائة مملوك، وفي ملكه ثلاثمائة ألف دينار دون الضياع، وإنّي عندكم أموت جوعاً"[4].

وكان القالي قد وفد على الناصر فهيَّأ له الحكم سُبل الراحة وكان ينشطه، ويعينه على التأليف بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام؛ كما أكرم الناصر طلبة العلم والعلماء الوافدين من المشرق، ومنهم الوليد بن محمد بن يوسف القرشي الذي "أنزله ووسع عليه"[5].

واستمر إكرام العلماء الوافدين في عهد الحكم المستنصر الذي عرف عنه حبه العلماء وتقريبهم إليه، ومنهم إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي حيث يقول صاحب النفح: "فحل يومئذ من الحكم المستنصر محل الرحب والسعة"[6]، وأبو مروان عبد الملك بن محمد الأموي السُّلَيمانيّ الذي أكرمه، وأجرى عليه العطاء مع قُرَيْش[7]، وأبو القاسم عُبَيْد الله بن عُمَر القَيْسي الذي أنزله وتوسع له في الجراية، ولم يزل مُوالفاً له إلى أن مات[8]، وكذا أبو الطيب مُحمَّد بن أحمد الشَّافعي البغدادي القادم إلى الأندلس، وكان المستنصر قد أمر بإجراء النزل عليه[9]؛ وكذلك أبو بكر ابن الأزْرَق الذي وصل إلى الأندلس بعدما امتحن بالمغرب، فأمر

1- المقري، المصدر السابق، ج3، ص125.
2- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص128.
3- علي بن عبد الله بن سيف، أو يوسف (ت236هـ/850م): أبو الحسن، ويعرف بعلوية، موسيقي بغدادي، أصله من السغد، تخرج على ابراهيم الموصلي، برع في الغناء والتلحين والضرب بالعود، عاصر من الخلفاء العباسيين الأمين والمأمون والمعتصم وابراهيم بن الهمدي. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص303.
4- المقري، المصدر السابق، ج3، صص132-133.
5- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص156.
6- المقري، المصدر السابق، ج3، ص69.
7- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، صص250-251.
8- نفسه، ج1، ص232-234.
9- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص105.

المستنصر بالله بإنزاله، وتَوسّع له في العطاء، وأثبته في ديوان قُريش وأحسن إليه[1]، وأيضاً أبو الحسين مُحمَّد بن العبَّاس الذي أنفق عليه[2].

وعلى العامريين وفد صاعد، ومما نستهشد به على حسن الاستقبال والضيافة قول ابن بسام: "فأمر له المنصورُ بألفِ دينارٍ ومائةِ ثوبٍ، ما بين غلائلَ وطيقان وعمائم، وأجرى عليه المراتبَ... ثلاثين ديناراً"[3].

وثابت بن محمد الجرجاني الذي جال في أقطار الأندلس، ولقي ملوكها، ونال الوَجاهة، وأوّلَ من لَقَي من ملوك الأندلس مجاهدٌ العامريّ الذي أكرمَ نُزُله وأنِسَ به، كما نزل عند الخليفة علي بن حمود الحسني[4]، ثم اتَّصل بعده بابنه يحيى[5]، فاحتفى به، ورفَع من شأنه[6].

كما نال أبو الفضل الوافد إلى الأندلس على عهد ملوك الطوائف المجد حيث تسابقوا عليه، وحظي عِنْدَهم بأدبه وعلمه، ونزل في بداية الأمر بدانية، فبعث إليه أميرُها ابنُ مجاهد بلحمٍ وأرباعِ دقيقٍ أولَ نزوله، فصرفها في وجه رسوله، وتَعجّل الإرتحالَ عنه إلى بلنسِيَة؛ ولكنه نزل بطليطلة بل "استجلبَه المأمون ابن ذي النون فحسُنَ بطُلَيطلَة مَثواه وأجزلَ قِراه، وتوسّع له ولعَبيده في البِرّ، وأجرى له ستين مثقالًا في الشهر"[7]، هذا المشرقي تهافت عليه ملوك الطوائف بالأندلس، ولكنه استقرّ بِطُلَيْطِلَة في كنف المأمون يحيى بن ذي النون وكانت وفاته بها، ولمكانته وقدره عند المأمون فقد كان وفياً له لأنّه استمرَّ في جِرايتُه له ولحاشيته، وتجافىَ من ميراثه وجعله وصيّةً له إذْ لم يُوصِ لفَجأةِ وفاته[8].

وممن اختار لهم الحكام مدينة محددة للنزول والإقامة بها تقديرا لمنزلتهم الوافد أبو جعفر أحمد بن الحسن النخعي الذي أنزله الأمير محمد بمدينة رَيّة[9].

---

[1]- نفسه، ج2، ص106/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص122.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق،ج2، ص106.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص17.

[4]- علي بن حمود: واسمه الكامل علي بن حَمُّود بن مَيْمُون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عُمَر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-:(حكم407-408هـ/1016-1017م): كان أحد قواد سليمان المستعين، ثم زحف من سبتة إلى قرطبة وقتل المستعين، وتسمى بالخلافة، وتلقَّب بالناصر، وقُتل من طرف الصقالبة. الضبي، المصدر السابق، صص31-33.

[5]- يحيى بن علي بن حمود: يُكنى أبا إسحاق وقيل أبا محمد، قام بالثورة على عمه القاسم بن حمود سنة 412هـ/1021م وزحف من مالقة ودخل قرطبة دون قتال، وتسمى بالخلافة وتلقب بالمعتلي سنة 413هـ/1022م ثم فر إلى مالقة سنة 414هـ/1023م وعاد لقرطبة سنة 416هـ/ 1025م، وقطعت دعوته من قرطبة سنة 417هـ/1026م، وقُتل قرب قرمونة وترك من الولد الحسن وإدريس. نفسه، صص34-35

[6]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص91.

[7]- نفسه، ج4، ص65/ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص465.

[8]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص65.

[9]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.

- في المجالس السلطانية: وتُرصد من خلال المجالسة والمحادثة بين العلماء المشارقة القادمين وحكام المغرب الإسلامي.

كان أبو الأشعث الكلبي الوافد مختصًا بعبد الرحمن بن معاوية، وله منه مكانة لطيفة، حيث يقول المقري: "فلمّا توفّي حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان[1]، وكانت له من عبد الرحمن خاصّة لم تكن لأحد من أهل بيته، جعل عبد الرحمن يبكي، ويجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب، وكان إلى جنبه أبو الأشعث هذا قائماً، وكانت له دالّة عليه ودُعابة يحتملها منه، فأقبل عند استعباره كالمخاطب للمتوفّى علانيةً يقول: يا أبا سليمان، لقد نزلتَ بحُفْرة قلّما يغني عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بَعْرةً، فأعرض عنه عبد الرحمن، وقد كاد التبسّم يغلبه"[2].

ومن الذين نال المكانة المرموقة في الأندلس عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي الذي أكرمه الداخل ونوّه به، وولاه اشبيلية، وكان له دور كبير في صد زحف أهل غرب الأندلس نحو قرطبة لحرب الأمير عبد الرحمن، وكان هو الأمير فانتصر، وفي ذلك يقول صاحب النفح: "فقَبَّل بين عينيه – يعني عبد الرحمن-، وجَزاه خيراً، وقال له: يا بن عمّ، قد أنكحتُ ابني وولي عهدي هشاماً ابنتك فلانة، وأعطيتها كذا وكذا، وأعطيتك كذا، ولأولادك كذا، وأقطعتك وإياهم كذا، ووليتكم الوزارة"[3].

وممن دخل الأندلس تاجراً الرازي الذي استطاع إقامة علاقات مع رجال السلطة، بل وتوثقت مكانة هذا المشرقي في بلاط الأميرمحمد بن عبد الرحمن حيث أعلى من شأنه وأجزل له العطاء، وقربه إليه[4].

كما تمكن زرياب من تحصيل مرتبة خاصة في مجلس الأمير عبد الرحمن، تلك المرتبة لم تكن لأحد غيره "فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه، فما هو إلا أن سمعه فاستهو له واطّرح كل غناء سواه، وأحبه حبّاً شديداً وقدّمه على جميع المغنين، وكان لما خلا به أكرمه غاية الإكرام وأدنى منزلته وبسط أمله...، وحضر وقتُ الطعام فشرَّفه بالأكل معه...، ولما ملك قلبه واستولى عليه حبّه فتح له باباً خاصًّا يستدعيه منه متى أراده"[5].

---

[1]- حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد ابن عبد الملك بن مروان(توفي نحو160هـ/778م): أمير أموي، تولى طليطلة وأعمالها. الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص166.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص55.

[3]- نفسه، ج3، صص58-59.

[4]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص100.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص125.

أما سبب تلك المكانة التي منحت لزرياب فهي نتيجة الحاجة إليه، لذلك نرى مدى حرص الأمير على أن يضم موسيقاراً كبيراً ليكون فنان بني أمية على غرار الموصلي فنان بني العباس، فقد كانت قرطبة تخلو تقريباً من موسيقيين أكفاء[1] لذلك حظي زرياب بمكانة مادية وأدبية متميزة، واشتهر أمره في كل بلاد المغارب، لم تكن مكانة زرياب رفيعة عند الحاكم الأموي فقط، وإنما كذلك عند كثير من الأندلسيين[2].

وفي مجلس الناصر بقصر قرطبة كان لأبي علي القالي مكانة مرموقة، حيث كان ضمن الخاصة الحاضرين والمُقدمين في الخطابة في مجلس الخليفة الأموي، لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك الروم الأعظم صاحب القسطنطنية عليه[3].

كما نال أبو العلاء صاعد البغدادي المكانة الرفيعة في مجلس المنصور بن أبي عامر، يقول ابن بسام: "طَلَعَ عَلى آفاقِ الجزيرةِ في أيّامِ المنصورِ محمد بنِ أبي عامرٍ نجماً من المشرقِ غَرَّب، ولساناً عن العَرَبِ أَغْرَب، أَبدَه من رأى وسَمِع، وأذكى مَنْ طَارَ ووَقَع"[4]، فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه والإفضال عليه، وأدناه وقربه إليه، ونال منه دُنيا عريضة، وألحقَه في ديوان النّدَماء[5]؛ كما أن أكثر أخبار صاعد ارتبطت بالمجالس السلطانية ومع المنصور بن أبي عامر الذي كان مقرباً منه.

وقد توفرت في شخصية صاعد ما يجعله مؤهلا لذلك، حيث "كان صاعدٌ بديعَ الجوابِ حاضرَه، طيّبَ المعاشَرة، فكِهَ المجالَسَةِ"[6]، ويبدو أنه قد حضر مجالس حكام الأندلس في غير قرطبة؛ فقد دخل دانية، وكان ضِمن مجلسَ الموفق مجاهد بن عبد الله العامريّ[7].

أما الأديب المعروف بالفكيك فقد وفد على الأندلس على عهد ملوك الطوائف، وحضر مجلس المعتمد بن عباد والمقتدر بن هود، ومن صفاته أنه "كان...حلْو الحوار، مليحَ التندير، يُلهي ولايضحك من حضر، ولا يضحكُ هو إذ ندَّر"[8].

وفي بلاد المغرب وعلى بلاط الصنهاجيين وفد أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي التميمي في أول أمره، والذي قدم في سفارة سرية للخليفة العباسي، وقد نال شأناً عند المعز

1- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص128.
2- المقري، المصدر السابق، ج3، ص127.
3- ينظر حول ذلك الإحتفال النباهي، المصدر السابق، ص66(ترجمة منذر بن سعيد).
4- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص10.
5- نفسه، ج4، صص10-17/ السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص7.
6- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص22.
7 - السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص8 .
8- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص255.

"ورفع منزلته وأكرمه، وبسط يده في مطاليبه[1] وحكمه...وقلده تدبير حشمه"[2]؛ كما نزل على الموحدين الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي الذي حط الرحال بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن واتصل بخدمته؛ فقربه إليه المنصور، يقول السرخسي في رحلته: "وقال لي يوماً: كيف ترى هذه البلاد ؟ وأين هي من بلادك الشامية؟ فقلت: يا سيدنا، بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة، وفيها عيب واحد، فقال: ما هو؟ فقلت: أنّها تنسي الأوطان، فتبسم وظهر لي إعجابه بالجواب، وأمر لي من غد بزيادة رتبة وإحسان"[3].

من خلال هذا الحديث وطريقة معاملة الضيف يبدو أن السرخسي قد نال رتبة جليلة في مجلس سلطان الموحدين الذي كان مُلازما له، ولا ننسى خبرة القادم، فهو من بيت كبير -الأمراء- ويحسن التصرف بين أيدي الملوك.

كما التقى السرخسي بأكابر أسرة بني عبد المؤمن أمثال السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي[4]، والسيد أبا الحسن علي بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن[5] والسيد أبا محمد عبد الله[6] صاحب فاس، وجملة من علماء الأندلس والمغرب[7].

ومن صور عناية حكام بلاد المغرب بالعلماء المشارقة الوافدين في قالسابع الهجري/13م ما ورد عند الغبريني في خبر أبي زكريا المرجاني الموصلي حيث قال أن سلطان بجاية: "وجّه الوزير إليه، وقال له: سمع السلطان أنك تسافر؛ فأين تريد مغرباً أو مشرقاً؟ قال له: مشرقاً إن شاء الله، قال: فيعينك على سفرك بزاد، قال: لا يكفيني ما عند الجواد"[8]؛ وكذلك أبو العباس الجدلي الشريف في القرن السابع الهجري/13م الذي استحضره الخليفة، ولكنه سقط من عينه بعد الحكاية[9] التي رواها في المجلس الملكي.

---

[1]- أي أن المعز جعل لأبي الفضل الحُكم على الذين سعوا به -أخبرو عنه- وكان أبو الفضل كريما معهم وأحسن إليهم. نفسه، ج4، ص64- هامش رقم6.

[2]- نفسه، ج4، ص64.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص103-104.

[4]- سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي(ت604هـ/1207م): أبو الربيع الموحدي، وليَّ بجاية، وشارك في بعض الأعمال الحربية ضد ابن غانية في تونس، وهو من مفاخر بني عبد المؤمن، كان قديراً على النظم حافظاً للآداب، وله ديوان شعر. ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1990م، صص131-134.

[5]- علي بن عمر بن عبد المؤمن: أبو الحسن، من أهل الأدب والطرب، ولي مملكة تلمسان وبجاية. المقري، المصدر السابق، ج3، صص108-109.

[6]- أبو محمد عبد الله: من بني عبد المؤمن، صاحب فاس.- نفسه، ج3، ص110.

[7]- نفسه، ج3، ص99/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، صص221-222.

[8]- الغبريني، المصدر السابق، صص82-83.

[9] - نفسه، صص84-85.

وقد توثقت مكانة بعض من هؤلاء الوافدين أن جعل منهم حكام المغرب سفراء بين الأقطار المغاربية، ومثال ذلك محمد بن موسى الرازي الذي كلفه الأميرالأندلسي محمد بن عبد الرحمن للقيام بسفارة بينه وبين بني الأغلب في إفريقية[1].

كما يظهر شرف تلك المكانة عند وفاة العالم الوافد وتشييع جنازته من قبل الأمراء، فلما توفي القاضي معاوية بن صالح الحضرمي "صلى عليه الأمير هشام بن عبد الرحمن، ومشى على قَدَميْه في جنازته"[2] تعظيما له ولقدره، ومكانته في العلم؛ وكذا مجد الدين أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن الواعظ الذي توفي بحضرة غرناطة، وشهد جنازته جمع عظيم من المسلمين والسلطان فمن دونه[3].

لقد غدا أولئك العلماء القادمين يُستقبلون ويعاملون على قدم المساواة مع إخوانهم العلماء المغاربة، وربما عوملوا بعناية واحترام واهتمام في بعض الأحيان أكثر من أهل المغرب أنفسهم الذين تعرضوا للإساءة من قبل الحكام - بسبب الوافدين-، حيث يتداول أن زرياب كان سبباً في نفي شاعر البلاط الأندلسي يحيى بن الحكم الغزال إلى المشرق لأنه هجاه، فشكاه زرياب للأمير عبد الرحمن الذي نفاه[4].

وفي تولية المناصب تسبب وجود قاض من الوافدين المشارقة بصرف أحد قضاة إشبيلية على عهد الموحدين من منصبه، وهو أبو القاسم الحوفي[5] لتولية القادم أبي المكارم هبة الله بن الحسين المصري مكانه.

وممن أُنزلت من مكانته وحُطَّ من قَدره من القادمين؛ ونقصد الذين أُهين شرفهم كعلماء وتعرضوا للتعذيب والطرد والقتل والسجن في بلاطات حكام المغرب.

لما قدِم زرياب إلى المغرب نزل في أول أمره على بني الأغلب في القيروان، ودخل على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، وغنَّاه أبيات لعنترة بن شداد: (الممتد)

فَـإَنٍ تـلك إِمِّـيَّ غَـرَابِيَّـةُ * مَـنٌّ أبنـاء حَـامَّ بَـهَّاً عِبَتْـنِيْ

فَإِّنِيْ لَطْيَفٌ بِبِيْضٌ الظبـا * وَسَمِـرَّ الْعَـوَالَّـيَّ إِذَاً جُئِتُنَّـيْ

---

[1]- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص100.

[2]- السيوطي، طبقات الحفاظ، ص84.

[3]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5، صص269-270/ ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197.

[4]- ينفي محمد رضوان الداية أن الغزال نفي للمشرق ويرجح رحيله. يحيى بن الحكم الغزال، ديوانه، صص23-24/ محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص133.

[5]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص150/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص68/ أحمد بن محمد بن خلف(ت588هـ/1192م): أبو القاسم الحوفي، قاض مالكي، عالم بالفرائض، أندلسي إشبيلي، صنف ثلاثة تعاليق في الفرائض، وولي قضاء إشبيلية مرتين. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص216.

وَلَوَلّاَ فرارك يُوَمْ الوغى * لُقِدْتُكَ في الْحَرْبُ أَو قُدتُنّيْ

فغضب زيادة الله، وأمر بصفع قفاه وإخراجه من إفريقية، وقال له: " إن وجدتك في ناحية من نواحي بلدي بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك"[1].

ومن الوافدين الذين تعرضوا لاستنقاص مكانتهم نجد إسحاق بن عمران الملقب بسم ساعة الذي دخل القيروان في دولة زيادة الله بن الأغلب.

لقد استجلبه السلطان الأغلبي واستقبله، وهيأ له سبل الراحة من راحلة تقله ونفقة تصل إلى الألف دينار، ولكن فيما بعد استأذن إسحاق زيادة الله في الإنصراف إلى بغداد فلم يأذن له، وكان هذا الأخير قد وعده بذلك في أول وفادته؛ فكانت محنته التي صُلب فيها؛ أو ربما لدوافع أخرى دارت الوَحْشة بينهما.

كان طلب إسحاق بالرحيل لوجود من اشتغل بمكانه، وهو الإشراف على أكل زيادة الله، "وكان إسحاق يشاهد أكل ابن الأغلب فيقول له، كل هذا، ودع هذا، حتى ورد على ابن الأغلب حَدَث يهودي أندلسي، فاستقرَ به، وخف عليه، وأشهَدَه أكله، فكان إذا قال إسحاق له أترك هذا لا تأكله، قال الإسرائيلي: يصعبه عليك"[2].

مما زاد شدة التوتر بينهما ما يرويه ابن جلجل الذي يقول: "وكان بابن الأغلب علة النسَمة، وهي من ضيق النفس، فقدّم بين يديه لبن مُريّب، فهمَّ بأكله فنهاه إسحاق، وسهّل عليه الإسرائيلي، فوافقه بالأكل، فعرض له في الليل ضيق نفس، حتى أشرف على الهلاك فأرسل لإسحاق، وقيل له: هل عندك من علاج ؟ فقال: قد نَهَيْت فلم يُقبل مني، ليس عندي علاج، فقيل لإسحاق: هذه خمسمائة دينار وعالجه، فأبى حتى انتهى على ألف مثقال، فأخذها وأمر بإحضار الثلج، وأمره بالأكل منه حتى يمتلئ، ثم قيَّاه، فخرج جميع اللبن قد تجبن ببرد الثلج، فقال إسحاق: أيها الأمير، لو وصل هذا اللبن إلى أنابيب رئتك ولحج فيها أهلكك بتضييقه للنفس، لكني أجمدته، وأخرجته قبل وصوله"[3].

وذلك مما زاد من غضب زيادة الله وجعله يتخذ موقفا ضده، يقول ابن جلجل: "فقال زيادة الله: باع إسحاق روحي في النداء، اقطعوا رزقه، فلما قطع عنه الرزق، خرج إلى موضع فسيح من رحاب القيروان، ووضع هنالك كرسيا ودواة وقراطيس، فكان يكتب الصفات كل يوم

---

[1]- ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ/1983م، ج7، ص37/ سمير شيخاني، المرجع السابق، ص148.

[2]- ابن جلجل، المصدر السابق، صص 84-85.

[3]- ابن جلجل، المصدر السابق، ص 85.

بدنانير، فقيل لزيادة الله: عرضتَ إسحاق للغنى، فأمر بضمه إلى السجن، فتبعه الناس هنالك، ثم أخرجه بالليل إلى نفسه"[1].

مكانة إسحاق على قدر علمه، فبعدما كان طبيبه الخاص قطع عنه النفقة نتيجة عصيانه، والذي كانت له رغبة في السماح له بالخروج من البلد أو طرده أو بسبب استخلاف غيره في مكانه، والمهم أن لإسحاق مكانة وشأن بين الناس الذين لحقوا به في السجن.

وكانت له معه حكايات ومعاتبات، حتى غضب عليه زيادة الله وأمر بفصده في ذراعيه جميعا، وسال دمه حتى مات، وأمر بصلبه على جذعٍ ولم يكتف بصلبه، وإنما تركه معلقا مصلوبا في العراء دون القيام بدفنه رغم خدمته له لسنوات.

ينقل ابن جلجل عن ابن الجزار قوله: "طال مُقام إسحاق مصلوبا، حتى عشش في جوفه صقر لطول مُقامه، وكان طويل اللحية فما تساقط شعرها، ولقد كان يهتز بالريح"[2].

وقيل إنه: "قال لزيادة الله في تلك الليلة: يا ملخوني؛ والله إنك لتدعى سيد العرب، وما أنت لها بسيد، ولقد سقيتك منذ دهر دواء ليفعلن في عقلك؛ وكان زيادة الله مجنونا فتملخن ومات"[3].

تلك من صور هوان مكانة العلماء المشارقة عند حكام المغرب؛ وأكثر المشارقة الوافدين الذين تعرضوا للسرقة أو السجن أوالتعذيب أو القتل كان في بلاد المغرب - المغرب الأدنى أو المغرب ككل؛ أما الذين اتّهموا بالإنتحال ولم يُصدقوا وأخرجوا من البلدان ففي الأندلس.

كما امْتُحِنَ الشاعر أبا بكر ابن الأزْرَق الذي قدم القَيْرَوان مع الشِّيعة، وأقام محبوساً بالمهدية مُعْتَقَلاً في دار البحر ثلاثة أعوام وسبعة أشهر، ثم أطلق صراحه ووصل إلى الأندلُس[4].

وآخر من تعرض للقتل في بلاد المغرب في زمن الدراسة من الوافدين المشارقة من الهاشميين الشرفاء ممن ينتسب لبيت النبي صلى الله علي وسلم أبا البسام موسى بن عبد الله بن الحسين الكوفي، الذي دخل الأندلس لكنه قتل في طريق العودة، فقد رجع على بلاد بني حماد وامتحن هنالك، وقتل ذبحاً ليلة 27 رمضان[5]، وسبب ذلك ما نجده في بعض تراجمه حيث "كان له معرفةٌ بالكلام على طريقة الأشعرية"[6].

---

[1]- نفسه، ص 85.
[2]- نفسه، ص 86.
[3]- نفسه، صص 86.
[4]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص106/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص122.
[5]- ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2، ص476/ ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، صص56-57.
[6]- نفسه، ج3، صص56-57.

وفي الأندلس؛ من الذين لم يُنفق عليهم عند الأمويين رُغم ولايته فيهم في أول وفادته الشاعر إبراهيم بن سليمان الشامي الذي دخل الأندلس من المشرق في أخريات أيام الحكم، فلم ينفق عليه الحكم-ربما استنقاصاً له-، ولكنه تحرك في أيام ولده الأمير عبد الرحمن فأنفق عليه ووصله، ثم في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن[1].

في حين هناك من تسببت سوء أخلاقه في نكبته مثل عبد الرحمن بن زريابّ الذي دخل الأندلس مع والده، وكانت صنعته الغناء أيضاً، فقد وصفه المقري بقوله: "ابتلي من فرط التيه وشدة الزهو وكثرة العجب بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه، وقلّما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه، ولا يزال يجترئ على الملوك، ويستخفُّ بالعظماء"[2].

وحمله سخفه على أن حضر يوماً مجلس بعض الأكابر الأعاظم في أنس قد طاب به سروره، "وكان صاحب قَنَص ثعلب عليه لذّته، فاستدعى بازياً كان كَلِفًا به كثير التذكر له، فجعل يمسح أعطافه ويُعَدّل قوادمه ويرتاح لنشاطه، فسأله عبد الرحمن أن يهَبَه له فاستحيا من رده وأعطاه إيّاه مع ظَنِّه به، فدفعه عبد الرحمن إلى غلام ليعجل به إلى منزله وأسرَّ إليه فيه بسرّ لم يُطلع عليه، فمضى لشأنه، ولم يلبث أن جاء بطيفورية مُغَطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضّة، فإذا به لونُ مصوصٍ قد اتخذ من البازي بعد ذبحه ما حده لأهله، وذهب إلى الأنتقال عليه في شرابه؛ وقال لصاحب المجلس: شاركني في نَقْلي هذا فإنّه شريف المركّب -يعني التركيب- بديع الصنعة، فلمّا رآه الرجل أنكر صفته، وعاب لحمه، وسأله عنه، فقال: هو البازي الذي كنت تعظم قدره، ولا تصبر عنه، قد صيرته إلى ما ترى، فغضب صاحب المنزل حتى ربا في أثوابه وفارق حلمه وقال له: قد كان والله أيّها الكلب السفيه على ما قدرته وما اقتديت فيه إلا بكبار الناس المؤثرين لمثله، وما أسعفتك به إلاّ معظماً من قدرك ما صَغّرْتَ من قدري، وأظهرت من هَوَان السنة عليك باستحلالك لسباع الطير المنهيّ عنها، ولا أدع والله الآن تأديبَكَ إذ أهملك أبوك معلّم الناس المرروء، ودعا له بالسّوْط وأمر بنزع قَلَنْسُوته وساط هامته مائة سوط، فاستحسن جميع الناس فعله به وأبدوا الشماتة به"[3]، لقد كان ما تعرض له في العلن وأمام جمهور الناس نتيجة سوء الأدب مع أكابر الأندلس.

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص121.
[2]- نفسه، ج3، ص129.
[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص129-130.

وفي البلاط العامري لم يسلم صاعد من غضب المنصور في أول الأمر لما قذف بكتابه - الذي ألفه ووسمه باسمه- في النهر بسبب تهمة كَذِبه في النَّقل؛ ولكن فيما بعد وبعد النجاح في الإمتحان أعلى شأنه.

ولكن صاعد تغيرت حاله مرة أخرى لتغير الظروف السياسية في عهد الفتنة وزوال الدولة العامرية التي كان وافداً مكرماً على بلاطها بحيث يقول ابن بسام: "وكان صاعدٌ قد طُولِبَ في أخرياتِ تلك الدَولةِ، وانتهتْ به الحال، إلى أن أغرِمَ في خَبرٍ طويلٍ مائةَ مثقالٍ"[1]، حيث ساءت حاله بعد العز الذي كان فيه فاستغاثَ عليَّ بن وداعَةَ[2] - شعرا ونثراً- ومدحه ولكن لم يجبه ولم يغثه، ثم خاطب أيضا الخليفةَ هشامَ ابنَ الحكَمِ يرجو معاونته، كما خاطب سليمان[3] ومدحه[4] مستغيثاً.

وصاعد الذي تعود على الحياة الرغيدة والقصور نال من الفتنة شر مكانة، وتراجعت حاله "بارتجاجِ الفتنةِ وغلاءَ سِعْر ورخَصَ شعْر، حتى اختلَّ وعجَزَ عن ستر ولده وأهله، وبخل هشامٌ على ذلك كلّه بتسريحِه والإذن له في الإنطلاقِ على الأندلس، فخرج مُسختفياً واتصلَ بصاحب صقليّةَ، وفارق البؤس وراجَع النّعمة، ثم رجع إلى الأندلس إثرَ غلبَة سليمانَ والبرابر على قرطبةَ مُستخرجاً لمن تخلّفَ بها من أهلِه وولده، ثم عجّل الإنكفاءَ إلى صقلّية"[5].

ومن القادمين من تسبب العطاء القليل من قبل حاكم الأندلس في وضع حد لنهايته، وهو الشاعر علي بن زريق البغدادي الذي حَزِن لتحطم آماله في بلاط الأندلس؛ وهو الذي قطع الفيافي والبحار يرجو العطاء والمكانة الرفيعة، فلماه أعطاه الأمير عطاءً نزراً شُقَّ ذلك عليه، وحَزَّ في نفسه؛ فاعتلَّ ومات، وقيل انتَحر؛ ويبدو أن الأمير أراد أن يختبره فقط[6]، قال السبكي: "فأراد الأمير أبو عبد الرحمن أن يبلوه ويختبره فأعطاه شيئاً نزراً، فقال البغدادي: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلكت البراري والقفار، والهامة والبحار؛ فأعطاني هذا العطاء النَّزْر... "[7].

ومن مرثيته لنفسه في الأندلس، نذكر منها أبيات متفرقة: (البسيط)

وَاللَّهُ قَسَّمْ بُينَّ الْخَلْقُ رَزْقَهُمُ * لَمْ يُخْلِقْ اللَّهُ مَخْلُوْقَاً يُضَيَّعَهُ

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص41.

[2]- عليَّ بن وداعَةَ بن عبد الودود السلمي(عاش قريبا من 400هـ/1009م): أبو الحسن، أمير وأحد الفرسان الأبطال ونبهاء الدولة، وُصِف إلى جانب البطولة بالأدب البارع والشعر الرائع. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، صص282-283.

[3]- سليمان بن الحكم المستعين بالله(حكم 399-407هـ/1008-1016م): وتلقَّب أيضاً بالظافر بحول الله لما دخل قرطبة، وانهزم أمام علي بن حمود وكان أحد قواده وقتل صبراً، وكان أديبا شاعراً. الضبي، المصدر السابق، صص31-33.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص41-42.

[5]- نفسه، ج4، ص42.

[6]- محسن جمال الدين، المرجع السابق، صص26-30.

[7]- السبكي، المصدر السابق، ج1، ص311.

وَالْحَرْصُ فِيْ الْرِّزْقِ وَالْأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ * بَغْيٌ أَلَاَ إِنَّ بَغْي الْمَرْءِ يصْرَعُه

أُعْطَيْتُ مُلْكَاً فَلَمْ أحْسِنْ سَيَاستُهُ * وَكُلٌّ مِنْ لا يَسُوْسُ الْمُلْكَ يُخْلَعه

وإنْ يَنلْ أحدٌ مِنَّا مَنِيَّتَه * فُمَّا الُذِيْ فِيْ قضاءِ اللّهُ يَصْنَعُه [1].

أما الفكيك الذي دخل الأندلس على عهد ملوك الطوائف فقد اعتقل، وأفضت به الحال في إشبيلية إلى السجن، ومن شعره في المعتمد وهو مسجون: (البسيط)

أيا ابنَ عبّادٍ الملك الذي يدُهُ * مِنْ فِيْضَهَا بين الْخَلِقُ مَقْسُوْمٌ

إلى غاية قوله:

فَمَنَ رأى شاعرا فِيْ الْسَّجْنُ مُطْرَحًا * فِيْ ظَلْمَةٌ وَهْوُ بِالْبَهْتَانُ مُظْلَوِّمٌ

نَادِّيْتُ حَلْمكَ وَالْأَقْدَارُ حائمةٌ * كصاحبِ الْحُوْتِ نَادَّىً وَهْوُ مُكْظَوِّمٌ

فَاحْلَلْ بِيَمْيِنْكَ رَبْقَ الْأَسْرُ عَنْ عُنْقُيُ * فَأَنْتَ بِالْفَضْل وَالْإِفْضَالُ مَوْسُوْمُ [2].

ومن العلماء المشارقة الذين تعرضوا لِذلة في المغرب لأسباب شتى أغلبها تتعلق بشخصية الوافد؛ مثال ذلك أبو إسحاق إبراهيم بن خلف السنهوري، يذكر ابن الأبار أنه فر من مراكش مفلتاً من الأسر، وانصرف عائداً إلى المشرق [3].

أما من أُخْرج من الأندلس - نفياً وطرداً- بعد الإستقبال من المشارقة أبو الطيب مُحمَّد بن أبي بُرْدَة الشَّافعي الذي وفد على المستنصر، وكان قد أكرمه في البداية، لكن لما رُفِعَ إليه أنه يُنْسَبُ إلى الاعتزال أمر بإخراجه من البلد [4].

2- مكانة أهل العلوم والثقافة والفنون المشارقة عند ذوي الطبقة العالمة في بلاد المغارب:

إن العالم المغربي يُقِيمُ للعالم المشرقي الوافد مكانةً وقدراً بحسب ما يحمل ذلك العالم القادم من علم، فيحكم على منزلته من خلال ما يُحصله من علوم وما يتقنه من فنون، على أن العالم يعرف مرتبة العالم- الآخر- في العلم، ويُميّز الجاهل- ذلك لأنه كان في مرتبته-.

التقى أبو غانم الوافد على بلاد المغرب في جبل نفوسة بعمروس بن فتح النفوسي [5] الذي قيل في وصفه: "كان شابا حدثاً ولكنه كان يتألق ذكاء ويتوقد فطنة، ويتفتق عبقرية" [6]، وكان أبو

---

[1]- نفسه، صص309-311.
[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص259.
[3]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص150.
[4]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص105.
[5]- عمروس بن فتح المساكني النفوسي (ت283هـ/896م): أبو حفص، من أبناء جبل نفوسة، ونشأ في قرية قطرس، وتلقَّى علمه على مشايخ الجبل، تولّى القضاء بجبل نفوسة؛ كما شارك في القضاء النفاثية، وتصانيفه: الدينونة الصافية، رسالة في الردِّ على الناكثة. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، صص321-322.
[6]- أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، ص36.

غانم قد قَدِمَ بالمدونة على المذهب الإباضي، ولما عزم على قصد تاهرت واستودع عمروس الكتاب حتى يرجع من تاهرت[1].

إن تأمين العالم الإباضي المشرقي على مؤلفه عند المغربي عمروس ربما كان بعد صحبة دامت لفترة بين الرجلين، أو بعد إيواء المغربي للعالم المشرقي.

وأحسن مثال في بلاد المغرب عامة عن مكانة شيخ مشرقي عند طالبه المغربي، والتي تطورت إلى رحلة علمية وصحبة للعلماء؛ ما ترويه لنا المصادر عن عالم إباضي كبير هو ابن الجمع الذي وفد على بلاد المغرب في القرن الرابع للهجرة/10م؛ حيث التقى في مدينة توزر ببلاد الجريد بعالم الإباضية أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي[2]، وكان "أبو الربيع شاب يحاول طلب العلم، وله فهم وذكاء"[3]؛ فلما ظفر بابن الجمعي كان كل واحد منهما يوافق الآخر، فكان ابن الجمع يصرفه في حاجته، وكان مختصاً به مقربا لديه، وربما حاوره ببعض الألفاظ المحتملة الملتبسة اختباراً لفهمه، واستحسانا لما يصدر من جوابه لا استخفافا بقدره؛ "فمن ذلك أنه يوما من الأيام عجب لما ظهر من فهمه وفطنته، فقال له: إنك لفي الطين، فقال: غير منزلق يا شيخ، وأرى عن ذلك بالفطنة، وكأنه وصفه بها"[4].

وفي رواية أخرى للدرجيني تبين مدى تطور العلاقة بينهما "اضطجع ابن الجمعي في ليلة شديدة البرد فدثره أبو الربيع، فقال له: الزيت خير، كأنه يريد به جزيت خيرا، فقال: على الطعام يصلح ياشيخ"[5]؛ من ذلك نستخلص المودة التي كان يكنها عمروس لشيخه والتعلق بخدمته، "وأمعن أبو الربيع في الإبرار والتخدم والاجتهاد، حتى عظمت درجته عند ابن أبي الجمعي وعلت منزلته"[6].

كما نال أبو الفضل الدارمي مكانة رفيعة عند علماء القيروان حيث قال عن ذلك الدباغ " فتقدم بفضل أدابه عند الكبراء، وعُرف قدره عند الفقهاء"[7].

وهناك من تغيرت حاله ومكانته بين القطرين المشرقي والمغربي؛ حيث علت منزلته في المغرب جراء تعظيم المغاربة للوافد من المشرق، ومثال ذلك أبو بكر أحمد بن الفضل

---

[1]- الوسياني، سير الوسياني، ج1، صص233-235/ أحمد بن سعود السيابي، التواصل الإباضي، ص36/ بحّاز إبراهيم بكير، الدَّولة الرستمية، ص396.

[2]- سليمان بن زرقون النفوسي:(النصف الأول من ق4/10م): أبو الربيع، من كبارعلماء الإباضية، من نفوسة تاديوت، درس في سجلماسة على ابن الجمع مع ابن كيداد. أبو زكريا، المصدر السابق، ص168وهامش رقم3.

[3]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص109.

[4]- نفسه، ج1، صص109-110.

[5]- نفسه، ج1، ص110.

[6]- نفسه، ج1، ص110.

[7]- معالم الإيمان، المصدر السابق، ج3، ص194.

الدينوري الخفاف، "لقد كان الدِّينَوريّ بمصر يلعب به الأحداث ويتغامزون عليه، ويسرقون كتبه، وما كان ممّن يُكتب عنه، ثم قَدم الأندلس فانْجَفَل الناس إليه، وازدحموا عليه"[1]؛ ولكن ليس عند أهل العلم والتحقق الذين كما يعرفون قدر العلماء.

ولم تكن علاقة علماء المشارقة بنظرائهم الأندلسيين أقل من تلك التي رأيناها عند الإباضية وغيرهم بالمغرب، ومن ذلك النوع من علاقات المصاحبة والتتلمذ في نفس الوقت علاقة الأديب أبو بكر الزبيدي[2] الأندلسي بالقالي لما وفد قرطبة، "وكان الزبيدي إماماً في الأدب، ولكن عرف فضل القالي، فمال إليه واختص به، واستفاد منه، وأقَرَّ له، وأخذ عنه"[3]؛ وأما الملاحي[4] فقد صحب أبا زكريا يحيى بن عبد الرحمن الواعظ الذي توفي بحضرة غرناطة لمدة طويلة جدا بحيث قال الملاحي: "صحبته من لدن وصوله من المشرق إلى أن توفي- وذلك أزيد من ثلاثين سنة...، وعهد عند موته بأن يكون ممن يتولى غسله ودفنه، فكان ذلك، ووجدت فقده- ولم ألق مثله بعد"[5].

كما صاحب ابن الزبير[6] بغرناطة سعد الدين أبو بكر محمد بن عبد الوهاب الواعظ، يقول ابن الزبير: "فلقيته بها وجالسته واستدعيته إلى منزلي"[7]، كما استعار منه كتبه؛ وتطلع على أحواله، وأخبر بأنه كان أصماً "كنت أخاطبه بالكتب، فيجيبني إلا في قليل، فقد يفهم بالعين والإشارة"[8].

كما التقى عبد الواحد بن علي المراكشي (ت647هـ/1249م) بالأمير الغزي شعبان كوجبا وأشار لذلك في المعجب، بقوله: "ولم يرِد المغربَ من هذه الطائفة- أعني الغُزّ- ألطف

---

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص71.

[2]- محمد بن الحسن بن مذحج الزبيدي(ت379هـ/ 989م): أبو بكر، من إشبيلية، سكن قرطبة، شاعر، إمام في اللغة والإعراب، ومؤدب هشام بن الحكم المستنصر، وتولى خطة الشرطة، له عدة مؤلفات منها: اختصار العين للخليل والواضح في النحو وطبقات النحويين. الفتح ابن خاقان أبو نصر بن محمد بن عبيد الله الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس، تحقيق هدى شوكت بهنام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م، صص167-170.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص75.

[4]- محمد بن عبد الواحد ابن إبراهيم بن مُفَرّج(ت 619هـ/ 1222م): أبو القاسم، الملاحي الأندلسي، كتب عن الكبار والصغار، كان حافظاً للرواة، جمع تاريخ في علماء إلبيرة، وكتاب الأنساب، وأربعين حديثا. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، صص162-163.

[5]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5، ص270.

[6]- أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن زبير بن عاصم (617-708هـ/1220-1308م): أبو جعفر، الثقفي العاصمي الغرناطي، الإمام الحافظ شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، أفاد الناس في القراءات وأحكام العربية، له كتاب الذيل على صلة ابن بشكوال- صلة الصلة-، وكانت وفاته بغرناطة. نفسه، ج1، صص22-23.

[7]- نفسه، ج3، ص34.

[8]- نفسه، ج3، ص35.

حِسًّا ولا أزكى نفساً ولا أحسنُ محاضَرةً ولا أطْيَبُ عِشرة من شَعْبَانَ، ما لقيتُه إلا استنشدني أو أنشدني"[1].

إضافة إلى ترحيب المشارقة بإخوانهم المغاربة من طلبة العلم والعلماء، فقد احتفوا بهم في الشعر؛ ونرصد ما قيل في هؤلاء القادمين من شعراء المغاربة على ذلك أمثلة.

نظراً لمكانة القالي في الأندلس مدحه شاعر الأندلس المشهور يوسف بن هارون الرمادي[2] بقصيدة بديعة منها قوله: (الكامل)

رُوْضٌ تُعَاهِدُهُ الْسِّحَابُ كَأَنّهْ * متعـاهَدٌ مِـنْ عَهْدُ إِسْمَـاعِيْـلِ

قِسْهُ إلى الْأَعَرَابِ تُعْلِمْ أنّـه * أَوْلُىَ من الْأعْرَابِ فِيْ الْتَّفْضِيْلِ

حازَتْ قَبَائِلُهُمْ لغاتٍ فُرّقَتْ * فِيْهُمْ، وَحَـازَّ لغــاتِ كـلّ قَبْيـلٍ

فَالْشَّـرْقُ خـالٍ بَعْدَهُ وكأنَّما * نزل الْخِـرَابُ بِرَبْعهُ الْمَـأْهُـوْلِ

وَكَأَنّهُ شَمْسُ بَدَّتْ فِيْ غُربْنَا * وتغْيَبَـتْ عـن شـرْقـهـمْ بأفـوْلِ

يـاسيديْ هـذا ثنائي لم أقـلْ * زُوْرَّاً ولا عَـرّضْـتُ بِالْتَّنْـوَيـْلِ

من كان يُأْمِلُ نائلاً فِأْنَا امْرؤٌ * لَمْ أَرْجُ غَيْرَ الْقَـرْبِ فِيْ تَـأْمِيْلَيْ[3].

ومنه أيضاً: (الكامل)

في أيّ جـارحَةٍ أصُونُ مُعَذَّبِي * سَلِمتْ من التَّعْذيب والتنكيلِ

إن قلتُ في عَيْني فثَمَّ مَدامِعـي * أو قلت في قلبي فثَمَّ غَلِيـلي

لكن جَعَلْتُ لـه المسامِع مسْكَنَـا * وحجبتُه عن عذْلِ كلِّ عذولِ[4].

وفي الرثاء؛ رثى الحكيم أبو محمد بن خليفة[5] الوافد أبو الفضل الدارمي بشعر يقول فيه: (الطويل)

سقى الّلّهُ قَبْرَاً حِلَّ فِيْهُ أَبُوْ الْفَضْلُ * سَحَابّاً يَسحُّ الْمُزْنَ وَبْلاً عَلِيً وَبـْلٌ

وكيفَ يُسقّي المـزنُ قبـراً يحلّـه * وفي طَيّهِ بحـرُ المكـارمِ والفضــل

وبــدرُ تَمــامٍ مــن تَميـم فخــاره * ملوكٌ لهم قـامَ الملوكُ على رِجْـل

---

[1]- عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص210/ عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، صص70-71.

[2]- يوسف بن هارون الكندي(ت 403هـ/1012م): أبو عمر، ويعرف بالرمادي، من أهل قرطبة، شاعر مشهور كثير الشعر، مدح الحكم المستنصر، وعاصر القالي، وعمل في السجن كتاب الطير. الحميدي، جذوة المقتبس، صص358-361.

[3]- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، صص226-227/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص75.

[4]- الفتح ابن خاقان، المصدر السابق، ص207،- وما يليها- ينظر باقي المقطعات الشعرية.

[5]- عبد الله بن خليفة القرطبي(ت496هـ/ 1102م):المعروف بالمصري- لطول إقامته بمصر- شاعر، بصير بطب النظر، حسن البيان مليح المجلس، من شعراء المأمون بن ذي النون ثم المعتمد في اشبيلية. ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص342-359.

ومـا الدَّهر إلاَّ آكلٌ مـن نُفـوسِنـا * ونحـنَ لـدَيـهِ في الحقيـقةِ كالأكـل[1].

ومن مظاهر تلك المكانة ومن باب العناية بالوافدين رسائل التوصية بالعلماء المشارقة من طرف العلماء المغاربة، ومنها رسالة بعثها الكاتب أبو عبد الله ابن الجنان[2] مع الوافد نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني إلى الشيخ أبي الحسن سهل بن مالك[3]، أوردها ابن عبد الملك، منها: (الطويل)

"سرى النجم نجم الدين للغرب قاصـدا * من الْشَّرْقُ كَيْ يُلْقَىً سَرَاجَّ الْمُعَـارِفُ

فَقَلِّتْ لـه يـا نَـجْـمٌ بَـلْـغُ تَـحْـيَتِّـيْ * وَذُكْـرَيْ وَشُكْـرَيْ لِلْنَـدَاً وَالْـعَـوَارِفُ

...كتابي إلى المجلس العلمي، السني السني، زاده الله تكريما وترفيعا،... كتاب يتشرَّف بالمحمول إليه والحامل،... وبعثته مع كبير من الشرفاء أهل البيت النبوي،...وهو الشريف السيد ...نجم الدين الحسني، حفظ الله رتبة شرفه... "[4].

وهناك عدة رسائل توصية تبادلها علماء المغرب والأندلس في شأن العناية بهذا الوافد المشرقي- نجم الدين- وأوردها ابن عبد الملك في الذيل[5]، وكذلك أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عَميرة المخزومي الذي تلقى رسائل توصية في القادم نجم الدين- من طرف الرّعيني[6] وابن الجنان، وكتب ابن عميرة أيضا يوصي به ستة رسائل أوردها في مؤلفه، ننقل مقتطف من رسالة موجهة إلى الأديب المغربي أبي العلاء حسان[7]، المؤرخة في 24 ربيع الثاني سنة 639هـ/1241م: (الكامل)

"يا ابنَ الوصيّ إذَا حَمَلْت وَصيّتي * أَوْجِبْ حقا للحُقوق يُضَاف

---

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص196/ ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص65.

[2]- محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت650هـ/1252م): أبو عبد الله بن الجنان- ويقال ابن الجيان-، محدث راوية من الكتاب الشعراء، من أهل مرسية، خرج من بلده سنة 640هـ/1242م واستقر ببجاية ومات بها. الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص29.

[3]- سهل بن محمد بن سهل بن أحمد بن مالك الأزدي(559-639هـ/1163-1241م): أبو الحسن، الغرناطي، كاتب وأديب وشاعر، صنف في العربية كتاباً مفيد. ابن عبد الملك، المصدر السابق، بقية من السفر4، صص101-124.

[4]- نفسه، ج8، القسم2، صص452-453.

[5]- وهي حوالي ثمانية رسائل متبادلة في شأن القادم. نفسه، ج8، القسم2، صص452-453.

[6]- علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن هيصم الرّعيني(592- 666هـ/1195-1267م): أبو الحسن، يعرف بابن الفخّار الإشبيلي، تولى القضاء على مذهب مالك، وكان يتنقل بين المغرب والأندلس، واشتهر بالكتابة فكتب لجلة من ملوك الأندلس والعدوة في عصره، ومن آثاره برنامج شيوخه وصلة المطمح والذخيرة. برنامج شيوخ الرعيني، المصدر السابق، صص ط-ك.

[7]- محمد بن أبي جعفر عبد الحق بن أبي حسان(ت641هـ/1243م): أبو العلاء المرسي، رئيس الكتاب وعميد الآداب، كان بارع في الفلسفة والطب، خدم بصناعة الطب الخليفة المستنصر الموحدي، ثم كاتب للخليفة الرشيد الموحدي، ومات بمراكش.- ابن عميرة أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية أو بُغْية المستطرف وغنية المتطرّف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، جمعها أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م، ص374-هامش رقم 3.

...هذه يا سيّدي تحيّة، تجب لها إجابة وَحيّة،... بعثتها مع صَدْرٍ من أبناء الرّسالة...ويُنْعَتُ بنجم الدّين وهو كنَعْته نجم يضيئ سناه، ويحلُّ بيتاً من الشرف ربُّه بَناه، وقد جاب الفضاء العريض،... وزار مشاهد الحرمين، ثم سار في أرض الهرمين،...وعَبَر إلى الأندلس فأطال اعتباراً"[1].

ولا بد أن نشير في البداية إلى أن هذا القادم المشرقي حتى ولو كان على قدر عالٍ من العلم فإنه لما يتعلق الأمر بالمنافسة على المناصب والحظوة عند السلاطين سيتعرض لمحاولة استنقاص من قبل العلماء المحليين بدافع الغيرة والحسد.

حيث لم يسلم الأديب اللغوي القالي من استنقاص للمكانة من قبل الأديب الأندلسي ابن رفاعة الإلبيري[2] الذي انسحب من موكب استقبال القالي وفي قوله- تعجب- "وقال: مع هذا يُوفَد على أمير المؤمنين وتُتجشم الرحلة لتعظيمه! "[3]، فقد رأى ابن رفاعة أن القالي ليس بأهل بأن يمشى في موكبه وكان ذلك بعد تحاورهما على بيت شعري.

كما اتهم صاعد بالكذب وانتحال وسرقة شِعرِ المشارقة، قال ابن بسام: "ولما دخَل قرطبةً دَفَعوه بالجُملةِ عن العلمِ باللّغة، وأبْعدوه عن الثقةِ في عِلْمه وعقلِه ودينِه، ولذلك ما رَضِيهُ أحدٌ من أهلها أيّام دُخولهِ إليها، ولا رأوْه أهلا للأخذ عنه ولا للإقتداءِ به"[4]، وهذا بسبب أخلاق صاعد كما وصف بأنه كان كثيرَ المزاحِ، وكثير الإدعاء، وإنما حَطّه عند أهل الأدب ما غلب عليه من حب الشراب والبَطالة وإيثار السخف والفُكاهة[5].

واتهم الفكيك أيضاً بسرقة أشعار أهل الشام والعراق، وفي وصفه قال ابن بسام: "كان الفكيك قصيراً ذميماً... ورأيته يوماً قد لبس طاقاً أحمر على بياض، وفي رأسه طرطوراً أخضر، وقد عمّمَ عليه عمّةً لازوردية"[6]، وقد قال فيه النحلي[7] ازدراءاً: (مجزوء الكامل)

لَوْ بِيعُ يَوّمَا فِكّيْكُ * وَبِينْ فَكِيْهِ دَرّهْ
ضَرَّبْتُ مَنٌ يَشْتَرِيْهُ * بِخَرِية أَلّفَّ مَرِّهْ[8].

---

[1]- نفسه، صص374-375.
[2]- ابن رفاعة الإلبيري(ق4هـ/10م): من أهل الأدب والمعرفة، وكان في خلقه حرج وزعارة، كان أيام الناصر(300-355هـ/912-965م) والتقى القالي. المقري، المصدر السابق، ج3، ص71.
[3]- نفسه، ج3، ص71.
[4]- ابن بسام، االمصدر السابق، ج4، ص10.
[5]- نفسه، ج4، ص20/ السيوطي، بغية الوعاة، ص7.
[6]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص256.
[7]- أبو الوليد النحلي(ق5هـ/11م): شاعر مجيد، كان باقعة دهره ونادرة عصره، له أخبار مع المعتمد بن عباد المتوفى 488هـ/1095م. ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص405.
[8]- نفسه، ج4، ص255.

تعرضنا إلى مكانة العلماء المشارقة في بلاد المغارب عند الطبقة الحاكمة والعالمة؛ والصورة الغالبة أن العلماء القادمين كانوا محل إعجاب وتقدير من طرف المغاربة عموما، حيث كانوا يلقون في كل مكان يحلّون فيه حرارة الإستقبال والترحاب والمكانة اللائقة بهم البلاطات وفي دواليب الحكم كوزراء وسفراء وقضاة ومستشارين وفي المساجد والمنابر والمحافل العلمية[1]، كما تبدو صورة تلك المكانة أكثر وضوحا في الأندلس مقارنة ببلاد المغرب.

[1]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص8.



ثانيا: التوزيع الجغرافي والزمني للعلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب: من خلال الفصل السابق والمتعلق بالتراجم كأنموذج للدراسة والذي أحصينا فيه العلماء المشارقة -إحصاءً نسبياً- نقوم باتخاذه كقاعدة للعمل عليها في هذا التوزيع الجغرافي والزمني؛ لذلك تكون الأرقام (الإحصاءات) المقدمة في الجداول أرقاماً نموذجية فقط لتبيان المواطن الأصلية للوافدين وتوزيعهم جغرافيا وزمنيا على أقاليم ومدن وحواضر بلاد المغارب، وبذلك لن تخرج العملية الإحصائية عن إطار المعلومات المقدمة في الدراسة والمصادر المعتمدة التي تحصلنا من خلالها على كثافة من العلماء تكون قابلة للتحليل.

إلا أننا نؤكد ومنذ البداية على كثرة الوافدين من المشارقة على بلاد المغارب بعد فتح وأسلمة المنطقة، حيث افتتح المقري الباب المخصص للمشارقة القادمين على الأندلس في مؤلفه نفح الطيب مُنوها إلى كثرة الواردين بقوله: "اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تُحصر الأعيان منهم، فضلاً عن غيرهم"[1].

ثم أكد على ذلك مرة ثانية لما ختم الباب نفسه بقوله: "مع علمي بأن الوافدين من المشرق على الأندلس كثيرون جدّا، إلاّ أن عدم المادة التي أستعين بها في هذه البلاد تبين عذري، ولو اجتمعت على كتبي المخلّفة بالمغرب لأتيت في ذلك وغيره بما يشفي ويكفي"[2]؛ ولا شك أن كثيراً من هؤلاء القادمين كانوا من أهل الثقافة والفنون والعلوم المشارقة الذين كان لهم دور في الحركة الفكرية في بلاد المغارب.

وقبل البدء تجب الإشارة إلى الإجراءات الأساسية المعتمد في هذه العملية الإحصائية، والتي تمثلت في:

- جمع وتصنيف المترجم لهم في جدول بيبليوغرافي على أساس: الاسم وتاريخ الوفاة أو القرن والموطن الأصلي وتاريخ الوفادة ومكانها، وتحديد المستوطنين من العائدين إلى المشرق ومعلومات أضفناها حول الديانة والمذاهب والعلوم والفنون الوافدة مع هؤلاء لأن الجدول ملحق بالدراسة.
- بغية التحكم في المعطيات تم الحفاظ على التقسيم الثلاثي: بلاد المغرب، بلاد الأندلس وبلاد المغارب حسب الدراسة، وجمع المُعطى الرقمي في آخر كل جدول.

1- المقري، المصدر السابق، ج3، ص5.
2- نفسه، ج3، ص149.



هذه الإجراءات المنهجية سادت في مجالي التوزيع المكاني والزماني للعلماء المشارقة في بلاد المغارب، إذ وظفنا جميع التراجم الموجودة في الدراسة.

1- التوزيع الجغرافي لأهل الثقافة والعلوم والفنون المشارقة الوافدين على أقاليم بلاد المغارب الكبرى: تمثل المعطيات العددية أدناه أنموذجا للعلماء المشارقة القادمين وهي تشمل ما أحصته دراستنا:

الأقاليم / العدد	بلاد المغرب	بلاد الأندلس	بلاد المغارب
عدد الوافدين على كل إقليم	23	71	44
العدد الإجمالي	138		

جدول رقم (1): توزيع جغرافي للمشارقة الوافدين على بلاد المغارب

إن الجدول أعلاه يبين تبايناً كبيراً في عدد الوافدين على الأقاليم المغربية، ويمكن أن يعود ذلك لثلاثة أسباب هي:

- أولا: تقصيرنا في حق بلاد المغرب في الدراسة حيث يتضح ذلك في الإحصاء المقدم، وقد أشرنا إليه في المقدمة واعتبرناه مما يُؤاخذ علينا.

- ثانيا: توفر المادة في القطر الأندلسي ووضوحها، فقد اهتم الأندلسيون بالترجمة للعلماء المشارقة الوافدين بتخصيص الأصول الأندلسية إحدى أجزاء الكتاب[1]، أو الترجمة لهم ضمن الغرباء[2] وهي المشهورة، أو الترجمة لهم جنبا إلى جنب مع غيرهم من العلماء الأندلسيين[3]؛ في حين يصعب رصد هؤلاء في بلاد المغرب لأن الأصول المغربية لم تخصص تراجماً أو فصولاً مستقلة لهؤلاء الوافدين إذ أنها اهتمت أكثر بالمرحلة السابقة (الصحابة والتابعين)؛ ولا ننفي وجود مادة فيها حول العلماء المشارقة الوافدين في فصول متفرقة من مؤلفاتهم تتم

[1]- ينظر ابن بسام في الذخيرة، ج4؛ والمقري في النفح، ج3.

[2]- من المؤلفات الأندلسية التي ترجمت للعلماء المشارقة في إطار تخصيص قسم من مؤلفاتهم للغرباء في نهاية كل حرف من الحروف الأبجدية (مثل حرف الألف: ومن الغرباء في هذا الباب): تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي والصلة لابن بشكوال والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي وصلة الصلة لابن الزبير. خديجة طاهر منصور، عبد القادر بوباية، التنافس العلمي بين المشارقة والمغاربة على أرض الأندلس في العصور الوسطى، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، الجزائر، ع23 صيف/ أوت1437هـ/2016م، صص347-348.

[3]- من الكتب التي لم يميز أصحابها في الترجمة بين العلماء المشارقة والمغاربة نجد جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي إضافة إلى كتب الفهارس والبرامج وهي من المؤلفات التي ترجمت للمشارقة باعتبار أن العلماء المشارقة الوافدين كانوا أساتذة لهؤلاء العلماء الأندلسيين الذين ترجموا لشيوخهم مثل كتاب الغنية وهي فهرست شيوخ القاضي عياض، إضافة إلى كتب التاريخ العام التي ذكرت عدة علماء مشارقة كان لهم نصيب في الحياة السياسية في الأندلس. نفسه، ص348.

الإشارة إليها بين الحين والآخر في كتب التاريخ العامة أو في كتب التراجم فترجمتهم لأعلام المشارقة الوافدين يصعب استخراجها.

- وثالثها: لحقيقة قلة الوافدين على بلاد المغرب حيث كانت تعتبر طريقا يمر عليها العلماء المشارقة القاصدون الأندلس، أو طريق عودتهم إلى أوطانهم شرقا - بالنسبة لأغلبية الوافدين على بلاد المغرب والأندلس معا-، يقول عبد الحميد خالدي: "إذ نحن تصفحنا كتب الرحلات الوسيطة، لا نجد عالما أتى من المشرق ولم يمر بالمغرب إلا نادرا ليفرغ بضاعته الفكرية، ثم يستمر في رحلته"[1] غربا.

أ- توزيع العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب من حيث الجغرافية المشرقية:

اعتمدنا على مجموع العلماء (138) وهو عدد أعلام الدراسة، وقد حاولنا القيام بإحصاء لمدنهم المشرقية رغم ما يعترض هذا الإحصاء من صعوبة تحديد مكان انتمائهم أو ذِكْر عدة مدن (الأصل، المولد، النشأة) في عدد كبير من التراجم، أو الشك في مدينة مولده، لذلك وجب تحديد نقاط انطلاق ثابتة هي:

- المقياس المعتمد في اختيار البلدان والمدن الأصلية يكون حسب المدينة التي ولد بها العالم، ذلك لأن الأغلبية ينشئون ويتم تكوينهم علميا في مدن مولدهم فأول من يأخُذ عليهم العلم هم شيوخ مدينته.

- البداية تكون من إقليم الحجاز (مكة والمدينة)، ثم الترتيب حسب الأقاليم الأقرب فالأقرب لبلدان المغرب في الجدول.

- تحديد خانة لمجهولي الوفادة حسب المعطيات لكل بلد دون تحديد المدينة (مثل قولنا: مصر عموما) وخانة أخرى في آخر الجدول تشمل كل الوافدين من بلاد المشرق الذين تُجهل مدنهم الأصلية لذكر اسم العلم بصفته مشرقي.

إن القيام بجرد استكشافي للمدن الأصلية ضمن الأقاليم المشرقية الكبرى كان بهدف الوصول إلى استنتاجات عامة حول المواطن التي توافد منها العلماء؛ كما تعمدنا الحفاظ على ذكر القرى أو المدن الصغيرة المشرقية والتي تعتبر المدينة الأصلية للعالم المشرقي الوافد على بلاد المغارب حتى ولو كانت تلك المدن غير بارزة، وكل ذلك مُبين حسب الجدول التالي:

[1]- عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص240.



الجغرافية المشرقية		توزيع عدد الوافدين من المشارقة على الأقاليم المغربية			
		المغرب	الأندلس	بلاد المغارب	العدد الإجمالي
إقليم الحجاز	مكة	2	1		7
	المدينة المنورة		4		
إقليم مصر	مصر عموما	2	4	7	18
	الإسكندرية		2	1	
	دمياط		1		
	سنهور			1	
إقليم الشام	الشام عموما		4	2	22
	دمشق		1	2	
	حمص		1		
	حلب		1		
	أطرابلس الشام			1	
	أنطاكية		2		
	حران		1		
	منازجرد من ديار بكر			1	
	سلمية الشام	2			
	قلعة شيزر	1			
	بيت المقدس		3		
إقليم العراق	العراق عامة		1		49
	بغداد	1	14	16	
	الكوفة	2	2	1	
	الموصل	2	2	3	
	البصرة	2	2	1	
بلاد اليمن	صنعاء	1			1
إقليم فارس وما وراءه من بلاد أقصى المشرق الإسلامي	فارس عموما		1	1	23
	مرو/ مروز		1	1	
	سلماس			1	
	تستر		1		
	جنديسابور: خوزستان	1			
	أصبهان	2			
	جرجان		1		
	الدينور		1		
	نيسابور		1	1	
	خراسان	2	6	1	
	بخارى			1	
المشرق عموما مجهول المنطقة		3	13	2	18
العدد الإجمالي للوافدين على كل إقليم		23	71	44	138

جدول رقم (2): توزيع العلماء للمشارقة القادمين من حيث الجغرافية المشرقية حسب الدراسة.

نستنتج من الجدول ما يلي:

- شهدت بلاد المغارب قدوم أعلام فكر من كل أقاليم المشرق الإسلامي حتى من أقصى الشرق، فلم تكن بلاد المغارب بعيدة عن تصور العلماء المشارقة عموما فقد وصلها علماء من بلاد ما وراء النهر.

- احتل العلماء ذوو الأصول العراقية مركز الصدارة من حيث الوافدين فأكثر القادمين بغداديون، بالرغم من أن بغداد عاصمة العباسيين أعداء الأمويين "فالفرقة السياسية بين العباسيين في بغداد والأمويين في قرطبة، لم تحل دون لقائهما على الصعيد الحضاري والثقافي"[1] ذلك اللقاء الذي جسده العلماء المشارقة البغداديون بتواجدهم في قرطبة.

ب- التوزيع حسب الإقليم المغربي الذي حلوا به وتسجيل الحواضر والمدن التي تمت زيارتها: تعمدنا في هذا الجدول التوزيع حسب المدن المغربية المقصودة من طرف العلماء المشارقة ضمن أقاليمها الكبرى حسب المعطيات لذلك يظهر تضخُم في الأرقام المقدمة مقارنة بأعلام الدراسة (الأنموذج) لاعتبار أن العلماء المشارقة الوافدين لم يقصدوا حاضرة واحدة بل أغلبهم تجولوا في بلاد المغارب، أو مروا على مدينة أو عدة مدن قاصدين مدينة معينة، أو بعضهم استوطنوا حاضرة وأرغمتهم الظروف السياسية على مغادرتها إلى أخرى، أو ربما طردوا من بلد وساروا إلى آخر.

إضافة إلى أن فئة الرحالة من القادمين تمثل استثناءً، فقد كان خروج هؤلاء بنية التجوال في البلدان واستكشاف المجهول وزيارة عدة مدن.

كما أن التحكم في هذا التوزيع يرتبط بمقصد وهدف المشرقي القادم، والتغير الذي يحصل بسقوط مدن وظهور أخرى، حيث أن بروز الحواضر والمدن يتبع دوما الظروف السياسية؛ فقد عرفت بلاد المغارب ظهور مراكز حضارية فيها كانت قبلة أنظار العلماء والتجار والشعراء[2] المشارقة.

أما الأعلام الذين سجلنا غياب ذكر أسماء الحواضر التي توافدوا عليها، حيث كان الاقتصار على ذكر الإقليم (مثل المغرب الأوسط) فقد خصصنا خانة لكل إقليم قبل التعرض للمدن لمعرفة الأقاليم الأكثر توافدا، والجدول التالي يوضح لنا أعداد الوافدين على كل إقليم ومدنه:

---

[1]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص5.
[2]- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص127.

الإقليم	الحواضر	العدد	الإجمالي
المغرب الأدنى	إفريقية/ المغرب الأدنى عامة	4	45
	برقة	2	
	طرابلس الغرب	1	
	جبل نفوسة	2	
	المهدية	4	
	سوسة	1	
	القيروان	21	
	تونس	5	
	رقادة	3	
	توزر	1	
	بلاد الجريد	1	
المغرب الأوسط	المغرب الأقصى عامة	2	16
	إيكجان/ ميلة: بلد كتامة	1	
	قسنطينة	1	
	بجاية	4	
	تاهرت	5	
	تلمسان	2	
	مغيلة	1	
المغرب الأقصى	درعة	1	27
	مليلة	1	
	سبتة	6	
	طنجة	2	
	فاس	2	
	وليلي	2	
	سلا	1	
	الرباط	1	
	مراكش	6	
	سجلماسة	5	
بلاد المغرب عامة			6

مجموع كل بلاد المغرب			94
الأندلس	الأندلس	39	128
	قرطبة	40	
	رية	1	
	إشبيلية	15	
	لبلة	1	
	قرمونة	1	
	إستيجة	1	
	إلبيرة	1	
	مالقة	2	
	غرناطة	6	
	بسطة	1	
	المرية	5	
	مرسية	6	
	دانية	2	
	بلنسية	2	
	طليطلة	2	
	بطليوس	1	
	ماردة	1	
	سرقسطة	2	
صقلية			3

جدول رقم(3): توزيع جغرافي للمشارقة القادمين من حيث الجغرافية المغربية حسب الدراسة.

من خلال استقراء الإحصاءات الواردة في الجدول نلاحظ:

- توافد العلماء المشارقة على كل جغرافية المغرب الإسلامي من برقة شرقا إلى الثغور الأندلسية غربا.

- كثرة العلماء المشارقة الوافدين على الأندلس.

- عرفت المراكز العلمية الأولى- العتيقة- في بلاد المغارب توافد أكثر العلماء المشارقة ونخص بالذكر القيروان في بلاد المغرب فقد "كانت منذ الفتح ... دار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكبر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم"[1]؛ وقرطبة في الأندلس التي كانت "عروس البلدان، وجنة من جنان الله على الأرض، وموئلاً للآداب والفنون والعلوم، ومستقراً للذوق السليم، والمدنية الرفيعة"[2]، وكان من الطبيعي أن تكون قرطبة في طليعة الأماكن التي يتوجه إليها أهل الثقافة والعلوم والفنون الواردون المشارقة لأن "قرطبة عاصمة كل المدن الأندلسية...فهي محل إقامة أكبر الأمراء ومستقرّ الملوك... مدينة بُنيت من أجل الخلود، فيها كل المحاسن...راقية وجميلة"[3]؛ هكذا وصفها مؤرخ الأندلس الرازي.

- ثاني المدن التي شهدت التوافد المشرقي هي العواصم السياسية للسلطات الزمنية المغربية التي تمثل مراكز جذب رئيسة للعلماء كتاهرت ومراكش وعواصم ملوك الطوائف كإشبيلية، ومدن العبور كمدينة سبتة التي منها المجاز للعدوة الأندلسية.

كما يتبع دوما سقوط حاضرة إقليم ما ظهور حاضرة أخرى في نفس الإقليم تستقطب العلماء المشارقة إليها مثلما حصل بين القيروان وتونس؛ فقد زال بريق القيروان في منتصف القرن 5هـ/11م؛ بعد أن خربتها الأعراب[4]، يقول عبد الواحد المراكشي: "دار مُلك المسلمين بإفريقية منذ الفتح ...فانتهبتها الأعراب وخرّبتها، فهي كذلك خرابٌ إلى اليوم فيها عمارة قليلة يسكنها الفلاحون وأرباب البادية"[5]؛ وكان قد أشار قبل ذلك إلى المدينة التي أخذت مكانة القيروان في قوله: "صارت مدينة تُونُس حاضرةَ إفريقية ومقرَّ وُلاتها وموضعَ مخاطبةِ أولي الأمر منها"[6].

1- عبد الواحد المراكُشيّ، المُعْجِب، ص255.

2- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص149.

3-E.levy Provençal, La Description de l'Espagne d'Ahmed Al Razi, essai de reconstitution de l'original arabe et traduction française, Revista Al Andalus, XVIII-1953, p.64.

4- عبد الواحد المراكُشيّ، المصدر السابق، ص255.

5- نفسه، ص255.

6- نفسه، ص255.



في الأندلس تحتل إشبيلية المرتبة الثانية بعد قرطبة حيث غدت إشبيلية " حاضرة الأندلس"[1]؛ لذلك توافد عليها العلماء المشارقة، فقرطبة لم تعد تجذب إليها الغرباء بعد الفتنة الأندلسية، ومثال ذلك ما ذكره المقري عن العالم الوافد على الأندلس إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ أواخر القرن التاسع الميلادي الذي استقر في البداية بقرطبة، حيث قال: "ولما ثارت الدولة العامرية أوى إلى إشبيلية، وأوطنها داراً، واتخذها قراراً"[2]، ومن مؤشرات زوال حاضرة قرطبة ما حصل في بداية النصف الثاني من القرن السادس الهجري وبالضبط في تاريخ 554هـ/1159م حيث حاصرها ابن مردنيش[3] مستعينا بالنصارى[4].

إن الذين زاروا بلاد الأندلس كانوا أعظم عدداً من الذين زاروا بلاد المغرب، وذلك لتفضيل العلماء المشارقة الأندلس على بلدان المغرب[5].

ولعل نخبة من العلماء المشارقة الذين دخلوا بلاد المغرب اجتازوها -لا غير- لقصد الأندلس بعد الراحة، فبلاد المغرب كانت "بمنزلة الجسر الرئيس الذي تعبر عليه التيارات الفكرية المشرقية والأندلسية"[6]؛ إلا أننا لا ننفي قصد الكثير منهم بلاد المغرب للاستقرار بها رغبة منهم في كرم وطيب أهله ووفرة منتوجاته[7].

ومؤكد أن بعض المشارقة بوصولهم إلى المغرب تواترت إليهم أخبار الأندلس فرحلوا إليها مثلما حصل مع المغني البصري القادم من المشرق على المعز بن باديس فلما "وصف له بلاد الأندلس وحسنها وطيبها ارتحل المغني إليها"[8].

إضافة إلى أن العدوة المغربية لا تسمح ولا تشجع بالاستيطان والنبوغ للعلماء الغرباء فالدول القائمة في المنطقة كانت دوما متناحرة فيما بينها، علاوة على أنها دول قائمة على عصبيات قبلية مما يؤثر على الاستقرار فيزيل الأمن ويؤدي إلى كثرة الثورات، كما عرفت المنطقة حكم دولة تعادي بمذهبها المشرق والمغرب آنذك فموقع العبيديين على بوابة المغرب

---

[1]- نفسه، ص267.
[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص69.
[3]- ابن مردنيش: أحد الثائرين الذين ظهروا بالأندلس في أعقاب دولة المرابطين مستعينا بالنصارى ضد الموحدين. ابن صاحب الصلاة عبد الملك، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1384هـ/1965م، ص115- هامش رقم1.
[4]- نفسه، ص115.
[5]- الطاهر محمد توات، المرجع السابق، ص47.
[6]- عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص240.
[7]- نفسه، ص240.
[8]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص148.



الشرقية المحاذية للعباسيين وامتداد سلطتهم غربا حتى أموبي الأندلس جعل أغلب الرحلات تكون في تلك الفترة عبر المسالك البحرية والرحلات الطويلة بين المشرق والأندلس طيلة الوجود الفاطمي بالمغرب.

وبعد العبيديين ستعرف المنطقة حكم سلالات مغربية لا تشجع بلاطاتهم على التوافد والنشاط للغريب القادم، إضافة إلى أنها عبارة عن دول أو إمارات وليست دول خلافة لتباهي بالتمازج في بلاطاتها كحال الأمويين في الأندلس "إن استقلالية الأندلس من الخلافة العباسية منذ إعلان الخلافة الأموية سنة 316هـ/929م قد أعطى للأندلس القدسية الروحية للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس"[1].

ولا ننسى تأثيرات حملات الهلاليين على بلاد المغرب التي استمرت طويلا، فقد كانوا يثورون على الحكومات المركزية في المناطق الشرقية خاصة وهي مناطق حساسة لأنها حدودية بين بلاد المشرق والمغرب، وتمثل نقطة البداية للتوافد المشرقي على بلاد المغارب.

كما كانت المدن الساحلية المغربية ذات الموانئ التجارية مقصدا للعلماء المشارقة والتي مثلت بعض منها مراكز العلم والتجارة في نفس الوقت كبجاية والمرية الأندلسية.

وعلى الرغم من كثافة اتجاه العلماء المشارقة نحو الحواضر الكبرى عامة، نجد أن هناك حالات قصد فيها هؤلاء مراكزا ومدنا مغربية صغيرة وتلك عوامل تتوافق مع تطلعات القادمين من بلاد المشرق إلى المغرب الإسلامي.

وبالربط بين موقعي الجغرافية: المناطق الأصلية وأقاليم الوفادة؛ نستنتج ما يلي:

- الارتباط المذهبي للمدن: فالقادمون من البصرة يقصدون تيهرت مقر حكم الإباضية في المغرب، حيث مثلت البصرة في القرون الإسلامية الأولى أهم مركز دعوي إباضي في الفترة الأموية"[2]، حيث كانت تكوِّن وترسل الدعاة إلى المغرب وحتى بعد تأسيس الدولة الرستمية ظل الترابط عن طريق الوافدين الذين سجلنا أسماءهم مثل أبي غانم الخراسني، وشعيب بن المعروف فهؤلاء إن لم يكونوا بصريي الأصل فقد توجهوا إلى البصرة قبل وفادتهم على بلاد المغرب.

---

[1]- صورية متاجر، الاتصال الوثائقي في الأندلس على ضوء تراجم الصلة لابن بشكوال-عرض بيبليوغرافي-، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014م، ع7، ص20.
[2]- غازي الشمري، دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، Service Impressions S M D، وهران، 2014م، ص83.



- الارتباط السياسي للأقاليم: ارتبطت الشام بالأندلس لاعتبار هذه الأخيرة باعثة حكم الأمويين الذي كان بالشام، وارتبط المغرب الأدنى على عهد الأغالبة بالدولة العباسية في العراق بحكم تبعيته لها.

- ارتباط عواصم الخلافة: ارتبطت بغداد بقرطبة لاعتبارهما عاصمتي خلافة، فمن لم ينشط في الأولى يرحل إلى الثانية، فقد أمدت بغداد قرطبة بخيرة علمائها في كل الميادين.

ما يستنتج أن هذه الرحلات المشرقية إلى المغرب لم تكن مقتصرة على مدينة واحدة، بل منتشرة في أغلب مدن بلاد المغرب الإسلامي.

2- التوزيع الزمني: إن المقياس المعتمد في هذا الترتيب يكون حسب تواريخ الوفادة للأعلام العلماء المشارقة وليس تواريخ الوفيات.

أ- حسب القرون:

بلاد المغارب / الزمن حسب القرون	بلاد المغرب	الأندلس	بلاد المغارب	المجموع في كل قرن
2هـ/8-9م (140-199هـ/757-814م)	8	7	1	16
3هـ/9-10م (200-299هـ/815-911م)	5	12	14	31
4هـ/10-11م (300-399هـ/912-1008م)	2	13	6	21
5هـ/11-12م (400-499هـ/1009-1105م)		20	7	27
6هـ/12-13م (500-599هـ/1106-1202م)	3	7	6	16
7هـ/13م (600-668هـ/-1269م)	4	11	10	25
مجهول وقت الوفادة	1	1		2
العدد الإجمالي لكل قرن	23	71	44	138

جدول رقم (4): توزيع زمني للعلماء المشارقة القادمين حسب القرون في الدراسة.

يتوزع هؤلاء القادمين على ستة قرون، ابتداء من القرن الثاني للهجرة/8م إلى غاية القرن السابع الهجري/13م، ولعل الدراسة تشمل أهم نماذج علماء المشارقة القادمين في كل قرن، حيث استمر هذا التوافد مع العلماء المشارقة طيلة العصور الوسطى.

إن المتمعن في التوزيع الزمني يلاحظ بداية ارتفاع لعدد الوافدين من القرن الثاني للهجرة إلى غاية القرن السادس الذي سيعرف انخفاضاً في عدد العلماء الداخلين ثم يرتفع في القرن الأخير والذي كانت فيه بلاد المغارب موحدة تحت راية الموحدين.

في القرن الثاني الهجري سجلت بلاد المغرب أكثر الوافدين، لتتصدر الأندلس الوجهة خلال القرنين المواليين وحتى القرن الذي يليهما وهو القرن الخامس الذي ينعدم فيه التوافد على بلاد المغرب للظروف التي أشرنا إليها سابقا والمتمثلة في الوجود الهلالي، ثم يرتفع العدد في القرن الأخير ودوما تكون الكفة لصالح الأندلس.

إن التصنيف الزمني حسب القرون يؤدى إلى معرفة ظروف الهجرة من المشرق "ضعف الخلافة والحكومة المركزية في بغداد"[1] أولا؛ كما يؤدى إلى معرفة أسباب اختيار المنطقة الوافد عليها ثانيا؛ كاستبعاد مناطق الحروب والثورات لانعدام الأمن فمثلا القرن الخامس الهجري/11م الذي يعتبر مرحلة حساسة في بلاد المغرب حيث أن الفتنة الهلالية في إفريقية منعت الكثير من العلماء المشارقة من التوجه إلى المغرب أو المرور عبر أراضيه، كما دفعت بعضا منهم والذين استقروا بالمغرب إلى الهجرة والبحث عن موطن جديد فكانت الوجهة الأندلس، ومثال ذلك أبو الفضل الدارمي البغدادي الذي استوطن مدينة سوسة لمدة عشر سنوات حيث أشار إلى أوضاع المغرب وفتنة العرب في إفريقية في رسالته إلى ابن المثنى وزير ابن ذي النون يستأذنه في الوفادة على الأندلس واصفا بلاد المغرب بقوله: "وكنتُ مررتُ ببلاد شموس الفضائلِ في آفاقِها مكسوفةٌ، وعيونُ العلمِ والآدابِ في عَرَصَاتِها مَطْروفةٌ، وستائرُ الأحرارِ بينَ أهْلَها مَهتوكةٌ مكشوفةٌ، وجَنَبَاتُهَا بأَنواعِ البلاءِ مَحْفوفةٌ، وقد نَضَبَتْ في رباعها مياهُ الأَمانةِ والأَمانِ، ونَبَعَتْ بيْنَ أهلها عيونُ الخِيانةِ والبُهتانِ، وضَعُفَ حَبْلُ الدِّيانةْ فيهم والإيمانِ، ... وتوسَّعوا في مُطاوعةِ الظُّلم والعدوانِ، فأبدلهم اللهُ من النّورِ في أحوالِهم ظلاماً... وخصَّ أسعارَهم بالغلاءِ، وَجمْعَهُم بالفَنَاءِ، ولفيفَهم بالتشتّتِ والجَلاءِ، ولِلخرابِ ما يَعْمُرون، وللقتلِ ما يَلِدونَ، وللنَّهبِ ما يَجمعونَ وللنّهبِ ما يَجمعونَ، ولغيْرهم ما يَكسِبون، «وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ»[2]، «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ

---

[1]- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص126.

[2]- وتمام الآية: «وَلَئِنَ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ». سورة هود - الآية: 8.

إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ»[1]"[2]؛ إضافة إلى حركة الأمير التركي شاه ملك القادم من مصر نحو بلاد المغرب التي انتهت سنة 489هـ/1096م[3].

بالبحث عن سبب تناقص عدد الوافدين في القرن السادس الهجري فالمنطقة شهدت مجموعة اضطرابات سياسية من احتلال النورمانديين لسواحل المغرب الأدنى وتواجدهم بصقلية والهجمات الهلالية وثورة بني غانية[4] وهجمات قراقوش الأرميني.

وفي القرن السابع الهجري/13م يبدو التأثير الواضح لحملات الموحدين التي كانت بدايتها سنة 553هـ/1158م لاسترجاع المهدية وتحرير المغرب الأدنى من الاحتلال النورماندي وإخضاع المناطق الشرقية - القبائل العربية وحلفائها- للسلطة[5].

نستشف من البيانات الواردة في الجدول والتحليل أعلاه أن العلماء المشارقة جاؤوا إلى بلاد المغارب في فترات مختلفة وتصاعد عدد العلماء المشارقة القادمين من قرن إلى آخر؛ كما تحكمت في ظاهرة التوافد العلمي المشرقي الظروف السياسية التي مرت بها المنطقة المغاربية.

ب- حسب الدول القائمة في بلاد المغارب: ما تجب الإشارة إليه مسبقا في هذا الصدد، أن هناك صعوبة اعترضت هذا الإحصاء والمتمثلة في طريقة تعداد العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب (بلاد المغرب وبلاد الأندلس وصقلية) كافة لاعتبار وجود ثلاثة أقاليم متباينة.

لتغطية الفجوة كان لابد من وجود حل وتحديد طريقة عملية فعالة تمثلت في تعداد العلم الوافد على بلاد المغارب (المغرب والأندلس وصقلية) مرتين؛ أما الوافد على كل أقاليم بلاد المغارب فيحسب لوحده؛ والحاصل العددي يقسم على اثنين، وذلك لكي لا نهمل أحد الدول المغربية أو الأندلسية.

إن الدول القائمة في بلاد المغارب والمصنفة في الجدول أدناه كانت بلاطاتها مقصدا للعلماء المشارقة تصنف كدول "استقلت استقلالا تاما سياسيا وروحيا عن الخلافة العباسية"[1]، منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

---

[1]- سورة هود - الآية: 102.
[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج3، صص308-309.
[3]- لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقية، صص99-100.
[4]- بغداد غربي، المرجع السابق، ص39؛ وص113.
[5]- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين-، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1985م، صص26-63/ بغداد غربي، المرجع السابق، ص115.

الدول والمنطقة	بلاد المغرب									بلاد الأندلس				صقلية	مجهول الوفادة	وافد عل كل بلاد المغارب	المجموع
	ما بقي من عهد الولاة في المغرب الأدنى إلى حكم الأغالبة(140-184هـ/757-800م)	الأغالبة(184-296هـ/800-908م)	الرستميين(160-296هـ/776-908م)	الأدارسة(172-375هـ/788-985م)	العبيديين(296-362هـ/908-972م)	الصنهاجيين/الحماديين(362-547هـ/972-1152م)	المرابطين (488-541هـ/1095-1156م)	الموحدين (524-668هـ/1129-1269م)		الحكم الأموي(138-422هـ/755-1030م)	دول الطوائف (422-479هـ/1030-1086م)	المرابطين في الأندلس(482-539هـ/1089-1144م)	الموحدين في الأندلس(541-644هـ/1146-1246م)	صقلية الإسلامية الأغالبة والعبيديين وإمارة الكلبيين (212-484هـ/827-1091م)			
عدد الوافدين - المغرب	1	4	3	3	4			7							1		23
عدد الوافدين - الأندلس										36	14	5	15		1		71
عدد الوافدين - بلاد المغارب - في المغرب	2	1 2	1		4	7	3	13	في الأندلس	22	4	4	12	1 على صقلية فقط 1 وافد صقلية مع الأندلس 1 وافد صقلية مع المغرب		1	(1+3+42+42 =88÷2=44)
	المجموع 42 [42+ واحد وافد على صقلية فقط+ واحد وافد على الأندلس وصقلية=44]									المجموع 42 [42+ واحد وافد على صقلية فقط + واحد وافد على صقلية والمغرب فقط (ولا يحسب الوافد على صقلية مع الأندلس) =44]				المجموع: 3		المجموع: 1 شخصية وافد على كل بلاد المغارب تضاف إلى مجموع المغرب والأندلس وصقلية	44
المجموع	3	16	4	3	8	7	3	20		58	18	9	28	2	2	1	138

جدول رقم(5): توزيع زمني للعلماء المشارقة القادمين حسب الدول القائمة بالمغارب حسب الدراسة.

شهدت الإمارة الأموية والتي غدت خلافة توافد أكثر عدد من العلماء المشارقة وذلك لمحاولات الأمويين اجتذاب العلماء إلى قرطبة لمضاهاة العباسيين، وتأتي بعدها دولة الموحدين التي وحدت كامل بلاد المغارب والتي كانت لها روابط مع أيوبيي المشرق من خلال الرسل والسفارات المتبادلة وقد شملت دراستنا ذكر اسم علمين منهما.

[1]- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص127.

وفي المرتبة الثالثة من حيث عدد الوافدين نجد دول ملوك الطوائف فقد تسابقوا هم الآخرين في استقطاب أكبر عدد من العلماء المشارقة الوافدين على الأندلس إلى بلاطاتهم، لتأتي بعدها دولة الأغالبة في إفريقية لاعتبارها ولاية عباسية تابعة للمشرق؛ ومن العوامل المتحكمة نوعا ما في هذا التوزيع نجد:

- الأمن والاستقرار داخل الدولة.
- نوع الحكم خلافة أو إمارة، ومذهب الدولة وطبيعة الحكام.
- فترة الدولة: فالدولة الأموية في الأندلس عمرت طويلا، والعكس في الدول محدودة الزمن.
- الجغرافية الشاملة: وحدة العدوة الأندلسية في القرون الأربعة الأولى مقابل عدة دول في بلاد المغرب؛ ثم فترة الموحدين الذين وحدوا كل بلاد المغارب، في حين كانت الدول السابقة دول محدودة الجغرافية.
- التبعية للمشرق: ونقصد الأغالبة.
- التنافس والأبهة في السلطان كملوك الطوائف.

*** توزيع العلماء المشارقة القادمين حسب عدد الرحلات:** في حال التصريح برحلتين أو أكثر كان التصنيف حسب تاريخ الرحلة الأولى.

عدد الرحلات	المصرح برحلة	المصرح برحلتين	أكثر من رحلتين	المجموع
بلاد المغرب	23			23
الأندلس	70	1		71
بلاد المغارب	42	1	1	42
المجموع	135	2	1	138

جدول رقم(4): توزيع عدد رحلات العلماء المشارقة غربا حسب الدراسة.

إن الغالبية الكبرى للعلماء المشارقة الوافدين الذين قصدوا بلاد المغارب كانت لهم رحلة واحدة فقط لذلك سنحتاج إلى معرفة المستقرين من العائدين ومجهولي المصير والمتوفين في بلاد المغارب.

*** توزيع العلماء المشارقة في بلاد المغارب حسب المقيمين والعائدين:** يتم تصنيفهم حسب المعطيات؛ فكثير من العلماء المشارقة الوافدين استوطنوا بلاد المغارب والبعض عادوا والبعض الآخر في حكم المصير المجهول، كما خصصنا تصنيفا مستقلا للذين هموا بالعودة ولكن سابقتهم الآجال مما يعني أن مقصدهم الزيارة فقط؛ وكذا الذين ماتوا ولا نعلم إن كان

قصدهم الاستقرار لذلك فضلنا ذكر ذلك منفردا عن الذين قتلوا أو طردوا؛ أما عن بعض الأصناف فقد وزعناهم حسب مهنهم في الحياة أو ما اشتهروا به، ونقصد فئتي:

- التجار: فمن لم تقدم لنا المصادر معلومات حول عودتهم اعتبروا عائدين لأن التاجر دوما يعود إلى وطنه، فمقصده ربط التجارة بالرحلة العلمية ويُستثنى منهم المصرح بغير ذلك.

- الرحالة والسائحون أيضا يُصنفون دوما ضمن العائدين ويُستثنى منهم المصرح بغير ذلك.

المصير / المنطقة	استوطن	عاد للمشرق	مات بالمغرب: توفي في طريق العودة	توفي	قتل	طرد	مجهول المصير	المجموع
بلاد المغرب	11	4		1			7	23
الأندلس	12	10	2	11	1		35	71
بلاد المغارب	22	12	3	2	1	1	3	44
المجموع	45	26	5	14	2	1	45	138

جدول رقم (7): توزيع مصير العلماء المشارقة القادمين على ضوء الدراسة.

لقد آثر الكثير من علماء المشارقة بلاد المغارب على وطنهم فاستوطنوها وتنقلوا داخلها وأقاموا في حواضرها وتزوّجوا منها وتعلموا بها، وأفادوا بعلمهم أهلها فألفوا وأمْلوا ووصلوا إلى قمة مجدهم العلمي فيها، وأقاموا علاقات مع رجال السلطة والعلم، فاشتهر أمرهم في كل بلاد المغارب، يقول المقري: "... ومنهم من اتخذها وطناً، وصيرها سَكَناً، إلى أن وافته مَنِيَّته"[1]؛ وبذلك فضلوا البقاء في البيئة الجديدة التي تأقلموا معها لميزاتها ومكانتها العلمية، وهؤلاء أكثر إفادة من العلماء المشارقة الزائرين فقط.

يعتبر أولئك المستقرين من العلماء المشارقة المُغرِبين رابطاً متيناً وصلة وصل بين المشرق وبلاد المغرب، ويرى ابن حزم الأندلسي أن من هاجر من العلماء إلى بلدٍ واستقر فيه حريّ به أن يُنسب إلى بلد مُستقرّه[2]، وبذلك غدا المشارقة مغاربة الدار.

ومكث آخرون زمناً فيها ثم عادوا إلى مواطنهم الأصلية، وهؤلاء هم الزائرون فبعد أن تزودوا علما من حواضرها، وتجارة ومالا من أسواقها، ومكانة وشرفا في قصور حكامها، عادوا إلى أوطانهم؛ ومنهم من أطال الإقامة فوصل عقدا من الزمن، ومنهم من قصر إلى

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص5.
[2]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص10.



السنة فقط، وذلك أمر يرتبط بهدف تواجده غربا يقول المقري: "ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قُضيت أُمْنِيتَّه"[1].

وبالعودة إلى تراجم العلماء المشارقة الذين قتلوا أو طردوا من المغارب نجد بعضا منهم امتهنوا أو كانوا على دراية بالعلوم الممنوع تداولها كالفلسفة وعلم الكلام، فليست كل العلوم الآتية من المشرق مقبولة عند المغاربة فقد رفضت الفلسفة مثلا في أكثر العهود، كما رفضت مؤلفات بعض العلماء المشارقة، مثل ما يخص علم أصول الدين.

والحقيقة أن القضية بالنسبة لهذه العلوم الوافدة مع المشارقة المقبولة والمرفوضة لا تتعلق بدولة مغربية معينة كما وضح الشُبَيْبي فهي "تتصل بشكل ما بموقف المالكية من علم الكلام والجدل في الدين"[2].

والبعض الآخر تعرض للقتل أوالطرد لظروف سياسية تقاس بأزمان توافدهم كزمن الفتن، أو نتيجة الحسد والتنافس بين العلماء المشارقة والمغاربة في البلاطات على المناصب.

وعموما لم تقف السلطات المغربية حائلاً أمام العلماء المشارقة القادمين في اختيار الحواضر التي ينزلون بها، فكانوا يقصدون أكثر المدن اشتهارا وعلماً، ويزورون أبرز العلماء، ويجولون بحرية في بلاد المغارب.

كان استعمالنا لتلك الجداول تلخيصا لتلك المعطيات في شكل أرقام، وأعقب كل جدول تحليل لتكون الفائدة؛ فالأعداد تلخص رؤية عامة حول الموضوع، والتحليل يبحث في العوامل والظروف التي تحكمت في التوزيع الجغرافي والزمني للعلماء المشارقة في بلاد المغارب.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص5.
[2]- محمد رضا الشُبَيْبي، المرجع السابق، ص7.



الباب الثاني:

دور العلماء المشارقة في الحركة الفكرية ببلاد المغارب

الفصل الأول: العلوم والمعارف والفنون المشرقية الوافدة مع العلماء المشارقة إلى بلاد المغارب

أولا: العلوم النقلية الأصلية

ثانيا: العلوم النقلية التبعية

ثالثا: العلوم العقلية

رابعا: الموسيقى والغناء

أولا: العلوم النقلية

1- القرآن وعلومه: كل ما يتعلق بكتاب الله العزيز من: تعليم للقرآن والقراءات والتفسير والإعراب وسبب النزول والتأليف في ذلك.

في تعليم القرآن في بلاد المغرب، تمكَّن بعض الإباضية في جبل نفوسة من كتابة القرآن وحفظه على يد الواردين المشارقة الذين كانوا يمرُّون بجبل نفوسة؛ فقد روى الشماخي أن عمر بن يمكتن[1] الذي كان يعيش في جبل نفوسة في عصر الدولة الرستمية، إنما تعلم القرآن بواسطة جلوسه في طريق يمر بناحية غدامس[2]، حيث كان "يتلقّى فيه بالسَّابلة والمارّة من المشرق، فيكتب عنهم لوحة من القرآن وينصرف، فإذا حفظه رجع إلى المَحَجَّة، فيكتب عن المارّة والرّفاق، كذلك دأبه حتّى حفظ القرآن وتعلّم العلم"[3]، إذ المقصود بالعلم في النص هو المعارف والعلوم المتنوعة التي لها علاقة بالمذهب الإباضي لا علما واحدا.

يُعلق على ذلك محمد رجب عبد الحليم قائلا: "وهي رواية واضحة الدِلالة على كُثرة الواردين المشارق إلى بلاد المغرب سواء كانوا تجاراً أم علماء"[4].

وبالأندلس وفد عالم القراءات الذي غدا يعرف "بنزيل الأندلس ومُقْرئها ومُسندها"[5] الإمام أبو الحسن علي بن محمد التميمي الأنطاكي صاحب القراءات القرآنية المشهورة[6]، قال عنه ابن الفرضي أحد معاصريه بأنه: "أدخل الأندلس عِلماً جماً من القِراءات"[7].

وقد قرأ الناس عليه في الأندلس وكتبوا عنه وسَمِعُوا منه، ومِمَّن قرأ عليه جماعة من كبار علماء الأندلس منهم: ابن الفرضي، لقوله في ترجمته لهذا الوافد: "وسمعت أنا منه"[8]، وإبراهيم

1- عمر بن يمكتن (ت144هـ/761م): هو أصغر أولاد "دامَوا" الحمدانيّة بنت "درجو" امرأة يمكتن، من أعلام جبل نفوسة، تعلَّم القرآن الكريم وحفظه على السابلة في طريق غدامس، فكان يتلقَّى العرب القادمين من المشرق، ويتعلَّم منهم القرآن جزءا جزءا حتى حفظه؛ وباجتهاده ومجالسته العلماء صار منهم، فكان أول من علم القرآن بجبل نفوسة، بمنزل يقال له: "إفاطمان"؛ عيِّن واليا على سرت، وتوفي في معركة تاورغا. الشماخي، المصدر السابق، ص48/ محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص314.

2- غدامس: مدينة قديمة أزلية، كثيرة النخل والمياه، وأهلها بربر مسلمون لا يتلثمون، بينها وبين جبل نفوسة سبعة أيام في الصحراء. مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار– وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب- نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت، صص 145-146.

3- الشماخي، المصدر السابق، ص48/ رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، صص191-192.

4- نفسه، ص192.

5- المقري، المصدر السابق، ج3، ص144.

6- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص281/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص144.

7- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص281.

8- نفسه، ج1، ص282.

بن مبشر المقرئ[1]، وطائفة أخرى من قُرَاء الأندلس[2]؛ فقد ترك الأندلسيون علماءهم وانْدفعوا يقرأون على هذا الوافد[3].

ومن الأعلام المشارقة المشاركين في علم القراءات القادمين إلى الأندلس أيضا: العالم أبو سالم مُحَمَّد بن سُلَيْمَان الحرَّاني الظاهري الذي قرأ القِراءات السَّبْع بالمشرق[4]، والتاجر أبو بكر مُحَمَّد بن عبد الملك التُّسْتُري الحَنْبَلي الذي قال عنه ابن بشكوال: "وكان عَالماً بفنون علوم القرآن من قراءاتٍ وإعرابٍ وتفسير"[5]؛ وكذلك أبو محمد عبد الله بن محمد القارئ الخراساني، يقول ابن الأبار فيه: "ذكره أبو عمرو المقرئ[6] وقال: سمعته يقرأ مرات كثيرة، وكان من أحسن الناس صوتاً"[7]، والمُحفظ المُجوِّد الجوهري أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن الفارسي الذي قرأ القرآن على علماء القراءات بأصبهان[8].

أما من الوافدين الذين ألفُوا في هذا المجال فإننا نجد: أبا اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني الذي صنَّف في القرآن "كتاب سراج الهدى في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه"[9]؛ وأبا بكر محمد بن عبد الوهاب الدمشقي الواعظ الذي قرأ القراءات السبعة على شيوخ المشرق، وكان له باع في علم التفسير حيث كان يفتتح مجلسه الوعظي بالتفسير بعد الخطب، قال ابن الزبير: "وقفت على هذا التفسير بجملته باستعارة منه"[10].

2- علم الحديث: لعلم الحديث النَّبوي الشريف مكانة مُميَّزة عند المسلمين، الذين سعوا جاهدين للتمَكُن منه بالرحلة لأجله حتى أصبحت أسماؤهم مُتداولة ضمن أشهر سلاسل الحديث، فقد كانوا يسعون للقاء كل من له مقدرة في هذا العلم، وبخاصة أولئك المشارقة المُحدِّثين القادمين عليهم فهم أكثر فئة داخِلة بلاد المغارب؛ ولم يكتفِ المغاربة بالأخذ عنهم بل عَمِلوا على

---

[1]- إبراهيم بن مُبَشّر بن شَريف (ت 395هـ/1004م): أبو إسحاق البَكْري المقرئ الأندلسي، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الحسن علي بن محمد الأنطاكي، وكان يُقْرِئُ في دُكَّانه قرب المسجد الجامع بقرطبة، ويَنْقَطُ المصَاحِف، ويعلم المبتدئين. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، صص86-87.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص144.

[3]- ينظر ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص21.

[4] - نفسه، ج2، ص466.

[5]- نفسه، ج2، صص466-467.

[6]- عثمان بن سعيد(371-444هـ/981-1052م): أبو عمرو المقرئ الأموي ويعرف بابن الصَّيْرَفي، من أهل قرطبة، كان مالكي المذهب؛ رحل إلى المشرق ولما عاد سكن دانية حتى عرف بها، يعتبر أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرق إعرابه، ألف في ذلك تواليف كثيرة معروفة. نفسه، ج2، صص325-326.

[7]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص302/ وينظر المقري، المصدر السابق، ج3، ص138.

[8]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص164.

[9]- نفسه، ج1، صص147-148/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص1340.

[10]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، ص35.

التحقُقِ من حَدِيثهم وسلسلة رُواتِه فتجدهم يُثبِّتون أو يُضعِّفون أحاديث القادمين، ويَذْكرون صِفَة المُحدِّث القادم إن كان ثقةً حافظاً ضابطاً في النَّقل أو فيه شكٌ في ذلك.

من علماء الحديث المشهورين الذين وفدوا على بلاد المغرب: الإمام العجلي أبو الحسن بن صالح الكوفي نزيل طَرَابلس الغرب، يقول السيوطي: "قال عباس الدُّورِيّ[1]: كنا نعده مثل أحمد[2] وابن مَعين[3]"[4]؛ وابن المقرئ محمد بن إبراهيم بن زاذان الأصبهاني صاحب المُصنَّفات في علم الحديث؛ وكذا الوافد أبو المعالي شمس الدين محمود بن أبي القاسم الفارسي، وقد روى عنه أبو العباس بن إسحاق وأبو محمد عبد الله بن عبد الجليل بن علي بن عبد الجليل الأزدي القروي الحافظ وأبو زيد الفازازي[5].

ومن المُحدثين الرواة الذين وفدوا على الأندلس نجد: معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي[6]؛ وأبا جعفر أحمد بن الحسن النخعي الداخل على الأمير محمد بن عبد الرحمن، يذكر المقري أنه "كان يروي أحاديث عظيمة العدد، ذكر ذلك الرازي؛ وحكي أن الأمير محمد روى عنه منها"[7]؛ والشيخ الخُرَاسانيّ أبا عبد الله مُحمَّدُ بن عبد الله الذي روى عنه مُطَرِّف بن عبد الرحمن بن قَيْس[8] بالأندلس[9].

---

[1]- العباس بن محمد بن حاتم (185-271هـ/801-884م): أبو الفضل الدُّورِيّ، مولى بني هاشم البغدادي، من كبار أئمة علماء الحديث وأحد رجال المذهب الحنبلي. ابن الفرَّاء الحنبلي، المصدر السابق، ج2، صص156-163.

[2]- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف...عربي ينتسب إلى قيدار ابن اسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- (164-241هـ/780-855م): من كبار علماء الأمة وأحد أقطاب الأئمة الأربعة، فإليه ينسب المذهب الحنبلي، إمام في الحديث والفقه واللغة والقرآن والزهد والورع والسنة. نفسه، ج2، صص8-43.

[3]- يحيى بن مَعين بن عون - وقيل ابن غياث- بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن (158-233هـ/774-847م): أبو زكريا المُرِّي، إمام محدث ببغداد، حنبلي المذهب، مات بالمدينة. نفسه، ج2، صص530-538.

[4]- السيوطي، طبقات الحفاظ، ص246.

[5]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج8، السفر2، ص368/عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد (ت627هـ/1229م): أبو زيد الفازازي، ولد بقرطبة ونشأ بها، وروى عن عدة علماء حيث كان يتنقل بين العدوتين، وكتب للولاة، وكان عالماً بالآداب متصرفاً في فنونها كاتباً بليغاً شاعراً مجوداً مشاركاً في أصول الفقه، له معرفة بعلم الكلام، وقد غلب عليه التصوف، توفي بمراكش، وله العشرينيات في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم. التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبدالله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1398هـ/1989م، صص239-240.

[6]- النباهي، المصدر السابق، ص43/ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص84.

[7]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.

[8]- مطرف بن عبد الرحمن- وقيل عبد الرحيم- بن إبراهيم بن محمد بن قيس: (ت282هـ/895م): أبو سعيد مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، قرطبي، له رحلة سمع فيها سحنون، ومات بالأندلس. الضبي، المصدر السابق، ص430.

[9]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص101.

يقول ابن الفرضي: "قرأت بخط إبراهيم بن عبد الله بن مَسَرَّة[1]، أخبرنا مُحَمَّد بن يَحْيى[2]، قال (نا): مُحمَّد بن مِسْور[3] قال: (نا) أبو سَعيد مُطَرِّف بن عبد الرَّحْمن بن قَيْس، قال (نا) أبو عبد الله الخُرَاسَاني عن مُحَمَّد بن عبد الله، وابن عِيَاض الكُوفيّ، عن لَيْث بن أبي سَليم، عن عبد الرَّحْمن بنِ سَابط عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: «إنه كائن فيكم مَسخٌ، وخَسْفٌ، وقَذْفٌ»؛ قال رجُلٌ: يا رَسُول الله ونَحْنُ نَشْهَدُ ألاَّ إِلَهَ إلاَّ الله؟ قال: «نعم إذا شُرِبَت الخَمْرُ، وظَهَرتْ المَعَازِفُ، ولُبِسَ الحرير؛ فتوقعوا عند ذلك ريحاً حمراء تخرُجُ منَ الـمَغْرِب، عِنْد ذلك مَسْخٌ، وقَذْفٌ وخَسْفٌ»"[4].

ومن القادمين أيضا: أبو الصَّقْر مُحمَّدُ بن أحمد الهمداني من أهل خُرَاسان، حدَّث بِقُرْطُبَة في مجلس أحمد بن سَعيد وكتب عَنه[5]؛ وأبو بكر أحمد بن الفضل بن العبَّاس الدينوري الذي سمع الحديث من كبار أئمة علماء الحديث ببلاد المشرق وروى عنهم، وقد سُمع عليه بالأندلس ورُوِيَ عنه، يقول ابن الفرضي: "حَدَّث عنه جماعة من شيوخنا" وإن وصفه بأن "كانت عنده مَنَاكير، وقد تَسهَّل الناس فيه، وسَمِعُوا منه كثيراً"، فضلا عن أنه "لم يكن ضابطاً لما روى؛ وكان إذا أُتِيَ بكتابٍ من كتب الطَّبريِّ قال: قد سَمِعتُه منه، وسَمِعتُه يُقْرأ عليه، ويُحَدِّث به عنه"[6].

وإسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي الوارد على إشبيلية، حيث لقيه أبو عمر بن عبد البر (ت463هـ/1070م) عَلاّمة الأندلس فدرس عليه واقتبس ممّا لديه، وقد ذكره في

---

[1]- إبراهيم بن عبد الله بن مَسَرَّة بن نجيح: أبو إسحاق، من أهل قرطبة، سمع من الخشني ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس، ورحل مع أبيه وتوفي بالإسكندرية، ويذكر ابن الفرضي "لم أقيد تاريخ وفاته". ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص28.

[2]- محمد بن يحيى بن خليل (ت370هـ/980م): أبو عبد الله، من أهل قرطبة، سمع في الأندلس ورحل إلى المشرق وسمع بمكة ومصر وحَدَّثَ وولي أحكام الشرطة. نفسه، ج2، ص76.

[3]- مُحمد بن مسور بن عمر بن محمد بن علي بن مسور بن ناجية بن عبد الله بن يسار- مولى الفضل بن العباس بن عبد المطلب(ت 325هـ/936م): أبو عبد الله، من أهلِ قرطبة، روى عن مطرف بن قيس ومحمد بن وضاح وغيرهم؛ وحج ولم يسمع في رحلته من أحد، وكان ضابطاً لكتبه، ثقةً في روايته، حافظاً للفقه، بصيراً بالأقضية، مُشاوراً في الأحكام. نفسه، ج2، ص43.

[4]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص101/ ورد هذا الحديث مرتين في الجامع الصحيح للترمذي وبألفاظ مغايرة وما نقله ابن الفرضي فيه زيادة؛ في أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب 16، رقم الحديث 2152، وهو بلفظ مغاير وسنده عن عمر "إنِّي سَمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُول: «يَكُون في هذه الأُمَّةِ أوْ فِي أُمَّتي- الشكُّ مِنْه- خَسْفٌ أوْ مَسْخٌ أوْ قَذْفٌ في أَهْلِ الْقَدرِ»- هذا حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ"؛ وفي أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الخسف، رقم الحديث رقم2185، وسنده عن عائشة "قالت: قال رَسولُ الله صلى الله علي وسلم: «يَكُونُ في آخِرِ هذه الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وقَذْفٌ»، قالت: قُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ أنُهْلَكُ وَفِينا الصَّالِحونَ؟ قال: «نَعَمْ إذا ظَهَرَ الخُبْثُ» هذا حديثٌ غريبٌ من حديث عَائشةَ". الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، المجلد الرابع(الولاء والهبة - الأمثال)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلام، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، ص28 وص54.

[5]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص104.

[6]- نفسه، ج1، ص70.



تاريخ شيوخه[1]؛ والوافد أبو الحسين مُحمَّد بن العبَّاس، الذي روى عنه جماعة كبيرة بالمشرق خاصة الشاميين، فقد كان عنده إسناد الشام؛ يصفه صاحب تاريخ علماء الأندلس بأنه "كان أديباً حسن الأخلاق"[2]، ومن الذين أخذوا عنه في الأندلس: مُحمّد بن حَسَن الزَّبيدي الذي كتب عنه، قال ابن الفرضي: "حدَّثنا عنه، وهو-أي الزَّبيدي- دلَّنا عليه"[3]، كما كتب عليه ابن الفرضي نفسه وغيره من علماء الأندلس في وقته، حيث قال: "كتبت عنه جزءاً من حديثه وأخباره، وكان قد كفّ بصره...وسمع منه غير واحد من أصحابنا، وممن كتبنا عنه"[4].

والآخر: أبو مروان عبد الملك بن محمد السليماني الوافد الذي سمع منه علماء الأندلس الحديث النبوي الشريف، يقول صاحب تاريخ علماء الأندلس "كَتبنا عنهُ جزءاً من حديثه، وقد سمع منهُ غير واحد من أصحابنا، وكان ينزل المدينة"[5]؛ وكذا أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح الأنطاكي الذي كَتَب عنه ابن الفرضي من حِفْظِه[6]؛ والشيخ عبد القاهر بن محمد الموصلي القادم إلى الأندلس من المشرق الذي سمع منه أبو حيان[7]؛ وأبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله البَصْري الذي تجوَّل كثيراً ببلاد المشرق، وأخذ عن شيوخها ووصل إلى الأندلس واستفاد منه علماؤها، قال ابن بشكوال: "ذكره ابن خَزْرج، وذكر أنه سَمِعَ منه مارَوَاه"[8]؛ وكذا التاجر أبو هاشم مُحَمَّد بن الفَضْل القُرشي العبَّاسي، قال صاحب الصلة: "ذكره ابن خَزْرج وقال: دلَّنا عليه أبو بَكْر بن المـِيراثي لمعرفته به واجتماعه به بمكّة"[9]؛ وأيضاً أبو عبد الله محمد بن سَعِيد الكِلاَبي المدني الوافد، قال ابن بشكوال: "ذكره ابن خزرج وقال: حَملتُ عنه بعض روايته، وأباح لي الإخبار بسائرها"[10].

ومن علماء الحديث القادمين أيضاً: أبو بَكْر مُحَمَّد بن الحَسن الرَّازي الخراساني الذي جال لسماع الحديث بلاد المشرق والمغرب، فقد سُمِع وأُخذ منه بالأندلس، قال صاحب الصلة: "كان شيخاً صالحاً حليماً ديِّناً هَيِّناً متواضعاً حسن الخُلق"[11]، وحَدَّث عنه: أبو عمر بن عبد البَرِّ،

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص69.
[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص106.
[3]- نفسه، ج2، ص106.
[4]- نفسه، ج2، ص106.
[5]- نفسه، ج1، صص250-251.
[6]- نفسه، ج1، ص71.
[7]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.
[8]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص465.
[9]- نفسه، ج2، 466.
[10]- نفسه، ج2، ص467.
[11]- نفسه، ج2، ص467.



وأبو الوليد الباجِّي[1]، وأبو مُحَمَّد الشَّارفي، وجُمَاهِر بن عبد الرَّحمن[2]، وأبو مُحَمَّد بن حَزْم(ت456هـ/1063م) ؛ والحميدي صاحب جذوة المقتبس(ت488هـ/1095م)، يقول ابن بشكوال: "وقال الحُمَيْدي: دخل -أي أبو بكر بن محمد- الأندلس وسمعنا منه"[3].

والمشرقي الآخر: أبو البركات مُحمَّد بن عبد الواحد الزبيري الوافد على الأندلس، وحَدَّث بها عن جماعة من علماء الحديث المشارقة، منهم: القاضي أبو الحسن عليّ بن محمد الجراحي، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن جِبْرِيل العُجَيْفي، وأبو زيد المَرْوَزي[4]، وأبو القاسم بن الجلاّب[5]، وأبو بَكْر الأبهري، وأبو الحسن الدَّارقُطْني[6]، وأبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبان السِّيرافي، وأبو الحسين علي بن عِيسَى الرُّمَّاني[7] صاحب التّفسير، وأبو بَكْر بن إسماعيل الزرَّاع، وأبو الطَّيّب بن غَلْبُون[8]، وأبو حَفْص الكتاني المقرئ[9]، وأبو الفَرَج الشَّنْبُوذي[10] الذي يروي عن أبي مزاحم الخاقاني[11] قصيدته، وأبو القاسم الغرَّاب، وأبو أحمد السَّامري وغيرهم.

---

[1]- سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث (403-494هـ/1012-1100م): أبو الوليد الباجِّي القاضي المالكي، أخذ عن علماء الأندلس ثم رحل إلى المشرق سنة 426هـ/1034م فحج ثم ابتدأ بطلب العلم من الحجاز وبغداد والشام والموصل ومصر، ثم عاد للأندلس وحاز رئاسة العلم بها، وله مناظرات مع ابن حزم، وكانت وفاته بألمرية؛ ومصنفاته كثيرة مشهورة منها: الإستيفاء في شرح الموطأ وتفسير القرآن وفرق الفقهاء. ابن فرحون، المصدر السابق، صص197-200.

[2]- جُمَاهِر بن عبد الرَّحمن بن جماهر الحجري(ت466هـ/1073م): أبو بكر، من أهل طليطلة، رحل إلى المشرق للحج ولقاء العلماء، وهو فقيه على مذهب مالك، عارفاً بالفتوى وعقد الشروط وعللها، مشاوراً في الأحكام، عالماً بالنوازل والمسائل، سريع الجواب إذا سئل فيهما، وكانت العامة تُجله وتُعظمه. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، صص122-123.

[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص467.

[4]- محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (ت371هـ/981م): أبو زيد المَرْوَزي الفاشاني الفقيه الشافعي، من الأئمة الأجلاء، دخل بغداد وحدث بها، ثم خرج إلى مكة وجاور بها سبع سنين. ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، صص208-209.

[5]- أبو القاسم بن الجلاب (ت378هـ/988م): وقيل اسمه عبيد الله بن الحسين بن الحسن، وقيل محمد بن الحسين، وقيل الحسين بن الحسن، وقيل عبد الرحمن بن عبيد الله، شيخ المالكية ببغداد وأفقه المالكية في زمانه بعد الأبهري، صاحب كتاب التفريغ، مات في الطريق راجعا من الحج. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، صص383-384.

[6]- علي بن عمر بن مهدي الدَّارقُطْني(306-385هـ/918-995م): أبو الحسن البغدادي، شافعي مذهب، كان عالماً حافظاً فقيهاً إماماً في علوم القراءات عارفا باختلاف الفقهاء، انفرد بالإمامة في علم الحديث في دهره وتصدر للإقراء ببغداد، وكان يحفظ كثيراً من دواوين العرب، له كتاب السنن، المختلف والمؤتلف. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، صص297-299.

[7]- علي بن عِيسَى بن علي بن عبد الله الرُّمَّاني(296-384هـ/908-994م): أبو الحسين، وقيل أبو الحسن، أصله من سامراء، ومولده ببغداد، باحث معتزلي مفسر، من كبار النحاة، توفي ببغداد، له نحو مائة مصنف منها: كتاب التفسير والمعلوم والمجهول والأكوان والأسماء والصفات. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص317.

[8]- عبد المنعم بن عبيد الله بن غَلْبُون بن المبارك(339-389هـ/950-999م): أبو الطَّيّب، ولد بحلب وسكن مصر، أديب عالم بالقرآن ومعانيه، له شعر جيد، من كتبه: الإرشاد في القراءات السبع والإستكمال لبيان مذاهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة. نفسه، ج4، ص167.

[9]- عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير الكتاني (300-390هـ/912-1000م): أبو حَفْص المقرئ، من أهل بغداد، له الأمالي وأجزاء من الحديث. نفسه، ج5، ص38.

[10]- محمد بن أحمد بن إبراهيم الشَّنْبُوذي(300-387أو388هـ/912-997-998م): أبو الفَرَج المقرئ، يعرف بغلام بن شنبوذ، له من التصانيف كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن وكتاب التفسير ولم يتم. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، صص2326-2327.

[11]- موسى بن الوزير عبد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني (ت325هـ/936م): أبو مزاحم، ، البغدادي المقرئ، المُحدِّث السُّنِّي، من آثاره: قصيدة في التجويد والقصيدة الخاقانية في القراءة. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج4، ص136.

حَدَّث عنه في الأندلس جماعة، منهم: ابن حَزْم والدَّلاي[1]؛ وأيضا أبو مُحَمَّد بن خَزْرَج، وقال ابن بشكوال: "كان ثقةً متحرِّجاً فيما ينقله... لقيته بإشبيلية وأخذْتُ عنه سنة أربعٍ وثلاثين وأربعمائة "[2] الموافق لـ 1042م.

والقادم أبو عبد الله الحُسَيْن بن الحَسَن الدِّمياطي، وقد حَدَّث بِطُلَيْطُلة و بَطَلْيَوْس حيث لقيه بها أبو علي الغسَّاني، وأخذ عنه هو وغَيْرُ واحد من رجال الأندلس.

يقول ابن بشكوال: "قرأت بخطِّه: (نا) أبو الحسن سَهْل بن محمد بن الحسن بن الصُّوفي الأديب قال: (نا) أبو عبد الرحمن السّلمي[3]، قال: سمعت أبا العباس محمد بن الحسن بن الخشَّاب(من العلماء المشارقة القادمين) يقول: سمعت ابن الأعرابي[4] يقول: كان أبو حاتم العطَّار البَصْري[5] إذا رأى الصُّوفيَّة وعليهم المُرَقَّعات والفُوَط يقول: «يا سادتي! قد نَشَرْتُم أعلامَكم، وضربتم طُبُولَكم، فيا ليت شعري عند اللقاء أيّ رِجَال تكونون؟»"[6].

والتاجر أبو الحسن بن الخشاب المبارك بن سعيد الداخل الأندلس، وقد أسْمَعَ بقرطبة وأَخَذَ عنه: أبو علي الغَسَّاني، وغيره من شيوخ ابن بشكوال[7]؛ والتاجر أبو الحسن علي بن أحمد الربعي المقدسي الشافعي الذي كان له سماع في بغداد والقدس، فأفاد منه علماء المغرب والأندلس؛ وممن حدث عنه القاضي عياض[8].

قال ابن بشكوال: "أخْبَرنا عنه القاضي أبو الفَضْل بن عِيَاض، وهو أفادَنِيه بخطِّه، وقال: أخْبَرنا أبو الحسن هذا، عن أبي بكر الخطيب، عن أبي حازم العَبْدري، عن أبي بَكْر الإسماعيلي (نا) عبد الله بن ياسين، (نا) عَبْدُون بن أبي عُبَادة، (نا) يَحْيَى بن هَاشِم، عن

---

[1]- أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث الزُّغبيّ العذريّ (393-478هـ/1003-1085م): أبو العباس، المعروف بابن الدَّلاي، فاضل أندلسي، من قرية دلاية، من أعمال ألمرية، له كتاب المسالك والممالك، ودلائل النبوة. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص185.

[2]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 463.

[3]- محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدي- من أزد شنوءة- (ت412هـ/1021م): أبو عبد الرحمن، يعرف بالسلمي، من نيسابور، من أكبر مشايخ وقته، سمع الحديث ورواه وأسنده، وهو صاحب كتاب طبقات الصُّوفية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، صص247-255.

[4]- أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم العنزي(340هـ/951م):أبو سعيد بن الأعرابي البصري الصوفي، نزيل بمكة، وشيخ الحرم، كان كبير الشأن، بعيد الصَّيت، عالي الإسناد؛ ألف عدة كتب مهنا: مناقب الصوفية. نفسه، ج15، صص407-412.

[5]- أبو حاتم العَطَّار البَصْري: من أعلام الصوفية، أستاذ الإمام الجنيد، وقيل أنه كان أول من تكلم بعلم الإشارة. الجامي أبو البركات عبد الرحمن، نفحات الأنس من حضرات القدس، الأزهر الشريف، د.ت، صص152-154.

[6]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص134/ وينظر هذا القول عند الجامي، المصدر السابق، ص152.

[7]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص490-491.

[8]- الصلة، المصدر السابق، ج2، ص346.



مِسْعر، عن قَتَادة، عن أَنَسَ، عن النبي صلى الله علي وسلم قال: «مع كلّ خَتْمَة دعوة مُستجابة»[1]"[2].

وأبو بكر عمر بن عثمان الخراساني الذي قدم الأندلس فحدث بصحيفتي الأشج[3] وجعفر بن نسطور الرومي[4]؛ فكان يروي الحديث في غَرْناطة ومُرْسِية وغيرهما من بلاد الأندلس، وممن حدّث عنه أبو القاسم الملاحي؛ وسمع منه في مالَقَة أبو جعفر بن عبد الجبار، وأبو علي بن هاشم في صفر سنة 600هـ/1203م.

والذهبي أبو محمد عبد اللطيف بن أبي الطاهر الهاشمي الصوفي الذي دخل الأندلس، وأُخِذَ عنه وسُمِعَ منه، ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعفه بعدما سَمِع منه هو وأبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي وغيرهما[5]؛ وكذلك القادم أبو عبد الله محمد بن محمد القيسي، الذي كُتب عنه وسُمع منه، وكانت له رواية بغرناطة عن أبي محمد عبد المنعم بن الفرس[6] وأبي جعفر خيرون[7].

ومن النساء اللواتي وفدن على الأندلس وكان لهن تمكن في علم الحديث عابدة المدنية التي كانت تروي عشرة آلاف حديث، وتروي عن أنس بن مالك، قال عنها ابن الأبار: "إنها تسند حديثاً كثيراً"[8].

ومن الوافدين على بلاد المغارب من المحدثين نجد: ابن الأزْرَق أبا بَكْر محمد بن أحمد، يذكر ابن الفرضي أننا "كتبنا عنه جزءاً من حديثه"[9]، ولم يكن أبو بَكْر بن الأزرق هذا ممَّن يضبط الحديث[1].

---

[1]- لم يرد هذا الحديث في صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو سنن ابن ماجة أو الترمذي، وورد عند المناوي بنفس اللفظ «مَعَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ» تحت رقم 8183- حديث ضعيف. المناوي محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1391هـ/1972م، ص523.

[2]- الصلة، المصدر السابق، ج2، ص346.

[3]- عبد الله بن سعيد بن حُصين (257هـ/870م): أبو سعيد الأشج الكنديُّ الكوفيُّ، المفسّر، من أئمة الحديث وله عدة صاحب تصانيف. الذهبي، سيرأعلام النبلاء، ج12، صص182-185.

[4]- جعفر بن نسطور الرومي: من المحدثين وأحد الكذابين بإجماع علماء الأمة، زعم أنه عاش بعد النبي - صلى الله عليه وسلم- أكثر من 300 سنة. ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج6، ص271.

[5]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص145/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص65.

[6]- عبد المُنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي (524-597هـ/1129-1200م): أبو محمد، يعرف بابن الفَرَس، شيخ المالكية، ولي القضاء بجزيرة شُقَر، وبمدينة وادي آشي ثم بجيان ثم بغرناطة، وله عدة تواليف منها كتاب الأحكام. النباهي، المصدر السابق، ص110.

[7]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص168/ محمد بن خَيْرونْ: أبو جعفر الأندلسي، رحل إلى المشرق ووصل إلى العراق وسمع من علمائها، ورجع إلى القيروان واستوطنها وحدث بها. الضبي، المصدر السابق، ص72.

[8]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص139-140.

[9]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص107.

يقول ابن الفرضي: "وحدّث عَن ابن مليح الطرائفي بحديث أخطأ فيه، وهو حديث مُحمَّد بن إدريس الشافعي، عن مُحمَّد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن عن أنس، عن النبي- صلى الله علي وسلم-: «لا يزدادُ الأمر إلا شدَّة، ولا الدُّنيا إلا إدباراً» فوهم في إسناده"[2].

ويرفع ابن الفرضي الوهم عن هذا السند فيقول: "أخبرنا – أي ابن الأزرق- قال: (نا) أبو جَعْفَر أحمد بن مليح الطرائفي إملاء من حِفْظه بمصر، قال: (نا) الحسن بن عَرَفة، قال: (نا) مُحمَّد بن إدريس الشافعي، فأخطأ في اسم ابن مُليح وَكنيته.

قال أبو جَعْفَر أحمد بن مُليح: وإنما هو أبو عليّ الحسن بن يُوسف، وقال الحسن بن عَرَفة: وإنما هو يُونُس بن عبد الأعلىَ.

أبو عبد الله مُحمَّد بن أحمد بن مُفرِّج قراءة عليه، وأبو عمرو غَزْوان المازني الشيخ الصالح المقرئ إجازة بخطه قال (نا) أبو علي الحسين بن يوسف بن مُليح الطرائفي، وأبو الطَّاهر أحمد بن مُحمَّد بن عمرو المزيني، عن يُونس بن عبد الأعلى.

وأخبرنا أبو إسحاق أبو إبراهيم بن علي بن غالب التمار بلفظه من حفظه في جامع مصر العتيق قال: (نا) أبو عبد الله بن مُحمَّد بن الربيع بن سُلَيمان الجيزيّ، وجَعْفَر بن أحمد بن عبد السلام البَزَّاز، وأَبو جَعْفَر أَحمد بن إبراهيم بن كمونة، وبَكْر بن أحمد التنيسي، وابن نُعمان، وأبو جَعْفَر الحسين بن زَيْد التنيسي قالوا: (نا) يُونس بن عبد الأعلى.

وأخبرنا عبد الله بن مُحمَّد بن عليّ ومُحمَّد بن يَحْيَى بن عبد العزيز، قالا: (نا) أسلم بن عبد العزيز، قال: (نا) يُونس بن عبد الأعلى، قال: (نا) مُحمَّد بن إدريس الشافعي، قال(نا) مُحمَّد بن خالد الجندي، قال: (نا) أبَان بن صَالح عن الحسن عن أَنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزدادُ الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناس إلا شُحّاً، ولا تقوم الساعة إلا عَلَى شرار الناس، ولا مَهْدِيٍّ إلا عِيسَى بن مَرْيَم»[3]. ولفظهم واحد"[1].

---

[1]- نفسه، ج2، ص107.

[2]- نفسه، ج2، ص107.

[3]- ورد الحديث في سنن ابن ماجة في باب شدة الزمان(24)، ورقم الحديث4039 ونصه بالسند: "حدّثنا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إدْريسَ الشَّافِعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن خَالِدٍ الْجَنَدِيّ، عَنْ أَبَانَ بن صَالح، عن الْحَسَن، عَنْ أنس بن مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا اَلنَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، ولَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسى بن مَرْيَمَ». وإسناده ضعيف؛ وقال عنه الألباني في باب شدة الزمان رقم الحديث 4111: " ضعيف جدا ".ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، باب شدة الزمان(24) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، ج5(الأطعمة والزهد)، صص503-504/ محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن ابن ماجة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1417هـ/1997م ص328



وممَّن اختص بعلم الحديث واشتهر به من القادمين: الحافظ أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد التميمي البخاري، الذي جال البلدان طلباً للحديث، فسمع على عدة شيوخ ثقاة مشرقا ومغربا؛ ولقي في إفريقية العابد محرز بن خلف التميمي[2] وصَحِبه؛ يذكر ابن الأبار: "وقال -أي أبو زكريا عبد الرحيم-: لقد هِبْتُه- ويقصد محرز بن خلف- يوم لقيته هَيْبة لم أجدها لأَحد في نفسي من الناس"[3] وهذا دليل على عظمة علماء المغرب عند أهل المشرق فكانوا مقصدا للقائهم، فقد كانت شهرة بعض العلماء المغاربة تفوق حدود بلاد المغرب رغم جلالة هذا الوافد في العلم، حيث يصفه السيوطي نقلا عن السلفي بأنه "كان من الحفاظ الأثبات"[4]، كما يذكر ابن العماد اعتباره "من الحفاظ الثقات، والرَّحالين الأثبات"[5]، فضلا عن قول ابن تغري بردي فيه: "واتّفقوا على صدقه وثقته"[6]؛ لذلك كان أهلاً للأخذ عنه.

يقول المقري في هذا المُحدِّث في ختام ترجمته له: "والذي أعتقده أنّه لم يدخل الأندلس من أهل المشرق أحفظ منه للحديث، وهو ثقة عدل ليس له مجازفة، والحق أبلج"[7]، وهي شهادة حق صادرة من مغربي اتجاه عالم مشرقي وافد.

لقد عرف المغاربة قدر الرجل، فتسابقوا لسماع الحديث عنه؛ ومن الذين سمعوا منه: أبو عبد الله الرازي وذكره في مشيخته، قال ابن الأبار: "ومنها نقلت اسمه، وتعرّفت دخوله الأندلس وحدَّث عنه هو وجماعة... "[8].

وحدث عنه أيضا أبو مروان الطُّبني[9]"وقال هو من الرحالين في الآفاق، أخبرني أنه يحدّث عن مَئين من أهل الحديث"[10].

وسمَّى المقري وابن الأبار جماعة كبيرة من الرواة المغاربة والأندلسيين عنه، نذكر منهم: أبا عبد الله الحميدي، أبا بكر جماهر بن عبد الرحمن الطُّلَيْطلي، وغيرهم[1].

1- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص107.

2- محرز بن خلف بن رزين البكري التميمي من نسل أبي بكر الصديق(340-413هـ/951-1022م): مُؤدب، ومن كبار الزهاد، له رحلة إلى المشرق، عاصر العبيديين بالمغرب، استقر بمدينة تونس يُقرئ القرآن والحديث والفقه، وهو أول من سنَّ قراءة القرآن بإفريقية بعد الصبح عوض الذكر. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص284.

3- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص62/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص62-63.

4- السيوطي، طبقات الحفاظ، ص436.

5- ابن العماد، المصدر السابق، ج5، ص259.

6- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص85.

7- المقري، المصدر السابق، ج 3، ص64.

8- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص62.

9- عبد الملك بن زيادة الله أبي مضر بن علي السعدي التميمي الحماني(396-456هـ/1005-1063م): أبو مروان الطُّبني، من أعلام قرطبة، من بيت علم ونباهة، له رحلتان إلى المشرق، وله رواية بالأندلس، وعناية تامة في تقييد العلم والحديث والأدب والشعر. الفتح بن خاقان، المصدر السابق، صص158-160، وفي الهامش.

10- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص62.

ويورد الذهبي في ترجمته بعض من الأحاديث التي رواها الوافد؛ نذكر منها:

قال الذهبي: "أخبرنا عبد الله بن الحافظ، (انا) محمد بن إسماعيل، (انا) ابن ياسين، (انا) محمد بن أحمد، (انا) عبد الرحيم بن أحمد الحافظ، (انا) إبراهيم بن محمد بن يزداد الرازي ببخارى، (انا) ابن أبي حاتم، (انا) أبو سعيد الأشج، (انا) وكيع، عن الأعمش، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الواقع في حدود الله والمداهن فيها، كمثل قوم ركبوا سفينة فاستهموا عليها، فركب قوم علوها وقوم سفلها، فكانوا إذا استقوا آذوهم وأصابوهم بالماء فقالوا: قد آذيتمونا تمرون علينا، فأعطوا رجلا فأسا ينقب عندهم نقبا، قالوا ما هذا؟ قالوا: تأذيتم بنا فننقب عندنا نقبا نستقي منه؛ فإن تركوهم هلكوا وهلكوا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا»[2]" وعلق الذهبي بقوله: "هذا حديث صحيح غريب"[3].

وقال الذهبي: "أنبأني ابن علان وجماعة قالوا: أنبأنا القاسم بن علي بن الحسن، (انا) أبي، (أنا) علي بن مسلم، (انا) عبد العزيز بن أحمد، (انا) أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن نصر البخاري، (انا) أحمد بن علي بن نصر الكاتب، (انا) أبو نصر أحمد بن سهل، (انا) قيس بن أنيف، (انا) محمد بن سليمان المكي، (انا) عبد الله بن ميمون القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جده، عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم، واستاكوا، وتزينوا؛ فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك، فزنت نساؤهم»[4]، وعلق الإمام الذهبي لما أورد الحديث "هذا لا يصح، وإسناده ظلمة"[5].

وقال الذهبي أيضا: "قرأت على الحسن بن علي أخبركم جعفر بن منير، (انا) عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي، (انا) أبو جعفر أحمد بن يحيى بن الجارود، (انا) الحافظ عبد الرحيم بن

---

[1]- نفسه، ج3، ص61-63/ المقري، المصدر السابق، ج3،ص63.

[2]- ورد الحديث في صحيح البخاري تحت رقم 2686 في كتاب الشهادات- باب(30) القُرْعَةِ في المُشْكِلات- بلفظ مغاير: "حَدَّثَنا عُمَرُ بْنُ حَفْص بْنِ غيَاث: حَدَّثَنا أبي: حَدَّثَنا الأعْمَشُ: قال حَدَّثَني الشَّعْبيُّ: أَنَّهُ سَمِع النُّعْمَانَ بنَ بَشِير رضيَ اللهُ عَنْهمَا يَقُولُ: قال النَّبيُّ صلى الله علي وسلم: «مَثَلُ المُدْهِنِ في حُدُودِ اللهِ والوَاقِعِ فيهَا، مَثَلُ قَوْم اسْتَهمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ في أسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ في أعْلاهَا، فكَانَ الَّذي في أسْفَلِهَا يَمُرُّون بالْمَاء عَلَى الَّذينَ فِي أعْلاَهَا، فَتَأذَّوْا بِهِ، فأخَذَ فَأْسًا، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أسْفَلَ السَّفينَة، فَأتَوْهُ فَقالوا: مَا لَكَ، قال: تَأذَّيْتُمْ بي وَلا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاء، فَإنْ أخَذُوا عَلَى يَدَيْه أنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أنْفُسَهُمْ، وإنْ تَركُوهُ أَهْلَكُوهُ وأَهْلَكُوا أنْفُسَهُمْ». البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هـ/1998م، صص511.

[3]- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص1159.

[4]- لم يرد هذا الحديث في صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو سنن ابن ماجة أو الترمذي، وأورده الألباني ضمن سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة بزيادة فيه تحت رقم 7029؛ ونصه فيه زيادة: «اغْسِلوا ثيابَكم، وخذوا من شُعوركم، واسْتاكوا، وتزيَّنوا، وتنظَّفوا؛ فإنَّ بني إسرائيلَ لم يكونُوا يفعلونَ ذلك، فزنتْ نساؤُهم». ضعيف جدّاً. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السّيء في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1425هـ/2004م، ج14، ص1131.

[5]- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص 1158.

أحمد إملاء، (انا) محمد بن إبراهيم البصري ببيت المقدس، (انا) أبو الحسن أحمد بن سلام الطرسوسي، (انا) يعلى ومحمد ابنا عبيد قالا: (انا) الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة سمعت عليا يقول: "إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء، فإني والله لأن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أحب إلي من أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيننا فإن الحرب خدعة"[1]، ويقول الذهبي: "رواه مسلم"[2]؛ وهذا ليس بحديث وإنما سنده فقط وتمام ذلك الحديث في صحيحي البخاري[3] ومسلم.

ومن الوافدين أيضاً: التاجر أبو نصر سهل بن علي النيسابوري، الذي استفاد منه علماء المغرب والأندلس، وبخاصة القاضي عياض الذي ترجم له في "الغنية" حيث يذكر: "حدثني بحكايات وفوائدَ، وحدثني بأمالي الشيخ أبي بكر أحمد بن محمد ابن خلف الشيرازي سماعاً منه، وبكتاب الأربعين حديثاً للحاكم أبي عبد الله سماعه من أبي بكر الشيرازي عنه فيما ذكر، وبكتاب أصول الفصول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي عن الشيخ المفسر أبي الفضل أحمد بن عمر الميداني عنه، وأجازني جميعَ روايته"[4].

وكذا الوافد: أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن القيسي الدمشقي الذي لم يشتغل برواية الحديث إلا بآخره[5]، نقل المقري: "ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الأبار"[6].

وممن أخذ عنه: أبو الربيع بن سالم، وقال إنه أخذ عنه عند قدومه عليهم بلنسية، ثم لقيه بعد ذلك بغرناطة فقرأ عليه بداره[7].

يقول ابن الزبير: ذكره ابن الطيلسان وأخذ عنه، وذكره غير واحد ممن أخذنا عنه، ومن غيرهم؛ والشيخ في الذيل، وقال الملاحي: "صحبته... وأخذت عنه جميع ما كان عنده من الحديث"[1].

---

[1]- ورد في صحيح مسلم في كتاب الزكاة - باب التحريض على قتل الخوارج (48)، رقم الحديث 1066 ونصه بسنده وتمام الحديث: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ وعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيد الأشَجُ. جَمِيعًا عَنْ وَكِيع. قَالَ الأَشَجّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيّ: إذَا حَدّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَلأَنْ أَخِرّ مِنَ السّمَاءِ أَحَبّ إِلَيّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَإِذَا حَدّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَم، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كَمَا يَمْرُقُ السّهْمُ مِنَ الرّمِيّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مسلم النيساوري، صحيح مسلم، ص474.

[2]- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، صص 1158-1159.

[3]- في صحيح البخاري، في كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث:6311، بلفظ وسند مغاير عن مسلم. البخاري، صحيح البخاري، ص690.

[4]- القاضي عياض، الغنية، ص209.

[5]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5، ص270.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.

[7]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5، صص271.

وقد سمع منه: أبو جعفر بن الدلال كتاب "المعالم" لأبي سليمان الخَطابي في شرح "سنن أبي داود" بقراءته جميعه عليه[2]؛ وحدث عنه جماعة من الجلّة، منهم: أبو جعفر بن عميرة الضبي (ت599هـ/1203م) وابنا حَوْط الله[3] وأبو العباس ابن الجيَّار[4].

والوافد أبو إسحاق إبراهيم بن خلف السنهوري، الذي حُكي أنه كان يروي موطأ أبي مصعب[5]، وصحيح مسلم بعلوّ[6]؛ وكذا القادم: أبو البركات عبد الرحمن بن داود الحافظ، قال ابن الأبار: "وادعى الرواية عن أبي الوقت السجزي، وعن أبي الطاهر السلفي، وأبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي، وأبي محمد المبارك بن الطباخ، وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي، وشُهدة الكاتبة بنت أحمد الإبري زعم أنه قرأ عليها صحيح البخاري، وجماعة بالمشرق والأندلس لم يلقهم ولا سمع عنهم، وربما حدث بواسطة عن بعضهم وأكثرهم مجهولون، وقفت على ذلك من فهرسة روايته، فزَهِدَ أكثر السامعين فيه واطرحوا الرواية عنه، ومنهم: أبو العباس، وأبوعبد الله بن أبي البقاء"[7].

يقول عنه ابن الزبير: "دخل المغرب والأندلس، فأخذ عنه بإشبيلية أبو العباس بن خرج بن مفرج النباتي وغيره، وبمرسية آخرون، منهم: أبو زكريا ابن عباس القسطنطيني أيام كونه بمرسية في رحلته، وشكروا ضبطه وتقييده، إلا أن النباتي ذكر في برنامجه أنه عثر له على تخليط يوجب استرابه، وقد أسند مع ذلك عنه؛ وأخذ عنه بقرطبة: أبو القاسم ابن الطيلسان؛ وأخذ عنه بفاس الرواية: أبو العباس بن فرتون[8]، وذكره في الذيل"[9].

3- علم الفقه: فيما يخص الفقه الإباضي- الأقدم زمنيا بالنسبة للدراسة- وفد: شعيب بن المعروف من فقهاء إباضية مصر الذي قدم إلى تاهرت، وقد تناقشوا معه في مجلس عقده الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

1- نفسه، ج5، صص271.
2- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص69.
3- ابنا حَوْط الله : هما أبو محمد عبد الله بن أبي سليمان الأندلسي الأندي المتوفى سنة 612هـ/1215م ؛ وأخوه أبو سليمان المتوفى سنة 621هـ/1224م.- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، ج1، ص394 وص399؛ وج10، ص3579.
4- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص68-69.
5- أحمد بن أبي بكر الزهري (ت242هـ/856م): أبو مصعب الفقيه، قاضي المدينة ومفتيها، تفقه على مالك وسمع منه الموطأ ولزمه مدة، وكان ثقة؛ ويقال موطأ أبي مصعب أي بروايته. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص192.
6- ابن الأبار، التكملة، ج1، صص149-150/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص135.
7- ابن الأبار، التكملة، ج3، صص53-54/ ابن الزبير، صلة الصلة، ج3، صص220-221/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص139.
8- أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن ابراهيم السلمي(ت666هـ/1262م): أبو العباس بن فرتون، مؤرخ من أهل فاس ونزل بسبة ودخل الأندلس وجال في مدنها وجلس للأخذ على علمائها، له كتاب الذيل على الصلة والإستدراك والإتمام وبرنامج ضمنه ما رواه. الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص274.
9- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، صص220-221.

يقول أبو زكريا: " فسأله الإمام رضي الله عنه عن الإمام الذي ولي بشرط أن لَا يَقْضِي أمراً دون جماعة معلومة؟، فأجابه شعيب: أن الإمامة صحيحة والشرط باطل؛ وسأله أيضا: هل يجوز تولية رجل في جماعة المسلمين من هو أعلم منه؟؛ فأجابه: يجوز ذلك"[1].

كما وفد: أبو غانم بشر بن غانم الخراساني صاحب المدونة في الفقه الإباضي، الذي قام عمروس بنسخ مدونته؛ وقد كان اعتماد الإباضية المغاربة في دراسة الفقه على هذه المدونة[2].

وتلاميذه المغاربة هم: الإمام أفلح بن عبد الوهاب، أخت الإمام أفلح ابن عبد الوهاب[3]، أخت عمروس بن فتح[4]، أبو حفص عمروس بن فتح المساكيني[5].

ثم دور العالم المشرقي الكبير ابن الجمع الذي وصل إلى بلاد المغرب في القرن الرابع للهجرة/ 10م، وصفه الدرجيني بقوله: "وكان ابن الجمعي رجلا من أهل الحيل والنظر، نحريرا"[6]، تتلمذ على يديه اثنان من أشهر إباضية المغرب وهما: أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، الذي صار واحدا من أئمة العلم الكبار[7]، وابن كيداد الذي تحول فيما بعد نكاريا، يقول الدرجيني: "وكان أبو الربيع إنما قرأ العلوم وتفقه ببلد سجلماسة هو وابن كيداد، وكان شيخهما الذي قرأ عليه يعرف بابن الجمعي"[8].

وقد أخذ ابن الجمع وتلامذته بنشر علمهم وفقههم بين كثير من إباضية المغربين الأدنى والأوسط، وبلغ بهم الترحال إلى مدينة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى، حيث أخذ ابن الجمع يُعلم أهلها "فكان خير معلم وأفضل أستاذ حتى ابتهجت به محافلها، وتنورت به مجالسها، وعمرت بالعلوم ربوعها"[9] هذا عن الفقه الإباضي.

1- السيرة، المصدر السابق، ص95.
2- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، صص189-212.
3- أخت الإمام أفلح ابن عبد الوهاب: عالمة بالحساب والفلك والتنجيم، واشتهرت بمناظراتها لأخيها أفلح. جميل بن خلفان بن هويشل الغافري، المرجع السابق، ص24.
4- أخت عمروس بن فتح: (أواخرق3/9م): عالمة من جبل نفوسة، لم تذكر المصادر اسمها، أخذت عن عمروس وغيره من مشايخ الجبل، وساعدت على نسخ مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني، فكانت تملي عليه وهو يكتب، وقعت مع عدد من النساء في أسر بني الأغلب في معركة مانو سنة 283هـ/896م. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص321.
5- جميل بن خلفان بن هويشل الغافري، المرجع السابق، ص25.
6- الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص110.
7- أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، ص43.
8- الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص109.
9- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص193.

أما عن فقه أهل السنة فقد وفد على الناصر بالأندلس فقيه مصر يزيد بن أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري، وقد أشار له ابن حيان[1]؛ والفقيه الأديب والمحدث أبو زَيْد مُحَمَّد بن زَيْد بن عليّ بن الحُسَيْن العَلَوي الشافعي الوافد الذي ذكره أبو مُحَمَّد الخَزْرَجي[2].

وكذا الوافد أبو القاسم عُبَيْد الله بن عُمَر القَيْسي الشافعي، الذي كان التفقه قد غلب على علمه[3]؛ ومن الفقهاء القادمين من الموصل إبراهيم بن بكر الموصلي الذي دخل إشبيلية، وحدّث بها عن أبي الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن بريدة الأزدي الموصلي (ت 948/374م) بكتابه في الضعفاء والمتروكين، وقد سمعه منه إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي، وحدّث بها أبا عمر يوسف بن عبد البر النمري، فحمله منه بدوره علي بن موهب الذي حدّث ابن خير الإشبلي(ت 575هـ/1179م)، فأورده في فهرسه[4].

وكذا التاجر أبو الطاهر إسماعيل بن الإسكندراني "وكان فقيهاً على مذهب الشافعي"[5]؛ أما الفقيه الذي كان على دراية بالأحكام يعرف الفرض والحساب علي بن محمد بن أبي عشرة، قال فيه ابن الأبار: "ولا أعلم له رواية، لقيته في ولايته قضاء بلنسية"[6].

وعلى المغرب والأندلس ورد الفقيه الشافعي أبو الطيب مُحمَّد بن أحمد بن أبي بُرْدَة البغدادي، يقول ابن الفرضي: "وكان من أَعلم الناس بمذهب الشّافعي، وأحسنهم قِياماً به، ولم يصل إلى الأندلس أفهم منه بالمذهب"[7]؛ كما قَدِمَ الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله الطندثائي الذي سكن مرسية ودرس بها[8].

4- علم العقلية العقائدية:

- علم الأصول: من الوافدين الذين كانت له معرفة بعلم الأصول نجد: أبا البسام موسى بن عبد الله بن الحسين الكوفي- من الفرع الحسيني الشريف- قال عنه ابن بشكوال: "وكان ذا علم وأدب وورع، ومعرفة بأصول الدين على مذاهب السنة"[9]، أما ابن الزبير فيقول: "كان ذا علم

1- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.
2- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص466.
3- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، صص232-234.
4- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص68.
5- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص160/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص143.
6- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص250.
7- ابن الفرضي، المصدر السابق،ج2، ص105.
8- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص111/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص64.
9- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص476.



وأدب وورع، ومعرفة بالكلام على طريقة الأشعرية"[1]؛ كما كان الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي مُفتناً في عدة علوم عارفاً بالأصلين والفروع[2].

- علم الكلام: وممن لهم باع في علم الكلام من الوافدين على المغرب والأندلس مودود بن عمر بن مودود الفارسي، حيث كان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام[3]، يقول ابن الزبير: "وكانت له معرفة بالفقه، وعلم الكلام، وتصدى لإقراء ذلك بمراكش، ذكره الشيخ في الذيل، وقال: أجاز لي، ووصفه بالانقباض، وكرم النفس"[4].

هؤلاء هم تقريباً أشهر أعلام علماء المشارقة الوافدين على المغرب الإسلامي ممن اختص أو شارك في مجال العلوم الدينية.

---

[1]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، ص56-57.
[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص99.
[3]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص210/ وفي موضع آخر ابن الأبار، التكملة، ج3، صص165-166.
[4]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج4، ص80.

ثانيا: العلوم النقلية التبعية:

1- العلوم اللغوية والآداب: إن أغلب القادمين الواردين في هذه الدراسة هم من فئة الأدباء والشعراء، وإن كان أعلام الشعراء أكثر إيرادا من الأُدباء لعلة وفرة المادة بالنسبة لهؤلاء الأخيرين، نظرا لاعتناء حُكام بلاد المغارب بالشعراء الذين كانوا يمدحونهم ليعلو ذكرهم، ويتباهون بهم في بلاطاتهم فأكسبهم قرب الحكام شهرة مما جعل أكثر المتداول من الأخبار عن الشعراء؛ وقد تعرضنا إلى ذكر ما وجدناه من مادة في ذلك لأعلام مشارقة اشتهروا بالعلوم اللغوية والأدبية، أو كانت لهم مشاركة فيها.

أ- العلوم اللغوية: فيما يخص هذه العلوم: من بلاغة وصرف ونحو؛ من أوائل المشارقة القادمين على بلاد المغارب في هذا المجال نجد: القالي الذي كان عالما بالنّحو والعربيّة والأدب، فقد قال عنه المقري: "كان أبو علي أحفظَ أهل زمانه باللّغة والشعر ونحو البصريين[1]"[2]؛ وذلك لأنه أخذ علوم اللغة عن كبار علماء بلاد المشرق، خاصة في بغداد التي أقام بها مدة لطلب العلم.

فعلى غرار المؤلفات اللغوية التي أوفدها معه نسخاً أو سماعا "وأملى شيئاً من حفظه"[3]، والأخرى التي وضعها بقرطبة ووسم بعضها باسم الحكم المستنصر الذي اعتنى به "وكان الحكم كريماً، مَعْنيّاً بالعلم"[4]، فقد بث علومه أيضا بالأندلس، يذكر المقري: "ولما دخل المغرب قَصَد صاحب الأندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن، فأكرمه، وصنّف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك"[5].

نشر القالي علومه بحاضرة الأندلس قرطبة، التي صنف بها التواليف الملاح والكثيرة حتى قيل بأنه "لم يُصنف مثله في الإحاطة والجمع"[6]؛ وبعض من مصنفاته تلك دفعت

[1]- نصادف كثيرا في علم النحو القول بمدرسة البصريين ومدرسة الكوفيين؛ حيث أن مدرسة البصريين هي الأقدم؛ وقد كان سبب نشوء علم النحو هو شيوع اللحن في العربية منذ صدر الإسلام، واتّسع مع تَعَرُّب شعوب البلدان المفتوحة، ممَّا عرض اللغة العربية للتحريف؛ إلا أن البصريين تنبهوا لذلك، فكان أبو الأسود الدؤلي أول من وضع علم النحو بالبصرة، وقيل بل وضع نَقْط الإعراب في القرآن الكريم؛ ولما شيَّدت البصرة صَرْح النحو ورفعت أركانه كانت الكوفة مشغولة حتى منتصف القرن2هـ/8م بقراءات القرآن الكريم ورواية الشعر والأخبار، لذلك يُقدَم علماء البصرة ومدرستها في علم العربية على باقي المدارس، ويعد ابن أبي اسحاق الحضرمي أول البصريين النحاة، وفي الكوفة بدأ الاهتمام بعلم النحو مع الكسائي وتلميذه الفراء. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1968م، صص11-22، و153-154، و266-267.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص72.

[3]- نفسه، ج3،صص74.

[4]- نفسه، ج3، ص72.

[5]- نفسه، ج3،صص73.

[6]- نفسه، ج3، ص 75.



المغاربة للتأليف في مجال اللغة، فلما ألف كتاب "الأفعال" اعتبر ذلك فتحا في هذا الباب بالأندلس حيث تلاه ابن القَطّاع[1] في ذلك.

لقد لقن القالي أهل الأندلس لغة وأدب المشرق، ونجد عدة قرائن تدل على ذلك، منها: قراءة الناس عليه "كتب اللّغة والأخبار"[2]، وتلاميذه الذين لمَعَ اسمهم في الأندلس؛ وممن أخذ عنه: أبو بكر بن محمد الزبيدي الذي روى عنه[3]، قال المقري: "وكان الزبيدي إماماً في الأدب، ولكنّه عرف فضل القالي فمال إليه، واختص به، واستفاد منه، وأقرَّ له"[4]؛ كما سمع عنه أيضا: أبو محمد عبد الله بن الربيع التميمي[5]، وأحمد بن أبان بن سيد[6].

يقول محسن جمال الدين: "كانت لأبي علي القالي مدرسة ومنهج خاصين به، وقد تتلمذ على يديه، وسمع منه عدة من شيوخ الأدب والعلم والرواية في الأندلس، حتى أن الإنسان ليجد الوفرة المتزاحمة في طيات كتب ومؤلفات الأندلسيين التي لا تخلوا منها عبارة «روى أو سمع عن أبي علي القالي»"[7]، فقد نقل القالي أدب بغداد إلى قرطبة بروح اندفاعية تحميها وتزيدها قوة عناية حكام الأندلس، الذين علموا قدر القادم ومكانته في علم اللغة والأدب، فأحاطوه برعاية خاصة.

ومن شيوخ اللغة من المشارقة القادمين الذي امتلأت كتب الآداب المغربية بأخباره: اللغوي أبو العلاء صاعد البغدادي، فقد روى فصولا كثيرة منها ابن بسام صاحب الذخيرة "وقد أتيتتُ أنا بلُمَحٍ من أعاجيبه، وأوردتُ غرائبَ من أكاذيبه، وتَخلّلَتْ أثناءَ ذلك جُملَةٌ من نظمِه ونَثْرِه، ممّا يشهدُ على ثُبوت قدَمِه وشُهرةِ تقدّمه"[8]، وكان صاعد قد روى بالمشرق عن كبار علماء اللغة والأدب، فقد قيل في وصفه بأنه "كان عالماً باللّغة والأدب والأخبار، سريع

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص74-75/ عيسى بن سعيد (ت397هـ/1006م): يكنى أبا محمد، ويعرف بابن القَطّاع والرندي، أصله من كورة باغة، وزير أندلسي، كان قَيِم دولة بني عامر والمُتصرف في شؤونها، قُتِل من طرف عبد الملك بن أبي عامر. الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص103.

[2]- السيوطي، بغية الوعاة، ص437.

[3]- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص473/ المقري، المصدر السابق، ج4، ص72/ وقد ترجم له الزبيدي في طبقاته صص185-188.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص75.

[5]- عبد الله بن ربيع بن عبد الله بن محمد بن ربيع بن صالح بن مَسْلَمة التميمي(330-415هـ/941-1024م): أبو محمد، من أهل قرطبة، روى عن أبي عي البغدادي وأبي بكر بن الأحمر القرشي، ورحل إلى المشرق ثم عاد للأندلس وروى عن علمائها، وكان ثقةً ثبتًان ديناً فاضلاً. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص222.

[6]- محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص17/ أحمد بن أبان بن سيد (ت382هـ/992م): يكنى أبا القاسم، صاحب الشرطة بقرطبة، روى عن أبي علي البغدادي، وأخذ عنه كتاب النوادر وغيرذلك، وكان معتنياً بالأدب واللغات وروايتهما، مقدما في معرفتهما وإتقانهما. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص24.

[7]- محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص16.

[8]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص10؛ وينظر بقية أخباره صص10-30 من نفس الجزء.

الجواب عمّا يُسْأل عنه، طيّب العشرة، حلو الفُكاهة"[1]، وفي رواية كونه اعتبر "مُقدما في علم اللّغة ومعرفة العويص، وكان أحضَر النّاس شاهداً، وأرواهم لكلمة غريبة"[2]؛ وقد أورد ابن بسام قول صاعد مُعرفاً بنفسه: "بضاعتي أنا حِفْظُ الأشعار... وفَكّ المـُعمّى"[3].

يقول عبد الوهاب التازي في وصفه: " العالم المفسر والمحدث والشارح، وعالم الصرف والنحو والرواية الموثق، والشاعر الناقد، والهازل الماجن، ثم العالم المتحزب"[4].

إلا أن الفيروزآبادي قال في البلغة: "وكان خليعا مولعاً بالشراب واللعب، فلم يؤخذ علمه"[5]؛ ويبدو أن ذلك ما شَهَرهُ به علماء اللغة بالأندلس، لقرب مكانته من المنصور، ولكن كتاب الفصوص يثبت غير ذلك، فقد أخذه عنه الكثير من كبار علماء الأندلس، ومنهم ابن حيان.

في الحقيقة كان صاعد ضعيفا في علم النحو، حيث تبين ذلك في مجلس المنصور بن أبي عامر؛ حين اعتذَرَ أنَّ النحو ليس جُلَّ بضاعته، ولا رأسَ صناعِته[6]، وعن ذلك يذكر الحميدي: "حدَّثني أبو مُحمَّد عليّ بن أحمد، قال: حدّثني الوزير أبو عَبْدَة حسَّان بن مَالِك بن أبي عبد الله العاصِميّ[7] النّحويّ، قال لما قدم صَاعِد بن الحسن اللُّغوي على المنصور بن أبي عَامِر جَمَعنا معه فسألناه مسائل من النحو غامضةٍ فَقصَّر فيها، فلما رآه ابن أبي عَامِر كذلك قال: دعوه فهو من طبقتي في النّحو"[8].

ومن القادمين أيضا التاجر أبو هاشم مُحَمَّد بن الفَضْل القُرشي العبَّاسي فضلا عن تمكنه في علم الحديث كان من أهل العربيّة على مذهب الكوفيِّين، وقد وُصِف بأنه "كان صحيح العقل، حسن الخلق، فصيح اللسان، من أهل الفَضْل والثِّقة"[9].

ب- الأدب:

---

[1]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص7.

[2]- نفسه، ج2، ص7/ الغريب من الكلام يراد به وجهين: أحدهما أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر يراد به كلام من بعُدت به الدار من شواذ قبائل العرب فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها. حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص199.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص14.

[4]- أبو العلاء صاعد البغدادي، كتاب الفصوص، تحقيق عبد الوهاب التازي سَعُود، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، 1413هـ/ 1993م، ج1، ص15.

[5]- الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، طبعة منقحة وموسعة حسَّان أحمد راتب المصري، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1421هـ/2000م، صص156-157.

[6]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص14.

[7]- حسَّان بن مَالِك بن أبي عبد الله- وقيل ابن أبي عبدة- (توفي قبل420هـ/1029م): أبو عَبْدَة، وزير العامريين والمستظهر أيام الفتنة، من أئمة اللغة والأدب، ومصنف. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، صص806-807.

[8]- الحميدي، المصدر السابق، صص233-234/ وينظر ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص27.

[9] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص466.

ب-1- النثر: في الكتابة والترسل وفد الكاتب والأديب أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني الذي سكن القيروان، وكان قد لقي كبار أدباء وكتاب وشعراء المشرق، "وكان عالماً أديباً ومرسلاً بليغاً، ضارباً في كل علم وأدب بسهم، وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه، وحسن وراقته"[1]، وقد كتب لبني الأغلب حتى انصرمت أيامهم، ثم كتب لعبيد الله حتى مات[2]؛ كما قدم في القرن الرابع الهجري/10م أبو جعفر أحمدُ بن مُحمَّد بن هَارون البَغْداديّ، الذي غدا كاتب العبيديين بالمغرب[3]؛ وكذا أبو اليسر الفرج بن إبراهيم البغدادي الكاتب الذي أخذ عنه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي سعيد المطرز القيرواني[4]؛ كما عُرف الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي بالترسل[5] أيضاً.

ومن الداخلين ممن كتب عنهم المغاربة الأدب القادم المشرقي مُحمَّدُ بن طاهر العسكري البغداديّ، فقد كتب عنه أبو عبد الله مُحمَّد بن أبان بن سَيِّد[6] قِطْعَة من الأدب[7].

وفي علم التعبير نجد من الوافدين من المشرق الذين اشتهروا بإتقان هذا العلم: أبا زَيْد مُحَمَّد بن زَيْد بن عليّ بن الحُسَيْن العَلَوي، يقول عنه ابن بشكوال: "وكان يُحسن عِلْم التّعبير مُتَقَدِّماً فيه"[8].

أما الوراقة، فمن القادمين من المشرق الذين كان لهم باع في الوراقة: ظفر البغدادي إذ كان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط[9].

ب-2- الشعر: نعالج ذلك من خلال نقطتين: التلقين وهو التدريس؛ والقول- أي الإنشاد من نَظْمِ القادم أو لشعراء مشارقة-.

***- تدريس الشعر:** من الذين قدموا دروسا في الشعر، أي تدريس قول الشعر وشرح معنى أبيات القصائد؛ فضلا عن رواياتهم الشعرية عن المشارقة سواء كانت في الشعر الجاهلي، أو شعر المخضرمين، أو حتى شعر المُحْدثين، أومن عاصرهم من المشارقة، نذكر منهم: الوافد أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني الذي أخذ عنه المغاربة، ومنهم: أبو سعيد عثمان بن سعيد

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص147/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص134.
[2]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص147.
[3]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص69/ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص155.
[4]- ابن الأبار، التكملة، ج4، صص65-66.
[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص99.
[6]- مُحمَّد بن أبان بن سَيِّد بن أبان (ت454هـ/1062م): أبو عبد الله اللخمي القرطبي، كان عالماً باللغة والعربية، حافظاً للأخبار والأنساب والمشاهد والتواريخ، أخذ عن القالي، ولي أحكام الشرطة، وألف الكتب المفيدة. الفيروزآبادي، البلغة، ص247.
[7]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص103.
[8]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص466.
[9]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص278/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص111.

الصيقل مولى زيادة الله بن الأغلب، وأسند إليه ابن الأبار رواية شعر أبي تمّام بأنْ قال: "قرأت شعر حبيب على أبي الربيع بن سالم، وقرأت جملة على غيره، وناولني جميعه وحدثني به عن أبي عبد الله بن زرقون[1] وعن الخَوْلاني، عن أبي القاسم بن حاتم بن محمد، عن أبي غالب تمّام بن غالب بن عمر[2] اللّغوي، عن أبيه، عن أبي تمّام، عن أبي سعيد المذكور، عن أبي اليَسَر، عن حَبيب؛ وهو إسناد غريب"[3].

كما كان القالي يعتبر موسوعة في حفظ الأشعار، فقد وصفه الزُّبيدي كونه "أرواهم للشعر الجاهليّ، وأحَفَظَهم له"[4]، فهو شاعر مرتجل مُجيد، التقى فطاحل الشعراء ببلاد المشرق.

وقد درَّس أبو علي الشعر المشرقي- دواوين وقصائد- للأندلسيين؛ ومن الشعراء المغاربة الذين أخذوا عنه دروس الشعر: يوسف بن هارون الرمادي شاعر الأندلس الذي مدحه[5].

ألقى أبو علي على طلبته محاضرات قيمة عن شعر الشعراء الذين عاصرهم أو سبقوه بعصور خوالي، كانت تدور مواضيعها عن: شعر ذي الرمة، شعر الخنساء، شعر الخطيئة، شعر زهير بن أبي سلمى، شعر النابغة الذبياني، شعر حاتم الطائي، شعر طرفة بن العبد، شعر حسان بن ثابت، شعر الأعشى، شعر عروة بن الورد، شعر عدي بن زيد، شعر الطرماح، شعر جميل بثينة وعمر بن أبي ربيعة، شعر أبي نواس، وغير هؤلاء من شعراء جاهليين، وإسلاميين، وبعض من عاصروهم في العصر العباسي[6].

كما سمع الأندلسيون أيضا من أبي جعفر محمد بن أحمد البغدادي الوافد، وممن يُذكر أنه سمع منه: أحمد بن عبد الله القُرَشيّ الجيِّي التُّجِيبيّ، ومُحمَّد بن عُمَر بن عبد العزيز[7].

أما القادم أبو الحسين مُحمَّد بن العبَّاس بن يَحْيَى بن العبَّاس، فقد رَوَى بالأندلس شعر الصّنَوْبَريّ[1] عنه، ومن الذين أخذوا عنه في الأندلس: أبو بكر الزَّبيدي[2].

---

[1]- محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد (502-586هـ/1108-1190م): أبو عبد الله، المعروف بابن زرقون الأنصاري، من أهل إشبيلية وأصله من بطليوس، ولي قضاء شلب وسبتة، له براعة في الأدب ومشاركة في قرض الشعر، صبوراً على الجلوس للإسماع، ومن تآليفه كتاب الأنوار. ابن فرحون، المصدر السابق، صص379-380.

[2]- تمام بن غالب بن عمرو (ت436هـ/1044م): أبو غالب، المعروف بابن التياني المرسي الأندلسي، كان إماماً في اللغة وثقة في إيرادها، مذكور بالديانة والورع، وكانت وفاته بألمرية، وله كتاب تلقيح العين في اللغة. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، صص769-770.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص148/ وينظر المقري، المصدر السابق، ج3، ص135.

[4]- الزبيدي، المصدر السابق، ص185.

[5]- محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص16.

[6]- نفسه، صص18-19.

[7]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص69/ مُحمَّد بن عُمَر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم(ت367هـ/977م): أبو بكر ابن القوطية الأندلسي القرطبي التقى أبا علي القالي، وسمع بقرطبة ثم انتقل إلى إشبيلية، كان من أعلم زمانه باللغة والعربية، بصيراً بالغريب والنادر والشاهد والمثل، عالماً بالخبر والأثر، جَيد الشعر، وأبرز ممن درس عليه من علماء الأندلس ابن الفرضي، وله كتاب الأفعال وتصاريفها، المقصور والممدود، شرح أدب الكاتب، تاريخ افتتاح الأندلس. الضبي، المصدر السابق، ص107.

ومن الشعراء القادمين أيضا: صاعد البغدادي الذي كان يتداول تدارس الشعر في المجالس مع أدباء وشعراء أندلسيين؛ ومن ذلك شرح معاني أبيات الشعر الجاهلي، مثل شرحه لقول امرئ القَيس في بيت شعري أورد ذكره الحميدي وابن بسام[3].

ويضرب لنا ابن بسام أمثلة كثيرة عن انتحال صاعد لأشعار المشارقة التي أوفدها حفظا "ذُكر عن صاعد، أنه افتُضحَ في سرقة شِعرِ غير واحد من أهلِ تلك الآفاق من شُعراء الشام والعراق، إذ وردَ بها وهي بغُبارِ السفَر، فاشتهرَ بها في غير ما شعرٍ وخَبر"[4]، وفصَّل ابن بسام في تدارس أبيات ومُقطعات تلك القصائد لصاعد، وبيّن أوجه التشبيه في كثير منها.

***- الأشعار المرفوعة - المُنْشَدة:** ما هو من نظم المشارقة القادمين إلى بلاد المغرب أو نظم متداول لشعراء مشارقة ردده هؤلاء الوافدون في مواضع متنوعة وفي مجالات عدة، يقول ابن بسام عن الشعراء المشارقة القادمين: "معَ أنَّ هذِه الطّائفةَ لمْ يَسْمُ إلَّا بالأندلسِ ذكرهم، ولا طارَ إلاَّ بمدحِ مُلوكنا شعرُهم"[5]؛ فاشتهار الشعراء المشارقة كان بمدحهم ملوك وأمراء المغارب، وقد اقتصرنا على اختيار نماذج مصنفة في أربعة محاور.

- شعر البلاط: ما نُظِمَ أو قيل نقلا أي من نظم شعراء مشارقة في مخاطبة حكام المغرب سواء: في طلب وفادة، أو مدح لنيل كسب وحظوة، أو استنجاد.

من الشعراء المجيدين الوافدين: إبراهيم بن سليمان الشامي الذي دخل الأندلس شاديا للشعر؛ وله في الأمير عبد الرحمن بن الحكم هذه الأبيات: (الطويل)

وَمِنْ عَبْد شَمْسٍ بِالْمُغَارِبِ عَصْبَةٌ * فـأسعَدها الرَّحْمَن حيثُ أحلّهـا

دَحـاْ تحتها مهداً مِــن العِــزّ آمنا * ومَـدَّ جناحاً فوْقَهــاْ فأظَلَهـا[6].

وللمـُهَنَّد البغداديّ في مدح المنصور بن أبي عَامِر من قصيدة طويلة: (الطويل)

مَتَى أَشْكُر النُّعْمَى التي هِيَ جَنَّتـي * فَفي ظِلِّها أُمسي وفي ضَوئها أُضْحي

إذا قلتُ قَدْ جازيتُ بالشكـرِ نِعْمَـة * شَفَعْتَ بِأُخْـرَى مِنـْكَ دائمةِ السَّفْـح

فَحَمْدِيَ لا ينـأَى وفَـضْلُـكَ لا يَنِـي * وأَرْضِيَ لا تَصْدى وأفقُك لا يُصْحى

---

[1]- أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي (ت334هـ/946م): يكنى أبا بكر، ويعرف بالصّنَوْبَريّ الحلبي، الأنطاكي، شاعر مجيد عاش في ظلال أمير حلب وكان من المقربين إليه وأمين مكتبة القصر، ومن آثاره ديوان شعر. عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج1، ص 258.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص106.

[3]- ينظر ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص27/ الحميدي، المصدر السابق، ص234.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص21-22.

[5]- نفسه، ج4، ص9.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص121.

وشُكْري يَشكو الضّعْفَ مِمّا بُهِظْتُه * ويَجْــزَعُ مِنْ ثِقْـلٍ أَلَـمَّ بــه بَـرْح

وَلَـوْ أنَّ في غَيْــرِ اللِّسانِ دَلالــة * لَصَاحَ بـه وُدِّي وَقامَ بــه نُصْـــحي

ولَكِنّ في الفَحْوى دَليلاً على الـذي * يُسِرُّ ذَوُو النَّجْوَى من الجِدِّ والمَـزْح[1].

ومن الوافدين الذين غدوا من أبرز شعراء البلاطات في فترة ملوك الطوائف نجد: أبا الفضل الدارمي البغدادي الذي سَمِع من كبار أدباء وشعراء المشرق، واجتمع بالمعري في طريقه إلى المغرب لقول ابن بسام: "واجتاز بمعرَّة النعمان، وبها المعرّي أحمد بنُ سليمان، فوصل إليه، وأنشده قصيدتَه اللاميّة، فقبّل المعرّي بين عَينَيه، وقال له: بأبي أنت من ناظم! "[2] ولذلك لما لقِيَ ملوك الأندلس تنافسوا على استقدامه؛ فقد حَظِيَ عِنْدَهم بأدبه وعلمه[3] واستقر بطُلَيْطلة، فغدا شاعر بلاط المأمون بن ذي النون، والذي له فيه أمداح كثيرة، نذكر منها أبيات أوردها ابن بسام: (البسيط)

بهِمّةِ الْمَلَّكِ الْمَـأْمُوْنِ حِيْـنٌ غَـدَاً * إفضالُها لِتَنَاهي هِمّـتي سبَبَـا

الواهبِ الألف لا عَيْناً ولا وَرِقا * ولا عشاراً ولكنْ أنعُماً قُشُبـا

في جَحفلٍ كسوادِ الليلِ مُرْتَكِـم * لكنْ أسنّتُه صارتْ لـه شُهُبــا[4].

ومن الذين عاصروا ابن بسام من المشارقة الوافدين: الفكيك، ومن جملة ما أورده من شعره، نذكر قطعة من قصيدة في مدح المعتمد: (الطويل)

أبـا الْقَاسِـمُ الْمَلْكُ الْمُعَظّـمُ قَـدْرُهُ * سواك من الأملاكِ ليس يُعَظّم

لقد أصْبَحَتْ حمصٌ بعدلكَ جنــة * وقد أبعدَتْ من ساكنيـها جهنّم

ولي بحمـاك الـربع عامٌ وأشهـر * أزَخرفُ أعـلامَ الثنـاءِ وأرْقُـم

وأنفقتُ ما أعـطيتـني ثـقـةً بمــا * أؤمّلُ فالـدينـارُ عنـديَ درهَـم

وقلبي إلى بغدادَ يَصْبُـوا وإنـني * لنَشْـرِ صَبـاها دائمــاً أتنــسَّـم[5].

والبيت الأخير يدل على مدى حنينه وتشوقه إلى وطنه.

ومن المشارقة الذين رفعوا المدائح الجليلة أيضا على من وفدوا عليهم: الأمير شعبان كوجبا الذي له نظم في يعقوب المنصور الموحدي[6]؛ وكذلك أشهب بن العضد الخراساني، فقد

---

[1]- الحميدي، المصدر السابق، ص238.
[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص64.
[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص465.
[4]- ابن بسام، المصدر السابق،ج4، ص 82.
[5]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص256/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص119.
[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص133-134/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص219.

نقل المقري عن ابن سعيد قوله: "أنشدنا لما وفد على ابن هود في اشبيلية قصيدة ابن النبيه[1]: (البسيط)

طابَ الْصَّبُوْحُ لنا فَهَاكَّ وَهَّاتِ

وفيها:

في روضة غَنّا تخال طُيورَها* وغصوَنَها همزاً على ألِفاتِ"[2].

- شعر عن أحوال المشارقة ببلاد المغارب: مما قيل من نظم هؤلاء المشارقة القادمين فيما يخص أوضاعهم في بلاد المغرب، وعن تجوالهم في مدنه؛ وهو تأريخ عن أوضاع المغارب في تعبيرهم عما يعايشونه ويصادفونه وربطُ ذلك بأحوال البلاد.

ولعل أبرز أنموذج على ذلك من الشعراء القادمين: أبو الفضل الدارمي البغدادي الذي له قصيدة في وصف القيروان وقتَ فتنةِ العامة، إذ صادف ذلك وجوده بها- فهو رسول الخليفة العباسي للمعز بن باديس-، يقول حين شاهد حروبها وخرابها: (الكامل)

حَالَّتْ عليّ الْقَيْرَوَانُ بِحالِها * عمّا عهدتُ العيشَ فهوَ منغّص

فخرابُها في كلّ يومٍ زائد * وصُبابةُ المعمورِ فيها تنْقُص

إنْ كَاْن أَرْخَصَني الزمَاْنُ فإنّه * أسْدى إليَّ بَضَائعاً لا تَرْخُص

أوْ كانَ غيّر مِنْ طِباعي مَوْضِعي * فالخَمرُ إنْ ترَكَتْ وعاها تَقْرُص

كيْفَ الرجوعُ وطِرفُ حالي غامز * وجناحُ آمالي الكسيرُ مُقَصَّصُ[3]

ومن قوله أيضاً في ذلك: (الكامل)

ومُعَنّفٍ لِيْ فِيْ الْمُقَامِ ضَرُوْرَةٌ * بالقيروانِ ومَاْ بها سُلطان

ألقَى الهوَانَ بها وكَم مِن عِزّة * قد سَأْقها نَحوَ الرجالِ هَوان

جَهِلوا على الإحسانِ فيها مَوْضعي * لَو كَاْن يَنْفعُ عندهمْ إحسان

فكأنّني القُرآنُ عنْدَ مُعَطّل * أو في بِلادِ هَرابذٍ رَمضان

مَاْ الدر يَنقصُ فَضلَه في بَحره * أنْ ليسَ تَعرفُ قدرَه الحِيْتان

كلاّ وليسَ المِسكُ يَبطلُ عَرفُه * إنْ ضَيّعته بجهلها الغِزلان

مَا عيبَ ضوءُ الشمسِ عند بُزوغها * أن ليسَ يُدرِكُ نورَها العُميان

---

[1]- علي بن محمد بن الحسن بن يوسف (ت619هـ/1222م): أبو الحسن، كمال الدين بن النبيه، شاعر من أهل مصر، مدح الأيوبيين وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين وسكنها وتوفي بها، وله ديوان شعر صغير. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص331.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص118-119.

[3]- الدباغ، المصدر السابق، ص195.



واللّيثُ لا يَنسى استطالـةً بــأسِــه * إنْ ضَمّــهُ في خِيسِــه خَفّــان

أو مَــاْ تَـرى الدُنـيـا بفقـدِ مليكَـهـا * طَـرْفاً ولكـنْ مــا لــه إنســـان؟[1]

تلك المقطوعات الشعرية وصف لحال القيروان في شعره خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حيث اعتبر أن البلاد لا تليق بمقامه لذلك فضل أبو الفضل الرحيل إلى الأندلس والإستقرار بها.

- **شعر تداول في المغرب وغدا له شهرة:** ويخص ما نُظم من طرف الشعراء الوافدين على بلاد المغارب، ومنها انتشر ودوى غرباً وشرقاً.

من الشعر المتداول: شعر صاعد البغدادي الذي غدا من أبرز شعراء الدولة العامرية، ومن أحسن قوله ما نقله السيوطي: (الكامل)

وَمُهَفْهَفٍ أَبَهَـىَ من الْقَمَـرُ * قَمَـر الفؤاد بفـاتـن النَّظَـرِ

خــالَسْتُــه تُفّـــاح وجْنَتــِه * فأخذتُها منها عــلـىَ غَــرَرِ

فأخافَني قــومٌ فقلتُ لهــمْ: * لا قطع في ثمر ولا كثَـــرِ[2].

ومن تلك المنظومة الشعرية التي أقدم الكثير من المغاربة بتناقلها والرُّد عليها -أي معارضتها- مقطوعة أبي الفضل الدارمي البغدادي التي تعتبر من فرائد شعره المُدوِية والتي تداولها الشعراء مغرباً ومشرقا، قوله: (الطويل)

يُزَرِّعْ وَرُدّاً ناضراً نَاظِرَيُّ * في وَجْنَـةٍ كالقَمَـرِ الطالـعِ

أُمْنــعُ أن أقْطـفَ أزهــــارَهُ * في سُنّـة المتبـوع والتّابِـــــع

فلـمْ منعتـم شفَـتيّ قطْفَهـــا * والحكمُ أن الـزرعَ للزارعِ؟![3]

وقد أجابه عنها بعض المغاربة بقوله: (الطويل)

سَلَّمْـتُ إنْ الحُكْـمَ ما قُلتُمْ * وهو الذي نُصَّ عن الشـارِعِ

فكيف تبـغي شَفَــةً قَطْفَــه * وغيرُهـا المدعــوُّ بالـزارعِ[4].

كما رد عليه الشيخ الإمام الحافظ أبو عبد الله التَّنَسي التلمساني[5] بقوله: (الوافر)

---

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ص195(وأسقط الدباغ في نقله البيتين الثالث والرابع)/ ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص84-85.

[2]- السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص7.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3 ، صص112-113/ ينظر البيت الأول والثالث مع اختلاف في بعض الكلمات- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص69-70.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص112-113.

[5]- محمد بن عبد الله بن عبد الجليلي (ت899هـ/1494م): أبو عبد الله التَّنَسي التلمساني، ولد بمدينة تنس ونزل بتلمسان، إمام حافظ للحديث، وفقيه مفتي وأديب شاعر ومؤرخ، من آثاره: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان والجواب المطول في

فِيَّ ذا الَّذِيْ قُلْتُمُ مُبحِثُ * إذ فيه إيهامٌ على السَّامعِ
سلَّمتُم الحكَمَ لَهُ مطلقاً * وغَيْرُ ذا نُصَّ عن الشَّارعِ[1].

ويشرح ذلك المقري حين يقول: "يعني أنّه يلزم على قول المجيب أن يباح له النظر مطلقاً، والشرع خلاف"[2].

كما ينقل صاحب "نفح الطيب" جواباً لبعض المغاربة، وهو: (الطويل)

قلْ لأَبِيُ الْفَضْلِ الْوَزْيَرُ الَذِّيْ * بَاْهَى بِه مَغْربناَ الشرقُ
غَرسْتَ ظلماً وأردْت الجنى * ومَاْ لعـرْق ظَاْلِمَ حَقٌّ[3].

ومن أقواله التي تمثّل بها لسان الدين ابن الخطيب في خُطبة تأليفهِ المسمّى بـ "روضة التعريف بالحب الشريف" هذين البيتان: قائلا: "ولله در القائل: (الطويل)

دَعتْني عِيْنَاكَ نَحْوَ الَّصَبَّا * دُعاء يكررُ في كلّ ساعَهْ
ولَوْلَا وحَقّكِ عُذْرُ المَشيْب * لَقُلْتُ لَعَيْنَيك سَمْعًا وطَاعَهْ"[4].

ومن شعر عبد الخالق بن إبراهيم الطيب، يقول ابن الأبار: "قال أبو محمد العثماني: أنشدني محمد بن الحسين بن صدقة قال: أنشدني العابد أبو عبد الله محمد بن عبد الصمد القروي قال: أنشدني أبو القاسم عبد الخالق ابن إبراهيم الطيب النقيب لنفسه من قصيدة أنجزها وقت رحيله عن الأندلس: (الطويل)

على الْذّلِ أَوْ فَاحْلَلْ عقال الْرَّكَائِبُ * وللضّيم أو فَاْحُلُلْ صُدورَ الكَتَائِب
فإمَّا حَياة بعد إدراك مُنيةِ * وإمَّا مَماتُ تَحْت عِزِّ القَواضِب
فمَاْ العَيْشُ في ذل الهَوأن بطيب * ومَاْ المَوْت في سُبْل العلا بعائب"[5].

ومن نظم أبي محمد الحكيم المصري المتداول، قوله: (الطويل)

رعى الّلهُ دَهْرَاً قَدْ نُعِمْنَا بِطِيْبَهُ * لياليه من شمس الكؤوسِ أصائل
ونرجِسُنا درٌّ على التبر جامد * وخمرتُنا تِبْرٌ على الدرّ سائل[6].

ومن نظم السرخسي، يذكره المقري، ولانعرف إن كان نظمه في المغرب (المتدارك).

قضية يهود توات والطراز في شرح ضبط الخراز وروح الأرواح وغيرها من المؤلفات. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، ص85.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص113.

[2]- نفسه، ج3، ص113.

[3]- نفسه، ج3، ص113.

[4]- لسان الدين ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا عبد الستار، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت، ص85.

[5]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص140/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص65.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص118.

يـا سَاهْرَ الْمُقَلَّةُ عَـنْ كَـرَّىً * غَفَلْتَ عَـن هَجْعي وأوْصَـابي

لولم يكـنْ وجهُكَ لي قِبْلـة * مـاْ أَصْبَح الحَاْجِـبُ مِحْـرَابي[1].

- شعر الحنين لبلاد المشرق: من عادة الأدباء إنشاد الشعر شوقا للأهل والأوطان، وهو سبيل الأدباء المشارقة المُغرِّبين، سواء كانت من نَظْمِهم أو من نظم لشعراء مشارقة متداول.

ومن أجمل ما قيل من شعر الحنين للشرق ما أنشده عبد الرحمن الداخل يتشوق إلى معاهده بالشام، وقيل كتبه لاخته بالشام، قوله: (الخفيف)

أيـهـا الـرَّاكبُ الُميَمِّمُ أَرْضـي * أقْـرِ مِـنْ بَعْضي السَّـلام لِبَعْضي

إنَّ جِسْمي، كما عَلِمَتَ، بأَرْضٍ * وفُـؤادي ومَـالِكيـه بـأَرْضِ

قُـدَّر البَيـْنُ بـيْـنَـنـا فَـافْـتَرقْـنَـا * وَطَوى البينُ عن جُفوني غُمْضي

قَـدْ قَضَـى الله بالفِـراقِ عَلَيْنَـا * فَعَسَى باجْتِمَـاعِنـا سَوْفَ يَقْضـي[2].

وقال عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي، الوافد لما نظر نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام، وقال: (الطويل)

يا نَخْلَ أَنْتٌ فِرِّيْدَةُ مَثْلَي * في الأرض نائيةٌ عن الأهلِ

تبكي وهـلْ تبكي مكممـةٌ * عجماء لم تُجْبَلْ عـلى جَبْلي

وَلَوَ اَنها عَقَلَتْ إذاً لبكـت * مـاءَ الفُرات ومنبتَ النخْلِ

لكنّـها حُرِمَتْ وأخرجـني * بُغضي بني العباسِ عن أهلي[3].

ومن أجمل ما أُنشد في التشوق إلى المشرق من طرف المُغربين نظم الجارية الشاعرة قمر حنيناً إلى بغداد، وقد أنشد لها السالمي هذا القول: (الطويل)

آهاً عَلى بغْدَادهَا وعـراقـهـا * وظَبَائِهـا والسحر في أحـداقهـا

ومجالهـا عند الفـرات بأوجه * تبـدو أهلّتُهـا عـلى أطواقـهـا

متبخترات في النّـعيـم كأنما * خلق الهوى العُذري من أخلاقـها

نفسي الفداء لها فأيُّ محـاسـن * في الدر تُشْرق من سنا إشـراقـها[4].

---

[1]- نفسه، ج3، ص110.

[2]- الحميدي، المصدر السابق، صص23-24/ وينظر جغرافية وتاريخ الأندلس لمؤلف مجهول، ص213.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص58-60.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص141.



ويذكر ابن الفرضي جلسة له مع المشرقي الوافد الأديب الشاعر أبي بَكْر ابن الأزْرَق المرواني: "وذَاكَرْتُهُ الأوطان؛ ونُزُوع النَّفس إليها، فَأظهر التَّشَوُّق إلى مصر والحنين إلى وَطنه بها ثم قال: ما هؤلاء إلاّ كما قال ابن الرومي[1]: (الطويل)

وحَبّبَ أوطان الرِّجال إلَيْهم * مَـآرب قَضَّاها الشَّباب هُنَالِكَا

إذا ذَكرُوا أوطانهم ذَكَّرَتْهُمُ * زَمَان الصِّبا فيها فَحَنُّــوا لِذَلِكـاَ[2].

ومن شعر أبي الفضل الدارمي البغدادي، يتشوَّق فيه إلى بلدِه: (أصل المجتث)

أهيمُ بذكر الشرقِ والغربِ دائبـــاً * ومـــا بـي شَـرقٌ البلادِ ولا غـربُ

ولكـــنَّ أوطـانـــاً نـــأتْ وأحبّــةً * فعُـدْتُ متى أذكُرُ عهودهـمُ أصبُ

إذا خطرت ذِكراهمُ في خَواطـري * تنـاثـرَ من أجفـانيَ اللـؤلؤُ الرطــب

ولم أنسَ مَن ودَّعتُ بالشطِّ سُحـرةً * وقد غرَّدَ الحادونَ واستعجلَ الركـب

أليفانِ هـذا سائـــرٌ نحـــو غُــربــةٍ * وهـذا مقيمٌ سارَ عــن صدرِه القلـب[3].

كما تناقل المغاربة نظم ما سَمِعُوه من المشارقة القادمين على سبيل الحفظ والتداول، ومن ذلك ما أورده ابن الأبار من قول لأبي البساتين الواعظ الصوفي حيث يذكر"حدثت عن أبي خالد يزيد بن عبد الجبار القرشي المرواني، قال أنشدني شيخنا أبو عبد الرحمن بن إبراهيم النحوي، قال أنشدني الأستاذ أبو البساتين الواعظ الصوفي: (المتقارب)

مُكِــبٌّ عَـلَى النَّحْـوِ يُعْنَــى بـِهِ * لِيَسْلَمَ في قَولِه مِنْ زَلَل

يَقُـــــولُ أُقَوِّمُ زَيْغَ اللِّسَـــــــانِ * فَهَـلاَّ يُقَوِّمُ زَيْغَ اَلْعَمَـلْ"[4].

2- الأخبار والتاريخ والجغرافية: من الواردين ذوي الصيت في الأخبار والرواية التاريخية ممن كانت لهم مشاركة جانبية في هذا العلم نجد: أبا الحسين مُحمَّد بن العبَّاس بن يَحْيَى بن العبَّاس الذي رَوَى بالأندلس قطعة من الأخبار عن أحمد بن سعيد الإخْمِيميّ القُرشيّ؛ ومن الذين أخذو عنه في الأندلس أبو بكر الزَّبيدي[5].

---

[1]- علي بن العباس بن جريح وقيل جورجيس (221-283 وقيل267هـ/-896م): أبو الحسن، ويعرف بابن الرومي، مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر المنصور، شاعر مشهور صاحب النظم العجيب، ولد ونشأ ببغداد وتوفي فيها مسموماً. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، صص358-361.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2 ص108.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص74.

[4]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص187.

[5]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص106.

ولقد كان صاعد من المشاركين في رواية الأخبار، حيث كان جوابه لما سُئل عن علمه المُتقن في مجلس المنصور بن أبي عامر بأن بضاعته - إضافة إلى الشعر- روايةُ الأخبار[1]، كما أن الحنين إلى المشرق كان يدفع صاعدا للتحدث عنها في المجالس السلطانية "وكان صاعدا كثيراً ما يمدحُ بلادَ المشرقِ بمجلِسِ المنصورِ، ويُباهي بأخبارِها، ووصفِ أشربتها وأديارها"[2]، وبذلك كانوا ينقلون أحوال وأخبار المشرق إلى المغرب[3].

وأما ابن حمويه السرخسي فقد كان من الفضلاء المؤرخين المصنفين، وله مؤلفات في ذلك خص بها بلاد المغرب، فهو صاحب الرحلة المغربية[4] التي لم يصل إلينا منها سوى شذور نقلها المتأخرون.

أما في مجال الجغرافية، فقد زار عدد من كبار أعلام المشارقة الرحالين الجغرافيين بلاد المغرب الإسلامي أمثال اليعقوبي وابن حوقل والهروي، وكل هؤلاء أصحاب تصانيف خصص كل واحد منهم جزءا لحديثه عن جغرافية كل بلاد المغرب أو المناطق التي زارها، وإن كان سيأتي التفصيل في ذلك في القسم الخاص بالمؤلفات.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص77.
[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص22.
[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص98.
[4]- نفسه، ج3، ص99.



ثالثا: العلوم العقلية: لقد كان دور علماء المشارقة في هذا المجال رائدا أيضاً حيث كانت مساهمتهم كبيرة في فروع العلوم العقلية وبالأخص ميدان الطب.

1- العلوم الطبية: إن صناعة الطب من الصناعات الضرورية التي يكون عليها الطلب، خاصة في بلاطات الحكام المغاربة الذين عملوا على استجلاب أطباء مشارقة في وقت مبكر؛ نظراً لثقافتهم المُتفردة، وبراعتهم العالية، وذلك من أجل المساهمته في إثراء العلوم الطبية والصيدلية بالمغرب، فضلا عن تطبيبهم لعلية القوم وعلى رأسها الأسر الحاكمة.

إن أوّل طبيب مشهور مشرقي ظهر بالقيروان هو يحيى بن ماسويه الذي كان في صحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي[1].

أما من الأطباء الذين يمثّل وفادتهم على بلاد المغارب في عهد الدولة الأغلبية وفادة بالفعل لعلم الطب إلى المغرب: إسحاق بن عمران، حيث قيل في ترجمته: "وبه ظهر الطب بالمغرب، وعرفت الفلسفة"[2]، وكأن علم الطب لم يكن معروفا قبل وفادة إسحاق بن عمران على حسب قول ابن جلجل الذي قال في وصفه: "كان طبيا حاذقا مميزا بتأليف الأدوية المركبة، بصيرا بتفرقة العلل، أشبهَ الأوائل في علمه وجودة قريحته"[3].

وبما أن إسحاق بن عمران قد استوطن القيروان وألف بها كتبه التي استفاد منها الأطباء المغاربة فيما بعد، وساهمت في تكوين مدرسة القيروان الطبية، وأصبح ابن عمران أوّل طبيب يستحق الذكر في إفريقية بحاضرتها الكبرى القيروان[4]، بل أكثر من ذلك هناك من يعتبر أن "مدرسة الطب القيروانية أنشأها إسحاق بن عمران البغدادي الأصل"[5] الذي ذاع صيته بالمغرب والمشرق.

وممن تتلمذ على يد إسحاق بن عمران القادم من المشرق أيضا: إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، الذي كان كحال في أوليته، ثم سكن القيروان، ولازم ابن عمران وتتلمذ على يديه

---

[1]- ابن الجزار القيرواني، طب زاد المسافر للفقراء والمساكين، تحقيق وتعليق مختار سالم، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م، ص14/ ابن الجزار، طبّ المشائخ، صص17-18.

[2]- ابن جلجل، المصدر السابق، ص85.

[3]- نفسه، ص85.

[4]- ابن الجزار، طبّ المشائخ، ص21/ ابن الجزار، ابن الجزار القيرواني، كتاب طب الفقراء والمساكين، تحقيق الراضي الجازي، فاروق عمر العسْلي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، طبعة خاصة بمناسبة إحتفالات القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2009م، مطبعة المغرب للنشر، تونس، ص19.

[5]- مجموعة باحثين، الندوة العلمية لألفية أحمد ابن الجزار، أبحاث ودراسات الندوة 12-15أفريل1983م تونس، وزارة الشؤون الثقافية، اللجنة الثقافية القومية، طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية في جويلية 1987م، ص18.

وصحبه إلى أن استكمل عليه معارفه الطبيّة[1]، حتى تبوأ سمعة كبيرة في صناعة الطب، ووصفه ابن جلجل بأنه "كان طبيبا لسنا عالما بتقاسيم الكلام، وتفريغ المعاني"، صاحِب تواليف لم يسبقه أحد إلى مثل بعضها[2]، وقد ترك أكثر من خمسة عشر مؤلفاً طبياً ذا قيمة تطبيقية عالية، ترجم منها الكثير إلى اللغتين اللاتينية والعبرية[3]، وهكذا أثرى ميدان الطبّ هو الآخر بالمغرب أيضاً.

بعودتنا إلى تراجم الأطباء المغاربة- في المغرب والأندلس- الأوائل نجد أن أغلبهم تتلمذ على أيدي هؤلاء المشارقة الوافدين؛ كما لم يكتف الأطباء المشارقة بنقل الطب المشرقي إلى المغرب، بل كان لهم دور في تكوين وبعث مدرسة طبية مغربية من خلال البحث والتأليف والتلمذة والخدمة لحكام المغاربة بصناعة الطب، وبذلك يكونون قد ساهموا في تطوير العلوم الطبية على مدى العصور اللاحقة.

لقد غدت مدرسة القيروان الطبية بفضل هؤلاء الوافدين أولا ثم تلامذتهم من المغاربة ثانيا موئلاً لكثير من طلبة علم الطب في المغرب والأندلس، كأمثال علي بن إسحاق بن عمران، زياد بن خلفون[4] وأبي سعيد الصقلي، وغيره.

ومن الأطباء المغاربة الذين تمت تلمذتهم على أيدي المشارقة القادمين أفراد العائلة الطبية المشهورة أبناء الجزار، منهم: أبو بكر محمّد بن أبي خالد بن الجزار[5] الذي تلقّى علم الطب عن إسحاق بن عمران وعن تلميذه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وكذا أحمد بن الجزار الذي قصد الأوساط الطبيّة القيروانيّة وتعرف بإسحاق بن سليمان وتتلمذ له ودرس عليه العلوم الطّبية[6]، وبهذا يكون قد أخذ علم إسحاق بن عمران بصفة غير مباشرة عن طريق إسحاق بن سليمان، وتعلم عليهما مهنة الطب التي نبغ فيها أصولاً وفروعاً[7].

---

[1]- ابن الجزار، طبّ المشائِخ، ص21.

[2]- نفسه، صص87-88.

[3]- ابن الجزار، طب زاد المسافرين للفقراء، صص12-13.

[4]- زياد بن خلفون (ت 308هـ/290م): لم يعرف أصله على وجه التحديد، فربما كان أبوه من الموالي الصقليين أو أحد الوافدين إلى القيروان، وخدم الحاكم زيادة الله الثالث، وعبيد الله المهدي، وتوفي بالقيروان. ابن الجزار، زاد المسافرين، صص12-13.

[5]- محمّد بن أبي خالد (توفي في النصف الأول من ق4/10م): أبو بكر ابن الجزار، طبيب، وعمّ أحمد بن الجزار المشهور ومعلمه صناعة الطب، وقد أخذ الطب عن الإسحاقين وزيادة بن خلفون. ابن الجزار، طبّ المشائِخ، ص18.

[6]- ابن الجزار، طبّ المشائِخ، ص18/ ابن الجزار القيرواني، طب الفقراء والمساكين، ص19.

[7]- ابن الجزار، طبّ المشائِخ، ص22/ ابن الجزار، كتاب في فنون الطّيب والعطر، تحقيق فاروق عمر العسلي، الرّاضي الجازي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2007م، ص12/ ابن الجزار القيرواني، طب زاد المسافرين للفقراء، ص14.

وعليه يعتبر ابن الجزّار وارثاً من صناعة الطبّ والعلوم التي أدخلها إسحاق بن عمران إلى القيروان، فبرع بدوْره في هذا الميدان وتفوّق بالنسبة للإسحاقيين وأصبح بذلك أحد أفراد "الثالوث الطّبي" الذي سيْطر على ما اصطلح عليه "بالمدرسة الطبّية القيروانية"[1].

تقول سهام الميساوي: "كانت بغداد المعين الطبي نهل منه أطباء القيروان، فإن القيروان أشاعت علم المشرق ومدَّت الغرب بعلمها"[2] هكذا إذن نسج على منوال الأطباء المشارقة القادمين - خاصة في التأليف- كثير من المغاربة والأندلسيين.

ومن الأعلام المشاركين في علم الطب القادمين من المشرق، وجدنا: الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي[3]، وإن لم نقف له على مؤلفات طبية؛ وكذا أبا بكر محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي، حيث قال ابن الزبير في حقه: "وكان يشارك في علم الطب"[4].

2- علم الحساب و النجوم و الهندسة: من العلماء المشارقة القادمين على بلاد المغارب والمشاركين في علم الحساب نجد: علما واحدا فقط وهو أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي التميمي الذي كان بصيراً الحساب[5]، وله معرفة ودراية بهذه العلوم التي لم يشتهر بها الوافدون على بلاد المغارب لأن هذا النوع من العلوم لم يكن مطلوباً في خدمة أفراد الأسر الحاكمة التي كان أصحابها يميلون إلى ميدان الشعر والأدب أكثر؛ ومن المشاركين في علم النجوم أيضا: المغني زرياب؛ كما كان الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي من المشاركين هو الآخر في علم الهندسة[6].

3- الفلسفة والمنطق:

- الفلسفة: تعرف المغاربة على الفلسفة بالعدوة المغربية في وقت مبكر بمعية المُتمكن في الفلسفة اليونانية الطبيب إسحاق بن عمران[7] في القرن الثالث الهجري/9م، من خلال تلك المؤلفات الفلسفية التي وضعها بالقيروان، كما لا يستبعد أنه قدّمَ دروسا في الفلسفة؛ لأن أول

---

[1]- ابن الجزار، كتاب في طبّ المشائخ، ص22/ ابن الجزار، كتاب في فنون الطّيب والعطر، ص12.

[2]- سهام الدبابي الميساوي، الطب بين بغداد والقيروان في الأغذية وتدبيرها وحفظ الصحة وتقويم البدن بها، وقائع ندوة بيت الحكمة، ص67.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص99.

[4]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، ص35.

[5]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص282/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص144.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص122-133.

[7]- مختار العبيدي، هل كان للقيروان بيت حكمة في القرن الثالث الهجري، وقائع الندوة التي انتظمت بالقيروان يوم الأربعاء 20 جانفي 2010م بعنوان بيت الحكمة بين بغداد والقيروان- التواصل الثقافي العربي الإسلامي-، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة- تونس، ط1، 2011م، ص49.

تلميذ له بالمغرب كان طبيبا وفيلسوفا مثله ألا وهو المشرقي القادم أيضا: إسحاق بن سليمان المتفلسف حيث قام هو الآخر بالتأليف في مجال الفلسفة[1].

كما كان المـُهَنَّد البغداديّ الوافد على الأندلس من المشاركين في علم الفلسفة أيضاً، قال عنه الحميدي: "وقد حُكيت عنه أخبار تقابِل طريقة الحلاَّج[2] ، وغلوٌ في ذلك يُسيء الظنَّ به، والله أعلم"[3]، إذ من المتحقق عند المتخصصين بأن الحلاج من الفلاسفة الغلاة.

وبالتالي فالفلسفة عرفت في بلاد المغرب مع القادمين من المشارقة قبل بلاد الأندلس وإن صارت في بعض العصور من العلوم الممنوع تداولها في المغرب الإسلامي.

- المنطق: ومن المناطقة الوافدين على بلاد المغارب: أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني، وصفه ابن بشكوال كونه أحد المذكورين: "بالتقدم في علم المنطق"[4]، ولم يسمِّ ابن بسام علم المنطق لما عدد علومه إلا أنه أشار إلى ذلك في قوله بأنه صاحب مشاركة "في أنواع التعاليم"[5]، وكانت صلة ابن حزم به وثيقة ويبدو أنه تأثر بمعرفته المنطقية وإتقانه للتعاليم[6].

واضح جدا أنه في مجال العلوم العقلية لم تشهد بلاد المغارب توافد علماء مشارقة كان لهم دور في دفع الحركة العلمية المغربية - عدا اسمين لطبيبين بارزين "الإسْحاقَيْن"-، وحتى الوافدون كانوا من المشاركين في هذه العلوم فقط، ولم يكونوا من المتقنين لها - أي المتخصصين فيها، وذلك بسبب طغيان علوم أخرى مطلوبة في البلاطات وبين الأوساط العالمة المغربية أكثر.

---

[1]- ابن جلجل، المصدر السابق، صص85-88.

[2]- الحسين بن منصور الحلاج (ت309هـ/992م): أبو مغيث، فيلسوف، أصله من فارس، ونشأ بواسط والعراق، قال عنه ابن خلكان: "والناس في أمره مختلفون: فمنهم من يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفره"، وقتل أيام المقتدر بعد إفتاء القضاة بقتله. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، صص140-146.

[3]- الحميدي ، المصدر السابق، صص237-238.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص90/ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، صص114-115.

[5]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص91.

[6]- نفسه، ج4، صص90- هامش رقم5.



رابعا: الموسيقى والغناء: لقد عرفت بلاد المغارب وجود تراث موسيقي قبل الفتح الإسلامي، وبعد أسلمة المنطقة وفدت الموسيقى الشرقية عن طريق القيان مثل موسيقى الحجاز التقليدية التي كانت قد دخلت قرطبة[1]؛ إننا لا نعرف إن كانت الموسيقى أيضا قد توافدت مع المغاربة أصحاب الرحلة المشرقية، ولكن ما نؤكده أن المشارقة القادمين- فيما بعد الفتح- لعبوا دوراً كبيرا في نقل الموسيقى والغناء من المشرق إلى المغرب الإسلامي- سواء كانوا أحرار أم عبيدا وجواري- فضلا عن مُساهمتهم في تطويرها مغاربيا لتحتل الموسيقى الأندلسية والمغربية مكانة في الحضارة الإسلامية والعالمية فيما بعد.

إن رصْد وتتبع أعلام موسيقى المشرق في بلاد المغارب من خلال الحديث بالتفصيل عن دور كل مُغنيي الشرق القادمين حسبما سجلته لنا المصادر من أبيات شعرية على شكل مقاطع إنشادية في جلسات سمر أومجالس أنْس، فكل أولئك القادمين لم يُضيفوا شيئا مقابل ما قدمه زرياب؛ حيث يعد زرياب الواضع الأول للقواعد الأساسية لعلم الموسيقى والغناء والمبتكر لأساليب التعليم، والمخترع للآلات، حتى أن دوره قد غطى على أدوار كل القادمين، وارتبط اسمه - دون غيره - بالغناء الأندلسي، كما أن كل ما يتعلق بزرياب وموسيقاه في الأندلس لن يكون من غير مصدر رئيس واحد، قال عن ذلك دوايت رينولد: "إنه لمن الغريب أن لا تصلنا معلومات عن هذه الشخصية المشهورة إلا عن طريق مصدر واحد يتكلم عن سيرته وهو نفح الطيب ...للمقري"[2]؛ وإن تألق نجم زرياب فذلك لا يمنعنا من ذكر أولئك الأعلام المشارقة الآخرين الوافدين الذين كان لهم باع في هذا المجال على حسب ما توفر من مادة.

كانت بلاد المغرب تخلوا تقريباً من موسيقيين أكفاء، وأقدم من نقل موسيقى المشرق إلى الأندلس علون وزرقون، فهما أول من توافدا من المغنين المشارقة على الأندلس إلا أن غناءهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه؛ وكذلك عباس بن نصاري ومنصور اليهودي -هذا الأخير- الذي كان في موكب استقبال زرياب [3]؛ كما كان صاعد البغدادي فذا في علم الموسيقي، حيث سجل لنا ابن بسام جلسته الإنشادية للمنصور بن أبي عامر لما ذكر"لم يَجِدْ من مَحيدٍ عن أخذِ العود- يقصد صاعد-، فتناوَلَه وجسَّ أوتاره وسوَّى تَسويةً أطرَبَت ابنَ أبي عامر، ثم اندفع يُنشده: (الطويل)

---

[1]- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذّويب، المرجع السابق، صص336-337.

[2] - Dwight f.reynolds¸ al- maqqari's ziryab: the making of myth¸ Middle Eastern Literatures¸ Routledge-British publisher¸ Vol.11¸ No.2¸ August 2008¸p. 2.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص130/ محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص128.

أبى الْقَلْبُ إَلَّاَ حبّها عامريّةً * لَهَاَ كُنْيَةٌ عَمْرُوْ وَلِيْسٌ لَهَاَ وليس لها عَمْرُوُ

تكادُ يَدِيْ تَنْدى إَذَّاَ لَمَسْتُهَا * وَيَنّبْتُ فِيْ أطْرَافهَا الْوَرِّقُ الْخَضْرُ"[1].

ولم يثبت له غير هذا الأثر في الموسيقى والغناء بالأندلس.

أما زرياب فدوره محوري وأساسي، فقد تتلمذ على أشهر موسيقي المشرق الموصليين إبراهيم وابنه إسحاق ببغداد، ونقل لنا المقري شهادة أستاذه فيه لما قام بتقديمه للخليفة هارون الرشيد الذي كان قد طلب منه الإتْيان بمغنٍّ جديد غريب مجيد للصنعة، لم يسمعه من قبل بقوله- أي إسحاق-: "سمعت له نزعات حسنة، ونغمات رائقة ملتاطَة بالنفس، إذا أنا وَقَفْتُه على ما استغرب منها وهو من اختراعي واستنباط فكري، أُحدس أن يكون له شأن"[2] وبذلك صدق إسحاق بظنه فيه، فحين مُنح زرياب فرصة واحدة أثبت فيها تفوقه على أستاذه.

وكذلك لما عرَّف زرياب بنفسه في جوابه الخليفة الرشيد عندما سأله عن معرفته بالغناء بقوله: "نعم أُحسن منه ما يحسنه الناس، وأكثرُ ما أُحسنه لا يحسنونه"[3]، ولما غنى أبهر الحاضرين وخاصة الخليفة بجمال صوته، وحسن أدائه، وبراعته في الضرب على عود من ابتكاره[4] .

ثم نراه يُؤكد على قدر نفسه وبراعته في علم الموسيقى وبمكانته الغنائية[5] في الكتاب الذي بعث به يطلب ويستأذن الوفادة على الأندلس، ويتأكد الأمر للأميرالأندلسي حينما سمعه فاستهوى له واطّرح كل غناء سواه، وأحبه حبّاً شديداً وقدّمه على جميع المغنين[6].

ومن هنا ستأخذ حَياتُه منعرجاً جديداً، فقد قُدِّر له أن يُصبح على مدى الأزمان رمزاً من رموز الموسيقى والغناء في الأندلس وعند العرب[7]؛ وهكذا حصل زرياب على شهادة براعة وتألق في علم الموسيقى والغناء من أول عالم موسيقي في الشرق وهو أستاذه المذكور، ثم شهادة خليفة وأمير عارفان بهذا الميدان؛ إلا أن الأهم من ذلك هو وعي زرياب بموهبته، فلقد

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج 4، صص14-26.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص122.

[3]- نفسه، ج3، ص124.

[4]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص22.

[5]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص128.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص125/ محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص128.

[7]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص22.



كان زرياب عارفا قدر همته في صناعة الغناء والموسيقى، حيث كان ذا ذاكرة خارقة عملاقة يحفظ على ظهر قلب عشرة آلاف مقطوعة شعرية بألحانها - وهذا العدد من الألحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها-[1]، كما كان شاعراً وأديباً مبدعا في نظم الشعر والموشحات، وتلحين النوبات المختلفة؛ وفلكيا وجغرافيا عالما بقسمة الأقاليم السبعة؛ وطبيعيا ومؤرخا، وصفه أحد الباحثين بقوله: "عملاق أسمر، موسوعة متحركة متكاملة"[2].

ومن مقطوعاته الشعرية التي وضعها لتوافق الغناء، نذكر قوله:

علقتهـــــا ريحانـــة * هيفاء عاطــرة نضيـــره

بين السمينة والهزيلــة * والطـويلـــة والقصيـره

لله أيـــــــام لنــــــا * سلفت على دير المطيـره

لا عيـب فيـها للمتيَّــم * غير أنها كـانت يسيـــــره[3].

إذن، خرج زرياب من المشرق في رحلة البحث عن من يهتم بموسيقاه ويقدر فنه، فقصد أمير الأندلس- صاحب الذوق السليم- الذي يستطيع أن يُوفر لـه الجو المُلائم وهو ما حصل فعلا، لكن حضور زرياب الأندلس لم يكن لوحده بل أوفد معه فرقة موسيقية زريابية تتمثل في أبنائه، فضلا عن جواريه.

لقد بلغ عدد أبناء زرياب عشرة - ذكورا وإناثا- وكانوا كلهم يُتقنون صنعة الموسيقى والغناء بدرجات متفاوتة من حيث "الطبقة الغنائية": فقد كان عبدالله أفضلهم صوتا وأعلاهم مهارة، وورث عبد الرحمن فن والده واحتفظ بالمعهد، وورث محمد مواهب أبيه الشعرية، وكان قاسم أحذقهم غناءً، وكانت حمدونة متفوقة على علية لكن الأخيرة عمَّرت فلم يبقَ من أُسرتها غيرها فغدت مرجعا للدارسين، يقول المقري: "ولم يبق من أهل بيتها غيرها، فافتقر الناس إليها وحملوا عنها"[4] حتى أن أهل الأندلس افتقروا لمعلمي الغناء بوفاة آل زرياب؛ ويعتبر أولاد زرياب الفرقة الموسيقية الأولى التي اعتمد عليها مبدئيا في الغناء والتعليم، واختلفت أدوارهم حسب المهام التي تولوها سواء في حياة أبيهم أو بعد وفاته.

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص127.

[2]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص128-133.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص145.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص129-131.



وبذلك أخذت الموسيقى والغناء منحى آخر في الأندلس بعد قدوم زرياب وأبنائه، فالثابت أن فراغاً حقيقيا كان موجوداً في هذا الميدان[1] ببلاد المغرب إلا أن مجيىء زرياب مع أفراد أسرته الكبيرة كان له دور كبير في نشر موسيقى الشرق وتعليم الغناء.

كما ساهمن الجواري المشرقيات الوافدات على الأندلس في النهضة الفنية على امتداد أزمان، فقد كان لهن دور كبير في نقل ونشر الموسيقى الشرقية في أوساط القصور والبيوت؛ لأنه من المؤكد أن جاريات غيرهن نقلن عنهن وتعلمن منهن هذه الصنعة، ومثال ذلك الجارية العجفاء التي كانت تقول الشعر وتغنيه خاصة في مجال الغزل والشكوى، وقد كان لغنائها أثر كبير في قلوب السامعين؛ من أصواتها المحفوظة تلك، غناؤها بعدما تناولت عوداً: (الكامل)

بيد الَّذِيْ شَغْفَ الْفُؤَادُ بكُمْ * تَفَرِيْجُ مـا أُلْقَىْ من الْـهُـمِّ

فاسْتَيْقِني أنْ قد كَلِفْتُ بِكم * ثُم افْعلي مـاْ شِئت عَن علم

قدْ كَأن صَرْمٌ في المَمات لنا * فعجلت قبْل المَوْت بالصرم.

وغنّت أيضا: (الوافر)

يَاطَّوَّلْ لِيُوْلي أعالج الَّسِقَمْا * إَذِ حِلَّ كل الْأِحَبَّـةُ الْحَرِمَا

مـاْ كُنت أخْشَى فراقكم أبداً * فَاليومَ أَمْسى فراقكم عَزما.

ومن الجاريات المشرقيات اللواتي كانت صنعتهن الغناء: فضل المدينة وصاحبتاها علم المدينة وقمر[2]، أما متعة فكانت من جواري زرياب التي غنت للأمير عبد الرحمن بن الحكم هذه الأبيات: (الوافر)

يا مَنٌ يُغَطَّيَّ هَوَاهَّ * مَنٌّ ذا يُـغَـطّيَّ الْنِّـهَـارَا؟

قد كنتُ أملكُ قَلْبي * حتى عَلِقْـتُ فطـــــارا

يا ويـلتـــا أتـــــراهُ * لي كـان، أو مستعـارا

يا بـأبي قُـرَشـــــيٌّ * خـلعتُ فيــه العِـذارا.

ومن جواري زرياب أيضا اللواتي امتهنَّ الغناء والضرب على العود، نذكر اسم: غزلان وهنيدة [3].

---

[1]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص129.

[2]- المقري، المرجع السابق، ج3، صص140-141/ سي عبد القادر عمر، المرجع السابق، صص122-123.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، صص126.



فعلى أيدي الوافدين من المشرق وخاصة زرياب وأبنائه وجواريه تعلّم أهل الأندلس الغناء، حيث ساهموا جميعا في نهضة الأندلس الفنية؛ وقد كان للمغنيات اللواتي أُحضِرن من المشرق، أو اللواتي علمهن زرياب الغناء والموسيقى دور مهم في الحفاظ على تراثه الفني بالأندلس.

- تحسينات وابتكارات المشارقة في مجال الموسيقى والغناء بالأندلس: والمتعلقة فقط بإضافات زرياب في بلاد المغرب الإسلامي دون الحديث عن التحسينات التي أدخلها على العود بالمشرق[1]، لأن الذي يعنينا هو بلاد المغرب؛ لم يكتفِ زرياب في نقل غناء وموسيقى المشرق وإنما ساهم في تطوير الموسيقى العربية انطلاقا من الأندلس بروح أكاديمية ومنهجية عالية، حين توفر له الجو والاهتمام الذي كان يبحث عنه، مُحْدثا بذلك ثورة موسيقية غنائية بتجديداته سواء في الآلات الموسيقية، أو في شكل الأغنية الأندلسية[2]، فمن تلك الإضافات:

- صنعة المضراب (ريشة العود): ابتكر صنعة مضراب العود من قوادم النسر، وكان يُصنع إلى أيامه من الخشب، ولمضراب زرياب ميزات عديدة، منها لطف قشرة الريشة ونقاؤها وخفتها على الأصابع، مما يزيد في سلامة الوتر الذي تلازمه[3] يقول في هذا الشأن المقري: "وهو الذي اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النّسْر، معتاضاً به من مرهف الخشب؛ فأبرع في ذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الأصابع، وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إيّاه"[4]، لقد كان هذا الابتكار لزرياب في حينه تطويراً جوهرياً، ومذهلا في تاريخ الآلة أي العود، مدعماً في ذات الوقت بكفاءة موسيقاها وتلوينها أضعاف السابق وقدرة أكبر على مقاومة أوتارها للتقلبات الجوية.

- إضافة وتر إلى العود: أو ما يعرف بالعود الزريابي أو العود الكامل أو الشبوط؛ إن العود أقدم وأهم الآلات التي عرفتها البشرية، وللفلاسفة دور كبير في التنظير له[5]، اعتبر أداة

---

[1]- من محاورة الرشيد لزرياب نخلص إلى التحسينات التي أدخلها زرياب بالمشرق وهي: أن وزن عوده يساوي ثلث وزن عود أستاذه، وأن بعض أوتار عوده صنعها من الحرير لم تغسل بماء ساخن يكسبها أنوثة ورخاوة، وأن بَمُّها ومَثْلَثُها وتران غليظان صنعهما من مصران شبل الأسد، ولهما في الترنّم والصفاء والجهارة والحدّة أضعاف ما لغيرها ولهما من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب ما ليس لغيرها من مُصران سائر الحيوان؛ وبذلك فقد طور زرياب مادة صناعة الأوتار من أمعاء شبل الأسد في المشرق، ولم تَشمَل تحسيناته في الأندلس شكل العود ولا مقاساته ولا نوع الخشب، ولم تشمل أيضاً عدد الأوتار وطريقة تسويتها. المقري، المصدر السابق، ج3، ص123/ محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص23/ محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص130- 131.

[2]- نفسه، صص124-135.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص146/ محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص24.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص126.

[5]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص130-131.

الموسيقى الرئيسة في ذلك العصر[1]، وأوتاره أربعة تقابل الطبائع الأربع: السوداء، البغلم، الدم، الصفراء؛ وكان الإلتزام بهذه المقابلة ديدن الفلاسفة والحكماء، إلا أن زرياب حاول تجاوز التقاليد الشرقية التي افترضت ذلك التناسب العددي[2]؛ فأضاف إلى العود وتراً خامساً وهو الذي غلب عليه فاشتهر به بين الخاصة والعامة، وحُسب عليه دون غيره.

ويرجح بأن فكرته في تعديل العود قد كانت موجودة نظريا بالمشرق إلى أن حصل وطبقها بالأندلس[3] بإضافة الوتر الخامس الذي صبغه بلون أحمر، وجعله وسطاً بين الأوتار ليكون بمثابة الدم بالنسبة للقلب، أو ليقوم مقام النفس في الجسد[4].

يفصل في شرح تلك الزيادة المقري بقوله: "وزاد زرياب في بالأندلس في أوتار عوده وتراً خامساً اختراعاً منه، إذ لم يزل العودُ ذا أربعة أوتار على الصنعةَ القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربع، فزاده عليها وتراً خامساً أحمر متوسطاً، فاكتسب به عوده ألطَفَ معنى وأكمل فائدة؛ وذلك أن الزير صُبغ أصفر اللون، وجعل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد، وصُبغ الوتر الثاني بعده أحمر وهو من العود مكان الدم الجسد، وهو في الغلظ ضعف الزير، ولذلك سمي مثنى؛ وصُبغ الوتر الرابع أسود، وجُعل من العود مكان السوداء من الجسد، وسمي البمّ، وهو أعلى أوتار العود، وهو ضعف المثلث الذي عُطل من الصبغ وتُرك أبيض اللون، وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد، وجُعل ضعف المثنى في الغلظ، ولذلك سمّي المثلث؛ فهذه الأربعة من الأوتار مقابلة للطبائع الأربع تقضي طبائعها بالإعتدال، فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب؛ قوبل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم بأخلاطه، إلّا أنّه عطل من النفس، والنفس مقرونة بالدم؛ فأضاف زرياب من أجل ذلك إلى الوتر الأوسط الدموي هذا الوتر الخامس الأحمر الذي اخترعه بالأندلس، ووضعه تحت المثلث -المثلثة- وفوق المثنى، فكمل في عوده قوى الطبائع الأربع، وقام الخامس المزيد مقام النفس من الجسد"[5].

---

[1]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، طبعة خاصة تصدرها دار الرشاد ضمن مشروع مكتبة الأسرة، 2004م، ص332.

[2]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص130-131.

[3]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، صص22-24.

[4]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص131.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص126.



وهذا جدول بأوتار عود زرياب الخمسة بألوانها وما يقابلها في الطَّبائع، وهو مجسد حسب كلام وشرح المقري السابق تبسيطا للفهم، منقول من مقالة باحث موسيقي[1] حاول التوصل لحقيقة هذا الوتر.

اسم الوتر	البم	المثلث	الوتر الخامس	المثنى	الزير
لونه	أسود	أبيض	**أحمر**	أحمر	أصفر
الطبع المناسب	السوداء	البلغم	**النفس**	الدم	الصفراء
صِفتُه	حار يابس	حار ورطب		حار ورطب	حار يابس

إن محاولة إيجاد تبريرات لإضافة الوتر الخامس للعود من طرف زرياب بالدراسة والتحليل حسب التعليل الذي قدمه المقري- والمجسد في الجدول لا يفي لوحده بالحاجة، ولابُدّ من البحث عن علل أخرى تقنية أو موسيقية أو جماليّة تُبرّر هذه الزيادة في أوتار العود[2]؛ ومن تلك العلل:

- فيما يتصل بالناحية التقنية: طريقة العزف على العود؛ يبدو من الصعب إيجاد مبرِّرٍ واحد لزيادة وترٍ بين المثلث والمثنى، خُصوصا إذا علمنا أن النّظام المعهود في تسوية الأوتار يُمكِّن من استخراج كل النغمات اللازمة بكل يُسرٍ[3].

- فيما يخصّ الناحية الموسيقية: لابُدّ أن تقترن إضافةُ وترٍ خامس بتوسيعٍ في المنطقة الصوتية للعود إمّا من جهة الغلظة أو من جهة الحدّة؛ ومن المستبعد أنه وقع توسيعُ المنطقة الصوتية للعود من جهة الغلظة وذلك بإضافة وتر أغلظ من البمّ، وخاصّة أن وتر البمّ يُسَوى دائما على أغلظ صوت تصل إليه حنجُرة المـُغَنّي، مع احتمال تسوية الوتر المزيد على نغمة أحدّ من الزير[4].

ومنه، إمّا أن يكون وترُ زرياب الخامس مجرد وهمٍ من صُنع الخيال الشعبي، ثم اتخذ شكل الحقيقة التاريخية بمجرد أنه دون في كتب الأخبار والتاريخ؛ وإما أن يكون زرياب قد أضاف فعلاً وتراً خامساً لأسباب تقنية وموسيقية أو للأسباب أخرى نجهلُها[5].

---
[1]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص24.
[2]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص24.
[3]- نفسه، ص24.
[4]- نفسه، ص25.
[5] - نفسه، ص26.



وما يرجح الإحتمال الأول أكثر هو مصير عود زرياب، فلم يكتب لعوده الإستمرار والإنتشار وبقيَ قصراً عليه، فالواقع أن عودَ زرياب لم يُعمّر طويلاً بعد صاحبه، أو لربما اندثر بوفاتِهِ، ولا يوجد له أثر في الرقعة الجغرافية التي تشمل دائرة التأثير الثقافي الأندلُسي[1].

ارتبط اسم زرياب في عديد من أصول التاريخ بإضافة الوتر الخامس للعود وتناقل هذه القضية المؤرخون والموسيقيون المحدثون[2] بعدهم، وعن ذلك يقول محمد الأسعد قريعة: "وأيٍّ كان من أمر، فإنه من غير الصحيح والثابت علميا، أن يُقرَن اسم زرياب بالوتر الخامس للعود"[3].

-إختراع آلة الشفير: اخترع زرياب هذه الآلة وأطلق عليها إسم الشفير (البيانون)[4]، كما أصلح زرياب الدفوف والمزامير وأحكم صنعتها بالأندلس[5].

- الفرقة الموسيقية: لقد ابتكر زرياب في الأندلس الفرقة الموسيقية التي تجمع بين العازفين والمنشدين بعدما كان الغناء مفردا- عزفا وإنشادا -، ولعل أول فرقة تمثلت في عائلته وجواريه؛ كما كان يلحن القطعة الموسيقية تلحيناً كاملا يجمع بين الإنشاد الجماعي والفردي والعزف[6].

- كتابة النوتة الموسيقية: ابتكر زرياب طريقة لكتابة النوتة الموسيقية، كما أوجد طريقة لتطبيق الإيقاع الغنائي على الإيقاع الشعري، وغذَّى الموسيقى بمقامات وسلالم عديدة كانت مجهولة قبل زمنه[7].

- الستارة أو المسرح: وهو أول من أنشأ المسرح الصغير الذي تجلس عليه الفرقة الموسيقية وأسماه الستارة[8].

- إبداع الكلاسيكيات والموشحات: كان غناء أهل الأندلس الحداء أو الحدو فأدخل موسيقاه "الزريابية" ليصبح الحداء غناءً شعبياً وموسيقاه هي الموسيقى الكلاسيكية الراقية[9]؛ كما أضاف

---

[1]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص131.
[2]- ينظر حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص332
[3]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص26.
[4]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص130.
[5]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص332.
[6]- نفسه، صص332-333.
[7]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص131/ سمير شيخاني، المرجع السابق، ص152.
[8]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص333.
[9]- نفسه، ص333.



أيضا العديد من الأنماط المشرقية للحياة الموسيقية؛ وتحديداً في تطبيق الإيقاع الغنائي على الإيقاع الشعري، والغناء على نهج النوبة الأندلسية فأوجد أربعا وعشرين نوبة [1]، كل واحدة منها تناسب ساعة من اليوم؛ وكذا الأجواء الفنية التي أوجدها زرياب ساهمت في بناء الأسس الفنية للموشحات[2] التي ابتعد فيها الشعراء عن تلك البحور العربية التقليدية الطوال والقوافي المترددة لتنسجم وشعر مجالس الطرب والغناء.

- **في طريقة الغناء:** ابتدع طريقة جديدة في الغناء، فأصبحت الوصْلة الموسيقية تُستهل بالنشيد أو الأغنية دونما اللجوء إلى النقر أو الإيقاع؛ ومن ثم ينتقل المغنّي إلى لحن آخر موزون بالإيقاعات الثقيلة، ثم البسيطة؛ وتختم الوصلة بالمحركات والأهزاج[3]، يذكر المقري بأنه قد "استمر بالأندلس أن كل ما افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد أو شَدْوِهِ بأي نَقْرٍ كان، ويأتي إثره بالبسيط، ويتم بالمحركات والأهزاج تبعاً لمراسم زرياب"[4].

- **تعليم الغناء:** أنشأ زرياب أول معهد للموسيقى في العالم بقرطبة عام 210هـ/825م، يسمى "دار المدنيات" على نفقة الأمير عبد الرحمن لتعليم أصول الغناء والموسيقى والعزف وفنون الشعر، ووضع قواعد القبول ومناهج الدراسة، وابتكر طرقاً لتعليم الغناء ظلت مثلاً يحتذى في المشرق والمغرب، وكان يختار دارسيه للغناء عبر مراحل، فأول ما كان يبتدئ به هو إجراء إختبار للأصوات لانتقاء الطلاب.

فقد ابتكر اختبارا للأصوات، فكان يجلس الدارس ويطلب منه أن يصيح بقوة : يا حجام، أو يغني: آه ممدودة على جميع درجات الموسيقي، وذلك اختراعاً من زرياب؛ فإذا سمع صوتاً ندياً لا تعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس أجازه للدراسة وتقدير درجة جودته[5]، ويشير إلى ذلك المقري "كان إذا أراد أن... يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمَرَه أن يصيح بأقوى صوته: يا حَجّام، أو يصيح: آه، ويمدَّ بها صوته، فإن سمع صوته بهما صافيا

[1]- إلى اليوم ورغم القرون الطويلة ضاع ثمانية إيقاعات فقط من أصل الأربعة والعشرين. محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص133.

[2]- يذكر ابن خلدون أن أول من برع في الموشحات في الأندلس عبادة القزاز شاعر العتصم بن صمادح صاحب ألمرية. العبر، ج1، ص817.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص145، وص152/ محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص132.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص128.

[5]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص129.



نديّاً قويّاً مؤدياً لا يعتريه غُنّة ولا حبسة ولا ضيق نَفَس عرف أنه سوف ينجب وأشار بتعليمه، وإن وجده خلاف ذلك أبعده"[1]، وإذا اختار دارسيه لقنهم الغناء بطرقه المختلفة.

في البدء اتخذ زرياب هيئة التدريس من أبنائه وبناته وجواريه، تعلم الدارسون مختلف أنواع العزف والغناء والتلحين والشعر وعروضه[2]؛ وكان شديد الإخلاص في تعليم تلامذته الغناء، وكان له فنون في ذلك وأصول يتّبعها مع أصحاب الأصوات المختلفة لتقويم أصواتهم[3].

وكان يهتم بتربية الصوت وتوسيع مداه، ويلزم التلاميذ بالقيام بتمارين وتدريبات عسيرة لكي يخرج الصوت من القفص الصدري كله لا الحنجرة، والغرض من ذلك أن تستخدم إمكانيات المغني الصوتية استخداماً كاملاً، فتتسع قدرته للتعبير الغنائي عن المعاني والأحاسيس[4].

يقول المقري: "كان إذ تناول - أي زرياب- الإلقاء على تلميذ يعلّمه أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة، وأن يشدَّ صوته جدّاً إذا كان قويَّ الصوت، فإن كان ليِّنَه أمره أن يشد على بطنه عمامة، فإن ذلك ممّا يقوي الصوت، ولا يجد متسعاً في الجوف عند الخروج على الفَمِ؛ فإن كان ألصَّ الأضراس لا يقدر أن يفتح فاه، أو كانت عادته زم أسنانه عند النطق، رَاضَه بأن يدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاثة أصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفرج فَكّاه"[5].

وقسم الطلبة إلى صفوف وفق المستوى الصوتي الصافي والقوي، واستبدل الألحان الحجازية الشائعة بألحان بغدادية، واستحدث طريقة سهلة ممنهجة للتعليم عبر ثلاث مراحل:

- تعليم الإيقاع في قراءة الشعر وأن ينقر الدارس الدف ليظهر له زمن الإيقاع ويضبطه.
- دراسة اللحن في شكله الأولي.
- ترجيع الصوت من حلية الغناء وإظهار العواطف والأحاسيس.

وقد كان تعليم الغناء قبل زرياب يتم عن طريق التلقين وتكرار المعلم لطلابه اللحن[6].

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص129.

[2]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص130.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص151.

[4]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص332.

[5]- المقري،المصدر السابق، ج3، صص128-129/ وينظر يقول محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص129.

[6]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص129.



- الآلات التي جلبها من المشرق إلى الأندلس: قام زرياب بإحضار الآلات المعروفة من المشرق فتكونت في الأندلس ثروة غير مسبوقة من: الآلات كالطنبور والشهرود والقيثارة والمزهر والكنارة والقانون والصبح والرباب بأنواعها والزمار والناي والسرناي والشبابة واليراع والبوق والنفير والدفوف وغيرها.

كما قام زرياب بكتابة الأشعار على ملابس المغنيات وآلات الطرب، وأشاع الغناء والرقص في الأعياد والافراح[1].

من هنا فإننا لا ننكر أنه مبدع في مجاله، وربما كثير من التقنيات والأساليب قدم بها من المشرق، أو طورها في الأندلس.

أما عن أثر وفادة أعلام الموسيقى والغناء المشارقة إلى بلدان المغارب، فإن أول اهتمام حقيقي بفنَّي الغناء والموسيقى في بلاد المغرب والأندلس ظهر مع وصول زرياب إلى الأندلس، فما إن حل بها حتى حلت موسيقى بغداد المتطورة فيها، وما لبثت الأندلس أن أخذت الريادة للشرق في هذا الميدان، وغدت قرطبة بمكانة بغداد؛ ورد في كتاب تاريخ الحضارة العربية الإسلامية "لقد اعتبر المهتمون بالغناء العربي وتاريخه أن لزرياب وبنيه من بعده الفضل في حمل الأندلس لواء الموسيقى منذ ذلك الحين عِوضًا من بغداد"[2].

يعتبر زرياب رائد الحركة الأدبية الغنائية الجديدة في الأندلس[3]، فهو يُناصر التلاقح الثقافي والفني بين مسقط رأسه بغداد ومكان إقامته الجديد؛ له مكانة كبيرة في تاريخ الأمويين بالأندلس إذ يعتبر الموسيقي العبقري الكبير الذي يضاهون به العباسيين بالمشرق، ولا نعلم أن أحداً كُتِبَ له أن ينشد في البلاطين غير زرياب الفنان والعالم الموسيقي حامل لواء الإنشاد للدولة الأموية في الأندلس[4].

يقول الحميدي: "وزرياب عندهم كان يَجري مجرى الموصلي في الغناء، وله طرائق أُخذت عنه، وأصوات استُفيدت منه، وأُلِّفت الكتب بها"[5].

[1]- نفسه، المرجع السابق، ص130.

[2]- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذّويب، المرجع السابق، صص336-337.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص145.

[4]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص125.

[5]- جذوة المقتبس، ص106.



لكن الأندلس لم تكن لتأخذ تلك المكانة الرفيعة في تاريخ الغناء والموسيقى العربية لولا حكمة أميري الأندلس الحكم وابنه عبد الرحمن اللذان استقطبا بسياستهما تلك الموهبة التي ضيعها الأغالبة في بلاد المغرب، فقد استقبل أمويو الأندلس زرياب ورفعوا من قدره.

ولذلك يحتل الأمير عبد الرحمن في تاريخ الغناء الأندلسي مكانة مرموقة وهي أرفع مكانة بين أسلافه؛ لأنه كان "صبًّا بالغناء، مولعا بالسماع، مُقدّما له على جميع لذاته"[1]، فاجتذب زرياب إلى الأندلس الذي رفع فيها شأن الغناء ونشره، حتى قال عنه خلدون في هذا الصدد: "فَأَوْرَثَ بالأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الغِنَاء مَا تَنَاقَلُوهُ إلى أَزْمَانِ الطَّوائِفِ، وطَمَا منْها بإشبِيلية بحر زَاخِرٌ وتناقل منها بعد ذَهَابِ غَضَارتهَا إلى بِلاَد العُدْوة بإفْريقيَّة والمَغرب"[2].

لزرياب الأثر البالغ في تطور صناعة الغناء، وفي تطور الشعر الأندلسي؛ ولكي تزدهر هذه الصنعة كان لابد أن تصبح مقبولة وذات مكانة في الوسط الأندلسي وذلك ما فطن له زرياب.

فلقد ساهم في تغيير المفاهيم؛ ففي البداية حبَّب الغناء والموسيقى إلى نفوس أهل الأندلس، حتى أصبح الغناء في نهاية القرن الثالث للهجرة/9م أمرا شائعاً مألوفاً، كما زال التحفّظ من جانب الفقهاء والمؤدبين الذين لم يكونوا ينظرون بعين الرضا إلى الغناء، وأهل الغناء[3] والموسيقى.

وهذا ما دفع ابن عبد ربه إلى وصف الغناء في كتابه العقد الفريد بقوله أنها "الصناعة التي هي مراد السمع، ومرتع النفس، وربيع القلب، ومجال الهوى، ومسلاة الكئيب، وأُنس الوحيد، وزاد الراكب؛ لعظم موقع الصوت الحسن من القلب، وأَخْذه بمجامع النفس"[4].

أما عن أثر الغناء، فإن صاحب العقد ذكر أيضا بأنه "قد يُتوصل بالألحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة؛ ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف، وصلة الرحم...وقد يبكي الرجل بها على خطيئته، ويرق القلب من قسوته، ويتذكر نعم الملكوت ويمثله في ضميره"[5].

---

[1]- مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص253.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص540.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص150.

[4]- ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج7، ص3.

[5]- نفسه، ج7، ص5.



كما ساهمت الجواري الأندلسيات اللواتي أخذن على زرياب الغناء وبرعن فيه في دفع قوة ذلك الأثر، نذكر منهن الجارية مصابيح التي تمتع بسماعها ابن عبد ربّه ليكتب فيها أبياتا بعدما أدهشته بروعة وجمال صوتها، منها ما يلي: (البسيط)

يا من يَضَنُّ بصوتِ الطائرِ الغَرِدِ * مَاْ كُنتُ أحْسبُ هـذاْ البُــخل في أحَــدِ

لَوْ أنَّ أسماعَ أهلِ الأرضِ قاطبـةً * أصْغَتْ إلى الصَّوتِ لم يَنْقُصْ ولَمْ يـَزِدِ

فــلا تَضِـنَّ عـلى سَمْـعٍ تـُقَلِّـدُه * صَوْتاً يَجُـولُ مَجـالَ الرُّوحِ في الجَسَــدِ

لَوْ كــانَ زِرْيَابُ حَيّـا ثم أُسْمِعَــه * لـذابَ مِنْ حَسَــدٍ أو مــاتَ مــِنْ كَمَــدِ[1].

في نظرنا، أن عبقرية زرياب لم تكمن في إتقانه لعلم الموسيقى والغناء، ولا في ابتكاراته تلك، ولا في أساليبه التعليمية للغناء، ولا حتى في جلبه للآلات من المشرق، بقدر ما تكْمُن في قدرته على تغيير نظرة الخاصة والعامة في المجتع الأندلسي للغناء والموسيقى، حيث أن تَقَبُل الأندلسيين لهذا الفن وحسن تقديرهم لمكانته والإستماع إلى أصحابه واحترامهم جعل الصنعة تُدرَّس وتتدارَس، وتُؤلف فيها الرسائل والكتب؛ ولربما كان دافع زرياب لذلك حبه الشديد لها حيث فكر في حفظ شرف هذا الفن على أمد طويل، وذلك ما حصل حتى بعد سقوط الأندلس.

وصفه المؤرخ حسين مؤنس بأنه كان "شخصية محترمة ذا سمتٍ ووقار، ولم تؤثر عنه هفوة خلق أو سوء تصرف، بل كان يتحامى الشراب ولا يتعاطاه ...فقد كان من القلائل الذين أخلصو للفن وجددوا فيه وحافظوا على السمة المحترمة للفنان... وكان لا يذهب بموسيقاه إلى بيوت الأغنياء، وإنما يذهب لدراه من يريد أن يستمتع بفنه"[2].

إنه وبفضل زرياب ومدرسته الفنية المُجددة ازدهرت في المغرب الإسلامي سوق الفن[3]، فقد تطور فنُّ الغناء في الأندلس بفضل التجديد في الشعر الغنائي حيث قاد الأندلس لواء الـمُوشَّح والزَّجل بطابعهما الشعبي والرومانسي، فكان ذلك فتحا جديدا في دنيا الموسيقى والغناء الذي تأثر بالظروف البيئية والطبيعية في الأندلس.

[1]- الحميدي، المصدر السابق، صص105-106/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص131.

[2]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص334.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص152.



كما تأثر الغناء والموسيقى المغربية بما وفد عليها من الأندلس بعد النهضة التي عرفتها الأندلس في هذا المجال، إذ أن أبا الصلت أمية بن عبد العزيز[1] هو الذي أدخل الموسيقى الأندلسية إلى إفريقية، كما انتقل هذا الفن إلى بلاد المغرب عقب خروج المسلمين من الأندلس بعد سقوط غرناطة 898هـ/1492م أو قبل ذلك مع اللجوء إلى بلاد المغرب.

لقد نسج زرياب مسار الموسيقى ووضع أسسها لتبقى خالدة إلى اليوم دون تغييرات مهمة تذكر بعده رغم القرون الطويلة، وأعطى للإنسانية ذخائر فنية وجمالية أحدثت مزاجاً حضارياً وثقافياً بين المشرق والمغرب غير مسبوق إلى أن تراخت الأندلس مؤذنا ذلك بسقوطها في نهاية المطاف.

وهكذا كان من حق زرياب ذلك الطائر المغرد في سماء الأندلس أن يحتل مكانة مرموقة في تاريخ الأغنية الأندلسية، حين أقام جسراً روحياً بين المشرق بكل سحره وثقافته وموسيقاه وفنونه وبين الأندلس[2] وشهر شهرة ضرب بها المثل في ذلك[3].

---

[1]- أمية بن عبد العزيز (460-529هـ/1068-1135م): أبو الصلت الدَّاني، حكيم، أديب، رحل إلى المشرق، ثم عاد إلى المغرب واستقر بالمهدية وتوفي بها، ومن مؤلفاته: الحديقة، رسالة العمل في الإسطرلاب وغيرها من المؤلفات. الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص23.

[2]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص134-137.

[3]- الحميدي، المصدر السابق، ص106.



الفصل الثاني: مؤلفات العلماء المشارقة في بلاد المغارب والمؤلفات الوافدة معهم

أولا: مؤلفات العلماء المشارقة الوافدين في بلاد المغارب

ثانيا: المؤلفات الوافدة مع العلماء المشارقة إلى بلاد المغارب

1- المؤلفات الشخصية للوافدين على بلاد المغارب

2- المؤلفات المشرقية المجلوبة مع العلماء الوافدين

ثالثا: مؤلفات الرحالة المشارقة القادمين بلاد المغارب التي تتضمن الحديث عن بلاد المغارب.

أولا: المؤلفات العلماء المشارقة الوافدين بلاد المغارب: تشمل المؤلفات التي كتبت على أرض المغرب بفضل عناية الحكام المغاربة.

لقد حل المشارقة في مدن وعواصم بلاد المغارب، وألف البعض منهم أكبر أعمالهم في المغرب، منها الموجود ومنها المفقود، وتلك المؤلفات تعتبر مشرقية الأصل والمصدر ومغربية المولد، لأن هؤلاء القادمين درسوا العلوم وأخذوا المعارف من العلماء المشارقة في أوطانهم، وأغلب من وُجدت مؤلفاتهم يذكرون شيوخهم المشارقة وعناوين كتبهم في خطب ومقدمات مؤلفاتهم أو ضمن المصنف.

- مؤلفات الطبيب إسحاق بن عمران: ارتبط ذكر اسم هذا الطبيب وشهرة مؤلفاته ببلاد المغرب، وعلى ما يبدو فإن كل كتبه قد وضعها بالقيروان، ذلك لأن المتتبه لمسيرة إسحاق يجد ذكر كل ما تعلق بحياته في المرحلة المغربية فقط، يقول ابن جلجل: "استوطن القيروان حينا، وألف كتبا منها كتابه المعروف بنزهة النفس، وكتابه في داء المالخونيا لم يسبق إلى مثله، وكتاب في الفصد، وكتابه في النبض"[1]، واقتصر ابن جلجل على ذكر تلك العناوين كمثال فقط، بينما لإسحاق عدة مؤلفات نذكرها فيما يلي:

- المنالنخوليا: كتاب موجود ومطبوع[2]، وهو عبارة عن مقالتين في داء المالنخوليا، وهي المرض المعروف بالسوداوية وبمرض الوسواس، ويرد اسم هذا المرض في الكتب العربية على أشكال مختلفة منها مالنخونية، مالنخوليا، ملخونيا، الماليخوليا، وهو الكتاب الوحيد الذي وصل من مؤلفات إسحاق بن عمران[3].

- رسالة في حفظ الصحة وتدبيرها: وهي رسالة قصيرة من إسحاق إلى بعض إخوانه في حفظ الصحة وتدبيرها في ثلاث صفحات ذكرها صاحب العقد الفريد[4].

- العنصر والتمام: وهو مؤلف في المادة الطبية، وألفه برسم زيادة الله الثالث الأغلبي وهو مفقود.

- كتاب في الفصد: مصنف في المادة الطبية وأشار إليه حاجي خليفة وهو مفقود.

- كتاب في النبض: مؤلف طبي مفقود، ذكره حاجي خليفة في ترجمته[1].

---

[1]- ابن جلجل، المصدر السابق، ص85.

[2]- مقالة الماليخوليا قام بتحقيقها عادل العمراني والراضي الجازي، بيت الحكمة، القيروان، 2009م. ابن جلجل، المصدر السابق، ص84-86؛ وص84- هامش رقم:32، وص86 هامش رقم 8.

[3]- ابن جلجل، المصدر السابق، ص84-85؛ وص84 هامش رقم:32، وص 86هامش رقم8/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص163.

[4]- ابن عبد ربه الأندلسي، المصدر السابق، ج8، صص45-47/ ابن جلجل، المصدر السابق، صص84- هامش رقم:32.

- كتاب نزهة النفس: مصنف مفقود، سماه حاجي خليفة "نزهة النفس في الطب"[2]، وقال في موقع آخر: "كتاب النفس- لأرسطو[3]، وهو على ثلاث مقالات نقله حنين إلى السرياني تماماً، ونقل إسحاق منه شيئاً يسيراً، ثم نقله ثانياً وأجاد فيه، وشرح تامسطيوس[4] هذا الكتاب بأسره ...، ونقل إسحاق ما حرره تامسطيوس إلى العربية من نسخة رديئة، ثم أصلحه بالمقابلة مع نسخة جيدة"[5]، وبذلك لا يُعرف إن كان من تأليف إسحاق أو نقْل لكتاب أرسطو مع إضافات وشرح.

- مقالة في نوادر الطب ولطائف الحكمة.

ومن أسماء المؤلفات الأخرى المفقودة التي أوردها له حاجي خليفة في كشف الظنون:

- الأدوية المفردة: يقول حاجي خليفة: "جمعها جمع من الأطباء قديماً وحديثاً منهم...إسحاق بن عمران البغدادي الطبيب"[6].

- كتاب في البول من كلام أبقراط[7].

- أقاويل جالينوس[8] في الشراب.

- كتاب في بياض المدة ورسوب البول وبياض المني.

- مسائل مجموعة في الشراب.

- مقالة في الإبانة عن أشياء يقال إنها تشفي الأسقام.

- مقالة في الإستسقاء.

- مقالة في علاج القولنج[1].

---

[1]- ابن جلجل، المصدر السابق، صص84-85، وص84هامش رقم 32/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص163.

[2]- ابن جلجل، المصدر السابق، ص84-85 وص84هامش رقم 32/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص163؛ وج2، ص755.

[3]- أرسطو: وهو أرسطوطاليس بن نيقوماس الفيثاغورسي الجهراشني تلميذ أفلاطون، وإلى أرسطو انتهت فلسفة اليونانيين وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم، وله كتب كثيرة . القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي الكتبي، طبع بمطبعة السعادة، القاهرة، د.ت، صص22-39.

[4]- تامسطيوس أو ثامسطيوس: زمانه بعد جالينوس، فيلسوف، كاتب لليوليانس المرتد إلى مذهب الفلاسفة عن النصرانية، وله تفاسير لكتب أرسطوطاليس، ومن مؤلفاته كتاب ليوليانس في التدبير، كتاب الرسالة إلى ليوليانس الملك. نفسه، صص75-76.

[5]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص397.

[6]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص163، وج1، ص103.

[7]- نفسه، ج5، ص163، وج2، ص351/ وأبقراط: من أهل إسقلابيوسن كان مسكنه مدينة قو- وهي مدينة حمص من أرض الشام، وكان فاضلا متألها ناسكا، وهو الذي تكلم في الطب وألف فيه الأسفار والكتب، من مؤلفاته كتاب الفصول، كتاب الأمراض الحادة. ابن جلجل، المصدر السابق، صص16-17.

[8]- جالينوس: الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني، عاش بعد سيدنا المسيح بنحو200سنة وبعد بقراط بنحو 600 سنة، من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين، كان إمام الأطباء ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان. القفطي، المصدر السابق، صص85-89.

- **مؤلفات الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي:** كان كحالة في بدايته، وقد تتلمذ في علمي الطب والفلسفة على يد إسحاق بن عمران، ثم خدم عبيد الله الشيعي، وألف كتبه الطبية والفلسفية قد وضعها بالمغرب التي لم يرحل عنها لغيرها بعدما استوطنها حيث كانت وفاته بها، ومن مؤلفاته:

- كتاب في البول: مؤلف في المادة الطبية، يوجد بدار الكتب الوطنية بتونس مخطوطا في نسختين[2]: نسخة مخطوطة بخط مغربي، ونسخة مصورة عن مخطوطة بمكتبة الفاتيكان، الأولى معنونة بكتاب البول، والثانية كتاب معرفة البول، وهو "كتاب مجموع من أقاويل الأوائل في معرفة البول وأقسامه ودلائله ما عني بجمعه وتأليفه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي المتطبب وصيره عشرة أبواب"[3]، قال ابن جلجل: "وله تواليف لم يسبقه أحد إلى مثل بعضها، ككتابه في البول فإنه أشبع كتاب ألفه مؤلف، بذ فيه جميع المتقدمين"[4]، وقد ذكره حاجي خليفة أيضاً[5].

- كتاب الحميات: مؤلف في المادة الطبية موجود، قال ابن جلجل: "وقيل له: أيسرك أن لك ولداً؟- أي إسحاق- قال: أمَّا لما صار لي كتاب الحميات أكثر فلا؛ يعني أن بقاء ذكره بكتاب الحميات، أكثر من بقاء ذكره بالولد"[6]، وقال صاحب كشف الظنون: "كتاب الحميات أجود ما صنف فيه"، وأضاف قائلا: "وهي خمس مقالات، ولم يوجد في هذا الفن مثله، اختصره موفق الدين البغدادي"[7]، وبذلك أخذه عليه المشارقة واختصروه.

- الأغذية والأدوية: مصنف موجود في المادة الطبية، يفتتحه صاحبه بالتنويه إلى أهمية الغذاء بالنسة للصحة "قال إسحاق بن سليمان: إنّ السبب الذي دعا الأوائل إلى الكلام في طبائع الأغذية هو أنّهم لمّا عُنُوا بالبحث عن الصّحة وأسبابها، والأمور الدّاعية إلى حفظها، وجدوا

---

[1]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص163.

[2]- النسخة المخطوطة الأولى تحت رقم 19880: كتاب البول، تأليف إسحاق بن سليمان الإسرائيلي بخط مغربي، يشتمل على عشرة أبواب، به نقص بعض الأوراق، وبعض هوامش الكتاب مقابلات على الشيخ أبي إسحاق إبراهيم النابلي؛ من وصف لحالة المخطوط موجود في غلاف كراسة المخطوط تحت رقم19880: تحوي 83 ورقة، معدل كل ورقة 17 سطرا، X14.820.5/.

- النسخة الثانية المصورة على المخطوطة: تحت رقم 18778: مصورة عن مخطوطة مكتبة الفاتيكان (biblioteca Apostolica Vaticana .Vat. ARABO 3/10) ، تحمل عنوان: معرفة البول، تأليف إسحاق بن سليمان الإسرائيلي؛ تحوي 51 ورقة، واضحة وسهلة القراءة.

[3]- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، مخطوط معرفة البول، تأليف، دار الكتب الوطنية بتونس، تحت رقم 19880، ورقة1.

[4]- ابن جلجل، المصدر السابق، ص87.

[5]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص164؛ وينظر أيضا ج2، صص350-351.

[6]- ابن جلجل، المصدر السابق، صص87-88.

[7]- حاجي خليفة، كشف الظنون،ج5، ص164؛ وج2، ص385/عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي (ت629/1231م) أبو محمد، موفق الدين البغدادي الشافعي، الطبيب والأديب النحوي، سافر إلى الشام ودخل مصر، وقرأ عليه الناس الأدب والطب. الصفدي، المصدر السابق، ج16، ص73.

الأبدان مضطرّة إلى أمرين: أحَدُهما: إعطاؤها من الغذاء ما يُصلحها ممّا به قوّتها وقوامها....والآخرُ: نفْيُ ما يجتمع في الأبدان من قسم الغذاء المخالف لمزاجها"[1].

- مدخل إلى صناعة الطب: ورد بعنوان "المدخل في الطب"، وذكره حاجي خليفة.

- كتاب النبض: اختصره الفيلسوف موفق الدين البغدادي.

- كتاب الأوائل والأقاويل: وذكره حاجي خليفة.

- كتاب في الترياق: ورد في كشف الظنون.

- كتاب دليل الأطباء.

- كتاب الإسطقسات: ويقال أيضا الإستقسات، وأشار إليه حاجي خليفة [2] دون شرح.

في الحكمة والفلسفة والمنطق:

- بستان الحكمة: مصنف في الفلسفة، وقيل بستان الحكمة أوبستان الحكيم، وفيه مسائل من العلم الإلهي.

- كتاب في الحدود: في الفلسفة، بينما عند حاجي خليفة "كتاب الحدود والرسوم".

- كتاب في المنطق: في الفلسفة، ويعرف أيضا بالمدخل إلى المنطق.

- كتاب في الحكمة[3].

- **مؤلفات الأديب أبي علي القالي:** لقد وضع القالي أكثر كتبه بقرطبة بتشجيع من الحكم، يقول ابن خلكان: "ودخل قرطبة... وأكثر كتبه بها وضعها"، وفي وصف مؤلفاته قال: "وله التواليف الملاح"[4]، أما السيوطي فيقول: "فدخل قرطبة... وقرأ عليه النّاس كتب اللّغة والأخبار وصنّف بها"[5]، ومن أبرز مؤلفاته:

- كتاب الأمالي: مؤلف لغوي مُتداول، من أمهات كتب الأدب العربي، وأهم آثار القالي العلمية، قال صاحبه بعد خطبة الكتاب: "فإني لَمَّا رأيت العلمَ أَنْفَسَ بضاغة، أيقنت أن طلبه أفضل تجارة، ...ثم أعملتُ نفسي في جمعه وشَغَلْت ذهني بحفظه، حتى حَوَيْت خَطِيره،

---

[1]- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، الأغذية والأدوية، تحقيق وتقديم وشرح فاطمة الأخضر، المطبعة الرقميةBBP، المنزه- تونس، سبتمبر 2015م، ج1، ص1.

[2]- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، الأغذية والأدوية، ج1، ص12/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص396 وص342، وصص530-531؛ وج5، ص164.

[3]- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، الأغذية والأدوية، ج1، ص12/ ابن جلجل، المصدر السابق، صص87-88/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص236/ نفسه، ج2 ص356 وص351/ نفسه، ج5، ص164.

[4]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226.

[5]- السيوطي، بغية الوعاة ج1، ص473.

وأحرزت رَفِيعَه، ورَوَيت جليلَه، وعرفت دقيقَه، وعَقَلْتُ شارده، وقيّدتُ نادرَه، وعَلِمت غامضه، وَوَعَيْت واضحه... "[1].

ووسمه باسم أمير المؤمنين الناصر وابنه الحكم المستنصر حين قال: "فَغَبَرْتُ بُرْهَةً ألتمس لنشره مَوْضِعاً، ومكثت دهراً أطلب لإذاعته مكانا، وبَقِيتُ مُدّةً أبْتَغي له مشرِّفا، وأقمت زمناً أَرْتاد له مُشْتَرِياً...بأن مشرّفَه في عصره أفضلُ مَنْ ملك الورى...عبد الرحمن بن محمد مُحيي المكارم...والمُنيل قبل أن يُستنال الحكم وليّ عهد المسلمين.. "[2].

وقد وضعه بقرطبة حيث قال: "فأمللت هذا الكتاب من حفظي في الأخْمِسة بقُرْطُبة، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة"[3]، ومحتواه فنون من الأخبار، وضروب من الأشعار، وأنواع من الأمثال، وغرائب من اللغات على حد تعبير صاحبه[4]، وقد أخذه عليه كاملا ثمانية عشر عالما وأديبا أندلسيا أحصاهم محمد مصطفى أبو شوارب بالإعتماد على فهرسة ابن خير في كتابه حول أبي علي القالي[5]، وعن هؤلاء تمت رواية الكتاب في سائر أرجاء الأندلس، وعنهم أخذه جماعة كبيرة يصعب إحصاؤهم.

وعليه، فقد لقي أمالي القالي رواجاً واهتماما كبيراً بالأندلس، وكان له التأثير الواسع في الدراسات اللغوية والأدبية لذلك حرص علماء اللغة الأندلسيون على روايته وتداوله كثيراً، ومن ثمة عكفوا على إنتاج الشروح والحواشي له[6]؛ ولعل أهم تذييل على الأمالي لصاحب المسالك والممالك البكري أبوعبيد عبد الله بن عبد العزيز المتوفى سنة (487هـ/1094م) بكتاب عنوانه التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، وهو الجزء الرابع من كتاب الأمالي المطبوع[7].

---

[1]- القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، كتاب الأمالي ويليه كتاب الذيل، والنوادر للمؤلف وكتاب التنبيه لأبي علي البكري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص1. ويحوي المؤلف أربعة أجزاء جزأين للأمالي، والجزء الثالث للذيل والنوادر، والجزء الرابع التنبيه للبكري.

[2]- نفسه، ص2.

[3]- نفسه، ص3.

[4]- نفسه، ص3.

[5]- وهم: أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي، أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد القاضي، أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد، أبو عثمان سعيد بن عثمان القزاز، أبو علي الحسن بن أيوب الفقيه الحداد، أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل، أبو بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي، أبو بكر عباس بن أصبغ الحجاري، أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب، أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الجسور، أبو القاسم أحمد بن محمد بن معارك العقيلي، أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم المعروف بابن الهندي، أبو عبد الله حبيب بن أحمد الشطجيري، أبو سعيد أحمد بن محمد بن سليمان الأصبحي، إبراهيم بن عبد الرحمن التنيسي، القاضي أبو محمد عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمي، القاضي أبو القاسم خلف بن غمرون، القاضي أبو أيوب سليمان بن خلف بن غمرون. محمد مصطفى أبو شوارب، أبو علي القالي ومنهجه في رواية الشعر وتفسيره، دار الوفاء، الإسكندرية، د.ت، صص24-25.

[6]- نفسه، صص24-29.

[7]- البكري، التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج4، صص3-132.

- النوادر: مؤلف في اللغة متداول مطبوع صغير الحجم ضمن الجزء الثالث من كتاب الأمالي، حيث أن القالي لم يُخصص له خطبة مستلقة، وإنما أتبع الكلام فيه للأمالي مباشرة[1]، وهو من المصنفات الحسنة، وضعه بقرطبة، وأملى شيئاً من حفظه[2] بها، شرحه عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت487هـ/1094م) ، واختصره أحمد بن عبد المؤمن الشريشي[3].

- كتاب ذيل الأمالي والنوادر: وهو ضمن الجزء الثالث من كتاب الأمالي، ويبتدئه صاحبه مباشرة دون خطبة، وهو ذيل على الكتابين سابقي الذكر[4].

- كتاب الأفعال: مصنف أدبي، حيث يعتبر القالي أول من فتح الباب في هذا النوع من التأليف في بلاد المغرب.

- كتاب المقصور والممدود: ما يزال موجود، في الأدب، من المصنفات الملاح للقالي، وقد جمع فيه ما لا يحد ولا يعد، وأعجز مَنْ بعده، وفاق من تقدّمه، ورتبه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، مستقصى في بابه لا يشذ منه شيء، وأملى شيئاً من حفظه منه بقرطبة، بعدما وضعه هناك[5].

- كتاب الإبل: ويرد باسم كتاب في الإبل ونتاجها، وهناك من يضيف "وجميع أحوالها"، من التواليف الملاح، صنفه بقرطبة وأملى شيئاً من حفظه بها، وأشار إليه حاجي خليفة أيضاً في كشف الظنون[6].

- كتاب الخيل: لا نعرف إن كان هذا المؤلف مستقلا لأنه ورد أيضا باسم "الإبل والخيل"، وسماه ابن خلكان كتاب في حلي الإنسان والخيل وشياتها، وعند حاجي خليفة "حلى الإنسان والخيل"، وهو من التواليف الملاح، أملى شيئاً من حفظه بقرطبة التي وضعه بها[7].

- حَلْي الإنسان: ولا نعرف إن كان نفسه المُؤلف سابق الذكر[1].

---

[1]- القالي، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، ويليه كتاب النوادر وكتاب التنبيه على أبي علي القالي في أماليه للبكري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج3، صص158-224.

[2]- السيوطي، بغية الوعاة ج1، ص473/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص70-74.

[3]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص777 / أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن الشريشي (المتوفى سنة 619هـ/1222م): كان مبرزاً في المعرفة والنحو، حافظاً للغات، ذاكراً للآداب، كاتباً بليغاً فاضلاً ثقة، عني بالرحلة في طلب العلم، له كتاب شرح الإيضاح، وشرح الجمل للزجاجي، واختصر نوادر أبي علي. الفيروزأبادي، البلغة، صص77-78.

[4]- القالي، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، ج3، صص1-155.

[5]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص473/ المقري، المصدر السابق، صص74-75.

[6]- يقع في خمسة أجزاء. ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص453/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص237/ محمد مصطفى أبو شوارب، المرجع السابق، ص17.

[7]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص74/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص171.

- كتاب فعلت وأفعلت: في الأدب، من التواليف الملاح، صنفه بقرطبة[2].

- لم يتمّ: مؤلف أدبي، وضعه بقرطبة[3].

- كتاب مقاتل الفرسان: ويذكره السيوطي مقاتل العرب، وعند حاجي خليفة فضائل الفرسان[4].

- تفسير السبع الطوال: وهو كتاب شرح في القصائد المعلقات، وهناك من يضيف وتفسير إعرابها ومعانيها[5].

- فهرسة أبي علي وأخباره وتسمية كتبه وتواليفه.

- لغة مجموعة.

- كتاب أفعل: موجود، في الأمثال، صغير الحجم، يقول محقق الكتاب: "أما الكتاب بذاته فهو إملاء وجيز قصد منه جمع الأمثال التي وردت بصيغة أفعل التفضيل...سواء كانت تلك الأمثال عربية أصيلة أو حضرية مولدة"[6].

- كتاب البارع في اللّغة: مصنف في اللغة، وعند حاجي خليفة "البارع في غريب الحديث"، من التواليف الحسان، بناه على حروف المعجم، وهو يشتمل على نحو خمسة آلاف ورقة، ولم يصنف مثله في الإحاطة والجمع، وضعه بقرطبة ومات قبل أن يتم تأليفه[7].

- مؤلفات عُبَيْد الله بن عُمَر بن أحمد بن مُحمَّد بن جَعْفَر القَيْسي: له كُتُبٌ مؤلفة كثيرة في الفقه، والحجّة والردّ، والقراءات والفرائض وغير ذلك[8].

- مؤلف الأديب صاعد البغدادي:

- كتاب الفصوص: به اشتهر اسمه، وهو في اللغة والأدب والأخبار والأشعار صنَّفه صاعد بأمر من المنصور بن أبي عامر، حيث يقول في خطبة كتابه: "فقد أمرني أدام الله نصرَه أن

1- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ السيوطي ، بغية الوعاة، ج1، ص453.

2- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص453/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص171، وج2، ص382.

3- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص453.

4- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص453/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص171.

5- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص171/ محمد مصطفى أبو شوارب، المرجع السابق، ص18؛ محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص17.

6- القالي أبو علي، كتاب أفعل، تقديم وتحقيق محمد الفاضل بن عاشور، طبع ونشر وتوزيع مؤسسات ع بن عبد الله، تونس، 1972، صص1-96.

7- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص226/ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص453/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص72-74/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص171/ محمد مصطفى أبو شوارب، المرجع السابق، ص19.

8- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، صص232-234.

أجمع له من حفظي، ما اسْتَطَفَّ[1] من نَخِيلةِ شعرٍ، وغريبةِ خبرٍ، وعقيلةِ كَلِمٍ، نَدتْ عن الكتب المتداولة"[2].

وعن السبب الحقيقي من وراء تأليف الكتاب وشرطه فيه حسبما ورد عند ابن بسام: "ثم أراه -أي المنصور- كتابَ النوادر لأبي عليّ فقال- أي صاعد-: إذا أراد المنصورُ أمْليتُ على مُقيّدي خِدْمتِه وكُتّابِ دَوْلته كتاباً أرفَعَ منه قَدْراً، وأجل خطراً، لا أدخِلُ فيه خبراً ممّا أدخلَهُ أبو عليّ"[3].

بدأ صاعد تأليفه في ربيع الأول سنة 385هـ/995م، وأكمله في شهر رمضان من العام نفسه، وجَلَس بجامع مدينة الزَّاهرةِ يُملي كتابَه، وأثابه في نقله عليه خمسة آلاف دينار.

ولهذا الكتاب قصة طريفة، فقد اتُّهم صاعد بالكذب في نقله؛ فلمّا أكمله تتّبعه أدباء الأندلس، فلم تمرّ فيه كلمةٌ زَعموا صِحّتها عندهم، ولا خبرٌ ثبت لَدَيْهم، فقالوا للمنصور: رجلُ مقتدر على تأليف الكذب من عيون الأدب، يُسندها إلى شُيوخٍ لم يرهُم ولا أخذ عنهم، حتّى أنّهم كلفوا المنصور أن يأمُرَ بتسفير-أي تجليد- كاغدٍ أبيض وتغيير بهجتِه ليدُلَّ على القِدَم ففعل وترجمَ على ظهرِ ذلك السّفر بكتاب "النكت" تأليف أبي الغَوثِ الصَّنعاني[4].

يقول ابن بسام: "فترامى إليه صاعدٌ حين رآه، وجعل يُقبلُه، وقال إني واللهِ قرأتُه بالبلدِ الفُلانيّ على الشّيخ أبي فُلان، وهذا خطّه فأخذهُ المنصورُ من يدِهِ خوفاً أن يفتحَه، وقال له إنْ كنتَ رأيتَه كما تزعمُ فعلامَ يحتوي؟ قال: ورأسِكَ- لقد بَعُد عَهْدي به لا أُنصّ منه شيئاً، ولكنّه يحتوي على لُغَةٍ منثورةٍ لا يشوبُها شعرٌ ولا خَبَر.

فقال له المنصور: أبْعَدَ الله مثلك فما رأيتُ الذي هو أكذبُ منك، وأَمَر بإخراجه وأن يُقذَف بكتابِ "الفصوص" في النّهر"[5].

وفي ذلك يقولُ بعضُ شعراء عصره: (مجزوء البسيط)

قَدْ غَاصَّ فِيْ الْبَحْرُ كِتَّابُ الْفَصُوْصْ * وهكـذا كــلّ ثِقّيْـلٍ يَغُـوْصْ.

فأجابه صاعِدٌ بقوله: (الكامل)

عـــادَ إَلِىَ مَـــعْـــدَنِـــهِ إَنــّمَّـــاً * تُوْجَدُّ فِيْ قَعْرِ الْبِحَارِ الْفُصُوْصُ.

---

[1]- اسْتَطَفَّ: دنا وتهيأ وأمكن- أبو العلاء صاعد البغدادي، كتاب الفصوص، ج1،ص30-هامش رقم 11.

[2]- نفسه، صص29-30.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص14.

[4]- ابن بسام، االمصدر السابق، ج4، صص10-15/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص489.

[5]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص15. ينظر حكاية كتاب الفصوص أيضا: المقري، المصدر السابق، ج3، صص75-98.

عقب الأديب ابن بسام على ذلك فقال: "وما أحسَبُ أن أحداً يجترئُ على إخراج تَصنيف، وإبداء تأليف، يضيقُ عنه التّعديل، ويَدْفع في صدرِهِ النّقدُ والتّحصيل، لاسيّما وصاعدٌ علمَ أنَّ قُرطبةً- حَسْبَ ما ذَكَرْنَا- ميدانُ جياد، وبلدُ جِدالٍ وجِلاد، ولكنّه اشترطَ غيرَ المشْهور، فلمْ يظفَروا منه بكَثير، وأعانهُم هو على نفسِه بما كان ينفّقُ بِه مِنْ تنحّلِه وكَذِبه، ولم يكنْ عندَ ابن أبي عامِر تحرير ولا بَصَر بالنّقدِ مَشْهور، وإلاَّ فليسَ يخلو كتاب "الفصوص" المذكور من غريبةٍ مسموعة، ولا مِنْ فائدةٍ رائقةٍ بديعة"[1]، وفي قوله صواب.

- كتاب الهجفجف بن غَدَقان بن يثربي مع الخنوت بنت مخرمة بن أنيف: ألفه للمنصور بن أبي عامر على مثال كتاب الخزرجي أبي السِّرِيّ سَهْل بن أبي غالب[2].

- كتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عَفْرَاء: وأشار إليه الحميدي بقوله: "وهو كتاب مليح جدًّا، وكان المنصور أبو عامر كثير الشغف بكتاب "الجوَّاس" حى رتَّب له من يخرجه أمامه في كلّ ليلة"[3].

- **كتب الرياضي أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني**: وبما أنه سكن القيروان ثم وفد على الأندلس، فيمكن أن تكون معظم كتبه في محل إقامته الطويلة أي القيروان، ومنها:

- لقيط المرجان: مؤلف وصف بأنه أكبَر من عُيون الأخبار.
- سراج الهدى في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه.
- الرسالة الوحيدة والمؤنسة: ذكرها حاجي خليفة.
- قطب الأدب: وهو كتاب في الأدب، أورده صاحب كشف الظنون[4].
- عُيون الأخبار.
- المرصَّعة.
- المدبّجة.
- مسند في الحديث.

- كتاب سيبويه: وهو في علم النحو، كتبه أبو اليسر الرياضي بالمغرب، ويبدو أنه نسخه أو ربما كان في حفظه ثم دونه، يقول ابن الأبار: "وحكى أنه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد مازال يبريه حتى قصر فأدخله في قلم آخر وكتب به حتى فني بتمام الكتاب"[1].

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص15.
[2]- الحميدي، المصدر السابق، ص232.
[3]- نفسه، ص232.
[4]- ابن الأبار، التكملة، ج1، صص147-148/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص134-135/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص7.

- مصنفات أبي اليسر الفرج بن إبراهيم البغدادي:

- الطيب والتطبيب: صنفه هذا الأديب وجعله كالرسالة، ووسمه باسم المقتدر بالله أبي جعفر أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة، وهو مجموع حسن على حد قول ابن الأبار[2].

- مؤلفات الأديب ابن قلاقس أبي الفتوح نصر الله بن عبد الله الإسكندري: ومنها:

- الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم: ألفه بصقلية، لأحد أمرائها، وهو أبو القاسم بن الحجر حين انتسب إليه، وقال ابن خلكان: "أجاد فيه"، وقد نقل عنه العماد في الخريدة[3].

- مؤلفات أبي البركات عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ المصري: ذكر له مؤلف واحد فقط هو " اللآلي المفصلة في الأحاديث المسلسلة"[4]، وهي جمع لأربعين حديث مسلسل، حدث فيها عن ابن بشكوال(ت 578هـ/1183م) ، وابن غالب الشراط وغيرهما من الأندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوه، أخذها عنه ابن الطَّيلسان وغيره[5].

تلك هي المؤلفات التي وضعها العلماء المشارقة الوافدين إلى بلاد المغارب، ومن خلال عناوين الكتب المتنوعة فإنها شملت مجالات متعددة من العلوم وضروب من الفنون، ومن تلك المؤلفات نهل المغاربة علوم بلاد المشرق حيث تداولوها بالدراسة والرواية لأهميتها، ثم أتبعوها بالذيول والشروح، ومن تلك المُصنفات ما يزال على شكل مخطوط ومنها ما طُبع، ومنها ما هو مفقود ومجهول المصير.

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ج2، صص147-148/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص134-135.
[2]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص65.
[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص388 وهامش رقم2/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج6، ص382/ نفسه، ج2، صص13-14.
[4]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص425.
[5]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 3، صص220-221/ ابن الأبار، التكملة، ج3، ص53-54/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص139.

ثانيا: المؤلفات الوافدة مع العلماء المشارقة إلى بلاد المغارب: هذه المؤلفات نوعان، منها ما هي من تأليف العالم المشرقي الوافد على القطر المغربي، وفي هذا قد يقع خلط - بالنسبة للعلماء القادمين المُصنفين- بين الوافدة أو المؤلفة أو التي أتموها في الطريق؛ ومنها ما هي من تصنيف شيوخ وعلماء مشارقة لم يَأتوا إلى بلاد المغارب، وإنما جُلبت مُؤلفاتهم مع المشارقة العلماء الوافدين أعلام الدراسة.

من المؤكد أن يكون قد صاحَب هذه الرحلات جلب لبعض الكتب المشرقية، من دواوين شعر أو كتب تراجم وأدب أو نحوها من أنواع العلوم إلى المغرب كممتلكات شخصية لمطالعتها أثناء الرحلة، أو لتدريسها أو بيعها هناك عند الإضطرار والحاجة.

1- المؤلفات الشخصية للعلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب:

- المدونة الإباضية: وتُعرف بالغانمية: وهو كتاب مؤلف من طرف عالم وافد هو أبي غانم بشر بن غانم الخراساني، لكن لا يعرف إن كان صاحبها قد ألَفها بالمشرق وأتمها هُنالك ووفد بها على بلاد المغرب، أم أنه أتم تأليفها في طريقه إلى بلاد المغرب، أو ربما في تاهرت، وتعتبر الغانمية أكبر دليل علمي للتوافد والتواصل المشرقي- المغربي.

والغانمية مدونة مشهورة في الفقه الإباضي، وقد حدث حول هذا المؤلف نقاش كبير لأهميته، يقول أحمد بن سعود السيابي: "من الأمور المهمة التي تدل على ارتباط المغرب بالمشرق علميا في الإطار الإباضي، قصة كتاب المدوّنة لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني"[1]، فما هي الغانمية، وما قصة تدوينها، وفيما تكمن أهميتها في الفقه الإباضي؟.

المدونة هي رواية أبي غانم القادم عن ستة من تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وهم: محمد بن عباد المصري، وعبد الله بن عبد العزيز، وأبو المؤرج عمر بن محمد، ووائل بن أيوب، ومحبوب بن الرحيل، وكان أبوغانم معاصرا لهم، والتقى بهم في مدينة البصرة، وتعرف "بالغانميَّة" نسبة إلى أبي غانم، وعدتها إثني عشر كتابا[2] - جزء- بعد النسخ.

بينما يذكر السيابي - الذي اطلع على المدونة على ما يبدو- بأنها مدونة نقلا ورواية- كما يخالف القول الأول عمن رواها- "فقد دوَّن أبو غانم الخراساني الذي كان قد عاش في البصرة

[1]- أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، ص35.

[2]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص235/ يقول في وصفها جميل بن خلفان بن هويشل الغافري هي" على شكل كتب، وكل كتاب في الغالب دون فيه أبواب...كتاب الصيام: باب الصيام...كتاب الحج: باب الحج...كتاب الصلاة: باب في مسائل الصلاة...". أبو غانم الخراساني، المرجع السابق، صص49-51.

كتابه الذي سمَّاه "المدونة" بالنقل والرواية عن تسعة من تلاميذ الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وهم الربيع بن حبيب الفراهيدي[1]، وأبو غسان مخلد بن العمرد الغساني البصري العراقي، وعبد الله بن عبد العزيز البصري، وأبو المؤرج عمرو بن محمد القدمي اليمني، وحاتم بن منصور الخراساني[2]، وأبو المهاجر هاشم بن المهاجر الحضرمي الكوفي، وأبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي، وعبد الله بن عبَّاد المصري، وشعيب بن المعروف الأزدي"[3]، وشعيب من ضمن الأعلام الوافدين على المغرب وتطرقت لهم الدراسة.

يضيف السيابي وصدَّر المدونة بقوله: "سألت الرّبيع وأبا المهاجر وأبا المؤرّج وأبا سعيد عبد الله بن عبد العزيز وأبا غسّان مخلد بن العمرد وأبا أيّوب وحاتم بن منصور منهم من سألت مشافهةً ومنهم من أخبرني من سألهم مشافهةً"[4]، ولم يذكر هنا عبد الله بن عبّاد المصري وشعيب بن المعروف الأزدي، لأنه التقى بهما بعد ذلك، وهو في طريقه إلى نفوسة وتاهرت وهناك روى عنهما، ويضاف إلى أولئك التسعة، محبوب بن الرحيل تلميذ الربيع، وهو يروي لأبي غانم عن الربيع[5].

وإذ كانت المدونة تحمل رواية شعيب بن المعروف ورواية المغاربة فذلك يعني إما أن يكون قد أتم تأليفها في بلاد المغرب، وبالضبط في جبل نفوسة أو في طريقه، أما الإحتمال الثاني فهو أن هذه المدونة- التي كُتب لها البقاء والانتشار فيما بعد أُضيفت إليها رواية من طرف الناسخ المغربي؛ ولكن من هو أول ناسخ مغربي للمدونة؟.

هو عمروس بن فتح النفوسي الذي قام بنسخ مدونة أبي غانم بعدما أودعه إيّاها أبو غانم، يقول الوسياني: "وقد رفع الديوان المعروف بالغانميَّة فودعه عند عمروس فطلبه إلى نسخة فأبى، قال فخالف عمروس إليه فنسخه بنفسه فكان في وقت نسخه إياه إذا وضع الكتاب الذي ينسخ من أمامه، فيكتب منه حتَّى إذا لحقت الشمس فترفع له أخته الكتاب إلى الظل فيتبعها وعينه في الكتاب، كما تتبع الشاة ولدها... حتى نسخ الكتاب جميعا فرده إلى موضعه، فجاء أبو

---

[1]- الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي(ق2هـ/8م): من البصرة، عالم بالحديث، إباضي، له كتاب في الحديث. الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص14.

[2]- حاتم بن منصور الخراساني (ق2هـ/8م): أبو منصور، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فقيه عالم من أعلام الإباضية، ممَّن روى عنهم أبو غانم الخراساني في مدونته الكبرى. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص117.

[3]- أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، ص35.

[4]- نفسه، ص36.

[5]- نفسه، ص36.



غانم ليرفع الكُتُب وقت مُضيّه، فرأى نقطة حبر في واحدة منها، فقال أسرقت هذه؟ فقال له عمروس نعم: سمّاني سارق العلم، إخباراً ليس بأمرٍ بأن يسمي سارق العلم"[1].

بينما لم يُشر الشماخي في روايته إلى استئذان عمروس ورفض أبو غانم ذلك[2]؛ ويبدو أن عمروس لم يطلب منه ذلك أصلا، وإنما قام بنسخها بدافع من نفسه دون طلب إذن، فلو طلب نسخها وأبى أبو غانم ذلك فما كان ليستودعه المدونة بعدما اطلع على نيته، وهذا ما يجعلنا نؤيد رواية الشماخي، أما احتمال اعتبار ذلك اختبار لأبي غانم لعمروس في هذا الأمر ونوع من تفقد المشارقة لعلماء المذهب المغاربة وتطلع لأحوال رغبتهم في العلم فذلك أمر مستبعد.

كما قام بعض مؤرخي الإباضية القدامى والمُحدثين بتبرير فعلة عمروس حيث قال الوسياني: "حرصا في إحياء العلم والزيادة منه"[3]، وقال الشماخي: "وذلك ببركة عمروس، وحسن نيّته ويمنه"[4].

ولا يناقش إبراهيم بحاز ذلك بل يكتفي بالإشارة بقوله: "وكان لانتساخ مدونته من طرف عمروس النفوسي الفائدة الكبيرة"[5]، ثم يضيف قائلا: "وقد ترك نسخة من مدونته في مكتبة المعصومة، أهداها على ما يبدو للأئمة بتيهرت"[6]؛ وكأن بحاز يُرجح احتمال وجود نسختين للمدونة الغانمية: نسخة تركها عند عمروس، ونسخة أهداها للإمام لما توجه لتاهرت.

وهو أحد الاحتمالات التي أوردها محمد السيابي في قوله: "ولعله كانت لديه نسختان، النسخة التي قدَّمها إلى الإمام عبد الوهاب، والنسخة الثانية هي التي أودعها عمروس بن فتح، أو أنه كان حاملا نسخة واحدة، وهي التي تركها عند عمروس، وكان ذهابه إلى بعض الأماكن في نفوسة أو القريبة منها"[7].

الملاحظ أن السيابي لما ناقش الأمر غلب عليه الشك فعاد يُرجِح الرواية التي وردت في المصادر الإباضية بوجود نسخة واحدة استودعها أبو غانم عمروسا، وخلال تلك المدة التي غاب فيها أبو غانم قام عمروس باستنساخ كتاب المدونة باذلا كل جهد وطاقة، وعندما عاد أبو

1- الوسياني، المصدر السابق، ص234.
2- الشماخي، المصدر السابق، صص151-152.
3- الوسياني، المصدر السابق، صص152.
4- الشماخي، المصدر السابق، ص152.
5- بحّاز إبراهيم بكير، الدَّولة الرستمية، ص396.
6- نفسه، ص396.
7- أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، صص36-37.



غـانم مـن زيارتـه وجد الكتـاب منسوخا مـن غيـر إذن منـه، ودون أن يخبـره عمـروس لـولا أن استدل المؤلف ببعض نقاط الحبر على الكتاب[1].

كل هذه الجلبة حول نسخ الكتاب، وبخاصة بين المؤرخين المُحدَثِين من الإباضـيين، ففيمـا تكمن أهمية النسخة المغربية ؟.

تكمن أهمية النسخة العمروسية - المغربية- لكتاب المدونة في كونها النسخة الوحيدة التـي بقيت لدى الإباضية في بلاد المغرب، بعد أن قضـى العبيـديون علـى المكتبـة الرسـتمية فـي تاهرت، وكانت نسخة مباركة اعتمد عليها الفقه الإباضي فيما بعد، فكانت كالأصل لـه، لـيس فيها زيادات، وهي التي انتقلت للمشرق فيما بعد[2] وغدت الأصل هنالك أيضا؛ ولذلك يقول الشماخي: "فلما وقع ما وقع بتاهرت، وأحرقت كتبها، بقيت نسخة عمروس ينتفع بها الإباضية، ولولاها لبقي أهل المذهب من غير ديوان بالمغرب، يعتمدون عليه" وكذلك قوله: "وإنّ كتب أبي غانم بشر بن غانم الخراساني قد أوضح فيها قول كلّ عالم، وأجوبة الأئمة مخ الفقه"[3].

وقد عادت النسخة المغربية إلى المشرق، فقد انتقلت فيما بعد إلى القاهرة مع الإباضية[4]، وهي النسخة التي حققها الشيخان يحيى بن عبد الله النبهاني وإبراهيم بن محمد العساكر.

ولتبيان أهميتها أكثر نذكر ما ورد في هامش كتاب السيابي: "ونشير إلى أنها المدونة الأصلية الخالية من الإضافات والتعليقات والحواشي، وهذا الأمر يغيب على كثير من الناس فلا يُفرقون بين نسخ المدونة"[5]، ولذلك اشتهر أمر هذه المدونة عند إباضية المغرب والمشرق الإسلاميين إلى حد اليوم.

- كتب أو ديوان ابن الجمع: هذه المؤلفات تعود لعالم الإباضية المشرقي ابن الجمع الذي توفي في سجلماسة، وكان ابن الجمع قد أوصى بكتبه إلى تلميذه المغربي أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان مصاحبا له في تلك الرحلة، يقول الدرجيني: "ولما حضرت ابن الجمعي الوفاة آثر أبا الربيع بديوانه، فأوصى له به"[6].

---

[1]- نفسه، ص37.
[2]- نفسه، ص37.
[3]- الشماخي، المصدر السابق، ص152، وصص365-366.
[4]- وقد انتقلت إلى دار الكتب المصرية، بعد تأميم الأوقاف في مصر ووضعها تحت يد الحكومة، ومنها أوقاف الإباضية. أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، صص37-38.
[5]- وقد قامت بطبعها مكتبة الواعد، مسقط سلطنة عُمان. أحمد بن سعود السيابي، المرجع السابق، ص38، هامش رقم1.
[6]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص110.



وتسلم أبو الربيع كتب ابن الجمع، فاستفاد منها الاستفادة الكبرى حتى صار علما من أعلام الإباضية في بلاد المغرب، لدرجة أنه عندما عاد من سجلماسة ودخل قسطيلية[1] من بلاد الجريد، اضطربت هذه المدينة كلها من أجله، واحتفلت به أيما احتفال، وأخذ الناس يسألونه في فنون العلم المختلفة، فكان يجيبهم عما يسألونه[2].

- **مؤلفات أبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد التميمي البخاري:** ومنها:

- رسالةُ الرحلة وأسبابها، وقول لا إله إلا الله وثوابها: وأشار إليها عدة مؤلفين مشارقة ومغاربة، ويبدو أنه جلبها معه لذلك اعتنى ابن الأبار بذكرها[3].

- **المؤلفات الوافدة مع أبي سالم مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن محمود الحرَّاني الظاهري:** يقول ابن بشكوال: "وروينا عنه بعض كتبه"[4]، ولا نعرف ما هي عناوين مؤلفاته ولا مجالها، فقد كان أبو سالم علامة مشاركاً في فنون عدة، كما اشتهر بروايته في علم الحديث.

- **كتب ابن الأصبهاني أبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ:** ومنها:

- كتاب الروضة الأنيقة: يقول حاجي خليفة: صنف الروضة الأنيقة في الحديث[5].

- كتاب الخلافيات بين الشافعي وأبي حنيفة: أشار إليه صاحب كشف الظنون[6].

- **مؤلفات محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكافي الأنصاري الدمشقي الواعظ:** ومنها:

- مصباح الواعظ: في الوعظ، يذكر فيه من وعظ من الصدر الأول، وما ينبغي للواعظ ويلزمه وهو مختصر جدا، يقول ابن الأبار: "وقفت على هذا التفسير بجملته باستعارة منه"[7].

- **مصنفات النرسي عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد الهاشمي الصوفي الوافدة معه،** ومنها:

- كتاب الدّليل في الطريق من أقاويل أهل التحقيق: أشار إليه حاجي خليفة[8].

---

[1]- قسطيلية: من بلاد الجريد، قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر، ومن مدنها أيضا: نفطة، تقيوس، الحامة. مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، صص155-157.

[2]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص192.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص62/ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، صص 1158-1159/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص63/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص425.

[4] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص465-466.

[5]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 5، صص269-270/ ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197/ المقري، المصدر السابق، ج3 ، ص68/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج6، ص407؛ وج1، ص689.

[6]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج6، ص407.

[7]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 3، ص 35.

[8]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص145/ المقري، المصدر السابق،ج 3، ص65/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص494.

- تأليف إباحة السماع: كتاب في التصوّف، يقول ابن الأبار: "وله تواليف في التصوف منها تأليف في إباحة السماع قرأت عليه أكثره"[1].

- عوالي النقيب: مؤلف في التصوّف' يقول ابن الأبار: "قرأت عليه عوالي النقيب بمنزله بإشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة، وكان قد قارب التسعين"[2].

- نزهة الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر أعني الجيلالي: انفرد حاجي خليفة بالإشار إلى هذا المؤلف في كشف الظنون[3].

- **ما جلبه أبو العباس الجدلي الشريف من تآليف:** ومنها:

- مقال في أصول الدين: اطلع عليه الغبريني ووصفه "بمحكم الإيرادِ، غرٍ عن الانتقاد"[4].

هذا فيما يخص المؤلفات الشخصية لعلماء المشارقة، والذين أدخلوها بوفادتهم على بلاد المغارب، ولكن العلماء المشارقة بصفتهم علماء لم يقتصروا على مؤلفاتهم تلك، وإنما رافقتهم مُؤلفات متنوعة المواضيع والعناوين لعلماء مشارقة على مدى الأزمان ومن شتى بقاع المشرق تمت الإشارة إلى دخلوها مع العلماء المشارقة القادمين أعلام الدراسة.

2- المؤلفات المشرقية المجلوبة مع العلماء المشارقة المُغربين:

- مؤلفات جلبها إبراهيم بن أحمد الشيباني أبو اليسر الرياضي:

- رسائل الـمُحْدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم: ويقصد بالـمُحْدثين شعراء عصره الذين أحدثوا في الشعر لذلك أُطْلق عليهم اسم المُحدثين أمثال الجاحظ والمبرد وأبي تمام والبحتري ودعبل وابن الجهم، وغيرهم من المشارقة، وقد أدخله إفريقية أبو اليسر[5] الوافد على بلاد المغرب، لكن في الحقيقة لا نعرف بالضبط عمّن تدور هذه الأخبار ولا الرسائل.

- **ما جلبه أبو علي الغدادي من المؤلفات والأخبار:** يعتبر القالي أكثر من ألف وجلب الكتب معه، ولشخصه دور كبير في دفع الحركة العلمية الأدبية على مدى أزمان في بلاد المغرب.

أورد ابن خير الإشبيلي في فهرسته مجموع المؤلفات التي أوفدها أبو علي البغداي، وأشار إلى بعض منها إن كانت تامة أو أجزاء، كما أشار إليها إن كانت مكتوبة أو مسموعة - وهي:

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص145/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص65.
[2]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص145/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص65.
[3]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص494.
[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص85.
[5]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص147/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص134.

- أخبار نفطويه مجموعة: ثمانية وعشرون جزء؛ "قال أبو علي: سمعتها منه"[1].
- أخبار ابن الأنباري: خمسة أجزاء، سماعا.
- سبعة أجزاء عن ابن أبي الأزهر سماعا.
- أخبار ابن دريد: ثمانية وخمسون جزء، سماعا.
- جزءان من الأخبار والإنشادات سماعا.
- أخبار وإنشادات عن الأخفش: جزءان، في النحو.
- المدخل للمبرد: في جزء تام.
- كتاب الأحباس لأبي نصر: في جزأين، سمعه من ابن الأنباري.
- ومقاتل الفرسان: نسخة غير موظبة ولا مسموعة.
- الضيفان لثعلب: سماعا.
- كتاب السراج واللجام لابن دريد: تام، قرأته.
- العروض لابن درستويه: تام، في سبعة أجزاء، لغة مجموعة تأليف ولم أتمه.
- كتاب البهي للفراء[2]: في النحو، سماعا، وفيه قصائد شتى، ورد في الفهرست: "مما قرأته على ابن دريد وإنشادات قرأتها من خط إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وقرأتها على ابن دريد في جزء"[3]؛ واسم الكتاب كاملا: "البهي فيما يلحن به العامة"، كما ورد باسم: "المعروف يلحن فيه العامة".

ونورد سسلسلة رواة هذا المؤلف عن القالي إلى أن وصل لابن خير الإشبيلي: "حدثني به الشيخ أبو الحسن عبد الملك بن محمد بن هشام القيسي[4] عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي[5] النحوي عن أخيه أبي الحسن علي بن محمد[1] عن الأستاذ أبي عبد الله محمد

---

[1]- ابن خير الإشبيلي أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، فهرسة ما رَوَاهُ عن شُيُوخِهِ مِنَ الدَّوَاوين الـمُصَنَّفَةِ في ضُرُوبِ العِلم وأنواعِ المعَارفِ، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م، ص359.

[2]- يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، الأسلمي(ت207هـ/822م): أبو زكريا، المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، مولى بني أسيد، أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، صنف للمأمون كتاب الحدود، وله كتاب المعاني، البهيّ، اللغات. ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، صص176-181.

[3]- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص359.

[4]- عبد الملك بن محمد بن هشام القيسي الشلبي(ت551هـ/1156م): أبو الحسن، وقيل أبو الحسين، يعرف بابن الطلا الخطيب، محدث فقيه، عارف. الضبي، المصدر السابق، ص347.

[5]- عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي(444-521هـ/1052-1127م): أبو محمد، النحوي، من أهل بطليوس، سكن مرسية، روى عن أخيه علي بن محمد وكان عالماً بالآداب واللغات، مستبحراً فيهما، مقدما في معرفتهما وإتقانهما، حسن التعليم، جيد التلقين، ثقة ضابطا، التقاه ابن بشكوال وأخذ عنه. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، صص243-244.

بن يونس الحجاري[2] عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد عن أبي علي البغدادي عن أبي بكر بن الأنباري قراءة عليه، قال: قرأ علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي محمد سلمة بن عاصم عن يحيى بن زياد الفراء مؤلفه"[3].

- ومراثي الأعلاق: غير مسموعة، في جزء.

- المهذب لأبي علي أحمد بن جعفر الدينوري(ت287هـ/900): تام في جزأين، في علم النحو[4].

- كتاب الألف واللام لأبي عثمان بكر بن محمد المازني النحوي (ت284هـ/897م): في جزء[5].

- وكذلك كتاب التصريف للمازني: في جزء[6].

- وكتاب الإكليل: غير مسموع في جزأين، والمرجح أن يكون الإكليل في أنساب حمير وأيام ملوكها لأبي الحسن محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني(ت 334هـ/945م)، وهو كتاب كبير عظيم الفائدة في عشر مجلدات، ويشتمل على عشرة فنون، وفي أثنائه جمل من حساب القرانات وأوقاتها، ونبذ في علم الطبيعة وأصول أحكام النجوم، وآراء الأوائل في القدم والأدوار، وتناسل الناس ومقادير أعمارهم، وغير ذلك[7].

- جزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني الشعر للباهلي: تام، وقد اشترى هذه النسخة القالي كما ذكر: "وقد كنت اشتريت هذه النسخة لأقابلها فقطعني عن ذلك الشغل"، وقد ورد في كشف الظنون علم أيام العرب: يُبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب؛ فيراد بذلك ذكر المحل وإرادة الحال والعلم المذكور، وينبغي أن يُجعل فرعاً من فروع التواريخ[8].

ولما أتمَّ ابن خير الإشبيلي ذكر جميع الكتب التي أوفدها القالي إلى المغرب أشار إلى سلسلة الرواة من علماء المغاربة عن أبي علي القالي "بهذه الجملة المتقدم ذكرها عن أبي علي

1- علي بن محمد بن السيد النحوي(ت480هـ/1087م): أبو الحسن، يعرف بالخيطال، من أهل بطليوس، كان مقدما في علم اللغة وحفظها والضبط لها، روى عن أبي عبد الله بن محمد بن يونس، وتوفي بقلعة رباح معتقلا. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، صص337-338.

2- عبد الله محمد بن يونس الحجاري(ت463هـ/1070م): أبو عبد الله، كان مقدما في المعرفة بالنحو واللغة، وكتب الأخبار والأشعار، وسكن بطليوس وتوفي بها. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص429.

3- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص278.

4- نفسه، ص359/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص729.

5- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص359/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص346.

6- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص359/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، صص343-344.

7- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص359/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، صص167-168.

8- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص359/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص209.

البغدادي رحمه الله، شيخنا الأديب أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد النفزي[1] رحمه الله، عن خاله الأديب أبي محمد غانم بن وليد المخزومي[2]، عن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون السهمي[3]، عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد، عن أبي علي البغدادي رحمه الله"[4].

- مقصورة أبي بكر بن دريد: أشار إليها ابن خير الإشبيلي في كتابه، حيث قال: "حدثني بها الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد النفزي رحمه الله سماعا مني عليه قال: حدثني بها خالي الأديب أبو محمد غانم بن وليد بن عمر المخزومي، عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء[5]، عن أبي محمد بن حسن الزبيدي، عن أبي علي البغدادي، عن أبي بكر بن دريد"[6].

ومقصورة ابن دريد هي قصيدة يمدح بها ميكائيل (ابني ميكال الشاة وأخاه)، ويصف مسيره إلى فارس، ويتشوق إلى البصرة وإخوانه بها أولها: (البسيط)

إِمّاَ تَرِىَ رُأْسَيَ حَاكُيُ لَوَّنَهُ * طَرَّةُ صَبْحٌ تَحَتٌّ أذيال الْدُّجَى

وعدد أبياتها 229 بيتا، وقد عارضه فيها جماعة من الشعراء، واعتنى بشرحها خلق كثيرون، ومن أجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد السبتي المعروف بابن هشام اللخمي (ت570هـ/1174م) وقد سماه الفوائد المحصورة في شرح المقصورة[7].

- ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي: أعاد جمعه المشارقة بالاعتماد على رواية المغاربة عن القالي، حيث يقول حاجي خليفة: وقد جمعه علي حمزة الأصبهاني(ت360هـ/970م)، ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع بالاعتماد على ما وقع إليه مما روي عن أبي علي القالي وغيره من شيوخ المغرب[8].

---

[1]- محمد بن سليمان بن أحمد النفزي (473-525هـ/1080-1130م): أبو عبد الله، من أهل مالقة، الأديب، روى عن خاله غانم بن الوليد الأديب، وقدم قرطبة وأخذ عنه ابن بشكوال، وكانت عنده كتب كثيرة وآداب جمة، وكان ذاكراً لها، مشهوراً بحفظها ومعرفتها. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص452.

[2]- غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي(ت470هـ/1077م): أبو محمد، من أهل مالقة، فقيه مدرس وأستاذ في الآداب وفنونها، مجود مع فضل حسن وطريقة، روى عن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون. ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص365.

[3]- يوسف بن عبد الله ين خيرون السهمي: أبو عمر، كان عالماً بالآداب واللغات، أخذ عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد. نفسه، ج2، ص521.

[4]- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص360.

[5]- عبادة بن عبد الله بن ماء السماء (ت416هـ/1025م): أبو بكر، من فحول شعراء الأندلس متقدم فيهم، له كتاب في أخبار شعراء الأندلسن ومات بمالقة. الضبي، المصدر السابق، صص368-369.

[6]- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، صص359-360.

[7]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، صص650-651.

[8]- نفسه، ج1، صص586-587.



- كتاب الجمهرة: يحكى عنه أنه كان في يده نسخة من كتاب "الجمهرة" بخط مؤلفها، فأعطي بها ثلاثمائة مثقال فرفض أن يبيعها، ثم اشتدت عليه الحاجة يوما فاضطر إلى بيعها بأربعين مثقالا وكتب عليها: (الطويل)

أَنسَّتْ بَهاَ عِشْرِيْنَ عَاماًَ فَبَعَّتْهَا * وقد طَالَ وِجْدَاني بِهَا وَحَنِيــــنِي

وَمَاَ كَانَّ ظَنْيٌ أُنْنيَ سَأَبِيْعُها * وَلَوْ خَلَّدَتْنِيْ فِيْ الْسِجُوْنَ دَيُوْنِي

ولَكِنْ لِعَجْزٍ وَاْفْتِقَارٍ وَصِبْيَة * صِغَاْرٍ عَليهم تستهل شُؤُوني

فَقُلت ولَم أمْلِك سَوابِق عِبرة * مَقَالة مَكوي الفُؤاد حَزِين

وقَدْ تُخْرِّج الحَاجَات يَأْ أم مَالك * كَرائِم مِن رَب بِهنَّ ضَنين[1].

والمؤكد أنه يقصد به كتاب الجمهرة في اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، وهو كتاب معتبر[2]، وقد أخذ القالي علمه عن ابن دريد وكان تلميذه.

- كتاب في الغريب: لا نعرف عنوانه التام ولا صاحبه، ولكن نعرف قصة استعارته، ينقل محسن جمال الدين: "أخبرنا القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قال: كتبت إلى أبي علي البغدادي القالي أَستَعير منه كتابا من الغريب وقُلت: (المتقارب)

بِحُقْ رِيْمَ مُهْفَهِّفُ * وَصَدَّغَهُ الْمُتَعَطِّفُ

ابْعَثَّ إَلّيْ بِجِزِّءَّ * مِن الْغَرِيْبُ الْمُصنَّفُ

قال فقضى حاجتي وأجابني: (مجزوء الكامل)

وَحَقِ دَرٍ تَأَلَّفٌ * بِفِيْكَ أَيَّ تُأَلِفْ

لِأَبْعَثَّنَّ بَمَّاَ قَدْ * حُوْى الْغَرْيَبُ الْمُصَّنِفُ

وَلَوِ بُعِثْتُ بِنُفَّسَيَّ * إَلِّيكٌ مَا كَنْتُ أَسْرَفٌ"[3].

وفي كتب غريب اللغة هناك عدة مؤلفات تحمل هذا الإسم، ولا يُعرف أي غريب أوفد القالي.

- **ما جلبه أبو بَكْر أحمد بن محمد بن صالح بن النضر الأنطاكي الصوفي:** يقول ابن الفرضي: "وقد كَتَبْتُ عنه من حِفْظِه حكايات، وكَتَبَ معنا عند جماعة من شيوخنا"[4]، لا نعرف ما كتب عنه ابن الفرضي أوشيوخه في الأندلس.

1- محسن جمال الدين، المرجع السابق، صص19-20.
2- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، صص474-475.
3- محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص20.
4- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص71.



- ما جلبه محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة الشافعي البغدادي: يقول ابن الفرضي: "ولم تكن له كتب، ذكر أنها ذَهَبت له مع مَالٍ جسيم في المغرب"[1]، أي في الأندلس لم تكن له كتب، أما في المغرب فقد كانت له تلك الكتب وربما سرقت منه فلا توجد أي معلومة حول ذلك، ولم يذكر ذلك غير ابن الفرضي- حسب اطلاعنا-، وبذلك فإن هذه الكتب التي قدم بها إلى المغرب تبقى مجهولة، ولا يمكننا معرفة إن كانت من تأليف هذا الوافد، أم لغيره من المشارقة العلماء قد أدخلها معه بلاد المغرب، إلا أننا نرجح القول الأخير لذلك أدرجناها هنا.

ولكن بالعودة إلى ترجمة ابن أبي بردة يتبيّن أنه مُعتزلي، وقد أُخرج من الأندلس لذلك الأمر، فالاحتمال الكبير أن كتبه قد دخلت معه الأندلس أيضا، وإنما قال لابن الفرضي ذلك خشية من أن يشتهر بالاعتزال، ويصل إلى حاكم الأندلس، إلا أنه حصل له ما تخوف منه.

كما يوجد احتمال آخر؛ بما أن كتبه قد ذهبت بالمغرب، لأن طريق الوفادة كان على المغرب، فربما قصد بذهبت كتبه أي لم تعد بحوزته، ولربما ترك مؤلفاته بعدوة المغرب - بتاهرت، لأن كل من ترجم له يذكر أنه بعد إخراجه من الأندلس توجه إلى تاهرت - ولم تكن الإشارة إلى وفادته عليها قبل الأندلس-.

هذا التخمين قادنا إليه علاقة الوافد بمدينة تاهرت حيث قرابته- بيت ابنته- هناك، لكن الاحتمال الأخير ضعيف لأن مقصده الأول على ما يبدو كان الأندلس، ولربما قد ضاعت له بالمغرب لأنه ربط ضياعة كتبه بذهاب الأموال.

- المؤلفات المجلوبة مع أحمدُ بن مُحمَّد بن هَارون البَغْداديّ:

- بعض كُتب أبي مُحمَّد عبد الله بن مُسْلِمْ بن قُتَيْبة: أَدْخلها الأندلس رواية عن ابنه أبي جَعْفَر بن قتيبة[2].

والمعلوم أن ابن قتيبة علامة من كبار علماء الأمة، وله مؤلفاته كثيرة متنوعة متعددة المجالات، ولا نعرف ما قَدِمَ به الوافد منها على الأندلس، لكن بالعودة إلى شخصية هذا العالم نرجح أنها الكتب الخاصة بالكُتاب والآداب والخطط السلطانية لأن وافدنا هذا كاتب ووزير، ولذلك فاحتمال أنه أوفد كتاب أدب الكاتب وطبقات الشعراء أدب القاضي وغيرها من مؤلفات ابن قتيبة الديوانية والأدبية[3].

1- نفسه، ج2، ص104-105.
2- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص9/ ابن الأبار، التكملة، ج2، ص155.
3- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، صص 297-298.



- بعض كُتب عَمْرو بن بحر الجاحظ: أَدْخلها الأندلس روايةً[1].

والمعلوم أن الجَاحظ عالم معتزليّ، اشتهر بعلم الكلام[2]، أحصى له حاجي خليفة ستة وسبعين مؤلفا[3]، نذكر منها ما يُرجح أن تكون وفدت إحداها مع القادم[4]، لأننا لا نعرف عناوين ما أدخله وافدنا هذا من مؤلفات الجاحظ، فربما جلب أخلاق الملوك وتحصين الأموال وعناصر الأدب وكتاب السلطان وكتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين[5]، وهذه العناوين على حسب شخصية وافدنا واهتماماته.

- **ما جلبه أبو اليسر الفرج بن إبراهيم البغدادي الكاتب:** ومنها

- كتاب المنهل في اختصار إصلاح المنطق: رواية عن أبي القاسم الحسين بن علي بن المغربي الوزير[6] مؤلفه.

- **مؤلفات وافدة مع الأديب أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني العدوي:**

- شرح الجمل للزجاجي**:** أملى بالأندلس كتاباً في شرح الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي (ت339هـ/950م)، وهو كتاب نافع مفيد يتميز بكثرة الأمثلة، وله عدة شروح، وشرحه كثير من المغاربة وبخاصة الأندلسيين الذين ربما تداولوه عن طريق الشرح، ومن الشروح المغربية والأندلسية شرح أبي علي الحسين بن عبد العزيز الفهري البلنسي (ت679هـ/1280م) وشرح أبي بكر محمد بن عبد الله العبقري القرطبي(ت567هـ/1180م) وشرح أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(ت581هـ/1185م) وشرح أبي القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف (ت390هـ /999م) وشرح أبي إسحاق ابراهيم بن أحمد الغافقي(ت710هـ/1310م) وهو شرح كبير، وشرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري النحوي(ت476هـ/1083م)[7].

---

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص69/ ابن الأبار، التكملة ، ج2، ص155.
[2]- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص231.
[3]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص639.
[4]- ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص231.
[5]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص639.
[6]- ابن الأبار، التكملة، ج4، صص65-66.
[7]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص90/ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، صص114-115/ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، صص473-474.

- حماسة أبي تمام: حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ/845م)، وقد أخذها عنه الأندلسيون[1]، والحماسة شجاعة العرب، جمع فيه أبو تمام ما اختاره من أشعر العرب من العرباء - أشعر منه في شعره - ورتبه على أبواب عشرة: الحماسة والمرائي والأدب والنسيب والهجاء والإضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء؛ واشتهر ببابه الأول[2].

- مؤلفات جلبها أبو الفضل الدارمي محمد بن عبد الواحد بن عبد العَزيز التميمي:

- كتاب اليتيمة للثعالبيّ: يقول ابن بسام: "حكى أبو عليّ ابنُ رشيق[3] وقال: إنه أول من أدخل كتاب اليتيمة للثعالبيّ عندهم"[4]، أي إلى إفريقية.

واسم مؤلف أبي منصور الثعالبي كاملا "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر": مؤلف أدبي، يتضمن مختارات شعرية لشعراء معاصرين له من أعلام القرن الرابع وصدْرِ من القرن الخامس في بلاد الإسلام، لقوله في مقدمة كتابه: "ولما كان الشعر عمدة الأدب، وعلم العرب الذي اختصت به عن سائر الأمم...وكانت أشعار العصرِيِّينَ أَجْمَعُ لنوادِر المحاسن... "[5]، وقد وضعه سنة 384هـ/994م[6] .

وينقسم إلى أربعة أقسام: يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول، ويفتتح أول كل باب من الأبواب بشعر من طبقات الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء؛ "فافتتحته بسهام بعض الوزراء مُجْرياً إياه مُجْرَى ما يتقرب به أهلُ الأدب إلى ذوي الأخطار"[7]، ثم يلي باقي الشعراء من سائر الطبقات.

التزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا "لبِّ اللُّبِّ، وحَبَّة القلب، ونَاظر العين، ونَكتة الكلمة، وواسطة العقد، ونَقْش الفَصِّ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات"[8].

ولم يوضع هذا الكتاب في تاريخ الأدب والشعر، ولا كان الغرض منه تَأريخ حياة الأدباء والشعراء، ولكنه وضع في صَمِيم الأدب ولُبَابه، فهو يُعْنَى بالقول أكثر مما يعنى بحال قائله؛

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص90.

[2]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص531.

[3]- حسن بن رشيق(390- حوالي463هـ/999-1070م) مولى بني الأزد القيرواني، وقال الشعر قبل بلوغ الحلم، واتصل ببلاط الصنهاجيين406هـ/1015م، وهو صاحب أنموذج الزمان في شعراء القيروان (وترجم فيه لنفسه في آخر الكتاب) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب، وكتب أخرى مفقودة. ابن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، حققه وجمعه محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدارالتونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م، صص8-14، وصص439-442.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج 4، ص65.

[5]- أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ج1، ص13.

[6]- نفسه، ج1، ص14.

[7]- نفسه، ج1، ص14-16.

[8]- نفسه، ج1، ص15



فلم يكن صاحبه مُلمًا بجمع أخبار مَنْ تعرض للإختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفَياتهم.

وقد وصلت مكانة هذا المؤَلف كما كما ظن صاحبه به: "حتى يصير من أَنْفَسِ ما تشح أنفس أدباء الإخوان، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان"[1]، وقد وصل لبلاد المغرب حيث كان المغاربة متشوقين للإطلاع عليه.

ويتعرض لذكر الشعراء من المغاربة في الباب التاسع من القسم الأول المعنون بـ: في ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرف أشعارهم ونوادرهم[2]، مفتتحا هذا الجزء بمختارات شعرية من أقوال محمد بن أبي مروان ابن أخي المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني، وختمه بذكر قطع شعرية لابن بن درّاج الأندلسيّ المعروف بالقسطليّ.

وقد بلغ عدد المغاربة الذين أورد لهم الثعالبي مختارات شعرهم مائة وستة (106) شاعر من مختلف الطبقات وفي أغراض متنوعة، وقد يورد قطعة أو قصيدة لكل شاعر كما قدم بعض المعلومات حول من ذكر شعرهم من المغاربة مثلما فعل مع ابن القوطية وأبي بكر الزُّبيدي[3].

وقد كان ظهور كتاب يتيمة الدهر في المغرب حافزا لأبي الحسن علي بن بسام الشَّنْتَرِيني المتوفَّى في عام 542هـ/ 1147م على تصنيف كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة[4].

- ما جلبه ابراهيم بن بكر الموصلي:

- كتاب الضعفاء والمتروكين: لأبي الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن بريدة الأزدي الموصلي[5].

- ما جلبه عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الخراساني الباخرزي المالِيني:

- صحيفتي الأشج وجعفر بن نسطور الرومي: في علم الحديث، جلبهما وحدث بهما في الأندلس[6].

1- نفسه، ج1، ص8-14.

2- الكتاب الذي بين أيدينا يتعرض لذكر مختارات شعرية للمغاربة في جزأين؛ في الجزء الأول يتعرض لشخصيتين فقط (من ص395 حتى 398) ، ثم يتم البقية في الجزء الثاني (من ص 3حتى 97).

3- أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ج1، صص395-398؛ وج2، صص3-97.

4- نفسه، ج1، ص11.

5- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص68.

6- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص162/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص66.



قال المقري: "قلت: ولا يخفى على مَنْ له بصر بعلم الحديث أن الأشج وابن نسطور لا يلتفت إليهما، ويرحم الله الحافظ السِّلَفي إذا قال:(الطويل)

حِدِّيْثُ ابِنْ نَسْطُوْرُ وَقَيْسُ وُنُعَيْمٌ * وَبُعْدٌ أَشَجُّ الْغَرْبُ ثَمٌّ خِرَاشٌ

وَنُسَّخْةِ دَيْنَارٌ وَنُسَّخْةِ تَرْبَةً * أَبِيْ هُدْبَة الْقِيْسِيّ شَبْهُ فَرَاشِ

وكان الحافظ السِّلَفي إذا فرغ من إنشاد هذين البيتين ينفخ في يديه إشارة إلى أن هذه الأشياء كالريح"[1].

- مصنفات جلبها يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ:

- كتاب المعالم: أو معالم السنن: مؤلف في شرح سنن أبي داود لأبي سليمان الخَطابي، ذكر حاجي خليفة: "أوله الحمد لله الذي هدانا لدينه وأكرمنا بسنة نبيه الخ"، ولخصه الحافظ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي(ت765هـ/1363م) وسماه "عجالة العالم من كتاب المعالم"[2].

- ما جلبه الواعظ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكافي الأنصاري الدمشقي:

- خطب من كلام أبي الفرج بن الجوزي: وهذا ليس من تصنيف ابن الجوزي نفسه، وإنما مجموعة خطبه، أخذها عنه سماعا الواعظ محمد بن عبد الوهاب ودونها في دفتره، لقول ابن الزبير "من كلام شيخه ابن الجوزي في سفر بخطه"[3]، من أجل أن يُحاضر ويعظ بها في خطبه، ويذكر حاجي خليفة أكثر من عشرين عنوان لكتب المواعظ والخطب لابن الجوزي لما سرد مؤلفاته الكثيرة نذكر منها: المورد العذب في المواعظ والخطب، المقتضب في الخطب، ملح المواعظ، بستان الواعظين ورياض السامعين، تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ[4].

إن مجموع الكتب التي حملها أعلام الدراسة المشارقة القادمين من المشرق إلى بلاد المغارب- سواء كانت مؤلفات شخصية للقادم أو من مؤلفات علماء مشارقة لم يَفِدوا ساهمت في دفع الحركة الفكرية في بلاد المغارب، وشجعت المغاربة على التأليف في أنواع العلوم والآداب.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص66.
[2]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص46.
[3]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 3، ص35.
[4]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، صص423-425.



وعلى ما يبدو أن الكتب الوافدة مع المشارقة المُغَرِبين أكثر بكثير من التي أحصيت هنا وارتبطت بأعلام الدراسة، ويعتبر القالي من بين الداخلين الذين أغرقوا المغرب الإسلامي بكتب الآداب ودووابن الشعراء ومروياتهما التي حملها معه إلى الأندلس.

كما حرص المغاربة على الإعتناء بالمؤلفات المشرقية الوافدة عليهم مع هؤلاء المشارقة القادمين بالدراسة والرواية وشرح بعضها وتذييل أخرى، وقد أثبتوا قدراتهم في ميدان الأدب والشعر وبالأخص في تلك الشروح.

ثالثا: مؤلفات الرحالة المشارقة القادمين بلاد المغارب التي تتضمن الحديث عن المغارب: لم يكتف العلماء المشارقة الذين تنوعت أسباب وفادتهم على بلاد المغارب بالزيارة والمشاهدة ولقاء العلماء والملوك وقضاء المصالح، وإنما تطرق لها البعض منهم في مؤلفاتهم، وهؤلاء هم فئة معينة تتمثل في الرحالة والجغرافيين والمؤرخين.

فالبعض منهم خصص لها جزء أو ربما أجزاء من كتبهم، والبعض الآخر أفرد لها مؤلفا، إذ يعتبر المغرب أحد الأقطاب الكبرى للمشرق الإسلامي أوجب الرحلة إليه والتأليف عنه في نظر بعض المشارقة.

ومن خلال البحث في مؤلفات هؤلاء نستطيع معرفة نظرة العلماء المشارقة إلى المنطقة، على أن نظرة الجغرافيين والمؤرخين لها الأهمية الكبرى إذ هم أعلم فئة بأحوال البلدان، وعلى دراية بالشعوب لكثرة تِرحالهم، وتجدهم يتميزون بدقة المُعاينة، كما أن الغريب يرى دائماً ما لا يراه المقيم، لأن الأُلفة المستمرة تفقد الملاحظة الدقيقة في أغلب الأحيان.

- مؤلفات اليعقوبي: زار اليعقوبي المغرب، وله مؤلفين ضَمَّا الحديث عن بلاد المغارب، واحد في الجغرافية والثاني في التاريخ.

- كتاب البلدان لليعقوبي[1]: يقع في جزء واحد، ويعتبر كتاب البلدان أقدم كتاب عربي وصل إلينا في الجغرافية، ومما زاد من أهميته أن صاحبه قد قام بالترحال في البلدان والأصقاع التي أورد ذكر جغرافيتها في كتابه، وقد أنجزه في مصر في خلافة المعتمد العباسي سنة 277هـ/890م[2].

أما دواعي تأليف هذا الكتاب فيبدو أنه نِتاج مُيولات شخصية ورغبة ذاتية طُبعت في نفس المؤلِف منذ صغر سنه، حيث يذكر اليعقوبي في أول خطبة الكتاب: "إني عنيت في عنفوان شبابي، وعند احتيال سني، وحدّة ذهني بعلم أخبار المدن، ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري ودام تَغرُبي"[3].

وعن مصدر مادة كتاب البلدان وكيفية جمعها، فقد كان يُسائل أهل الأمصار عنها، وعن عاداتهم ونحلهم وحكوماتهم، وعن المسافات بين البلاد، فإذا وثق في نقلهم أثبته في كتابه،

---

[1]- عن طبعات الكتاب السابقة للطبعة التي بين أيدينا، يذكر محمَّد أمين ضنّاوي: طبع أولا في ليدن سنة 1861م بعناية المستشرق جونبول، وطبع أيضاً في جملة المكتبة الجغرافية الذي طبع فيها ثمانية مجلدات من كتب الجغرافية العربية بعناية المستشرق ديغويه. اليعقوبي، البُلدان، ص7.

[2]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص46/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص 173.

[3]- اليعقوبي، البُلدان، ص9.



يقول اليعقوبي: "حتى سألت خلقا كثيراً وعالماً من الناس في الموسم، من أهل المشرق والمغرب، وكتبت أخبارهم، ورويت أحاديثهم"[1]، كما قدَّمت المشاهدة عن طريق الترحال للمؤلف أهم المعلومات الواردة في مؤلفه البلدان.

وعن منهجية التأليف يذكر أسماء الأمصار والأجناد والكُوَر، وما في كل مِصر من المدن والأقاليم، ومن يسكنه ويغلب عليه ويترأس فيه من قبائل العرب وأجناس العجم، ومسافة ما بين البلد والبلد والمِصر والمِصر، ومن فتحه من قادة جيوش الإسلام، وتأريخ ذلك في سنته وأوقاته، ومبلغ خراجه وسهله وجبله وبرّه، وبحره وهوائه في شدة حرّه وبرده ومياهه وشربه.

والكتاب صغير الحجم إذ هو مختصر لأخبار البلدان، وهذا الاختصار والتدقيق يؤكد ما ذهب إليه بن حميدة في أن الكتاب موجه لعمال الأقاليم.

واستهل كتابه بوصف دقيق وحي في آن واحد لعاصمة العالم الإسلامي الشرقي بغداد لأهميتها في عصره، حيث يقول مفتتحاً مؤلفه: "إنما ابتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا وسرّة الأرض، وذكرت بغداد لأنها وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها"[2].

أما فصل بلاد المغرب فكان ضمن الربع الثالث وهو ربع الشمال، وابتدأ بذكر مدينة برقة، ثم أتبعها بمدن سرت وودان وزويلة وفزان وأطرابلس والقيروان، ومن ثمة تعرض لجزيرة الأندلس ومدنها، ثم عاد إلى ذكر تاهرت، ثم عرج على سجلماسة وختمها بالسوس الأقصى[3].

يأتي ذكر بلاد المغرب كآخر ما يتعرض له في كتاب البلدان، ويبتدئ بذكر المسالك من مصر إلى برقة مرحلة بمرحلة معرجا على الأقوام التي تقطن بعض الكُوَّر، مثل قوله: "ثم الرمادة وهي أول منازل البربر يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القدم، وبها قوم من العرب من بنى وجهينة وبني مدلج وأخلاط"[4]، كما يشير إلى المسلك البحري من القيروان إلى جزيرة الأندلس[5].

يعتبر كتاب البلدان أقدم مصدر جغرافي عن بلاد المغرب لمؤلف مشرقي زار المنطقة في ذلك الوقت لذلك تزداد أهميته في دراستنا، فقد وصف بعض مدن بلاد المغرب والأندلس

---

[1]- اليعقوبي، البُلدان، ص5-9.
[2]- اليعقوبي، البلدان، صص10-11/عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص 175.
[3]- نفسه، البُلدان، ص71.
[4]- نفسه، ص180.
[5]- نفسه، ص192.



بطريقة سلسة ومبسطة، حيث يذكر المدينة وموقعها، وما إن كانت قديمة أو مستحدثة -إسلامية البناء-، ومن افتتحها أو بناها أو وزاد في بنائها أو نزل بها، وما إن كانت محصنة ومسورة، كما يقوم بوصف طبيعة التربة والهواء والوديان أو الأنهار التي تمر عليها، والطرق التي تؤدي إليها، والمسافة التي تربط بينها وبين غيرها مما كان قد عرج عليه من ذكر للمدن قبلها وبعدها، وما يلحق بها من مدن وأقاليم وكور وأعمال ومسافة الكل بينهم، وما إن كانت على الساحل أو مدى قربها من البحر، والأقوام التي تقطنها وأماكنها، وكذلك مذاهب أهلها، كما يقدم معلومات حول الخراج والاقتصاد من زراعة - نوع المحاصيل- وتجارة - من سلع وبضائع تشتهر بها بعض المدن-، إضافة إلى نسب بعض القبائل البربرية ومناطق انتشارها.

ومن أمثلة ذلك في وصفه للمدن يقول: "مدينة برقة في مرج واسع وتربة حمراء شديدة الحمرة"[1].

أما عن المعلومات التاريخية المقدمة حول المدن نذكر حديثه عن أطرابلس "أطرابلس مدينة قديمة جليلة...افتتحها عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب، وكانت آخر ما افتُتح من المغرب في خلافة عمر"[2].

وكذلك في قوله عمن نزل المدن المغربية ومثال ذلك مدينة "البيرة نزلها من كان قدم البلد من جند دمشق من مضر وجلهم قيس وأفناء قبائل العرب"[3].

وعن خراج المدن يشير إلى ذلك في ذكره لمدينة برقة "وخراج برقة قانون قائم كان الرشيد وجه بمولى له يقال له بشار فوزع خراج الأرض بأربعة وعشرين ألف دينار على كل ضيعة شيء معلوم سوى الأعشار والصدقات والجوالي، ومبلغ الأعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر ألف، ربما زاد وربما نقص، والأعشار للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قرى مقراة"[4].

أما فيما يخص وصفه لموارد البلدان الاقتصادية، يقول: "سجلماسة مدينة على نهر يقال له زيز، وليس بها عين ولا بئر، وبينها وبين البحر عدة مراحل،... وزرعهم الدخن والذرة، وزرعهم على الأمطار لقلة المياه عندهم، فإن لم يمطروا لم يكن لهم زرع"[5].

---

[1]- اليعقوبي، البُلدان، ص181.
[2]- نفسه، ص184.
[3]- نفسه، ص193.
[4]- نفسه، ص182.
[5]- اليعقوبي، البلدان، ص198.



وعن الصناعة والتجارة: "بلد زويلة مما يلي القبلة، وهم قوم مسلمون إباضية كلهم يحجون البيت الحرام، وأكثرهم رواية، ويخرجون الرقيق السود من الميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم...، ومن زويلة الجلود الزويلية"[1].

وعن الطرق والمسافات بين المدن نورد مثالا يقول المؤلف: "من قابس إلى مدينة القيروان أربع مراحل أولها عين الزيتونة غير آهلة، ثم للس قصر فيه عمارة، ثم غدير الأعرابي، ثم قلشانة وهي موضع المعرس لمن خرج من القيروان وقدم إليها، ثم مدينة القيروان العظمى... "[2].

ومن أمثلة تعرضه لذكر نسب البربر قوله: "تزعم هوارة أنهم من قوم من اليمن جهلوا أنسابهم"، أما عن مبلغ العلم في أمور الدين فنشير إلى ما ورد في ذكره لمدينة سرت: "ومزاتة كلها إباضية على أنهم لا يفقهون ولا دين لهم"[3].

أحسن المؤلف في وصف تاهرت لمكانتها في ذلك الوقت، حيث يذكر"المدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار، عظيمة الأمر، تسمى عراق المغرب"[4]، كما أشار إلى الإنقسام داخل المذهب الإباضي الحاصل في ذلك الوقت بقوله: "ومن مدينة تاهرت وما يحوز عمل ابن أفلح الرستمي إلى مملكة رجل من هوارة يقال له ابن مسالة الإباضي إلا أنه مخالف لابن أفلح يحاربه، ومدينته التي يسكنها يقال لها الجبل"[5].

يقول بحاز عن زيارة اليعقوبي لتهيرت: "ولعل لزيارته أكثر من أثر ثقافي في العلاقة بين الدولة الرستمية وبلاد المشرق، ولا نعرف بالضبط متى زار اليعقوبي تيهرت، إلا أننا لا نشك في أن ذلك في أواخر الدولة الرستمية، أيام الإمام أبي حاتم بن أبي اليقظان محمد بن أفلح (281-294هـ/894-906م) وعامله على نفوسة إلياس إذ يذكرهما ذكر من يعرفهما أو عاصرهما"[6].

لقد قدم اليعقوبي في الفصل الخاص بالمغرب الذي توسع فيه نوعا ما مادة تتضمن معلومات ووثائق شخصية تماماً لذلك؛ فهي تتميز بالغزارة وبدقة التفاصيل التاريخية التي

---

[1]- نفسه، ص183.
[2]- نفسه، صص185-186.
[3]- نفسه، ص182.
[4]- نفسه، ص192.
[5]- نفسه، ص195.
[6]- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، ص396.



يقدمها المؤلف عن المقاطعات والمدن التي يصفها، ولم يكتف بإعطاء قائمة مراحل كل الطرق التي تخترق المدن، بل ألحق بذكر كل مرحلة معلومات هامة أحياناً عن موقعها وماضيها.

إن القارئ لما كتبه اليعقوبي عن بلاد المغرب الإسلامي وبخاصة بلاد المغرب يشعر أن تلك المعلومات القيّمة والمختصرة كانت منتقاة بدقة، وبأسلوب بسيط سهل ومُتَسلسل تُثبت مدى تعمق اليعقوبي في اختيار ما يُضمنه في كتابه رغم أنه شاهِد عيان إلا أن اختصار صفوة الكلام جعل من البلدان أكثر تميزا وتركيزا، وعبر عن ذلك بن حميدة في قوله: "كما يقف منه على أوصاف وأخبار تدل على أن اليعقوبي رأى بنفسه معظم ما عرض للكتابة فيه، مع أنه تحاشى ذكر ما لقيه في أسفاره من المشاهدة والتجارب"[1]، ولعل ذلك يعود إلى حرص اليعقوبي على ذكر الأهم للرحالة والمسافرين.

- التاريخ الكبير: ويقع في جزأين.

الجزء الأول: في التأريخ القديم على العموم من آدم فما بعده إلى ظهور الإسلام: وتدخل فيه أخبار الإسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة.

ويبدأ دون مقدمة من خلق آدم عليه السلام ثم مرورا بجميع الرسل والأنبياء وأممهم، وملوك بابل والهند واليونانيين والروم والفرس والصين وملوك مصر من القبط وغيرهم وممالك البربر والأفارقة وممالك الحبشة والسودان ومملكة البجة وملوك اليمن وملوك الشام من بني إسرائيل، ويختم بأولاد اسماعيل بن إبراهيم، ثم يتعرض إلى أديان العرب وحكامهم وشعرائهم، وأخيرا أسواق العرب[2].

ومما ذكر عن ممالك البربر والأفارقة في القسم الأول نص واحد: "وكانت البربر والأفارقة، وهم أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح، لمّا ملك إخوتهم بأرض مصر، فأخذوا من العريش إلى أسوان طولاً، ومن أيلة إلى برقة عرضاً، خرجوا نحو المغرب، فلمّا جازوا أرض برقة أخذوا البلاد، فغلب كلّ قوم منهم على بلد، حتى انتشروا بأرض المغرب.

فأوّل من ملك منهم: لُواتة في أرض يقال لها أجْدابِيّة من جبال برقة، وملكت مَزاتة في أرض يقال لها وَدّان، فنسب هؤلاء القوم إلى أبيهم، وجاز قوم منهم إلى بلد يقال له تَوَرْغَة،

[1]- عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص174-181.
[2]- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط2، 1431هـ/2010م، ج1، صص5-271.

فملكوا هناك، وهم هُوارة، وسار آخرون إلى بلاد أرميك، وهم بذرعه، وسار قوم إلى طرابلس يقال لهم المصالين، وجاز قوم إلى غربيّ طرابلس يقال لهم وهيلة.

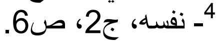
ثمّ استعلت بهم الطريق، فأخذ قوم إلى القيروان يقال لم برقشانه، وأخذ آخرون ذات الشمال، فصاروا إلى تاهرت، وهم الذين يقال لهم كتامة وعَجيسة، وأخذ قوم آخرون إلى سجلماسة، وهم الذين يقال لم نَفُوسة ولماية، وأخذ قوم إلى جبال هكان، وهم الذين يقال لهم لَمْطَه، ويسمّون العالات، وهم في بادية، في غير مساكن، وأخذ قوم إلى طنجة يقال لهم مكناسة، وأخذ قوم إلى السوس الأقصى، وهم الذين يقال لهم مداسه.

وقد ذكر قوم من البربر والأفارقة أنّهم من ولد بربر بن عيلان بن نزار؛ وقال آخرون: أنّهم من جذام ولحم، وكانت مساكنهم فلسطين، فأخرجهم بعض الملوك، ولمّا صاروا إلى مصر منعتهم ملوك مصر من النزول، فعبروا النيل، ثم غرّبوا، فانتشروا في البلاد، وقال آخرون: إنهم من اليمن نفاهم بعض الملوك من بلد اليمن إلى أقاصي المغرب، وكلّ قوم ينصرون رواياتهم، والله أعلم بالحق في ذلك"[1].

أما الجزء الثاني، فهو في تأريخ الإسلام ينتهي في زمن المعتمد على الله الخامس عشر من خلفاء بني العباس: أي إلى سنة 259هـ/872م، وقد رتبه حسب الخلفاء؛ ومن المزايا التي يمتاز بها عن سائر التواريخ العامة فضلاً عن قِدَمِه أن مؤلفه أتى فيه بلباب التأريخ، وتحرَّى القضايا الصادقة[2].

ويفتتحه بقوله: "إنه لما انقضى كتابنا الأول الذي اختصرنا فيه ابتداء كون الدنيا وأخبار الأوائل من الأمم المتقدّمة والممالك المفترقة والأسباب المتشعّبة ألّفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدّمون من العُلماء والروّاة وأصحاب السِّيَر والأخبار والتأريخات"[3].

وأما، مصادره فقد صرح بها في مقدمة الكتاب: "وكان مَن روينا عنه ما في هذا الكتاب: إسحاق بن سليمان بن عليّ الهاشمي عن أشياخ بني هاشم، وأبو البَخْتَريّ وهب بن وهب القرشيّ عن جعفر بن محمّد وغيره من رجاله...، وأثبتنا عن غير هؤلاء الذين سَمَّينا جُمَلاً جاء بها غيرهم ورواها سواهم، وعلمناها من سِير الخلفاء وأخبارهم، وجعلناه كتاباً مختصراً، حذفنا من الأشعار وتطويل الأخبار"[4].

[1]- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص190-191.
[2]- اليعقوبي، البُلدان، صص6-7.
[3]- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص5.

[4]- نفسه، ج2، ص6.



وقد أشار لبلاد المغرب سبعة عشر مرة أي خلال فترة عشرين خليفة من الأيام الأولى للفتح الإسلامي لبلاد المغرب في خلافة عمر بن الخطاب وفتح عمرو بن العاص رضي الله عنهما بَرْقَة، إلى سنة 259هـ/ 872م وهي آخر سنة تذكر فيها بلاد المغارب في الكتاب[1].

وعن تلك الفترات التي أشار فيها اليعقوبي للمغرب فهي على التوالي: خلافة عمر بن الخطاب، ثم خلافة عثمان رضي الله عنهما، أيام معاوية بن أبي سفيان، أيام عبد الملك بن مروان، أيام الوليد بن عبد الملك، أيام سليمان بن عبد الملك، أيام يزيد بن عبد الملك، أيام هشام بن عبد الملك بن مروان، أيام أبي العباس السفاح، أيام أبي جعفر المنصور، أيام موسى بن المهديّ، أيام هارون الرشيد، أيام المأمون، أيام هارون الواثق بالله، أيام أحمد المستعين، أيام أحمد المعتمد على الله[2].

- **مؤلفات ابن حوقل:** وتتمثل في كتابين أولهما يتضمن الحديث عن جغرافية كافة مملكة الإسلام ومن ضمنه بلاد المغارب، والثاني خصصه لصقلية.

- صورة الأرض لابن حوقل البغدادي: يحمل في المسودة الأولى التي أهداها إلى سيف الدولة الحمداني عنوان "المسالك والممالك" الذي هو أيضا عنوان كتاب الإصطخري، وأما المسودة الثانية التي وضعت في سنة 367هـ/977م، فهي تحمل عنوان صورة الأرض[3]، والعنوان الكامل هو "كتاب صورة الأرض وصفة أشكالها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرّد بالأعمال المجموعة إليها"[4].

وعن دوافع تأليف الكتاب يذكر ابن حوقل: "وكان ممّا حضّني على تأليفه، وحثّني على تصنيفه، وجذبني إلى رسمه أنّي لم أزل في حال الصبوة شغفاً بقراءة كتب المسالك، متطِّلعاً إلى كيفيّة البين بين الممالك في السير والحقائق، وتباينهم في المذاهب والطرائق، وكمّية وقوع ذلك في الهمم والرسوم والمعارف والعلوم والخصوص والعموم، وترعرتُ فقرأتُ الكتب الجليلة المعروفة والتواليف الشريفة الموصوفة؛ فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً، وما رأيتُ فيها رسماً متبعاً؛ فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب"[5]، وبذلك فدوافع تأليفه تتلخص في

---

[1]- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص156، وص510.
[2]- نفسه، ج2، صص156-511.
[3]- عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص305.
[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص1.
[5]- نفسه ، ص2.



أمرين: دافع ذاتي، ودافع علمي هو عدم استيفاء المؤلفات السابقة لكل ما يجب أن يتضمنه كتاب جغرافي حسب رأي ابن حوقل.

أما، فيما يخص منهجية تأليف صورة الأرض فيذكر صاحبه: "وقد عملتُ له... كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ومقاديرها في الطول والعرض، وأقاليم البلدان، ومحلّ الغامر منها، والعمران من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرّد بالأعمال المجموعة إليها...، وقد جعلتُ لكلّ قطعة أفردتُها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم، ثمّ ذكرتُ ما يحيط به من الأماكن والبقاع، وما في أضعافها من المدن والأصقاع، وما لها من القوانين والإرتفاع، وما فيها من الأنهار والبحار، وما يُحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم من وجوه الأموال والجبايات والأعشار والخراجات، والمسافات في الطُرقات، وما فيه من المجالب والتجارات"[1].

و يحتوي الكتاب على قسمين:

- القسم الأول: صورة الأرض، ديار العرب، بحر فارس، المغرب، الأندلس، صقلّية، مصر، الشام، بحر الروم، الجزيرة، العراق[2].

- القسم الثاني: خوزستان، فارس، كرمان، السند، أرمينية وأذربيجان والران، الجبال، الديلم وطبرستان، بحر الخزر، مفازة خراسان وفارس، سجستان، خراسان، ما وراء النهر[3].

مصادره من الكتب الجغرافية: كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهانيّ وتذكرة أبي الفرج قُدامة ابن جعفر[4]، والرحلة عن طريق المشاهدة للحصول على المعلومات الجغرافية وتقصيها لقوله: "وأعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر"[5]، ولقاء كبار الجغرافيين أمثال أبي إسحاق الفارسيّ[6] الإصطخري.

وانطلاقة رحلة ابن حوقل كانت من بغداد في 331هـ/942م، وقد أمضى في رحلاته الواسعة زهاء ثلاثين عاماً ساح خلالها في أرجاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من نهر السند حتى ضفاف البحر المحيط، ويبدو أن ابن حوقل أمضى جميع أسفاره برا لقوله: "وقد ذكرتُ في آخر كتابي هذا كيف تعاورَتْني الأسفار واقتطعَتْني في البرّ دون ركوب البحار إلى أن

---

[1]- نفسه، صص2-3، وينظر أيضا بداية ص5، وص17؛ وطريقة جمع المعلومات في ص329.
[2]- نفسه، صص5 -221.
[3]- نفسه، صص249 - 526.
[4]- نفسه، ص329.
[5]- نفسه، ص3.
[6] - نفسه، ص329.



سلكتُ وجه الأرض بأجمعه"[1]، ويبقى السؤال هو كيف دخل صقلية؟ والتي ألف عنها كتابا مفردا!.

كان ابن حوقل في المغرب وبالضبط في المهدية سنة 336هـ/942م، وبأقصى المغرب الأقصى في سجلماسة سنة 340هـ/951م، ويبدو أنه قد توغل في هذه المناطق في طريق عودته من الأندلس سنة 337هـ/948م ويؤكد ذلك قوله عند ذكر برغواطة: "وكنت ألفيتُ محمّد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسِجلْمَاسه يدعو إلى غزوهم في سنة أربعين وثلاثمائة، وأظنّه هلك ولم يبلغ منهم مَحابّه لقلَّة إجابة من كان يدعوه إلى غزوهم من البربر"[2].

وكتاب صورة الأرض وصف لحدود المملكة الإسلامية والبلدان المجاورة لها، يقول المؤلف: "وقد فصَّلتُ بلاد الإسلام إقليماً إقليماً، وصُقْعاً صُقْعاً، وكورةً كورةً لكلّ عمل"[3]، أي يرسم صور الأقاليم كتابة، ثم يدعم حديثه برسومات وأشكال.

وافتتح مؤلفه بإقليم العرب فقال: "وبدأتُ بذكر ديار العَرَب، فجعلتُها إقليماً واحداً لأنّ الكعبة فيها ومكّة أم القرى، وهي واسطة هذه الأقاليم عندي"[4]، ثم ديار فارس، ثم المغرب.

أما عن المغرب فيقول ابن حوقل: "ثم ذكرتُ الـمَغْرِب ورسمتُه في وجهين، وبدأتُ بشَكل ما حاز منه أرضَ مِصْر إلى المَهْدِيَّة والقَيْرَوَان وما في براريها من المدن وإن قلّت، وأعقبتُها بباقي صورته من القيروان والمهديّة إلى أرض طنجة وإزيلي، ورسمتُ على بحره مدنَه الساحليّة، وشكّلتُ طُرُقه إلى جميع أنحائها وكيفيَّتَها مُغَرّبَةً ومُشَرِّقَةً في سائر جهاتها"[5]، وقد أضاف صورة الأندلس وصقلية في أشكال المغرب أيضا.

ويعد ابن حوقل الخبير الأول من بين جغرافيي عصره في شؤون المغرب، فلا تظهر أصالة ابن حوقل إلا خلال الفصول التي كتبها عن الجناح الغربي من العالم الإسلامي[6].

ويصف أول مدينة مغربية غداة دخوله إليها بقوله: "فأما بَرقَة فمدينة وسطة ليست بالكبيرة الفَخْمة ولا بالصغيرة الرزيّة، ولها كور عامرة وغامرة...، وهي برّيّة بَحْرِيّة جَبَلِيّة"[7].

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، صص3-4/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص210.
[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، صص71-73، وينظر أيضا ص99.
[3]- نفسه، صص5-6.
[4]- نفسه، ص6.
[5]- نفسه، ص6. (بلاد المغرب من ص60 إلى107)
[6]- عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص211.
[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص66.



كما تضمن ملاحظات حول طبيعة السكان لما ذكر أطرابُلس: "وأهلها قومٌ مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والأحوال، متميّزون بالتجمّل في اللباس وحسن الصورة"[1]، في حين نجد الصورة عكس ذلك لمدينة قَابس"وأهلُها قليلو الدماثة غير محظوظين من الجَمال والنظافة وفيهم سلامة، وفي باديتهم شرٌّ شِمِرٌّ ودِينٌ قَذِرٌ، وذلك أنّهم لا يخلون من الشراية والقول بالوعد والوعيد مع الغيلة لبني السبيل، والإعتراض على أموالهم في الكثير والقليل، والويل لمن نام بينهم، والحرب على من جاورهم واستجار بهم"[2].

إضافة إلى ذلك يذكر المؤلف ما تشتهر به قبائل البربر حين يقول: "ولم يُر لأحدهم - قبائل البربر بين أودغست وسجلماسة- ولا لصنهاجة مذ كانت من وجوههم غير عيونهم، وذلك أنّهم يتلثّمون وهم أطفالٌ، وينشأون على ذلك، ويزعمون أنّ الفم سَوْءَةٌ تستحقّ الستر كالعورة لما يخرج منه إذ ما يخرج منه عندهم أنتن ممّا يخرج من العورة"[3].

ولدقة ملاحظاته أوجد أوجه تشابه بين المدن المغربية في أمور عدة، مثال ذلك قوله: "ويقارب القيروانَ سجلماسة في صحّة الهواء ومجاورة البيداء"[4].

كما يتحدث باستفاضة عن موارد المدن ومقوماتها الاقتصادية، ومثال ذلك قوله: "مدينة بُونة مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة...، وهي على نحر البحر، ولها أسواق حسنة، وتجارة مقصودة وأرباح متوسِّطة، وفيها خِصْب وَرُخْص موصوفة، وفواكه وبساتين قريبة وأكثر فواكهها من باديتها، والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له، وبها معادن حديد كثيرة، ويُحمل منه إلى الأقطار الغزيرُ الكثيرُ، ويُزرع بها الكتّان...، ومن تجارتها الغنم والصوف، والماشية من الدوابّ وسائر الكُراع، وبها من العسل والخير والمير ما تزيد به على ما داناها من البلاد المجاورة لها، وأكثر سوائمهم البقر، ولهم إقليم واسع وبادية وحَوْزَة بها نتاج كثير وقلّ من بها تفوته الخيل السائمة للنتاج"[5].

كما يذكر بعض المظاهر التي لا حظها بالمغرب منها: نبوة صالح بن عبد الله في بَرغُواطه، ومن ثمة خليفته ابنه المكنى أبا العُفَير، وكيف غير دين البربر إلى دين أقامه لهم بلغتهم[6]، وكذلك ما رآه وسجله عن أهل السوس حيث قال: "وأهل السُوس فرقتان مختلفتان

---

[1]- نفسه، ص69.
[2]- نفسه، ص70.
[3]- نفسه، ص102.
[4]- نفسه، ص99.
[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، صص75-76.
[6]- نفسه، صص82-83.



مالكيّون أهل سنّة ومُوسَوِيُّون شيعة...، ولهم بالبلد مسجد جامع تصلّى فيه الفرقتان فرادى عشر صلواتٍ إذا صلّت فرقة تلتها الأخرى بعشرة أذاناتٍ وعشر إقاماتٍ... "[1].

وعُني ابن حوقل بالتبادل التجاري بين المغرب والمشرق فوضع قائمة لصادرات المغرب، يدل محتواها على أنها تتجه خصوصا إلى قصور الملوك والأثرياء[2]، فقال: "فأمّا ما يُجَهَّز من المغرب إلى المشرق فالمولّدات الحسان الرُوقة كالتي استولدهنّ بنو العبّاس وغيرهم وأكابر رجالهم، وولدْن غير سلطان عظيم كسلامة البربريّة أم أبي جعفر عبد الله بن محمَّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وقراطيس أمّ أبي جعفر هارون الواثق بن المعتصم، وقَتُول أمّ أبي منصور محمد القاهر بن المعتضد، وغير من ذكرتُ من ملوك المشرق وأمرائه والغلمان الروقة الروم والعنبر والحرير والأكسية الصوف الرفيعة والدنيّة إلى جباب الصوف، وما يُعمل منه والأنطاع والحديد والرصاص والزيبق والخدم المجلوبون من بلاد السودان والخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الأندلس، ولهم الخيل النفيسة من البراذين والبغال الفُرة والإبل والغنم، وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص...، ولهم من جيّد الفواكه والثمور والأرطاب وسائر الأغذية، وعندهم من الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي لا تدانيها في الكثرة إبل العرب"[3].

ويذكر المؤلف مستوى المعيشة فيقول: "فأمّا أسعارهم على تنائي مدنهم وديارهم فعلى غاية الرخص في الأطعمة والأغذية والأشربة واللُحْمان والأدهان"[4]، ولشدة اهتمام ابن حوقل بقبائل البربر قام بإيراد أسماء تلك القبائل في نهاية فصل المغرب[5] .

ومن المغرب ينتقل إلى وصف الأندلس ويقدم صورة الأندلس فوصفه العام للبلد يعطي صورة واضحة جيدة، إلا أن الملاحظ على الفصل الذي خصصه لها نوع من الإقتضاب والميل إلى الاختصار، وبخاصة في ذكر المدن، وقد دخلَها في أول سنة 337هـ/948م[6].

يفتتح فصل الأندلس بقوله: " فأمّا الأندلس فهي من نفائس جزائر البحر"[1]، ثم يصف الحالة الغالبة على البلد فيقول: "ويغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة، والرخص والسعة في جميع الأحوال إلى نيل النعيم، والتملّك الفاشي في الخاصّة والعامّة"[2].

---

[1]- نفسه، صص91-92.
[2]- عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص310.
[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، صص97-98.
[4]- نفسه، صص97-98.
[5]- نفسه، ص104/ وينظر عن أسماء القبائل صص104-107.
[6]- نفسه، ص108/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص311/



يتحدث عن قرطبة التي عرفها جيدا بالعبارات التالية: "وأعظم مدينة بالأندلس قُرطُبة، وليس بجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها، في كثرة أهل، وسعة رُقعة، وفُسحة أسواق، ونظافة محالّ، وعمارة مساجد، وكثرة حمّامات وفنادق"[3].

ويصف الحالة الإقتصادية للبلد فيقول: "وبالأندلس الزئبق والحديد والرصاص، ومن الصوف قِطَع كأحسن ما يكون من الأرمنيّ والمحفور الرفيع الثمن، ولهم من الصوف والأصباغ فيه وفيما يعانون صِبَغَهُ بدائع بحشائشَ تختصّ بالأندلس، تُصبغ بها اللبود المغربيّة المرتفعة الثمينة والحرير، وما يؤثرونه من ألوان الخزّ والقزّ، ويجلب منها الديباج، ولم يساوِهم في أعمال لبودهم أهل بلدٍ على وجه الأرض، ويُعمل عندهم الخزّ، السَكْب والسفيق، ويُعمل في أقطار بلدهم الكَتَّان، ويُجْلب إلى غير مكان حتّى ربّما وصل إلى مصر ومكّة واليمن وغيرها"[4]، ويضيف قائلا: "أمّا أسعارهم فتُضاهي النواحِيَ الموصوفة بالرُخص وكثرة الخير والسعة"[5]، وينهي فصل الأندلس بقوله: "فهذه جملة من أخبار جزيرة الأندلس"[6].

ثم ينتقل إلى الحديث عن جزيرة صقلية ويقول: "كُنْتُ جالسًا بصقلية يوم الجُمعة لعشر خلون من رجب سنة اثنتين وستّين على الدُكّان المعروف بابن الأنطاكي"[7]، ويبدو أنه عبر للجزيرة من إفريقية وليس من الأندلس، وربما بصحبة القيرواني الذي أشار إليه في قوله: "وحدّثني أبو عبد الله محمّد بن عيسى المعروف بالناشئ القروي المتكلّم وكنّا معاً بصقلّية"[8].

ويفتتح حديثه عن صقلية بقوله: "هي جزيرة على شكل مثلّث متساوي الساقين زاويته الحادّة من غربي الجزيرة...، وهي في شرقيّ الأندلس في لجّ البحر، وتحاذيها من بلاد المغرب بلاد إفريقية وباجة وطبرقة إلى مرسى الخزر"[9]؛ ثم فصل في ذكر مدنها ومنها بُلرم التي وصف أسواقها وأبوابها، ومصدر مائها من عيون وآبار، كما اهتم بذكر مدينة الخَالِصة[10] أيضاً.

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص108.
2- نفسه، ص118(قسم الأندلس يبدأ من ص108 إلى ص117).
3- نفسه، ص111/ عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص311.
4- نفسه، ص114.
5- ابن حوقل، المصدر السابق، ص114.
6- نفسه، ص117.
7- نفسه، ص128.
8- ابن حوقل، المصدر السابق، ص127-128.
9- نفسه، ص118(صقلية من ص118-حتى ص131).
10- نفسه، صص118-123.



ويعيب على أهل صقلية كثرة المساجد والرباطات والمكاتب والمعلمين ببلادهم، ذلك أن المساجد والرباطات لم تؤسس على تقوى، فالأمر المُتفشي بين القوم هو حب كل واحد أن يكون له مسجد لنفسه لا يشترك فيه غير أهله فتجد المساجد بين الجيران، وبين بيوت الإخوة، وحتى بين دار الولد ودار أبيه مسجد، وكذلك كثرة المكاتب بقوله: "والغالب على البلد المُعلّمون والمكاتب به في كلّ مكان"[1] لعزوف أهلها عن الجهاد رغم تربص أعدائها بها، ذلك أن للمُعلمين حق القعود، وهو في كل ذلك يذكر حكايات طريفة لأهل البلد.

كما يعيبهم على أكل البصل فيقول: "وكثرة أكلهم البصل وفساد حواسّهم بكثرة تغذّيهم بالنيء منه وما فيهم من لا يَأكُله كل يوم أو يؤكَل في داره صباحَ مساء من سائر طبقاتهم، وهو الذي أفسد تخيّلهم وضرّ أدمغتهم"[2].

كان ابن حوقل شديد الملاحظة فقد ذهب إلى التعمق في نظرته لأهل الأمصار ولاحظ غذاءهم وربط ذلك بصفات القوم.

ويبدو أن ابن حوقل لم يُعْجب بأهل صقلية حين قال: "فليس بالبلد عاقل ولافاضل ولا عالم بالحقيقة بفنّ من فنون العلم، ولا ذو مروؤةٍ ولا متديّن، والغالب عليه الرَعَاع، وأكثر أهله سُقَّاط أوضاع لا عقول لهم ولا دينٌ كاملٌ، وأكثرهم برقاجانة وموالٍ يدّعون ولاء قومٍ افتتحوها وقد هلكوا"[3].

أما فيما يتعلق بالنظافة فيقول: "وليس يشبه وسخُهم في دورهم وسخَ أقذار اليهود ولا ظُلمةُ منازلهم وسوادُها سوادَ الأتاتين والأفران وأجلّهم منزلةً يسرح الدَجَاجُ على مقعده وتذرق الطيور على مصلاّه ومخدّته"[4].

وختم فصل المغرب عامة بقوله: "وهذه جُمَلٌ من أوصاف المغرب، وما استقلّ به ممّا يضاف إليه ويقع في جملته"[5].

يمثل كتاب صورة الأرض وثيقة لا نظير لها، خصوصا فيما يتعلق ببلاد المغارب عامة، فقد تجول مُؤلفه في مختلف مناطق المغرب، وقدم معلومات جغرافية وتاريخية عنها، وعالج الناحية الاقتصادية والاجتماعية وحتى الإثنية للمنطقة، وقد ساعد ابن حوقل اهتمامه بالتجارة، واتصالاته مع الدور التجارية وذوي المصالح المالية، على جمع تلك المعلومات الثمينة في

---

[1]- نفسه، صص120-126.
[2]- نفسه، ص124.
[3]- نفسه، ص124.
[4]- نفسه، ص131.
[5]- نفسه، ص131.



مجال قلما اهتم به المسلمون، ويسجل لوحة فريدة عن التبادل التجاري والإنتاج، وطرق القوافل والمناجم، ويعطينا صورة جيدة عن الحياة الاقتصادية في الشق الغربي للعالم الإسلامي.

كما أنّ الصورة العامة التي سجلها الكاتب لبلاد المغارب في عصره تدل على الرخاء العام الذي يقوم على وفرة الإنتاج ورخص الأسعار، ولاسيما أسعار المواد الغذائية[1].

ومما يستغرب أن صاحب الرحلة تواجد في بلاد المغارب سنة 336هـ/947م وبقي إلى غاية 362هـ/972م وهي السنة التي صرح فيها بوجوده في صقلية، وبذلك دامت رحلته المغربية ست وعشرون عاما، ومؤكد أنها أطول من رحلاته في بلاد المشرق.

- كتاب صقلية لابن حوقل: وهو مفقود[2] لم تذكره الكتب الخاصة بالمؤلفات مثل كشف الظنون لحاجي خليفة[3]، وقد خصّص ابن حوقل هذا الكتاب لصقلية دون غيرها ويؤكد ذلك لقوله: "وَوَسَمْتُهُ بكتاب صِقلّية"[4]، وقد أشار إليه ابن حوقل في صورة الأرض في نهاية حديثه عن بلاد المغرب قبل ختام الجزء المخصص لصقلية، وعن محتويات مؤلفه يقول: "في كتابٍ جعلتُه أبواباً عشرةً، بدأتُ منها بذكر ما يتفاخر به أهل الأمصار والقبائل والبلدان، وما يلحقهم من الفضائل وكيفيّة لحَاقها بالكور والمدن والرذائل المقصرة ببعضها عن الفخر والطيب والحُسن...، ولم أترك لهم من فضيلةٍ ورذيلةٍ إلى جميع ما خُصّوا به ومُنِعُوهُ وأُعْطُوه وما حُرِمُوه إلى غِلَظ طباعهم وسوء أخلاقهم، وما انفردوا به من المطاعم المنتنة والأعراض القَذِرة الدَرِنَة وغلبة كثرة الجفاء وطول المراء، وسمّيتُ جميع معلّميهم إلى ما وصل إليّ من أخبارهم ومحلّهم في الرقاعة، وخلعهم على مرّ الأيّام للسلطان والطاعة، وحال الفرقة التي ليست كفرقة من فرق الإسلام ولا نحلة من النحل ولا في بلد من البلدان ولا بدعة من البدع ولا مشاكلةٍ لنحلة في دين من الأديان، وهم الـمُشمِعذون أكثر أهل حصونهم وباديتهم وضياعهم رأيهم التزويج إلى النصارى على أنّ ما كان بينهم من ولدٍ ذَكَرٍ لحق بأبيه من المشعمذين، وما كانت من أنثى فنصرانيّة مع أمها لا يصلّون ولا يتطهّرون ولا يزكّون ولا يحجّون، وفيهم من يصوم شهر رمضان، ويغتسلون إذا صاموا من الجنابة وهذه منقبةٌ لا يشرَكهم فيها أحدٌ

---

[1]- عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، صص309-310.
[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص129.
[3]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج6، ص36.
[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص129.



وفضيلةٌ دون جميع الخلق أحرزوا بها في الجهل قَصَبَ السَبْقِ، ولقد أعددتُ كتابي هذا بذكرهم فيه"[1].

مما سبق يبدو أن ابن حوقل لم يرضى عن صقلية ولا عن أهلها ولذلك خصص لها مؤلفا ذم فيه أهلها.

- **مؤلفات الرحالة الهروي:** التي شملت الحديث عن المغرب.

- كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي: اقتصر فيه على ذكر زيارات القبور وأضرحة الأنبياء والصحابة والتابعين والرجال الصالحين والعلماء والعبَّاد المشهورين في مدن وبقاع عدّة، وقد اعتمد في تدوينه على ذاكرته اعتماداً تاماً لأن أوراقه ومدوناته ضاعت منه[2]، ويؤكد ذلك قوله في مقدمة كتاب الإشارات: "فإن كتبي أخذها الإنكتار ملك الفرنج، ورغب في وصولي إليه فلم يكن ذلك، ومنها ما غرق في البحر، وقد زرتُ أماكن ودخلتُ بلاداً من سنين كثيرة، وقد نسيتُ أكثر ما رأيت وشذّ عن ذهني أكثر ما عاينته"[3]، كما يسجل الهروي في كتابه هذا بعض من الشؤون المتصلة بشخصه.

وعن دافع تأليفه كتاب الإشارات يقول الهروي: "أما بعد فقد سألني بعض الإخوان الصالحين والخلاّن الصالحين أن أذكر له ما زرته من الزيارات وما شاهدته من العجائب"[4].

وكان قد ابتدأ الزيارة من مدينة حلب وأعمالها، ثم حمص وبعلبك والبقاع ومدينة دمشق وجبالها وقراها، وبلد حوران والبلقا وبلد مآب ومدينة طبريّة وأعمالها ونابلس والقدس الشريف وما حوله ومدينة الخليل وعسقلان والقاهرة والقرافة والجيزة ومصر القديمة وبلاد الصعيد وبلاد النوبة ودمياط والإسكندرية وبلاد المغرب وجزيرة إسقلية وجزيرة قبرس ومدينة القسطنطانية وبلاد الروم وبلد الخابور والموصل وأعمالها والعراق وسامراء وبغداد، مدينة الكوفة ومدينة البصرة ومكّة والمدينة والبقيع وبلاد اليمن وبلاد العجم[5].

زار بلاد المغرب ويبدو أنه وصل إلى قسنطينة ولم يتعداها لأنها آخر ما أشار إليه في زياراته، وكذلك زار صقلية، ولم يدخل جزيرة الأندلس صرح بذلك في قوله: "وأنا فلم أدخل قرطبة ولا جنان الورد"[6].

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص129.
[2]- الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، صص2-3، وص100/ هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص223.
[3]- الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص30.
[4]- نفسه، ص1.
[5]- نفسه، صص4-99.
[6]- نفسه، ص54.



ويتتبع الهروي في زيارته قبور التابعين والأولياء والصالحين والعباد في مدن بلاد المغرب وصقلية.

ومن زياراته في بلاد المغرب قبرُ رُويفع بن ثابت عند الجامع بمدينة بَرْقَة، وقبور سبعة من التابعين بمَدينَة القَيْرَوان بجامعها من غربيّه ذكروا أنّهم من السرية التي دخلت البلاد في زمان عثمان رضي الله عنه، وقصور ثلاثة على ساحل البحر قصر العبّاد يزار بالْمُنَسْتِير، وقبر المؤدّب مُحْرِز بمَدينَة تُونِس الذي يقول عنه: "يقسم به أهل المراكب إذا هاج البحر ويُحمَل من تراب قبره وينذرون له"[1]، كما زار في مدينة بَاجة قبر معبد بن العبّاس بن عبد المطلّب بالمرج، وكذا قبر عبد الرحمان والمنيذر الإفريقي بإفريقية.

ومن مدن المغرب التي وصفها قسنطينة فقال: "مَدينَة قُسْطَنطِينِيَّة الهَوَاء، بها القنطرة من عجائب العمارات"[2].

أما جزيرة صقلية، فقد كانت له زيارة إلى مَرْسَى عَليّ الذي به سبعة من الصحابة رضي الله عنهم في قبر واحد، وقُطَانَة من هذه الجزيرة بها شهداء في مقبرة شرقيّها ذكروا أنّهم نحو ثلاثين رجلاً من التابعين رضي الله عنهم قُتلوا هناك، وبين قُطانة وقصر يانّة شرقي الجزيرة قبر أسد بن الفرات صاحب الأسديّات في الفقه من كبار الأعيان رضي الله عنه[3].

وما يدخل الشك في نفس القارئ الأخبار التي أوردها في كتابه ما ذكره عن مدينة أطرابلس التي أدخلها ضمن حديثه عن جزيرة حيث قال: "مَدِينَة أَطْرَابُلُس من هذه الجزيرة على ساحل البحر غربيّ الجزيرة مسجد به قبر عائشة ابنة جَنادة بن أُوَيْس بن جَنادة أخي أبي ذرّ رضي الله عنهما"[4]، والمعلوم أن أطرابلس مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، وتعرف باسم أطرابلس الغرب، ولكن لا يؤاخذ الهروي على ذلك فالرجل يكتب من حافظة ذهنه بعدما ضاعت كتبه.

ومن مشاهداته في جزيرة صقلية أيضاً بركان ثائر، يقول: "وبجزيرة إسْقلية جبل النار مطلّ على البحر شاهق في الهواء، يُرى في النهار الدخان طالع منه وفي الليل النار"[5].

ويذكُر في الإشارات لقاءه بأحد زعماء المسلمين الذي أرسل معه رسائل إلى السلطان يحثه فيها على أخذ صقلية من يد النورمان[1]، يقول: "واجتمعتُ بجزيرة إسقليّة بالقائد أبي

[1]- نفسه، ص53.
[2]- نفسه، ص53.
[3]- نفسه، صص54-55.
[4]- الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص55.
[5]- نفسه، ص55./صص4-99.



القاسم بن حمّود بن الحجر، وذكر لي أنّه من ولد عمر بن عبد العزيز...، وأحسن هذا القائد إليّ وكتب معي كتباً إلى السلطان تحثّه على أخذ هذه الجزيرة، وغرق المراكب عند خروجي من هذه الجزيرة"[2]، وركب الهروي في مركب آخر إلى قبرس[3]، وكما لاحظنا الهروي لا يذكر اسم السلطان، بينما يذهب نواف عبد العزيز الجحمة إلى أن الرسالة كانت موجهة للمنصور الموحدي[4].

ونرجح نحن أن توجيه الرسالة للسطان الأيوبي لعدة اعتبارات منها: لفظ السلطان الذي يذكر به صلاح الدين وليس يعقوب الذي يتسمى بخليفة أو أمير المسلمين، وكذلك لأمر آخر أن الهروي وصل إلى حد قسنطينة في بلاد المغرب ولم يتعداها، إضافة إلى أمر مؤكد هو أن الرسالة ستوجه لسلطان بلد الهروي، وهو صلاح الدين.

- كتاب الرحلة الهروي: أشار إليه الهروي في نهاية مقدمة كتابه السابق بقوله: "وأمّا ذكر الأبنية والآثار والعجائب والأصنام فلها كتاب مفرد غير هذا"[5]، ويرجح كثيراً أن تكون رحلته، وقد وقع خلط عند بعض المؤرخين المُحْدَثين حول ما إن كان نص مؤلف الإشارات هو نفسه نص الرحلة، ومن ذلك ما وقع لجرجي زيدان حيث أشار لوجود نسخة من كتاب الهروي المسمى الإشارات إلى معرفة الزيارات في المكتبة الخديوية في مصر واسمه هناك رحلة أبي الحسن[6]، مع أن كتاب الإشارات ليس هو كتاب الرحلة.

إلا أن مطيع المرابط بيَّن الفرق بين الكتابين فقال: "ولكن الفرق بين الكتابين هو أن الهروي تحدث في الإشارات عن الأضرحة التي تكثر زيارتها في هذه المدن والأصقاع، بينما تحدث في الرحلة عما شاهده في الرحلة نفسها"[7].

كما أشار لهذه الرحلة كل من البغدادي في هدية العارفين بقوله: "الرحلة في مجلد ذكر فيه جميع بلاد الإسلام وبلاد الافرنج"[1]، والزركلي في الأعلام[2]، وبذلك علمنا بتوفر نص الرحلة مخطوط، ولكن لا نعرف ما إن كانت قد نشرت أم لا.

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص346 هامش رقم459- رقم الترجمة.
[2]- الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص55.
[3]- نفسه، ص55.
[4]- نواف عبد العزيز الجحمة، جولة أفق مع رحلة السائح أبي الحسن الهروي، أعمال ندوة "الرحالة العرب والمسلمين: اكتشاف الذات والآخر" المنعقدة في الرباط ما بين 22-25 ماي 2009م تحت عنوان: الرحلة العربية في ألف عام - وهو القسم المعنون "مشرق مغرب عرب مسلمون ديار الإسلام من الأندلس إلى استانبول"، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي، أبو ظبي، 2009م، المجلد2، ص183.
[5]- الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص3.
[6]- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، راجعها وعلق عليها شوقي ضيف، دار الهلال، دت، ج3، ص87.
[7]- الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية وتليها الخطب الهروية، عني بتحقيقها والتعليق عليها مطيع المرابط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972م، ص22.

- مؤلفات ابن حمويه السرخسي: في التاريخ والرحلة لأنه قام برحلة للمغرب.

- عطف الذيل: وهو كتاب في تاريخ دولة السلطان أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي[3]، أشار إليه ابن خلكان في وفيات الأعيان والمقري في نفح الطيب[4]، وينقل المقري من الرحلة المغربية للسرخسي التي أشار فيها لكتابه عطف الذيل بقوله: "ودخلت مدينة مراكش أيام السيد الإمام أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، فاتصلت بخدمته... وقد شرحت أحوال سيرته، وما جرى في أيام دولته في كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل"[5].

وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة المنصور الموحدي: "رأيت بدمشق في أواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزءاً بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ كان بها، وكان قد سافر إلى مراكش وأقام بها مدة، وكتب فصولاً تتعلق بتلك الدولة- يقصد دولة الموحدين-، فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة- يقصد وقعة الأرك-"[6]، وتقول نجاة المريني: "والمؤكد أن الفصول المقصودة من كتاب عطف الذيل"[7]، والمعلوم أن ابن خلكان توفي سنة 681هـ/1282م.

- الرحلة المغربية: هي حكم الرحلات الضائعة، وهي موضوع ما اشتملت عليه وفادة السرخسي على بلاد المغارب، وقد ذكرها المقري في مواضع: "والسرخسي المذكور... له رحلة مغربية"[8]، وكذلك في قوله: "وقد ذكر في رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم"[9]، ونقل عنها المقري في النفح فصولا تتعلق بتاريخ بلاد المغرب.

أما من دواعي رحلة السرخسي غرباً، فقد ذكر المقري جاء في نفح الطيب على لسان السرخسي: "فَحَدَث باعثٌ يدعو إلى الحركات والأسفار، ومشاهدة الغرائب في النواحي

---

[1]- البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، ج1، ص705.

[2]- الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص266.

[3]- نجاة المريني، المرجع السابق، ص154.

[4]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص5/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص101-102.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص101-102.

[6]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص5.

[7]- الرحلة المغربية لابن حمويه السرخسي، المرجع السابق، ص155.

[8]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص101.

[9]- نفسه، ج3، ص99.



والأقطار، وذلك في حال رَيْعان الشباب الذي تَعْضده عزائم النفوس بنَشاطها، والجوارح بخفّة حركاتها وانبساطها"[1].

وكذلك قوله: "إنّي وإن كنت خراساني الطينة، لكني شامي المدينة، وإن كانت العمومة من المشرق، فإن الخؤولة من المغرب"[2]، وهي رمزية للصلات المغربية- المشرقية، ويبدو أنها برزت في التاريخ بلجوء الأمويين غربا واحتمائهم بالأخوال.

وبدأ السرخسي رحلته سنة 593هـ/1196م بزيارة بيت المقدس ثم الديار المصريّة، ثم بلاد المغرب، وغدا في مراكش من رجالات بلاطها مقرباً من المنصور[3].

ويروي السرخسي في رحلته أخبار كثيرة عن شخصية يعقوب المنصور ومنها قوله: "والذي علمت من حاله أنه كان يجيد حفظ القرآن، ويحفظ متون الأحاديث ويُتْقِنها، ويتكلّم في الفقه كلاماً بليغاً، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوى، وله فتاوى مجموعة حسبما أدَّى إجتهادُه، وكان الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر...، وقد صنف كتاباً جمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلّق بها العبادات سمّاه الترغيب"[4].

وكذلك عن حروبه في الأندلس والمغرب، ويذكر من شعره أبياتا كتب بها إلى العرب في إفريقية، ومنها: (البسيط)

بَلِّغْ سُلَيْمَاً عَلِيَّ بُعْدَ الْدِّيَارِ بَهَاً * بَيْنِيُ وَبَيْنَّكُمُ الْرَّحْمَنُ وَالْرَّحِمُ

يَا قَوْمَنا لا تَشُبّوا الحَربَ إن خَمَدتْ * واسْتَمْسِكُوا بِعُرى الإيمَان واعْتَصِموا

حَاشَا الأعَاربَ أن تَرْضَى بمَنْقَصةٍ * يَا لَيتَ شعريَ هَل تَرْآهُمُ عَلموا

فإنْ أتَيْتمْ فحَبلُ الوَصْل مُتصلٌ * وإنْ أبَيْتم فَعِنْدَ السيْفِ نَحْتَكمُ[5].

كما ينقل المقري عن السرخسي ما كان يجري في بلاط يعقوب المنصور من ذلك: "قال السرخسي: وبلغني أن قوماً من الغرباء قصدوه، ومعهم حيوانات مُعَلّمة منها أسد وغراب، أمّا الأسد فيقصده من دون أهل المجلس، ويربض بين يديه، وربّما أومأ بالسجود ومد ذراعيه، وأما الغراب فكان يقول: النصر والتمكين لسيدنا أمير المؤمنين...، وبلغني أن قوماً أتوه بفيل

[1]- نفسه، ج3، ص101.
[2]- نفسه، ج3، ص101.
[3]- نفسه، ج3، صص101-104.
[4]- نفسه، ج3، ص102.
[5]- نفسه، ج3، صص102-103.

من بلاد السودان هدية، فأمر لهم بصلة، ولم يقبله منهم، وقال: نحن لا نريد أن نكون أصحاب الفيل"[1].

وعن وفاة المنصور الموحدي، قال السرخسي: "ودَرَجَ إلى رحمة الله سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وكان قد استخلف ولده محمداً وقرر الأمر له"[2].

وهنا يُعقب المقري على ذلك بقوله: "قلت: بهذا وأمثاله تعلم فساد ما زعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك، وفر زهداً فيه إلى المشرق، وأنّه دفن بالبقاع، لأن هذه مقالة عاميّة لا يثبتها علماء المغرب، وسبب هذه المقالة تولّع العامة به، فكذبوا في موته وقالوا: إنّه ترك الملك، وحكوا ما شاع إلى الآن وذاع ممّا ليس له أصل"[3].

أما فيما يخص الشيوخ الذين لقيهم السرخسي بالمغرب وأشار إليهم في رحلته فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حَوْط الله الأنصاري، "قال: سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديثَ وشيئاً من تصانيف المغاربة، وروى لنا عن الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن إبراهيم بن قرقول"[4]، والفقيه أبو تمام، والشيخ أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي "قال: أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين، ومهما حصل عنده مال فَرَّقَه في الحال، وتركته في سنة ثمان وتسعين حيّاً يُرزق"[5]، وجملة من علماء الأندلس والمغرب وكبار رجال دولة الموحدين لقيهم في رحلته المغربية[6].

إن للمشارقة الوافدين دور كبير في الحفاظ على تاريخ المنطقة المغربية في مؤلفاتهم بوفادتهم تلك، فالسرخسي اعتمد عليه المقري في دحض المقولة التي تُرَوَّج حول تخلي يعقوب المنصور عن الحكم، وإثبات وفاته بالمغرب حيث كان السرخسي شاهدا على وفاته، وكتب عنه.

إن أهمية هذه الرحلة التي اطلع عليها المقري في بلاد المشرق واطلع عليها الكثير من المشارقة كما اطلعوا على غيرها من الرحلات والمؤلفات الجغرافية التي أشرنا إليها وبذلك فهؤلاء القادمين عرَّفوا بلاد المغارب لأهل المشرق من جهة، وساهموا بطريقة غير مباشرة في تصحيح المغلوط منه من جهة أخرى.

---

[1]- نفسه، ج3، ص103.
[2]- نفسه، ج3، ص104.
[3]- نفسه، ج3، ص104.
[4]- نفسه، ج3، ص99.
[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص99.
[6]- نفسه، ج3، صص99-110.



وقد أشار Robert Brunschvig ناشر رحلة عبد الباسط الملطي[1] إلى المغرب والأندلس إلى رحلة ابن حمويه في تقديمه للكتاب بقوله :"لم يكن من المعتاد أن نصادف في القرون الموالية مشرقي ينقل أحداث المغرب الإسلامي حيث يكون هو الشاهد عليها مثل ابن حمويه السرخسي الذي استقر عدة سنوات في مراكش في نهاية القرن الثاني عشر"[2].

وتكمن فائدة تلك المؤلفات في الانفراد بذكر معلومات لا توجد حتى في مؤلفات أهل المغرب، وبذلك مثلت إحدى الحلقات التي احتفظت بتاريخ وجغرافية المنطقة المغربية في دائرة معرفة تاريخ العالم الإسلامي والفضل في ذلك يعود لمن وفدوا على بلاد المغارب من المشارقة وقاموا بتدوين ما شاهدوه وعايشوه وسمعوه في بلاد المغارب.

[1]- عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين: أبو المكارم، ويلقب بزين الدين الظاهري- لأن جده كان من مماليك السلطان الظاهر برقوق- الملطي الحنفي؛ ولد بمدينة ملطية، ثم انتقل إلى طرابلس الشام، ومنها زار دمشق والقاهرة، ثم انطلق من الإسكندرية في رحلته المغربية التي استغرقت حوالي ست سنوات866-871هـ/1465-1467م. عمر عبد السلام تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتاب المخطوط الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم (866 -871هـ/1462-1467م) مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط- المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1421هـ/2001م، ع17، ص111-112.

[2]- Robert BRUNSCHVIG, Deux Récits De Voyage Inédits en Afrique du nord au XV^{e} Siècle ABDELBASIT B.HALIL et ADORNE, Larose éditeurs, paris, 1936, p.6.

الفصل الثالث: دور العلماء المشارقة القادمين في تنشيط الحركة الفكرية في بلاد المغارب

أولا: الامتحان والمناظرات

ثانيا: مجالس الوعظ والذكر

ثالثا: الإجازات العلمية

رابعا: المؤثرات الثقافية المشرقية الوافدة مع العلماء المشارقة إلى بلاد المغارب.

أولا: الامتحان والمناظرة

1- الامتحان: إن الاختبار والامتحان يكون لمعرفة درجة الغريب في العلم، وتحري صدق حديثه، ويكون الامتحان في مجلس السلطان وعن طريق العلماء المحليين، وقد اشتهر أمر الامتحان كثيرا للأشخاص الوافدين خاصة من المشرق، وعلى نتائج ذلك الامتحان تكون مكانة وقدر الوافد في مجلس الحكام وبين العلماء المحليين وكبار رجال الدولة.

ومن دلائل تقديم الوافد للإمتحان وقت وصوله ما يُذكر في كِتَاب الحكم المستنصر الموجه لأحد عماله عن أبي علي القالي: "اقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته، فسوف يعليه الاختبار إن شاء الله أو يحطه"[1].

وكذلك قول المنصور بن أبي عامر لأدباء مجلسه وأعيان مملكته لما قَدِم صاعد البغدادي: "هذا الرَّجل الوافِد علينا صاعد يزعُمُ أنّه متقدّم في هذه الآداب التي أنتم سُرُجها الضّاحية وأهِلّتُها السّارية، وأحِبّ أن يُمتَحَن ما عِنْده"[2].

ونلاحظ كيف أن المنصور يُعلي شأن أدباء مملكته ويزيد من حماستهم، ذلك يعني أن الامتحان يكون في البلاط أو أحد قاعات القصر، ويكون ضمن رسميات بحضور الحاكم ويُهيأ لذلك مجلسٌ يُسْتدعى إليه الوافد وعلماء البيت الملكي وكبار القائمين على شؤون الدولة.

فالامتحان هو مقياس يُقام من أجل تقدير مرتبة العلماء في علمهم ومعرفة صحة قولهم، وقدرتهم على تطبيق ما يحملونه من علوم، وهو أمر مطلوب للوافدين على البلاطات طبعا، فأغلب القادمين لا يُعرف تكوينهم ويُجهل ماضيهم وأخلاقهم وميولاتهم، ولذلك يُمتحنون لتعرف منزلتهم في العلم، وإن نجحوا يكونوا ضمن المُقربين، وتعلو مكانتهم ويتردد ذكرهم، ويشتهر أمرهم وينالوا التشريف والمناصب الرفيعة، وإن فشلوا فإن مصيرهم يكون من المُبعدين المنفيين ويُنسى أمرهم، "وهكذا جرت العادة خصوصاً في حق الغريب المنتسب للعلم"[3].

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص71.

[2]- ابن بسام، المصدر السابق ،ج4، ص14/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص77.

[3]- نفسه، ج3، ص137.



وربما كان الحُكام المغاربة يحرصون على ذلك كثيراً فليس كل قادم مرحباً به وبما يحمله من علوم، فيُعِدُّون لذلك المجالس، وقد لا يكفي امتحان واحد، فقد امتحن صاعد كثيرا في بلاط المنصور، قال ابن خلكان: "وله أخبار كثيرة في الامتحان"[1].

من المؤكد أن الوافدين من العلماء المشارقة على بلاطات العواصم المغربية كانوا يملكون فكرة مُسبقة عن خضوعهم للامتحان فور وصولهم، ولهم تخمين بأهمية ذلك لارتباط مصيرهم في البلد الوافدين عليه بالامتحان؛ وبخاصة منهم الراغبين في الاستيطان، كما كانوا على دراية بأن البلد بلد علم يحرسه ويحوطه علماء أجلاء؛ فهناك من يُضاهيهم أو يفوقهم منزلة في العلم من علماء المنطقة المحليّين الذين درس كثير منهم في المشرق أو على أيدي علماء مشارقة تمغربوا، والبلد تحت رعاية حكام وخلفاء يُقدِّرون العلماء ويشاركونهم في العلم أيضا، يقول المقري: "وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يُباحثون به بمحاضر ملوكهم من ذوي الهمم في العلوم"[2].

وأغلب موضوعات الامتحان تكون في اللغة والأدب والشعر ارتجالاً [3]، "وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السِّمات"[4]، والامتحان يكون بالمساءلة وتحري مدى صدق الوافد وعقلانية ما يقوله، أو يكون بإعداد المجالس ووضع مشاهدٍ، ومن ثمة يُطلب من الشعراء والأدباء الوافدين وصفها، أو يكون بطلب إملاء كُتب - بالتأليف في موضوعات معينة، وقد نجد امتحاناً بالتناظر- المناظرة- بين العلماء في مجالس سلطانية برعاية الحكام.

في حين بعض الامتحانات تكون عويصة، وكثيرا ما ينزعج منها المُمْتَحن، بخاصة إذا ما تعلق الأمر بمسائل الفقه والدين وأمور المذاهب.

ونستدل على ذلك بقول مشرقي وافد هو تقي الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الغَرْس[5]، الذي التقى بمحمد بن جابر الوادي آشي(ت749هـ/1348م) "وعيّبَ

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص489.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص220-221.

[3]- ارتجالِ الشعر: ما كان على طريق الأنهمارِ والتدفّقِ لا يتوقّفُ فيه قائلُه. ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص29.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص220-221.

[5]- محمد بن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الغَرْس: لقبه تقي الدين، من أعيان مصر، حنفي المذهب، قدم على المغرب والتقى بإفريقية الوادي آشي، ولم يترجم له الوادي آشي في برنامجه. المقري، المصدر السابق، ج3، صص147-148.

ما يقع في بعض النقّاد بتونس وما يصدر عنهم بكثرةٍ من إلقائهم الأسئلة العويصة في أصول الدين وغيرها على مَنْ يرد عليهم قصدًا في تعجيزه وتعنيته"[1].

كما حثَّ على تبسيط الأمر في الامتحان بدل إيقاع القادم في نوع من الاستفزاز بقوله: "إن من المنقول عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن من حُفظت عنه تسع وتسعون خصلة تقتضي الكُفر وواحدة تقتضي الإيمان أن الواحدة المقتضية للإيمان تغلب وتبقي حرمتها عليه"[2].

وبإمكاننا تعميم هذه الظاهرة في أمر الامتحان العويص على كل بلاد المغارب ابتداء من القرن الرابع الهجري/10م، وذلك بعد أن بلغ المغرب الإسلامي درجة رفيعة في شتى فروع العلم، وتفوق كثير من المغاربة على المشارقة في بعض العلوم.

أما عواقب الامتحان أمام السلاطين إن لم تكن إيجابية فقد تؤدي إلى استنقاص مكانته وعدم الالتفات لحديثه وقوله، أو الطرد، حيث يُنْقل عن المنصور قوله عن صاعد البغدادي الوافد على سلطانه: "غداً أمْتَحِنُهُ، فإن فضَحه الامتحان، لم يبقَ في مَوْضِع لي فيه سلطان"[3]، إلا أن هذه أرحم من عقوبات السجن والقتل.

ومن الذين امتحنوا وتعرضوا للسجن والقتل في بلاد المغرب نجد شخصيتين مشرقيتين عالميتين بارزتين، ولكنا لا نعرف شيئا عن مجالس امتحانهما، وهما القادمان أبا بكر بن الأزرق الوافد على العبيديين؛ فقد امتحنه الشيعة وسجنوه، أما الذي أودى الامتحان بحياته من المشارقة ببلاد المغرب فهو أبو البسام موسى بن عبد الله بن الحسين الذي امتحن ببلاد بني حماد وقتل[4].

وقد يؤدي امتحان السلاطين للقادمين عليهم إلى إصابة بعض هؤلاء الواردين بحالة من اليأس والغم فيعودون أدراجهم إلى بلدانهم، كما قد تودي تلك المقابلة بحياة هذا الغريب القادم، مثلما حصل للشاعر ابن زريق البغدادي الوارد على الأندلس الذي هجر وطنه مُعوِّلًا على الإستقرار في الأندلس إلا أن صاحب الأندلس اختبره بالعطاء لكن الشاعر غلبته نفسه فاعتل

1- نفسه، ج3، ص147.

2- نفسه، ج3، ص147.

3- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص15-16.

4- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص476/ ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 3، صص56-57.



ومات حزنا، ويُنْقَلُ عن صاحب الأندلس لما بلغه خبر وفاته قوله: "ودِدْتُ أن هذا الرجل حيٌّ، وأشاطره نصف ملكي"[1].

ومن امتحن من القادمين على عهد المعزِّ بن باديس أبو الفضل الدارمي البغدادي الوافد على المجلس السلطاني، ويؤكد ذلك المقري حيث يقول: "حضر أبو الفضل الدارمي البغدادي مجلس المعزِّ بن باديس، وبالمجلس ساقٍ وسيم قد مَسَّكَ عذاره وردَ خديه، وعجزت الراح أن تفعل في الندامى فعلَ عينيه، فأمر المعز بوصفه، فقال بديهًا: (الكامل)

ومُعَذَّرٍ نَقْشُ الْجِمَالُ بمسْكهِ * خَدّاً لـه بـدم الْقَلُوْبِ مـضـرّجا

لمّا تيقَّنَ أن سيـفَ جفونِــه * من نَرْجسٍ جعل العذار بنفسجا"[2].

ومن أخبار امتحان صاعد من طرف المنصور بن أبي عامر ما قام به هذا الأخير، فقد حَضَّر له مجلساً فيه منظر خِصِّيصا للإمتحان.

يقول ابن بسام: "فلمّا أصبَحَ، وَجّه عنهُ بمجلِسٍ حَفْل، وقد أعَدَّ طبَقاً فيه سقائِفُ من ضرُوبِ النّواوير، وصنع على السّقائفِ جواريَ ياسَمين، وتحتَ السقائفِ بركةُ ماء حصاها اللؤلؤ، وكان في البركَة حَيّةٌ تسبَح، فلما دخَلَ صاعِدٌ مُثّلَ الطبَقُ بين يديه، فقال لهُ المنصور: إنَّ هذا يومٌ إمّا أن تَسْعَدَ فيهِ مَعَنا، وإمّا بالضِّد عندنا، لأنّه قد زعمَ قومٌ أنَّ كلَّ ما تأتي بِه دعوى، وقد وقعْتُ من ذلك على حقيقة، وهذا طَبَقٌ ما توهّمتُ أنّهُ مُثّلَ بينَ يَدَيْ مَلِكٍ قَبْلي في شكلِهِ، فَصِفْه بجميع ما فيه"[3].

لقد أعد له المنصور مشهداً معقدا ووضعه تحت الأمر الواقع وطلب منه نظْماً يُوافق المشهد بحضور أعيان الأدب والشعر لِيُعرف مدى قدرته على ارْتجال القول في الشعر وقَرضِه، وأضاف المنصور قائلا: "فإن وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره"[4].

فقال صاعِدٌ بديهةً: (الطويل)

أبا عامرٍ هَلْ غيرُ جَدواكَ واكِفُ * وهل غيرُ من عاداك في الأرض خائفُ

يَسوقُ إليكَ الدهــرُ كلَّ عجيبةٍ * وأعجبُ مــا يلقــاهُ عنــدَكَ واصِــفُ

وشائعُ نَوْرٍ صاغَها هامِـرُ الحَيـا * عليـها فمِنــها عَبْقَــرٌ ورَفــارِفُ

ولما تَناهَى الحُسنُ فـيها تَقَـابَلَـتْ * عليها بأنواعِ المــلاهي الوصــائـفُ

[1]- السبكي، المصدر السابق، ج1، صص311-312.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص114.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص16.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص80.



كمثلِ الظّبــاءِ المُستَكِنّـةِ كُنّسًـا * تُظَلّلـهـا بــاليــاسمـينِ السّقــائــفُ

وأعجَــبُ منهــا أنّهــنَّ نـواظِــرٌ * إلى برِكَــةٍ ضُمّـــتْ إليها الظّـــرائفُ

حَصاها اللآلي، سابحٌ في عُبابِها * من الـرُّقشِ مَسمــومُ اللّعابينِ زاَحِــفُ

ترَى مـا تَشاء العَينُ في جَنَـباتِهـا * مـن الوَحـشِ حتى بَينهـنَّ السـلاحــفُ.

فاستُغربت لـه يومئذٍ تلك البديهة، وكتبَها المنصور بخطه، وكان إلى ناحيةٍ سقيفة فيها جاريةٌ تجذُف بمجاذِفَ ذهبٍ لم يرَها صاعِد، فقال له المنصور: أجدتَ إلاَّ أنّك لم تصِفْ هذه الجارية، فقال: (الطويل)

وأعـجبُ منها غـادةٌ في سفينــةٍ * مُكَلّلـةٌ تَصبــو إليـهـا المهــايــفُ

إذا راعَـها مَـوْجٌ مـن المـاء تَتّـقي * بسُكّــانِها مـــا أنــذَرَتْـهُ العـواصِـــفُ

متى كانَتِ الحسنـاءُ رُبّانَ مركَـبٍ * تُصــرِّفُ في يُمــنى يديـها المجـــاذِفُ

فلم تــرَ عيـني في البـلادِ حَديقَـةً * تنُـقّلـها فــي الـرَّاحـتَينِ المَناصِـــفُ

ولا غَرْوَ أن شاقَتْ معاليكَ رَوْضَةً * زَهَتْهَــا أزاهـيرُ الــرُّبَى والزَّخـــارِفُ

فأنت امــرؤٌ لو رُمـتَ نقـلَ مُتالِـع * ورَضْوَى ذَرَتْهَا من سُلطـاك العـواصِفُ

إذا قلــتَ قــولاً أو بَـدَهَتَ بـديـهَةً * فكِــلني لهَــا إنّي لمـجـــدك واصِـــف[1].

وبذلك نجح صاعد في الإختبار، ومن المُؤكد أن النجاح يعني إعلاء الشأن ورِفعة المنزلة، وإغداق الأموال عليه، ولذلك أمر له المنصورُ بألفِ دينارٍ ومائةِ ثوبٍ، ما بين غلائلَ وطيقان وعمائم، وأجرى عليه المراتبَ من ذلك اليومِ ثلاثين ديناراً، وألحقَه في ديوان النّدماء[2].

وقد يتعرض الوافد إلى امتحان على حين غفلة أيضاً، ومثال ذلك امتحان آخر لصاعد، حيث خرج مع المنصور يوماً إلى رياضِ الزاهرة، فمدَّ المنصور يدَه على شيء من التُرُنْجانِ[3] فعبثَ به ورماه إليه مُعرّضاً أن يصفه، فقال صاعد: (البسيط)

لم أدرِ قبلَ تُرُنْجـانٍ عبثتَ بــِهِ * أن الزُّمـــرّدَ قُضبـــانٌ وأوراقُ

مـن طِيبةِ سَرَقَ الأترجُّ نَكهَتَـهُ * يا قومُ حتّى من الأشجارِ سُـرَّاقُ

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص16-17.

[2]- نفسه، ج4، صص17-18.

[3]- الترنجان: اسم نوع من الريحان، ويقال الأُترج والأترنج أيضاً، ثمرته صفراء كاللّيمون الكبار، ذكيّة الرّائحة، وفيه أنواع، قال ابن الوردي: "هي شجرة لا تنبت إلا في البلاد الحارة، وتحمل عشرين سنة". ابن الجزار، طبّ المشائخ وحِفظ صحّتهم، صص71-72/ ابن الوردي، منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والريايحين، تحقيق وتعليق محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، د.ت، ص78.

كأنّما الحاجبُ المنصورُ علّمهُ * فِعلَ الجميلِ فطابتْ من أخلاقُ

من ليس يُقعِدُهُ من سؤددٍ قَدَمٌ * ولا تَقومُ له في سَوأةٍ ساقُ[1].

وعليه، فإن الامتحان يكون اختباراً رسمياً للوافد على بلاط الحكام ويكون بإشراف الحاكم ومن طرف علماء يكونون زملاء محليين، وموضوع الامتحان يكون ضمن العلوم التي يُتقنها هذا القادم.

وعلى الرغم من قلة المادة العلمية في مجالس الامتحانات والتي تركّزت على الأندلس فإنه يتَّضح لنا أن نتيجة الامتحان لا تتوقف على رأي العلماء المغاربة في القادم ولا علم الوافد، وإنما على مدى قدرة هذا القادم على إرضاء السلطان فإن استطاع أن يُثير إعجاب الحاكم بشَخصِه فسوف ينال الرضا والحُظوة وإلا نال السَّخط؛ "فالملوك كانوا يختبرون الواثقين المادحين أمام أبوابهم وفي مجالسهم، بقدر ما كانوا يطربون لسماع مديحهم وتعظيمهم"[2]، كما قد تُؤَّثر زمن وظروف الوفادة على نتائج الامتحان.

2- المناظرة: إن المناظرات فرصة يتمكن من خلالها العلماء من تبادل الآراء والنقاش حول أفكار مُعيّنة في أصناف مختلفة من العلوم[3].

وتكون المناظرات إما في مجالس السلاطين، وذلك غالبا ما يكون نوع من الامتحان أيضا تم الاستعداد له وتحيين موعده؛ وإما في مجالس العلماء، وأغلب المناظرات تحصل بين العلماء في مجالس الحُكام، إلا أن هناك ما قد يحصل بين عالم وافد وسلطان حاكم عالم فيُناظرون الملوك مثلما حدث لصاعد مع المنصور، يشير إلى ذلك الحميدي في جلسة علمية ونقاش دار حول اتقان صاعد لعلم النحو من عدمه، حيث تصدَّى المنصور لعلماء اللغة الأندلسيين في مجلسه بقوله: "أنا أناظره"[4].

أ- في مجالس السلاطين: لقد عمل ملوك المغرب الإسلامي على إحياء مجالسهم بالمناظرات، فكان العلماء يجلسون ويتناظرون أمام الحكام[5].

ومن الوافدين الذين نوظر عليهم في المغرب وبالضبط في إفريقية الرحالة الشيخ أبو العباس الجدلي الشريف في بلاط المستنصر بالله الحفصي.

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص18-19.
[2]- محسن جمال الدين، المرجع السابق، ص31.
[3]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص288.
[4]- الحميدي، المصدر السابق، ص234.
[5]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص288.



فقد سأله المستنصر عن البلاد التي دخلها وعن الغرائب التي اطلع عليها؛ فذكر له ما حضره، يقول الغبريني: "ومن جملة ما ذكر أنه رأى في بلاد الهند صبغة إذا خضب بها الخاضب يقيم ثلاثين سنة لا يفتقر إلى خضاب"[1].

وكان من جملة الحاضرين بالمجلس أبو الحسن المروزي من فضلاء الأطباء، فأنكر هذه القضية، كما أنكرها الخليفة.

ويُعلِّق صاحب عنوان الدراية على ذلك فيقول: "وهي بواجب أن تنكر، لأنّ هذا ما يمنع النمو ويحيل الطبيعة...، فكأنه سقط من عين الخليفة بهذه الحكاية، ولكن ذكر لي أن المجلس انفصل على وقوع النظر في القضية، وعلى أن يكتب فيها كل من له علم بما يظهر له وأن مُدَّعيها كتب فيها كتاباً"[2].

ومن أشهر المناظرات ما وقع في الأندلس بين الأديب أبي علي الوافد والأديب الأندلسي ابن رفاعة الإلبيري، وكانت بسبب بيت شعري، حدث ذلك في موكب استقبال القالي لما وفد على الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر، وكان ضمن الموكب ابن رفاعة الإلبيري الذي وصفه المقري بقوله: "وكان من أهل الأدب والمعرفة، وفي خلقه حَرج وزَعارة"[3].

ويذكر أنّهم كانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم، ويتناشدون الأشعار إلى أن تحاوروا يوماً وهم سائرون أدبَ الخليفة عبد الملك بن مروان[4]، ومساءلَتَه جلسائه عن أفضل المناديل وإنشاده بيت عَبدَة ابن الطبيب[5]: (البسيط)

ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مسوّمة * أعْرَافُهُن لأيدينا مناديلُ.

وكان الذّاكر للحكاية الشيخ أبا علي، فأنشد الكلمة في البيت: "أعرافها لأيدينا مناديل"[6] فأنكرها ابن رفاعة الإلبيري، فاستعاد أبو علي البيت مُثبتاً مرَّتين، في كلتيهما أنشده "أعرافها".

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، صص84-85.

[2]- نفسه، صص84-85.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص71.

[4]- عبد الملك بن مروان (حكم 73-86هـ/692-705م): أبو الوليد، الخليفة الأموي الخامس، تولى الحكم في وقت فتنة وحكم بعد ابن الزبير13سنة، وكان فقيها ناسكا قارئا للقرآن الكريم، وولي الخلافة من بعده أولاده الأربعة. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص352.

[5]- عبدة بن الطبيب: والطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس، شاعر مُقل مجيد، وهو مُخَضرم أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن المقرن الذي حارب الفرس بالمدائن، وشهد مع المثنى قتال هرمز سنة 13هـ/634م. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، المرجع السابق، صص77-78.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص71.

فما كان من ابن رفاعة إلا الانصراف من الموكب والجماعة قائلا: "مع هذا يُوفَد على أمير المؤمنين وتُتجشم الرحلة لتعظيمه، وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه؟ والله لا تبعته خُطْوة"[1].

ولما كان من أمر ابن رفاعة، كتب العامل أمير الموكب إلى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه، فأجابه على ظهر كتابه: "الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يُخَطِّئ وافد أهل العراق إلينا، وابن رفاعة أولى بالرضى عنه من السخط، فَدَعْه لشأنه"[2].

وعلى ذكر القالي نذكر من المواقف بين المشارقة والمغاربة التي تثبت تفوق المغاربة ما جرى للقالي لما وفد رسول القسطنطنية على الأندلس، ويذكر هذه الحادثة النباهي في ترجمته للقاضي منذر بن سعيد: "أن الناصر لدين الله لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك الروم الأعظم، صاحب القسطنطنية عليه بقصر قرطبة، الإحتفال الذي شهد ذكرُه في الناس، أحب أن يقيم الخطباء والشعراء بين يدَيْه بذكر جلالة مقعده، وَوَصيف ما تهيَّأ من توطيد الخلافة في دولته وتقدَّم إلى الأمير الحَكَم ابنه ووليَّ عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، ويقدِّمه أمام نشيد الشعراءِ، فأمر الحكم صنيعته الفقيه مُحَمَّد بن عَبْد البَرّ الكسيانيَّ بالتأَهُّب لذلك، وإعداد خطبة بليغة، يقوم بها بين يدي الخليفة، وحضر المجلس السلطانيَّ، فلمَّا قام يُحاول التكلُّم – يقصد ابن عبد البر- بما رواه، بَهَره- أدهشه وحَيَّره- هَوْل المقام وأبّهة الخلافة، فلم يَهْتَد إلى لفظة بل غُشِي عليه، وسقط على الأرض، فقيل لأبي عليّ البغدادي إسماعيل بن القاسم ضيف الخليفة وأمير الكلام: " قُمْ! فارقع هذا الوهي! " فقام؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلهُ، وصلَّى على نبيه مُحمَّد – صلى الله عليه وسلم – ثم انقطع به القولُ؛ فوقف ساكتاً، مفكراً في كلام يدخل به إلى ذِكر ما أُريد منه.

فلما رأى ذلك مُنذِر بن سَعيد – وكان ممّن حضر في زمرة الفُقهاءِ- قام من ذاته؛ فوصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام عجيب وفَصل مصيب، يسحُّه سحًّا، كأنَّما يحفظه قبل ذلك بمدَّة وبدأ من الكلام الذي انتهى منه أبو عليُّ البغداديُّ"[3].

لم يكن هذا ضمن التناظر المبرمج له ولكنه موقف حي عولج من قبل منذر بن سعيد الذي أثبت تفوقا في الخطابة على المغربي ابن عبد البر والمشرقي القالي البغدادي.

---

[1]- نفسه، ج3، ص71.

[2]- نفسه، ج3، ص71.

[3]- النُباهي، المصدر السابق، ص66/ المقري، المصدر السابق، ج1، ص372.

أما، ما جرى بين صاعد وأدباء الأندلس من مناظرات أدبية فقد اشتهر وتداول أمرها كثيراً، فقد أراد المنصور بن أبي عامر أن يُعفي به آثارَ القالي البغدادي الوافدِ على بني أميّة قبلَه "وهزَّه لذلك فألفى سيفَه كَهاماً، وسحابه جَهاماً"[1].

ومن تلك المناظرات التي أُعِد لها مُسبقا في مجلس المنصور، واجتمَع فيها كبار أدباء الأندلس المناظرة التي كانت بين الزّبيديّ والعاصمي وابنِ العَريفِ[2] من جهة، وصاعد من جهة أخرى .

وابتدأ المجلس بسؤال المنصور بن أبي عامر أبا صاعد عن أبي سعيدٍ السّيرافي، فزعمَ أنّه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادَرَه العاصميّ بالسؤال عن مسألةٍ من الكتاب، فلم يحضُرهْ فيها جواب، واعتذَرَ أنَّ النحو ليس جُلَّ بضاعته، ولا رأسَ صناعِته[3].

وقد كان صاعد ذكيا وربما رفض الإجابة عن السؤال في حضور الزميل الأكْفأ والأعلم في المجلس، ولا بد أنه عَلِم بمكانة علم النحو في الأندلس، "والنحو عندهم في نهاية علوّ الطبقة، حتى إنهم في هذا العَصْر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد مع هَرَم الزمان إلا جِدَّةً، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أيِّ علم لا يكون متمكناً من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحقٍ للتمييز ولا سالم من الإزدراء"[4].

وفي نفس المجلس ناظره الزبيدي وظهر على صاعد، "قال له الزّبيدي: فما تحسن أيها الشّيخ؟ قال: حِفْظَ الغَريب، قال: فما وَزن أوْلَق؟ فضحك صاعد وقال: أمِثلي يُسأَل عَنْ هذا؟ إنما يُسألُ عنه صِبيان المكتب، قال الزّبيدي: فقد سألناكَ، ولا نَشُكّ أنّك تجهَلُه، فتغيّر لونُه وقال: "أفْعَل"، فقال الزّبيدي: صاحِبكم مُمخرِق! فقال له صاعد: إخالُ الشّيخ صِناعتُه الأبنية؟ قال له: أجَل"[5].

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص10.

[2]- الحسن بن الوليد (ت367هـ/977م): أبو القاسم المعروف بابنِ العَريفِ النحوي، إمام في العربية وأستاذ في الآداب مقدم في الشعر، كان في أيام المنصور بن أبي عامر، وممن يحضر مجالسه ويخف عليه، واجتماعاته مع صاعد البغدادي كثيرة، وله مؤلفات في الأدب والنحو، وخرج إلى مصر في أواخر عمره ورأس فيها. الضبي، المصدر السابق، ص245/ الصفدي، المصدر السابق، ج12.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص14.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، صص220-221.

[5]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص14.



ثم نَاظَرَهُ ابن العَريف في الشعر فظهَر عليه صاعد، وجعل لا يَجري في المجلِسِ كلمةٌ إلا أنشَدَ عليها شعراً شاهداً، أو أتى بحكايةٍ تُجانِسها، فازداد المنصورُ عَجباً[1] بصاعد.

لم يكن ابن العريف بالرجل الذي يسكت لصاعد بعدما ظهر عليه في مجلس المنصور وأمام جمْع العلماء، ويبدو أنه تحيَّن له فرصة الرد عليه ولكن ليس بأسلوب العلماء، ففي مجلس آخر للمنصور حضره صاعد وابن العريف، يقول الضبي: "إن المنصور أبا عامر محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس جِيءَ إليه بوردةٍ في مجلس من مجالس أنسه أول ظهور الورد؛ فقال في الوقت أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي - أي على الإرتجال- وكان حاضراً يخاطب فيها:(المتقارب)

أتتْك أبا عامرٍ وَرْدَةٌ * يُحاكي لَكَ المِسْكُ أنفاسَهَا

كعَذْرَاءِ أبصرَها مُبْصِرٌ * فَغَطّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا

فَاسْتحسن المنصور ما جاء به وتابعه الحاضرون، فحسده أبو القاسم ابنُ العَريفِ وكان ممَّن حضر المجلس، فقال: هي لعباس بن الأحنف[2]، فناكره صاعد، فقام ابن العريف إلى منزله، ووضع أبياتاً وأثبتها في دفتر، وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي: (المتقارب)

عَشوْتُ إلى قَصرِ عَبَّاسَةٍ * وقَدْ جَدَّلَ النَّوْمُ حُرَّاسَها

فألْفَيتُها وهيَ في خِدْرِهَا * وقد صرعَ السُّكْر أُنَّاسَهَا

فَقُلْتُ أَمَارٍ على هَجْعَةٍ * فَقَالَتْ بَلَى، فرَمَتْ كاسَهَا

وَمَدَّت إلى وَرْدَةٍ كَفَّها * يُحَاكي لكَ المِسْكُ أنفاسَهَا

كَعذْرَاءَ أَبْصَرَهَا مُبْصرٌ * فَغَطّت بِأَكْمَامِهَا رَاسَها

وَقَالَتْ خَفِ اللهَ تَفْضَحَنَّ * في ابنَةِ عَمِّكَ عبّاسَها

فَوَلَّيْتُ عِنْهَا على غَفْلَةٍ * وَمَا خُنْت ناسي ولا نَاسَها[3].

بينما يذكر ابن بسام رواية أخرى فيها قول ابن العريف للمنصور: "إنَّ هذَينِ البَيتَين لغَيرِه، وقد أنشَدَنيهما بعض البَغداديّينَ بمصرَ لنفسِه، وهُما عندي على ظهرِ كتابٍ بخطّه، فقال لهُ المنصور: أرِنيه، فخَرَجَ ابنُ العَريفِ ورَكِبَ، وجعل يَحُثّ حتى أتى مَجلِسِ ابنِ بدْر، وكان

[1]- نفسه، ج4، ص14.

[2]- العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جَردان بن كلدة وينتسب إلى الشاعر لُجَيْم الحنفي اليمامي (ت192هـ/807م): شاعر مشهور، كان رقيق الحاشية لطيف الطباع، جميع شعره في الغزل، لا يوجد في ديوانه مديح، وقد كان ملازما الخليفة الرشيد، ومات ببغداد. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، صص20-27.

[3]- الضبي، المصدر السابق، صص245-246.

أحْسَنَ أهلِ وَقتِهِ بديهَةً، فوصفَ له ما جَرى... فطارَ ابن العريف بها، وعلّقَها على ظهرِ كتابٍ بخطٍ مِصْري، وورَّى وتحيَّلَ بمداد أشْقَر، ودَخَل بها على المنصور، فلمّا رآها اشتدَّ غيظاً على صاعِدٍ"[1].

لقد أدى الحسد بين العلماء إلى اتّباع أسلوب الحيلة من أجل الظفر بالنَّصر والغلبة وإلحاق الأذى بالآخر، وكل ذلك من أجل الحظوة والمكانة في بلاط المنصور الذي كان كل مرَّة يتوعد بطرد صاعد إن فشل في امتحان يُقيمه له.

ويقول ابن بسام مُعلقا على تلك الرواية: "والحَسَدُ مَورروث، وقديم لا حديث، وليس في الحيوان أخبثُ في ذاته من الإنسان"[2].

كما يذكر أن المنصور أنشد يوماً قصيدةَ أبي نواس"أجارة بيتينا أبوكِ غيورٌ" فعرَض عليه أن يُعارضه، فأبى صاعدٌ من ذلك إجلالاً لأبي نُواس، فعزَم عليه المنصورُ فأنشدَه مُتَمَثّلاً: (مجزوء الكامل)

إِنِّـيَ لِمُسْتَـحَـيً عُــلَا * كَ من ارْتِجَـالِ الْقَوْلِ فِيْهِ

مَن ليسَ يُدرَكُ بالرَّويـ * ــةِ كَيفَ يُدرَكُ بالبديـهِ

فلم ينفعه ذلك عنده، ومكثَ في بقيَّةَ يومه وليلته، وجاءه من الغد فأنشَدَهُ قصيدته التي أولها: ومنها: (الطويل)

خِـدالَ البـُرَى إنّي بكـنَّ بَصيـــرُ * طوتكنَّ عني خُـلْسَــةٌ وقَتيــرُ

وبــاتَتْ كمــا بـاتَتْ مَهــاةُ خَميـلَــةٍ * لها جُؤذَرٌ عند الصّـرَاةِ عَقيرُ

وقَـــد أكِـلـَتْ أشـلاؤهُ فـكـــأنّــهـا * مُقَسّمـةٌ عند القِداحِ جَــزُور

كمَا بَغمَتْ من شَجوهــا أمٌّ واحــد * أتيحَ لها مثـلُ الزجـاجِ طريـر

لَدن غدوَةٍ حتى صغت شمس يومها * وفِي أبهَـريْـهـا رَنّــةٌ وزَفيــر

تَسوفُ ثـراهُ عَــن مَشَـقّ إهابِــهِ * كـأنَّ أسـابيَّ الدمـــاء عَتِيـرُ[3].

إن معارضة صاعد للشاعر الكبير أبي نواس أغضب كثيراً من الأدباء، ومنهم ابن بسام الذي قال: "وصاعدٌ على تتايعه[4] في الكذِب، ولجاجته بين الامتهان وسوء الأدب، قد أخذ

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص15-16.

[2]- نفسه، ج4، ص18.

[3]- نفسه، ج4، ص20.

[4]-التتايع: التَّتايُع في الشيء وعلى الشيء: التَّهافُت فيه والمُتايعةُ عليه والإسْراعُ إليه؛ والتَّتايُعُ: الوقوع في الشرّ من غير فِكْرةٍ ولا رَويّة والمُتَايَعةُ عليه؛ ولا يكون التتايع إلا في الشرِّ. ابن منظور، لسان العرب، المجلد8، ص38-39.

بطرف من الترقيق، وخلا بجانبٍ من لَقَمِ الطريق، ألا تراه كيف صَرَّحَ بالياسِ، عن شَقّ غُبار أبي نُواس؟"[1].

ونستشف من قول ابن بسام محاولته لتبرير تطاول صاعد على أبي نواس في ذلك الأمر "ولكنَّ ابن أبي عامر حمله على الغَرَر وعرَّضه لسوء الخَبَر"[2]، وكأنه يلوم المنصور الذي استغله وأغدق عليه بالأموال من أجل الزيادة في كذبه رغبة بالفكاهة والابتعاد عن الطريق المثلى للأدب لأن صاعد كانت له مُؤهلات العالم اللغوي والأديب الشاعر على حسب رؤية ابن بسام.

وذلك ما أشار إليه بلاشير حين قال بأن مواهب الرجل الفذة كانت حقيقة مخبأة وراء طبيعة شخصه وحبه للهو والمزاحات الثقيلة من فكاهة وكذب مما جعله يبدو علنا أنه كان يلهث وراء الأموال فقط[3].

من خلال دراسة علاقة صاعد مع المنصور بن أبي عامر، يتبين أن المنصور كان على دراية بقدرات صاعد العلمية ولذلك كان يتغاضى عن كذبه، كما أن صاعداً لم يكن بالرجل الهيِّن، فهو العالم بمكانة شعراء وأدباء الأندلس، وعليه اتَّخذ هذا الأسلوب وانفرد به، وتمكّن من قلب المنصور فنشأت بينهما علاقة وُدّ حسده عليها علماء الأندلس.

وكان صاعد وفياً للمنصور، فلما توفى هذا الأخير لم يستطع صاعد حضور مجالس بني عامر، وتأثر بوفاته، "ويقال إن أبا العلاء لم يحضر بعد موت المنصور مجلس أنسٍ لأحد مِمَّن ولي الأمور بعده من ولده، وادَّعى وجعاً لحقه في ساقه لم يزل يتوكأ به على عصاً، ويعتذر به في التخلف عن الحضور والخدمة إلى أن ذهبت دولتهم"[4].

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص20.

[2]- نفسه، ج4، ص20.

[3]- Blachèr Régis¸ Un pionnier de la culture Arabe orientale en Espagne Xe siècle: Sa'id de Bagdad¸ Hespéris Tamuda- faculté des lettres et s sciences humanes- Université Mohammed V - Rabat¸ H¸1930¸T.X¸ fascicule l¸ pp.15-36.

[4]- الحميدي، المصدر السابق، ص232.



ومن مناظرات صاعد أيضاً مع أحد فتيان المنصور بن أبي عامر يُسَمّى فاتناً[1] الذي كان أوحداً لا نظيرَ له في علم كلامِ العَرَب وكلّ ما يتعلقُ بالأدب، وقد ناظرَه في مجلس المنصور، فظَهَرَ عليه فاتن وبكّتَه حتى أسكتَه[2].

ومما جرى لصاعد في مجلس المنصور أيضا أنه "دخل يوماً على مجلس المنصورِ في يوم مَطير، وعليه ثِيابٌ جُدُدٌ وخُفّ طَرِيّ، فمشى على حاشِيَةِ الصِهريجِ لازدحامِ من حضرَ فَزلِق وسقط في الماء، فضَحكَ المنصورُ وأمر بإخراجِه، وكاد البردُ يأتي عليه، فلما نظر إليه أمر بِخلع ثِيابٍ له، وأدنى مجلسَه، ثم قال له: يا أبا العلاء هل قلتَ في سقْطتِك شيئاً؟ فأطرق ثمَ قال: (الطويل)

شيئانِ كانا في الزَّمانِ غَريبةً * ضَرطُ ابنِ وَهْبٍ ثم زَلْقة صاعدِ.

فاستبرَدَ ما أتى به، وكان الكاتب أبو مروانَ الجزيريّ[3] حاضراً، فقال له: يا أبا العلاء هَلاَّ قلتَ: (الوافر)

سُروري بغُرَّتك المـُشرقَه * ودِيمــةِ راحتِك المـُغدقَــه

ثنانيَ نَشْوانَ حتى هَوَيــتُ * في لجُــةِ البِرْكةِ الـمُطبقَـه

لئن ظلَّ عبدُك فيها الغَريقَ * فجـودُكَ من قَبلِ ذا أغْرَقَـه

فقال له المنصور: لله درُّك يا أبا مروَان، قِسناك بأهلِ العِراَق فَفَضلتَهم فبمن تُقاس بعد! فأنهض الجزيريُّ للشرطة "[4].

وممَّا ورد ذكره في المصادر عن صاعد أيضا أنه دَخَل يوماً على المنصور وبيدِه كِتابٌ ورَد عليه من عاملٍ له اسمُه مَبْدمان بن يزيد بن أهل يابُرة[5]، يذكرُ فيه القلب والتزبيل وما عندهم من مُعاناةِ الأرضِ قبل زَرْعها، فقال له: يا أبا العلاء، وقعَ إليّ من الكتب كتابُ القوالب

---

[1]- فاتن (ت402هـ/1011م): من فتيان المنصور بن أبي عامر، كان حَسنَ الخطّ، واسعَ المعرِفَة، فصيحَ اللسان، حاضر الجواب إلى عفاف طُعْمَة، ونزاهةِ نَفس، وجمال صُورة، وكان ممن تُباهي الملوك بخدمته، وتستريح إلى حلمه، ولما مات بيعت في تركته قطعة دفاتر أدبية حسنة الضبط دلّت على جَوْدة عنايته. ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص28.

[2]- ابن بسام، الذخيرة، ج4، ص28.

[3]- عبد الملك بن إدريس الجزيري (توفي قبل سنة 400هـ/1009م): أبو مروانَ، وزير من وزراء الدولة العامرية وكاتب من كتابها، عالمٌ أديب شاعرٌ، من أكابر البلغاء ومن ذوي البديهة، له رسائل وأشعار مدونة. الضبي، المصدر السابق، صص347-348.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص29.

[5]- يابرة: وعند الإدريسي يابورة، يابرة: مدينة كبيرة عامرة بالناس، ولها سور وقصبة ومسجد جامع، وهي أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة والتجارات إليها داخلة وخارجة، ومنها إلى مدينة بطليوس مرحلتان. الإدريسي، المصدر السابق، ج2، صص544-545.

والزَّوالب لميدمان بن يَزيد، قال: نعم رأيتُه في نُسخةِ أبي بكر ابن دُرَيد بخَطّ كأكرُعِ النّملِ، في جوانبها علاماتُ الوُضّاع، فقال له: أما تَسْتَحي مِن هذا الكذب! هذا كتابُ عامِلِنا ببلد يابُرةَ، يُعلمُ بالذي تقدَّم ذِكْرُه من صِفَةِ الأرض، وإنما صنعتُ هذا تَجْربةً لك، فجعلَ يَحلِفُ أنّه ما كَذَبَ وأنه أمرٌ وافق[1].

كما أن المناظرات كانت على مستوى من الحدَّة أحيانا، حيث يذكر الضبي في ترجمة الأديب بشَّار الأعمى[2] رواية له مع صاعد في مجلس الموفق بمدينة دانية، يقول: "لما ورد أبو العلاء دانية وافداً على الأمير الموفق، وكان يُوصَفُ بسرعة الجواب فيما يسألُ عنه، قال بشَّار للموفق: أيها الأمير أتريد أن أفضح أبا العلاء بحضْرتك في حرف من الغريب لم يُسمع قط، فقال له الموفق: الرأي لك، ألا تتعرّض له فإنه سريع الجواب، وربما أتى بما تكره، فأبى إلاَّ أن يفعل، فلما اجتمعوا عنده واحتفل المجلس قال بشار: أبا العلاء، قال: لبّيك، قال: حرف من الغريب، قال: قل، قال ما "الجرَنْفَل"[3] في كلام العرب، قال: ففطن له أبو العلاء فأطرق ثم أسرع فقال: هو الذي يَفْعل بنساء العميان ولا يكون الجَرَنْفَل جَرَنْفَلاً حتى لا يَتَعَدَّاهُنَّ إلى غَيْرِهِنَّ، قال: فخجل بَشَّار وانكسر، وضحك مَنْ كان حاضراً، وتعجَّب، وقال له الموفق: قد خشيت عليك مثل هذا"[4].

كما كان يُسْأل عن مصطلحات موضوعة مُصطنعة ولكنه يُجيب بإقامة الدليل، ومن ذلك ما قال له المنصور يوماً: ما الخنبشار في اللغة؟ قال حَشيشةٌ يُعقدُ بها اللبنُ ببادِيةِ الأعراب، وأضاف المقري- وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل- وفي ذلك يقول شاعرهم:

لقد عقِدَتْ محبتها بقلبي * كما عُقِدَ الحليبُ بخنبشارِ[5].

ومما يذكر له أيضا ما حدث له في مجلس المنصور، قال الحميدي: "وقال له المنصور... وقد قُدّمَ طبقٌ فيه تَمر: ما التَّمَرْكَلُ في كلامِ العرب؟ فقال: يُقال تَمَرْكلَ الرجلُ يَتَمَرْكُلُ تَمَرْكلاً إذا الْتَفَّ في كسائه"[6].

---

[1]- الحميدي، المصدر السابق، ص233/ ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص26-27/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص98.

[2]- بشار الأعمى: عالم بالنحو وأستاذ في العربية، وشيخ من شيوخ الأدب، كان في مجلس الموفق مجاهد العامري أمير دانية. الضبي، المصدر السابق، ص229.

[3]- الجرنفل: بفتح الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص489؛ والكلمة موضوعة لا وجود لا في معاجم اللغة أو الألفاظ الغريبة.

[4]- الضبي، المصدر السابق، صص229-230.

[5]- ابن بسام، المصدر السابق، ص27/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص81.

[6]- الحميدي، المصدر السابق، ص233.



ومن المناظرات التي جرت بين صاعد وأدباء الأندلس، وكانت حول تدارس بيت شعري، حيث يروى عن العاصمي تلك الجلسة: "ثمَّ سألَنا صاعدٌ يوماً فقال: ما مَعْنى قولِ امرئ القَيس: (الطويل)

كأنَّ دِماءَ الهادياتِ بنَحْرِهِ * عُصارَةُ حنّاءٍ بشَيبٍ مُرَجّلِ[1].

فقلنا: هذا واضح، وإنّما وصف فَرساً أشهبَ عُقرت عليه الوحشُ فتطَايَرَ دَمُها إلى صَدْرِه فجاء كهذا.

فقال صاعدٌ: سبحان الله أنَسِيتم قولَه قبلَ هذا في صِفَتِه: (الطويل)

كمَيْت يَزِلُّ اللّبدُ عن حالِ مَتنه * كما زَلّتِ الصَّفْواءُ بالمتَنزِّلِ.

قال: فبُهتنا وكأنا لم نَقرأ البَيْتَ قَط، وقد اضطرِرنا إلى سؤالِه، فقال: إنّما عني أحدَ وَجهين: إمّا أنّه نَضَحَ صدرهُ بالعَرَق وعرقُ الخيل أبيضُ، فداء مع الدم كالشّيبِ؛ وإما أشياء كانت العربُ تصنعها وذلك أنها كانت تَسِمُ باللبنِ الحارّ في صَدرِ الخَيْلِ فَيَتَمَعّطُ ذلك الشعر، ويَنبتُ كأنّه شعرٌ أبيض، فأيّا ما عنى من أحدِ الوَجهين فالوصف مستقيم"[2].

ب- في دور العلماء: جرت المناظرات أيضا في دور العلماء ومنها تلك التي حصلت لابن بسام مع الفكيك في أحد المجالس، وكان ضمن الحاضرين-أي ابن بسام- حيث يقول: كنتُ يوماً بدارِ أبي بكر الخولاني المنجم بإشبيلية مع لمة من الأدباء، فأفضى بنا الحديثُ إلى ما للشعراءِ من مُلح التضمين[3] في المديح والهجاء، فأنشد بعضهم ما حضره من تضمينات الحمدوي[4] في الطيلسان وشاةِ سعيد، وأنشد آخر قول القائل في الحسن بن وهب[5]، وتضمّن بيتَ مهلهل[1]: (الطويل)

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص27.

[2]- نفسه، ج4، ص27.

[3]- التضمين: عند علماء اللغة العربية على معان: منها إيقاعُ لفظٍ موقعَ غيْره ومعاملتُه معاملتَه، لِتَضَمّنه معناهُ واشتمالِهِ عليه، ومنها أن يكونَ ما بعْدَ الفاصلَةِ متعلقًا بها، وفي علم القوافي: أن تتعلّق قافيةَ البيت بما بعده على وجه لا يستقلُّ بالإفادة، وفي البديع: أن يأخذ الشاعرُ أو الناثر آية أو حديثاً أو حكمة أو مثلا، أو شطراً أو بيتا من شعْرِ غيره بلفظِهِ ومعناه. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص544.

[4]- إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه: أبو علي الحمدوني وجده حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد، بصري مليح الشعر حسن التضمين اشتهر بقوله في طيلسان أحمد بن حرب بن أخي يزيد المهلبي وشاة سعيد وفقر الحرزي. الصفدي، المصدر السابق، ج7، صص47-51.

[5]- الحسن بن وهب بن سَعيد بن عَمْرو بن حُصين بن قَيْس بن قنان بن متى الحارثي (186-247هـ/802-861م): أبو علي الكاتب، وهو مُعْرِق في الكتابة فآباؤه وأجداده كلهم كتبة في الدولتين الأموية والعباسية؛ وكان الحَسن يكتب بين يدي محمد بن عبد الملك بن الزيات، ثم وَلِيَ ديوان الرسائل، ووَلِيَ بعض الأعمال بدمشق، وبها مات وهو يتولى البريد أيام المتوكل، وحكى الصولي أن الحسن كان يعشق غلاماً رُوميّاً لأبي تمام. الصفدي، المصدر السابق، ج12، صص184-187.

وَسَائَلَّتِيْ عِنَّ الَّحَسْنِ بَنٍ وَهْبٍ * وَعمّا فِيــه مِنْ كَـرَمٍ وَخَيْـرِ

فقُلْتُ هـو المُهـذَّب غيْـر أنـي * أرَاْه كَثـِيـر إرْخـاءِ الستــور

وأكْثــرُ مَــا يغنّيـه فتـَـاهُ * حُسينٌ حِيْن يخْلو بالســرُورِ

«فلولاَ الريحُ أسْمِعَ من بحجرٍ * صَليلَ البَيضِ تُقرَعُ بالذكـور»

وأنشد بعضهم قول الآخر، وضمّن بيت النابغة[2] فقال: (الرجز).

يا سائلي عن خالدٍ عهدي بـه * رطبُ العِجان وكفّه كالجلمدِ

«كالأقحوان غداةِ غبَّ سمائِهِ * جفّت أعَـاْليـه وأسفلُـه نــد»

فدخل الفكيك ونحن من هذا الحديث المستطرف على طرف، فقال: أحسنُ من جميع ما أنشدَتم أبيات زعم أنه قالها في البديع يهجوه وهي: (الطويل)

رَأَيـتُ الْبَـدْيَـعَ عَلـِّيَ أِرَبْـعٍ * وقد عاينته عيون البشـرْ

يقولُ وقد شَرَعَت خـلفـه * كماةُ الفحولِ رماحَ الكَمرْ

« فَلاَ وَأَبِيّكَ ابْنَـةِ الْعَامِـرِيّ * لا يـدَّعي القـومُ أنّي أفـر»

فكأنَّ الجماعة لم تجبه، ثم حركت الفكيك أريحية العُجب لسكوت أهل المجلس عنه هنالك، فكأنّه غاظني ذلك، وقلت: لم تأتِ أنت بشيء، ومن حَضر لم يصمتْ عنك، وإنما أردتَ أن تحذو حَذوَ كاتب بكر حيث يقول وضمَّن بعض أبياتٍ لامرىء القيس، فقصّرت عنه، وهو قوله: (الطويل)

حِدِّيْثُ أَبْيِ الْفَضْلُ شِيْءٌ نُكَرَّ* إذا مـَاْ تـذكّـرْتُـه أقْـشَـعِــرْ

مَررتُ بِـه وعَليــهِ الغــلامُ * ومـِـنْ خَـلفـه ذنـبٌ مستطـر

«فلا وأبيك ابنةَ العامري» * مـا هـاب مني ولـم يــزدجـر

فقـال وقــد قامَ عنه الغـلام * ومــاذا عليـكَ بـأن تنتظـــر

فقــال أرى رجــلاً واقـفــاً * فـَقَــاْل هُبــلْـتَ ألا تـنتصـر

«فلــو أنَّ قيســا وأشيـاعَــها * وكنـدة حـولي جميــعاً صبـر»

---

[1]- مهلهل بن ربيعة التغلبي: وفي اسمه اختلاف، قيل اسمه امرؤ القيس، وقيل عدي، شاعر جاهلي مشهور، يُقال إنه أول من قصد القصائد، وسمي مهلهلا لهلهته الشعر كهلهلة الثوب- أي اضطراب واختلاف- وله وقائع معروفة في حرب بكر وتغلب، وكان القائم بالحرب ورئيس تغلب. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، المرجع السابق، ص127.

[2]- النابغة: لقب لشاعرين مشهورين لم نعرف لمن ينتسب البيت منهما، الأول هو النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب إلى آخر نسبه ذبيان بن بغيض، أحد شعراء الجاهلية البارزين المشهورين؛ والثاني هو النابغة الجعدي: عبد الله بن قيس بن عدي بن ربيعة بن جعدة، شاعر مخضرم ، من أحد الصحابة الأخيار أسلم وحسن إسلامه، وأعجب الرسول صلى الله عليه وسلم بشعره، وكان أحد المعمرين ومات بأصبهان. نفسه، صص129-130.

لما رمتَ أو تنقضي حَاْجتي * «ولَا يـدَّعي القـومُ أني أفـر»

فـوليـتُ عَنْـه عَـلى خـجلـةٍ * «فثوباً نسيتُ وثوباً أجـــر»

ورَاْكبـــة فـــوقـه مِـثْـلمـا * «أكبَّ على سـاعديـه النمـر»

فلما انتهيت إلى آخر هذا الوصف، سكت ولم ينطق بحرف[1].

وعموماً، فإن مجالات الامتحان والمناظرات العلمية كانت ترتكز على العلوم النقلية لا غير حيث غلب عليها اللغة والشعر والأدب، فهي أكثر التخصصات منافسة وأشدها وأقواها صيتا، وقد أحالت مجال التناظر والامتحان إلى منافسة بين العلماء المشارقة والمغاربة على أرض الأندلس التي ارتكزت فيها المادة الموجودة، وقد سعى كل طرف إلى إثبات التفوق من أجل اكتساب أو المحافظة على الامتيازات والحظوة عند السلاطين، وكان ذلك مما ساهم بدوره في تنشيط الحركة الفكرية في بلاد المغارب.

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، صص256-257.



ثانيا: مجالس الوعظ والذكر: من ضمن الأمور المُهمة في هذه الدراسة تَتبُّع تأثير المشارقة في أوساط المجتمع والعامة في بلاد المغارب، والمُندرجة في إطار تنشيط الحركة الفكرية من طرف المشارقة الوافدين على المنطقة.

والمعروف أنَّ للعَالِم نفوذاً لدى عامة الناس حيث "إذا وعظ أو تكلم كان له التأثير السحري على الناس فقد يُبكيهم أو يضحكهم"[1]، فالعامة تثق في العلماء.

من خلال تتبعنا لتراجم القادمين فيما يتعلق بالذكر والوعظ، سجلنا أربعة أعلام، اقتصر نشاط الأول في بلاد المغرب، والثلاثة الباقين في العدوتين المغربية والأندلسية.

فالمجالس الأولى في المغرب تعود لأبي زكريا المرجاني الذي أشار إليه الغبريني ويُفهم من حيث الوصف أنه مجلس ذكر[2]، والثاني لأبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي وقد أشار إليه ابن الزبير وابن الأبار والمقري[3]، والثالث لأبي البركات عبد الرحمن بن علي الواعظ[4]، والرابع لأبي بكر محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي الواعظ وقد ذكره ابن الزبير[5]، والملاحظ ارتباط أسمائهم بالوعظ، ويؤكد ذلك إضافة صفة "الواعظ" إليهم.

- مؤهلات المشارقة الوعاظ: نستنتج ذلك من خلال النصوص المُقدمة، والتي تخص الشخصيات التي مارست الوعظ ببلاد المغارب، وأول العوامل المساعدة أن هؤلاء الواعظين قادمون من بلاد المشرق مما يَلْقى فضولاً وإقبالا كبيرا في الوسط القادمين عليه - أي بلاد المغارب، فالواعظ أياً كان يجب أن تتوفر في شخصه شروط، وعلى رأسها العلم فيجب أن يكون عالماً بالقرآن والسنة والفقه والتفسير، ومشاركاً في اللغة والأدب وحفظ الشعر وغيرها من العلوم.

ومِمَّا يزيد من قوة شخصية الواعظ تلك الهيبة والوقار اللتين تحيطان بشخصه، مثل قول ابن الزبير في وصف أبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن القيسي الواعظ: "وكان شديداً على أهل

---

[1]- محمد منير سعد الدين، العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع، دار المناهل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، صص24-25.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، صص82-83.

[3]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم5، صص269-270/ ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.

[4]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، صص220-221/ ابن الأبار، التكملة، ج3، صص53-54/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص139.

[5]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم3، صص34-35.



الأهواء والبدع، محبا في أهل السنة والورع، منقطع القرين في الفضل والخير والدين، لا تأخذه في الله لومة لائم"[1].

ويضيف المقري: "وكان فقيهاً على مذهب الشافعي، عارفاً بالأصول والتصوف، زاهداً، ورعاً، كثير المعروف والصدّقة، يعظ الناس، ويسمع الحديث"[2].

وكذلك في وصف القادم أبي بكر محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي الواعظ، حيث يذكر أنه "كان حافظا...حاضر الذكر لذلك، نبيل المنزع في وعظه"[3].

إضافة إلى الزهد وصلاح النفس، فالغبريني لمَّا يُقدِّم أبا زكريا المرجاني يقول: "ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العابد الزاهد الورع الناسك المكاشف أبو زكريا المرجاني الموصلي أحد الأتقياء الأبرار ممن اختصه الله بخالصة ذكرى الدار... "[4].

تلك إذن، مؤهلات شخصية الواعظ، والملاحظ أنه لا يهم المذهب ما دامت المصادر التشريعية للدين الإسلامي واحدة، وما دام الناس بحاجة إلى سماع الوعظ والتذكير.

- مكان عقد مجالس الوعظ: غالبا ما يكون مكان انعقادها في المساجد بين عامة الناس، ومن المساجد التي عقدت فيها مجالس الذكر والوعظ لمشارقة وافدين، نذكر مسجد المرجاني ببجاية والذي نُسب إلى القادم نفسه أبي زكريا المرجاني الموصلي لشدة ارتباطه بالوعظ فيه، حيث يقول الغبريني: "كان مسجده الذي يجتمع فيه إليه المسجد المشهور الآن به بحومة اللؤلؤة، وهو المعروف الآن بمسجد المرجاني"[5].

وكذلك الأمر في الأندلس حيث يذكر ابن الأبار: "وسمعت وعظه – يقصد أبا البركات عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ - إذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية"[6] ذلك أن الوعظ غالبا ما يوجه للعامة.

- هل الوعظ حرفة؟ إن البحث في ممارسة العلماء المشارقة للوعظ في بلاد المغارب يؤدي بنا إلى إثارة إشكالية تدور حول إن كان الوعظ حرفة لهؤلاء المشارقة القادمين؟.

---

[1]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5، ص270.
[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.
[3]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم3، ص35.
[4]- الغبريني، المصدر السابق، صص82-83.
[5]- نفسه، صص82-83.
[6]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص53.



في الأندلس، تصدَّر للوعظ يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الذي كان يعظ الناس[1] بعد قدومه، يذكر ابن الأبار: "وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقي ببجاية أبا محمد عبد الحق الإشبيلي، وأجازه وحَضَّه على الوعظ والتذكير، فامتثل لذلك، ودخل الأندلس"[2].

يعني أن عبد الحق الإشبيلي هو الذي حفَّزه على الوعظ والتذكير بعدما لقيه مما يدلُّ على أن الوعظ لم يكن حرفته التي يتكسَّب بها، بل إن الإشبيلي هو الذي لاحظ قدرته على ذلك، وهذا تصور مبدئي يلحظه قارئ نص ابن الأبار.

ولكن بالعودة إلى نص ابن الزبير الذي يشير إلى أن الوعظ قد رافقه منذ خروجه من بلاده، "واشتغل بالوعظ حين صدر من بلاده إلى أن وصل الأندلس ووعظ بها"[3].

إن كان ما ذهب إليه ابن الزبير صحيح فمعنى ذلك أن الوعظ كان حرفة يرتزق بها القادم، وقولنا هذا لا يُبنى على كلمة "اشتغل" الواردة في نص المصدر، وإنما من السياق العام "منذ صدوره من بلاده" بينما القول الأول لابن الأبار يدل على أن احترافه هو إيعاز من مغربي.

ويثير ابن الزبير هذا الأمر في ذكره للواعظ أبي بكر محمد بن عبد الوهاب الأنصاري في قوله: "وآخر ما لقيته بسبتة، وكان مستحسن المنزع- رحمه الله، لولا حرص كان فيه، وفي باب التكسب بتحرفه الوعظي، نفر عنه بعض أصحابنا بسبب ذلك"[4]، وهذه نعتبرها إشارة مباشرة لامتهانه الوعظ كحرفة من خلال هذا الوصف.

إضافة إلى ذلك نجد الإشارة إلى الواعظ أبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن: "ثم زال عن الوعظ والتزم داره، وما يقيم به قوته إلى أن توفي بحضرة غرناطة"[5] أي كان الوعظ حرفته أيضاً.

في حين أننا لم نستطع التوصل إلى إشارة في نص الغبريني المقدم حول مجلس ذكر أبي زكريا المرجاني الموصلي[6]، إذ يفهم أنه كان متصوفا سائحا زاهدا يُذكِّر الناس دون منفعة دنيوية.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.

[2]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197.

[3]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5، صص271.

[4]- نفسه، ج3، ص36.

[5]- نفسه، القسم5، ص269-270.

[6]- الغبريني، المصدر السابق، ص82-83.



وعليه، فممارسة المشارقة للوعظ في بلاد المغرب كان حرفة يرتزق بها بعض القادمين، في حين اعتبرها البعض منهم خدمة للعامة دون مقابل.

- محتوى مجلس الوعظ: مؤكد أنه كان لأغلب الوعاظ دفاتر أو كتب يعتمدون عليها في مجالسهم تلك، لتكون المواعظ متنوعة ومبرمج لها من طرف الواعظ نفسه.

قال ابن الزبير عن الواعظ أبي بكر محمد بن عبد الوهاب الدمشقي: "ولم يكن عنده كتاب يستعين به على ما كان بسبيله فيما اطلعت عليه من حاله سوى خطب من كلام شيخه أبي الفرج ابن الجوزي في سفر بخطه، مع تأليف له سماه مصباح الواعظ، فذكر فيه من وعظ من الصدر الأول، وما ينبغي للواعظ ويلزمه... وقفت على هذا التفسير بجملته باستعارة منه"[1].

ويشير الغبريني إلى مجلس أبي زكريا المرجاني الموصلي، حيث يقول: "وكانوا يسمعون منه غرائب، ويطّلعون من أحواله على عجائب، وكل ذلك مقيد بالكتاب والسنة على سنة السلف الصالح رضي الله عنهم"[2].

وأما ابن الزبير فقد سجل لنا ما يحويه مجلس الوعظ مفصَلا بعدما حضره للقادم أبي بكر محمد بن عبد الوهاب الدمشقي الواعظ، وفيه:

- خطبة لافتتاح للمجلس.
- التفسير
- ذكر أخبار الصالحين: فصول من كلام ابن الجوزي
- ويختم بفصل من السير[3].

ويضيف ابن الزبير أنه كان هكذا أبدا لا يخرج عن عادته مع إحراز التناسب والانسجام، وكان برنامجه في مجالسه على التوالي: يبدأ اليوم من حيث انتهى أمس، ولا يغيب يوما إلا لعارض، وكلامه في ذلك كله منتقى مستوفى، يشهد بحسن اختياره، وتقدمه في فنه[4].

- من يحضر مجالس الوعظ: عادة ما يحضرها العامة والطبقة العالمة، فمجلس أبي زكريا المرجاني ببجاية كان يحضره العلماء، يقول الغبريني: "وكان يجتمع إليه فيه الأفاضل والصلحاء والمتعبدون"[1]، وكذلك العامة لأن مكان اجتماعه بهم كان المسجد.

[1]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 3، ص35.
[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص82-83.
[3]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم 3، ص35.
[4]- نفسه، القسم 3، ص35.



ويبدو أن الوعظ كان موجهاً لكل الطبقات؛ فقد حضر العلماء أيضا مجالس الوعظ كحضور ابن الأبار مجلس أبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن القيسي مع عامة الناس بالأندلس[2].

- مدى انتشار مجالس الوعظ: كانت مجالس الوعظ التي عقدت من طرف المشارقة في بلاد المغارب تقام في مساجد وجوامع المدن المغربية والأندلسية، فعلى غرار بجاية التي شهدت مجالس الواعظ أبي زكريا المرجاني، فقد حل بمدينة غرناطة أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن القيسي حيث استوطنها كما ذكر المقري[3]، وعقد مجالس وعظه بها، وبمرسية نزل الواعظ أبو بكر محمد بن عبد الوهاب الدمشقي[4]، ووعظ بها أيضا.

أما أبو البركات عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ فكان من الوعاظ المتجولين بين عدة مدن أندلسية واعظاً ومذكراً، وسُمِعَ منه باشبيلية وقرطبة ومرسية وبلنسية، وفي هذه الأخيرة شهد ابن الأبار مجلس وعظه[5].

- مدى تأثير الوعاظ في الناس: إن للوعاظ تأثير كبير في نفوس الناس عامة، فالواعظ ينصحهم ويخوفهم من الانزلاق في مهاوي الظلم والفساد، فهو يساعد على إعادة الأمن بحث الناس على الالتزام بالشرع، وهم في كل ذلك يتدارسون أحوال المجتمع والأمة، فهدف الوعظ هو إصلاح أحوال العامة.

وعن مدى تأثير مجلس ذكر أبي زكريا المرجاني الموصلي ببجاية يقول صاحب عنوان الدراية: "واتصل حال المنفعة به إلى أن أراد الله سفره، فرجع إلى بلاده"[6]، وعلى ما يبدو أن هذا المجلس كان حافل الذكر لذلك كان تأثيره واضحا على حد قول الغبريني.

أما عن تأثير مجلس أبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ: يذكر ابن الزبير"ووعظ بها وتاب على يديه جملة كبيرة من المسرفين المذنبين، ورجعوا إلى الله رجوع الخائفين، وكان وعظه يأخذ بمجامع القلوب"[7].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، صص82-83.

[2]- ابن الأبار، التكملة، ج4، ص197/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.

[4]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم3، ص34.

[5]- ابن الأبار، التكملة، ج3، صص53-54.

[6]- الغبريني، المصدر السابق، ص82-83.

[7]- ابن الزبير، المصدر السابق، القسم5، ص271.



لم تكن مجالس الذكر التي عقدها المشارقة في بلاد المغرب واضحة الدلالة مثل الأندلس، ويعود ذلك إلى احتفاظ المصادر الأندلسية بمادة حول تلك المجالس في تراجم هؤلاء الوافدين الغرباء الذين كان أغلب مؤلفي كتب التراجم الأندلسية قد التقوا بهم، وأخذوا عنهم وسمعوا وعظهم.

ومما يلاحظ على فترة قدوم هؤلاء الواعظين من المشرق واجتماعهم كلهم في القرن السابع الهجري/13م، ذلك القرن الذي شهد فيه العالم الإسلامي- مشرقا ومغربا- ضعفا كبيراً، فقد انقسم الأيوبيون وتنازعوا، وضعف البيت العباسي، وزاد الأمة بلاء ظهور التتار، كما انهزم الموحدون في العقاب غربا.

إن هؤلاء الوعاظ كانوا يقومون بمحاولة إصلاح حال الأمة بالتذكير بسيَّر الأولين، وأخذ العظات والعبر والعودة إلى النهج الصحيح عن طريق مجالس يُقيمونها في مساجد وجوامع بلدان المشرق والمغرب.

ثالثا: الإجازات العلمية: يعتبر منح الإجازة العلمية من طرف العلماء المشارقة لإخوانهم المغاربة في بلاد المغرب من الأمور المهمة التي تدل على التوافد العلمي المشرقي ونشاطه، وقد اشترك المشارقة القادمين عُلماء وتجارا وغيرهم في تقديم الإجازة لطالبيها من المغاربة، وارتبطت الإجازة هنا بعلم الحديث فقط.

كان المغاربة يحرصون على نيل الإجازة من الوافدين عليهم، ومن المشارقة القادمين الذين ثبت أنهم أجازوا علماء الأندلس عَالِم الحديث الذي وُصف بسعة الرواية أبو سالم مُحَمَّد بن سُلَيْمَان الحرَّاني الظاهري الذي كان قد وفد على الأندلس تاجراً وأجاز ابن خَزْرج، قال ابن خَزْرج: "وأجاز لي روايته في شعبان سنة ثلاثٍ وعشرين وأربعمائة، وهو يومئذٍ ابن أربعٍ وسبعين عاماً"[1]، كما أجازه أيضا الوافد المحدث أبو عبد الله محمد بن سَعِيد الكِلاَبي المدني الشافعي، الذي وُصِف بالثقة، وكان منحه الإجازة سنة 432هـ/1040م[2].

ومن القادمين على المغرب والأندلس مِمَّن أجاز القاضي عياض التاجر أبو نصر سهل بن علي النيسابوري الشافعي، حيث قال عياض: "وأجاز لي جميع رواياته"[3].

وممَّن أجاز ابن الأبار أيضا أبو البركات مودود بن عمر الفارسي السلماسي، قال ابن الأبار: "وكانت له رواية في المشرق، وأجاز لي جميع ما رواه ولم يُسمِّ أحداً من شيوخه في سنة إحدى وثلاثين وستمائة"[4] أي 1136م.

وأضاف ابن الزبير: "ذكره الشيخ في الذيل، وقال: أجاز لي، ووصفه بالانقباض، وكرم النفس، وذكره القاضي أبو عبد الله ابن عياض وسماه لي، وقال الصوفي المحقّق، وسمع عليه صحيح البخاري، وذكره الأستاذ الورع الزاهد أبو بكر حميد فيمن أخذ عنه، وسمع منه"[5].

وعن إجازات المشرقي الوافد السنهوري أبي إسحاق إبراهيم بن خلف بالمغرب، فقد نقل ابن الأبار "قال أبو سليمان بن حَوْط الله: أجازني وابني محمداً جميعَ ما رواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فنا خُسْر بن فيروز الشيرازي، وذكر أن روايته بنزول، لأنّه لم يرحل إلّا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشأن"[6].

---

[1] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص466.

[2] - نفسه، ج2، ص467.

[3]- القاضي عياض، الغنية، ص209.

[4]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص166.

[5]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج4، ص80.

[6]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص149.



كما وهب السنهوري الإجازة لأبي الحسن ابن القطان[1] أيضا، يقول ابن الأبار: "وقال أبو الحسن ابن القطان، وسمّاه في شيوخه: قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة، واستجزته لابني حسن فأجازه وإياي...، وقد كان إذْ أجاز ابني كتب بخطّه جملة من أسانيده، وسمى كتباً منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك"[2].

وممن أجاز لابن الزبير أبو بكر محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي حيث يذكر ابن الزبير: "كتب لي بالإجازة مرتين: بمرسية، وغرناطة، وذكره الشيخ في الذيل، وأخذ عنه"[3].

تلك هي الإشارات القليلة التي وردت في مادة النصوص التراجمية عن إجازات العلماء المشارقة لزملائهم المغاربة، ومن الملاحظات التي تُسجَل حول هذه الإجازات:

- أن رواية الإجازة كانت عن جلة من شيوخ المشرق، بواسطة هذا الوافد يصبح المغربي المُجاز له يروي عن شيوخ مشارقة لم يرهم ولم يتطلع لمؤلفاتهم، بل سمع عنهم عن طريق السند، وقد تُذكر تلك المؤلفات في الإجازة، وكل الأمثلة التي ذكرناها عن الإجازات كانت دون تسمية الشيوخ الذين أُخِذَ عنهم بإستثناء واحدة.
- كان المغاربة يغتنمون فرصة تواجد العلماء المشارقة في بلدانهم فيطلبون الإجازة لأنفسهم ولأفراد أسرهم.
- قد يأخذ العالم المغربي عدة إجازات من شيوخ مشارقة قادمين، كما قد يحصل المغربي على أكثر من إجازة من نفس العالم المشرقي القادم.

وكانت الإجازة تلغى إذ صدر من العالم المشرقي المُجيز فِعلا يُشكك فيه مثلما حصل لأبي الحسن القطان مع أبي إسحاق المعروف بالسنهوري حيث يقول ابن الأبار: "وقدم علينا بعد ذلك مراكش مُفْلتاً من الأسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكَذِبٌ زهَّد فيه...، قال: وقد تبرأت من عُهْدة جميعه لما أثبتُّ من حاله"[4].

---

[1]- علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الكتامي الحميدي (ت628هـ/1230م) أبو الحسن، ويعرف بابن القطان، من أهل فاس، قرطبي الأصل، كان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لرجاله وأشدهم عناية بالرواية مع تفنن ومعرفة ودراية، وله عدة مؤلفات كما جمع برنامجا مفيدا في شيوخه. التنبكتي، المصدر السابق، ص317.

[2]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص149.

[3]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، ص35.

[4]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص149-150/ المقري، المصدر السابق، ج3، صص135-136.



كما لم يكن تقديم الإجازة من الوافد المشرقي للمغاربة فقط، بل حصل تبادل للإجازات على أرض المغارب؛ فقد كان العلماء المشارقة أيضا يطلبون إجازات علماء المغاربة، بخاصة الذين قدموا منهم لطلب العلم.

ومثال ذلك أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن القيسي الذي أُجِيزَ في بلاد المغرب، يذكر ابن الأبار: "وأجاز له أبو محمد التادلي[1] روايته عن أبي محمد بن عتاب وأبي بحر الأسدي[2]، ويروي عن ابن رشد في آخرين"[3].

كما قدَّم المغربي أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الإجازة للوافد على المغرب أبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن الأصبهاني بعد لقائهما بمدينة بجاية، قال ابن الأبار: "وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقي ببجاية أبا محمد عبد الحق الإشبيلي وأجازه"[4].

إن الإشارات المُقتضبة عن الإجازات العلمية التي منحها العلماء المشارقة الوافدون على بلاد المغارب يبدو أنها كانت أكثر من تلك الأمثلة المقدمة خاصة إذا ربطنا ذلك بعدد القادمين وبالأخص علماء الحديث، ولكن قلة المادة التي تحصلنا عليها والتي تقترن بأعلام الدراسة كانت وراء النظرة السريعة حول الموضوع، ولعل توافد هؤلاء المشارقة وتبادل الإجازات أدى لعزوف كثير من علماء المغرب والأندلس عن الرحلة إلى المشرق بعد اللقاء على أرض المغارب وتبادل الإجازات.

---

[1]- عبد الله بن عيسى بن محمد التادلي(511-597هـ/1117-1200م): أبو محمد الفاسي، القاضي الأديب، أحد أعلام المذهب المالكلي، أخذ عن القاضي عياض وابن بشكوال، وأخذ عنه أبو الحسن بن القطان وغيره، توفي بمكناسة. ابن مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ/1930م، ص164.

[2]- سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي(440-520هـ/1048-1126م) أبو بحر الأسدي المربيطري، فقيه مالكي، من كبارهم، كان محدث قرطبة في عصره، روى عن أبي الوليد الباجي وأبي عمر بن عبد البر، سكن قرطبة وحدث بها. ابن قنفد أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الطيب القسنطيني، الوفيات، حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م، ص271 والهامش رقم1.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص168.

[4]- نفسه، ج4، ص197/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص68.



رابعا: المؤثرات الثقافية[1]المشرقية الوافدة مع العلماء المشارقة إلى بلاد المغارب: تنتقل الثقافة مع الأفراد الذين بِطبعهم يُؤثرون ويتَأثرون، أي الثقافة كما تُمْنح تُكْتسب وهو ما يُصطلح عليه بالتفاعل الثقافي أو التثاقف.

إنَّ للعامل البيئي والجغرافي دور كبير في تكوين الأعلام الثقافية، التي يكون انتشار الثقافة من خلالها - أفراد وجماعات مُتنقَّلة ومُسْتقْبلة، ومما يساعد على انتقال الثقافة من القطر المشرقي إلى المغربي وجود نفس اللغة، ونفس التعاليم الدينية والمقومات الروحية.

وللعلماء المشارقة المُرتحلين غربا دور كبير في نقل الثقافة المشرقية التي كانت محلّ ترحيب من قبل الأندلسيين والمغاربة الذين كانوا يسعدون بكل وافد من الشرق، ويرونه مثلاً أعلى يُحتذى به وبخاصة في القرون الأولى.

في الحقيقة لم نجد في المضان التي بين أيدينا مادة كافية فيما يتعلق بالتأثيرات الثقافية للمشارقة القادمين غير التي تتعلق بشخصية زرياب، فهذه الشخصية لم تكتف بالتميز في مجال الموسيقى والغناء فحسب، وإنما تَعَدَّت ذلك إلى التأثير[2] في الحياة اليومية للأندلسيين وأسرار الحياة الإجتماعية.

عُرِف زرياب في الأندلس "بمُعلِم الناس المروءة"[3]، فقد كان يعلم الآداب، وساهم بذلك في نقل الكثير من أساليب الحضارة التي عرفتها بلاد المشرق عامة وبغداد خاصة في القرن الثالث للهجرة/ أواخر القرن التاسع الميلادي حيث كانت مجهولة[4] في بلاد الأندلس، ومُؤكد أنها انتقلت إلى بلاد المغرب عبر فترات تاريخية لاحقة.

وعليه، فقد كان لزرياب دور كبير في نشر الثقافة المشرقية في أوساط المجتمع الأندلسي بكل طبقاته؛ وهو أكثر شخص مشرقي أثَّر في المجتمع الوافد عليه، ولا يعود ذلك إلى مشرقيته بالأساس، لأن كثيراً من المشارقة توافدوا ولكنهم لم يتركوا أثراً كأثر زرياب في

---

[1]- الثقافة: عنصر أساسي في تكوين الشخصية الفردية والجماعية، وهي ترتبط بالمجتمع ارتباطا تلازميا، بحيث لا يُعرف مجتمع إلا من خلال ثقافته، كما لا تُفهم ثقافة دون الوقوف على خصائص المجتمع الذي تُنسب إليه، والمجتمع هو ذلك التفاعل القائم بين الأفراد، والثقافة هي نتاج ذلك التفاعل، فهي التي تشكل سماته وتحدد خاصياته. عبد المجيد بن حمدة، ثقافة المجتمع القيرواني في القرن الثالث الهجري، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، ط1، 1418هـ/1997م، صص124-125.

[2]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص24.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص130/ سمير شيخاني، المرجع السابق، ص145.

[4]- نفسه، ص146.



المجتمع المغربي، ولا لعلاقته بالغناء فكل المغنين والموسيقيين الوافدين من المشرق لم يكتب لأسمائهم الاشتهار والانتشار والبقاء كزرياب، وإنما يعود ذلك لثلاثة عوامل أساسية هي:

أولا: طبيعة شخصه، فالمؤهلات التي تمتلكها هذه الشخصية تتفوق على كثير من أقرانها، فمن ذلك ما رواه المقري: "وكان زرياب قد جمع إلى خصاله هذه الإشتراك في كثير من ضروب الظرف وفنون الأدب، ولطف المعاشرة، وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يُجِدْه أحد من أهل صناعته"[1].

ويعود ذلك إلى تكوينه حيث كان على دراية بعلوم عديدة كعلم النجوم والنبات والحيوان والتاريخ[2]، كما كان على اتصال بالطبقة الراقية في المشرق ولا ننسى أنه مملوك للخليفة العباسي المهدي ثم الرشيد، وأنه تعلم في بغداد عاصمة ملك العباسيين في بيت الفنان إسحاق الموصلي.

إضافة إلى قوة شخصيته التي نلمسها بالعودة إلى تَدرُّجه في المشرق، فقد وقف نِدّاً لمعلمه إسحاق في تلك المحاورة التي جرت بين زرياب والخليفة العباسي الرشيد، ثم الحكمة بالخروج من المشرق لمَّا توعده مُعلمه، وعدم وقوفه كعدوّ لفنان القصر الأول، ومن ثمة التوجه للمغرب وحسن الاختيار[3]، فزرياب رجل عالم بأهوال القصور وتجارب البلاطات ودسائس الحُساد.

ويضاف إلى ما سبق ذكره جانب آخر لهذه الشخصية، فهو شخص حضاري يحب التجديد لأن "الشخصية الحضارية هي التي تتميز بخصال وخصائص علمية وفنية تؤثر في تطوير الحضارة"[4]، وقد لقبه أحد الباحثين "بالشخصية الابتكارية"[5]، ولا يخفى على زرياب ذلك فهو الذي يعرِفُ سير الملوك ومدى مَلل حياتهم وميولهم بطبعهم إلى الجديد دوما.

إضافة إلى كل ذلك هناك عامل آخر ربما يغفل عنه الكثيرون يعود لظروف حياته فزرياب أصبح في الأندلس مُجبراً على تقديم الأفضل لمن وثق فيه، وتحمل الصعاب بشجاعة وطموح يحذو به إلى السمو، فقد غدت الأندلس وطنه الذي احتضنه وأعلى مقامه، كما أن قوة اندفاع بعض الأفراد لتخليد أسمائهم في مجال صَنْعتهم لا تقف أمامها أية عقبة، وكأني بزرياب

1- المقري، المصدر السابق، ص127.

2- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص132.

3- نص المحاورة ينقلها المقري، المصدر السابق، صص122-124.

4- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص124.

5- نفسه، ص124.



يقول لإسحاق بأن اسمي سيُرفع ذكراه ويُمجد أكثر من اسمك، وقد حصل ذلك فعلا، فإسحاق كان وراء سبب هجرة زرياب لوطنه.

ثانيا: المكانة التي حظي بها في الأندلس؛ فقد تولى كبرى وظائف[1] الخدمة السلطانية حتى أن ملوك الأندلس اقتدوا به قبل عامتهم، يقول المقري: "حتى اتخذه ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنّه لهم من آداب، واستحسنه من أطعمته، فصار إلى آخر أيام أهل الأندلس منسوباً إليه معلوماً به"[2].

ثالثا: الجانب الذي اهتم به زرياب ومال إليه هو الجانب الاجتماعي وأسرار الحياة اليومية حيث تنبه له زرياب وغفل عنه كثيرون، فقد لامس الحياة اليومية ولم يختص بعلم محدد رغم نُبوغه في كثير من العلوم والفنون حيث "لم يكن موسيقياً فذاً فحسب بل عبقرياً موسوعياً اشتهر كشاعر وأديب ملم ومبتكر...، وكُمجدد اجتماعي يعرف أخلاق الشعوب وطبائعها، حافظاً لكثير من الحِكم...، وامتدت الثورة الزريابية إلى العادات والتقاليد الاجتماعية لدرجة أن يصبح نمط حياته نموذجاً يُحتذى في الأناقة الشخصية والتزيين...، والعادات الغذائية مما أدى لازدهار بعض الصناعات الأندلسية"[3].

إضافة إلى ذلك فإن الجو كان مساعداً لزرياب، وهو عامل يخص أهل المغرب، ويتمثل في تشوقهم إلى كل قادم من الشرق، واعتبار ذلك القادم دوما الأفضل.

أما بقاء تأثيرات زرياب المشرقية لعهود طويلة بالأندلس، فقد وفد زرياب في القرن الثالث الهجري، واستمرت تأثيراته إلى آخر أيام الأندلس، واقترنت باسمه مما أعلى ذكره؛ "فصار إلى آخر أيام أهل الأندلس منسوباً إليه معلوماً به"[4]، ذلك أن تلك التأثيرات الثقافية لم تكن معروفة عند أهل الأندلس؛ إذ لو كانت معلومة لما لا قت ذلك الإقبال، إضافة إلى أن تلك التجديدات أول من أقبل عليها هم ملوك الأندلس وخواصهم قبل عامتهم، أي أن انطلاقتها كانت قوية في الطبقة الأندلسية الراقية مما جعل آثارها طويلة المدى لأن الطبقات الأخرى مع الوقت ستكسب مؤثرات الطبقة العليا كما هو المعلوم في تحليل معطيات التاريخ الاجتماعي، زيادة على ذلك تلك اللمسة في البساطة كما أشرنا سابقا لأنها تمس الحياة اليومية من جهة، ومن جهة

---

[1]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص124-132.

[2]- المقري، المصدر السابق، ص127.

[3]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص124.

[4]- المقري، المصدر السابق، ص127.



أخرى لأنه استعمل أشياء ومواد بسيطة تكون متوفرة لدى جميع الطبقات كما سنفصل فيها لاحقا.

- **فيما يتعلق بالمظاهر الاجتماعية:** أي العادات الاجتماعية ومظاهر الحياة اليومية من طريقة لباس وتسريح الشعر والطهي، وجميع ما يتعلق بالحياة اليومية للناس.

- في اللباس: يعود لزرياب الفضل في تعليم أهل الأندلس طريقة التنويع في اللباس، وهي ارتداء الملابس المختلفة لتناسب الحالات والفصول المختلفة، فلكل فصل لباس خاص به[1].

قال المقري: "ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به، فإنّه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملون من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيه الشمسي من شهورهم الرومية، فيلبسونه على أول شهر أكتوبر الشمسي منها ثلاثة أشهر متوالية، ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة، ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم ثياب الحر والملحم والمحرر والدَّرَاريع التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون إليها لخفتها وشبهها بالمحاشي، ثياب العامة، وكذا رأوا أن يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف المحاشي المروية والثياب المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة، وذلك عند قرس البرد في الغدوات، إلى أن يقوى البرد فينتقلوا إلى أثخن منها من الملونات، ويستظهرون من تحتها إذا احتاجوا إلى صنوف الفراء"[2].

وعليه، فقد علَّمَ زرياب أهل الأندلس ارتداء الصوف في الشتاء، والقطن والملابس البيضاء في الصيف، والملابس الزاهية والحريرية في الربيع، كما نَقل إليهم التأنق في الملبس[3] لأنه كان فيصل الأناقة ومُصمماً للأزياء، وكتب الأشعار على ملابس المغنيات، وبذلك ساهم في ازدهار صناعة الملابس[4] بالأندلس.

- تسريح الشعر: علم زرياب الأندلسيين فن تزيين وتصفيف الشعر بعد قصه بدلاً من إرساله طويلاً، وفرقه في مقدّم الرأس، فمن ذلك ما رواه المقري من استحسان الناس لطريقة زرياب

---

[1]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص146.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص128.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص146.

[4]- محمد محمود عبد الحميد فايد، زرياب، المرجع السابق، ص132.



وولده في تحذيف شعورهم واتباعهم فيه[1]، يقول صاحب النفح: "فمن ذلك أنّه دخل إلى الأندلس وجميع من فيها من رجل وامرأة يرسل جُمتَّه مفروقاً وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين، فلمّا عاين ذوو التحصيل تحذيفه هو وولده ونساؤه لشعورهم، وتقصيرها دون جباههم، وتسويتها مع حواجبهم، وتدويرها إلى آذانهم، وإسدالها إلى أصداغهم هوت إليه أفئدتهم واستحسنوه"[2].

- النظام الغذائي والطبيخ: قبل تخصيص الحديث عما أضافه زرياب في هذه النقطة تجدر الإشارة إلى عالم مشرقي وافد قبل زرياب هو الإمام المحدث معاوية بن صالح الحضرمي الذي حمل معه إلى الأندلس نوعاً من الثمار وهو الرمان السفري، قال الخشني: "ثم لما صار معاوية بن صالح إلى الأمير عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام، وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالرمان السفري، فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام، ويتأسفون عليها، وكان فيهم رجل يسمى سفر، فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به، وغرسه حتى علق ونما وأثمر، فهو اليوم الرمان السفري، نسب إليه"[3] وقد انتقل إلى العدوة المغربية.

ومن العادات الغذائية والمؤثرات المشرقية التي أدخلها زرياب إلى المطبخ الأندلسي أصنافاً غير معهودة من الطبيخ والحلوى والثمار[4] حيث ساهم في تطور وتنوع المائدة الأندلسية.

- تعديل النظام الغذائي: أو ما يعرف "بالمائدة الزريابية" حيث وضع نظاماً غذائياً للقصر يتكون من الحساء أولاً، فالسمك أو الدجاج أو اللحم، فالفواكه والحلويات والمكسرات، وقد انتشرت هذه الوصفة[5] كثيراً.

- إدخاله لأصناف غير معهودة من الأكل من الثمار: مثل الإسفراج[1] حيث يعتبر زرياب أوّل من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الإسفراج، ولم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله[2].

---

[1]- محمد محمود عبد الحميد فايد، زرياب، المرجع السابق، ص133/ سمير شيخاني، المرجع السابق، ص146/ محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص24.

[2]- المقري، المصدر السابق، ص127.

[3]- الخشني، المصدر السابق، ص53/ الرواية في كتاب جغرافية وتاريخ الأندلس" فأخذ من ذلك الرُّمان وقضبه التي أتى بها رجل من أهل رية يسمى سفر؛ فغرس من القضب، فنبتت وأطعمت؛ فنسب إليه ذلك الرمان، فهو الرمان السفري الذي يوجد بالأندلس والعدوة". مجهول، المصدر السابق، ص224.

[4]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص24.

[5]- انتشرت هذه الوصفة في أوروبا والعبارة بالإنجليزية (From soup to nuts) من الحساء إلى المكسرات. محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص133.

وصنعة بقلة الهليون على حسب ما ورد في كتاب الطبيخ: "يؤخذ اللحم ويقطع على تقدير ثلاثة أصابع، ويغسل، ويجعل في قدر، ويلقى عليه مغرفة زيت ومغرفة ونصف مرى وكزبر يابس وحفنة حمص مبلول وبصلة مقطعة، ويرفع على النار، ويؤخذ الهليون فيقطع صغاراً، ويسلق ويلقى في القدر مع اللحم، فإذا نضج اللحم مع الهليون يؤخذ لباب الخبز وبيضتان وفلفل، ويخمر بذلك القدر، ويترك على الرضف ساعة"[3].

- الطبيخ: أدخل زرياب تعديلات على المطبخ الأندلسي، وكثيراً من الأصناف والخضروات[4]، وممّا اخترعه من الطبيخ اللون المسمى بالتفايا، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب، ويليه لون التقلية المنسوبة إلى زرياب[5].

والتفايا عدها صاحب كتاب الطبيخ من بسائط الأطعمة، وهي أنواع منها التفايا البيضاء، وتحضر من لحم الضأن الفتي السمين في قطع صغار، ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابسة ويسير من ماء بصلة مدقوقة ومغرفة من الزيت العذب وماء وتجعل على نار لينة وتحرك، ويجعل فيها بندق ولوز مقشر مقسوم، فإذا أردتها خضراء أضفت إليها ماء الكزبرة الرطبة، ومنها تفايا مبيضة، وأخرى مقلية، وأنواع منها مشرقية[6].

ويسميها صاحب مؤلف الطبيخ صنعة بقلية لزرياب، ويقول في وصفتها: "يؤخذ من لحم كبش فتي سمين، ويجعل في قدر بملح وبصلة وكزبرة يابسة وفلفل وكراويا، ومغرفتين من الزيت ومغرفة من المرى النقيع، ويرفع على نار معتدلة، ثم يؤخذ من الكرنب عيون الرخصة، وتنقى من ورقة وتقطع من الرؤوس منها صغاراً، ويغسل، فإذا همّ اللحم أن ينضج جعل عليه الكرنب، ثم يدق لحم أحمر من بضعة الرخصة، ويضرب في صفحة مع بيض

1- الإسفراج (Asparagus): هو النبات الشوكي المسمى الإسفراج، ومنه صنف لا شوك له، مشهور بالشام، وهو ينبت ويستنبت، له قضبان تميل إلى صفرة تمتد على وجه الأرض. ابن سينا، الرسالة الألواحية في العلاج بالأعشاب وَالنباتات الطبيّة، إعداد وتحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م، ص279.

2- المقري، المصدر السابق، ج3، ص127.

3- يذكر صاحب الطبيخ وصفتين لبقلة الهليون، وفي موضع آخر يقول: "يقطع اللحم تقطيعاً مدوراً، ويلقى في القدر مع بصلة كبيرة وماء وفلفل وملح وكزبر يابس وكراويا ومغرفتي مري ومثلهما زيت عذب، ويرفع على النار، فإذا نضج اللحم قطع الهليون بعد سلقه دقيقا، ويطرح على اللحم، ويمر ببياض البيض التي خمرت ببياضها"، كما يذكر وصفة هليون محشو، وصنعة هليون بلحم محشو. مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، نشر أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعاشر، مدريد1961-1962م، صص130-131، وص121.

4- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، صص132.

5- المقري، المصدر السابق، ج3، صص127-128.

6- نفسه، ج3، ص127.



ولباب خبز ولوز وفلفل وكزبرة وكراويا، ويخمر به القدر قليلا قليلا، ويترك على الرضف حتى يجف مرق، ويعلوا دسمه، ويقدم"[1].

- الحلويات: ابتكر زرياب قائمة طويلة من الحلويات الشرقية كالهندباء والكمأة، وقيل إليه تنسب "الزلابيا" تحريفاً لاسمه[2].

- **أساليب حضارية:** نقل زرياب إلى الأندلس الكثير من أساليب الحضارة التي عرفها المشرق، وكانت مجهولة من أهل الأندلس[3] من عادات وتقاليد اجتماعية وتدابير منزلية.

- تنظيف الملابس: من التدابير المنزلية التي أدخلها زرياب استخدام الملح لتنظيف الثياب من الدسم، فقد ورد في كتاب نفح الطيب: "فكانوا لا تسلم ثيابهم من وَضَر، فدلهم على تصعيدها بالملح، وتبييض لونها، فلمّا جربوه أحمدوه جِدًّا"[4].

- الطيب والعطور: أدخل زرياب أيضا أصنافاً غير معهودة من الطيب، فقد تعلموا عنه استخدام مادة "المرتك" كمزيل للعرق بدلاً من زهر الريحان[5]، يقول المقري: "وممّا سنّه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح الصنان من مغابنهم، ولا شيء يقوم مقامه، وكانت ملوك الأندلس تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد"[6]، كما أدخل العطور والحمامات العامة التي حملت اسمه[7].

- الأواني وسفرة المائدة: علم زرياب الأندلسيين الأكل على الموائد، وفن إعدادها وتزيينها وأدابها، واستعمال الآنية الزجاجية للشراب على الموائد بدلاً من الآنية المعدنية[8]، يقول

---

[1]- مجهول، كتاب الطبيخ، ص146.

[2]- محمد محمود عبد الحميد فايد، زرياب طائر غرد في الأندلس، صص132-133؛ في دراسة قائمة على عدة مصادر متنوعة اهتمت بذكر هذا النوع من الحلويات وفصلت في دراستها من حيث اسمها، وأصلها، وطرق صناعتها، لم تتم الإشارة إلى علاقة زرياب بالزلابية ولم يذكر اسمه أصلا عند إيراد هذا النوع من الحلويات. سهام الدبّابي الميساوي، مائدةُ إفريقية- دراسة في ألوان الطعام-، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، مطبعة المغرب للنشر، تونس، 2017م، صص137-146.

[3]- سمير شيخاني، المرجع السابق، ص146.

[4]- المقري، المصدر السابق، ص127/ محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص133.

[5]- محمد الأسعد قريعة، المرجع السابق، ص24/ محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص133.

[6]- المقري، المصدر السابق، ص127.

[7]- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص133.

[8]- نفسه، ص133.



المقري: "ومما أخذه عنه الناس بالأندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضّة"[1]، فازدهرت صناعة الزجاج[2] بالأندلس.

وكذلك قوله: "واختياره سُفر الأديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية إذ الوضر يزول عن الأديم بأقل مسحَة"، حيث آثر فرش أنطاع الأديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان[3].

ارتكزت دراسة هذا العنصر على زرياب كشخصية محورية فقد ساهم في نقل المؤثرات الثقافية من المشرق إلى الأندلس، ولذلك اعترف المؤرخون المغاربة بدوره الحضاري من أمثال المقري، وكثير من الباحثين المُحْدثين المشارقة ومنهم المؤرخ حسين مؤنس الذي قال عنه: "وساعد في نقله - يقصد المجتمع الأندلسي- من البداوة إلى الحضارة ومن الفوضى إلى التنظيم المتحضر"[4].

لقد بالغ حسين مؤنس في هذا القول لما وصف المجتمع الأندلسي بالجهل والفوضى، ولا نوافق ما ذهب إليه، فالأندلس أبدا لم تكن بعيدة عن الحضارة منذ بداية الحكم الأموي على أراضيها، يقول إبراهيم حركات: "المشرق لم يعط كل شيء للأندلس، فهذا القطر نجح في خلق ذاتيته فكرياً كما نجح في ذلك سياسياً واجتماعياً واقتصادياً"[5].

فانتقال الثقافة في المجتمعات لا تعني بالضرورة الانتقال دوما من الحضاري إلى ما دُونِه أي أقل منه حضارة؛ فالمجتمع الأندلسي لم يكن أقل تَحضُرا من المجتمع المشرقي، ولم يكن ينتظر وصول بوادر الثقافة والحضارة من الشرق حتى يتحضر.

وحتى وإن كانت تبدو تلك مناقضة لما نصبو إليه ولكنها كلمة تقال دفاعا عن الأندلس- على أننا لا ننكر أبدا فضل المشرق على المغرب، ولا ننكر فضل هؤلاء الوافدين من العلماء المشارقة في نقل العلوم والمعارف إلى المغرب والذين خصصنا لهم هذه الدراسة، وسعينا لإبراز دورهم في دفع الحركة الفكرية في بلاد المغرب، فإننا نؤكد أن الأندلس قد قطعت شوطا كبيرا في مظاهر الأبهة الحضارية، كما أن كل شيء وارد مع العلماء أو غيرهم من القادمين إلى الأندلس بداية من العهد الأموي كان مراقبا من طرف السلطة والمجتمع "إلى

1- المقري، المصدر السابق، ج3، ص128.

2- محمد محمود عبد الحميد فايد، المرجع السابق، ص133.

3- المقري، نفح الطيب، ج3، ص128.

4- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، صص333-334.

5- إبراهيم حركات، الثقافة وتبليغها بالأندلس في عصر الريادة، ص118.



درجة أن يحكم بسهولة في تنحية الأفكار والنظريات المناهضة للسنة والواردة من الخارج"[1]، فقد كانوا يسمحون فقط بانتشار العلوم والإضافات الثقافية المرغوب فيها.

كان غرضنا مما سبق في محاور هذا الفصل، أن نتدارس من منظور تاريخي مسألة إسهام العلماء المشارقة في تنشيط الحركة الفكرية في بلاد المغارب من خلال نقاط معينة، وتِبيان مدى التأثير الثقافي والفكري الذي تركه الوافدون في ذهنية المغاربة وواقعهم الملموس، وكذا التفاعل الحضاري الذي حصل بوجود المشارقة في بلاد المغارب، وهذا حق لا ينكره إلا جاحد.

[1]- إبراهيم حركات، الثقافة وتبليغها بالأندلس في مرحلة الريادة، ص118.

الخاتمـــة

سعينا في هذا البحث المقدم إلى لفت النظر لدراسة الجانب الثاني من التواصل العلمي (المشرقي- المغربي)، وإثارة دراسة تنطلق من علماء مشارقة تجتمع فيهم صفة التَمَغْرُب، بغية استكمال صورة العلاقات الثقافية بين جناحي العالم الإسلامي المغربي والمشرقي في العصور الوسطى، واستطعنا إحصاء عدد من العلماء المشارقة القادمين إلى بلاد المغارب في شتى ميادين الحياة الثقافية، وقد تعرفنا من خلال هذا الرصد على ما قام به المشارقة من دور في دفع عجلة الحركة الفكرية المغربية فتمكّنوا بذلك من تخليد أسمائهم في مصنفات المغاربة الذين اعترفوا بفضلهم، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها نذكر ما يلي:

- إن إنصاف موضوع العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الإسلامي تاريخيا لن يكون إلا بتدارس الطرف المشرقي الوافد على بلاد المغارب، والاهتمام بالبحث في نشاطات علماء المشارقة في الغرب الإسلامي، فقد مثل المشارقة الوافدون حلقة وصل في تاريخ الحضارة الإسلامية ولهم حق الذكر والإنصاف في التاريخ لتحملهم عناء الرحلة من المشرق إلى المغرب، وقد وجدنا أنفسنا في مهمة الدفاع عن هؤلاء بتبيان دورهم ومحاولة إنصافهم أمام تلك الدراسات المتعددة الجوانب التي تهتم بالرحلة المغربية إلى المشرق وتبيان أثرها على بلاد المغرب والمشرق الذي لا ينكر.

- المشارقة أسبق للتواصل مع بلاد المغارب من المغاربة إلى بلاد المشرق تاريخيا.

- لم يتوقف تدفق المشارقة وبخاصة منهم العلماء على بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى القرن التاسع الهجري/ 15م وكانت الدراسة أنموذجا ومثالا حيا على ذلك.

- العلماء المشارقة القادمون لبلاد المغارب ينتمون إلى مناطق جغرافية مشرقية مختلفة، وتوافدوا على فترات زمنية متفاوتة، ولأسباب متعددة، وعبر طرق مختلفة، وإلى مناطق مغاربية جغرافية عدة؛ وهم مختلفو التكوين العلمي والميول الثقافي، ومتعددو الانتماء الديني والمذهبي، ومتنوعو الاختصاصات العلمية والمهنية في الحياة.

- هؤلاء الوافدون منهم المشاهير ومنهم دون ذلك؛ ولذلك تباين الأثر الفكري المشرقي بين هؤلاء على حسب التخصص؛ فقد حصل التجديد في بعض الميادين العلمية مع القادمين على غرار الموسيقى والفن، كما أن تحقيق بعض المشارقة للشهرة كان على أرض المغارب وبالوفادة، مما أكسب أعمالهم الأدبية والفنية شهرة عالمية بخاصة منهم الأدباء والشعراء والمغنين.

- تفضيل كثير من العلماء المشارقة وجهة بلاد الأندلس على المغرب، لذلك كانت الصورة واضحة بالأندلس وسَهُل تتبع نشاطهم العلمي بها، وقد كان تفضيل الأندلس نتيجة لاستقرارها السياسي، فالأندلس دولة واحدة خاصة في عهدي الإمارة والخلافة، أما العدوة المغربية علاوة على كثرة الثورات داخل الدولة الواحدة، فقد كان التناحر بين دول المنطقة يهدد الاستقرار، إضافة إلى أن حكام الأندلس في العهد الأموي مشارقة طبعوا على الحكم مظاهر أبهة الخلافة من تقريب العلماء والشعراء، في حين كان المغرب دول مذاهب ترتكز على الجانب الديني أكثر في مجالسها، كما أن أكثر الوافدين للمغرب والأندلس معا يعود للفترة الأغلبية أو فترة المرابطين والموحدين، باعتبار الفترة الأغلبية تابعة للمشرق، بينما في عهد المرابطين والموحدين كانت الوفادة على مركز الخلافة بالعدوة.

- تعريف المشارقة ببلاد المغارب في المشرق والاحتفاظ بتاريخها في مؤلفاتهم.

- ساهم العلماء المشارقة لتوفر الظروف والمكانة التي مُنحت لهم في إثراء الحضارة المغربية خاصة والإسلامية عامة، كما حصل مع هؤلاء الوافدين التجديد في عدة مجالات، فكانت العلوم والفنون التي تصل من المشرق مع علماء المشارقة الوافدين بمثابة الدفع القوي للحركة الفكرية في بلاد الغرب الإسلامي، ففي بلاطات بلاد المغرب والأندلس انصهرت بوتقة الحضارة الإسلامية.

- المشارقة بوفادتهم على بلاد المغارب ومساهمتهم في الحياة العلمية المغاربية يعدون مغاربة بالوفادة، فديار الإسلام لم تكن تعرف الوطنية، وأما دورهم الحضاري فقد كان أيضا من أجل إثبات الذات والتواجد والتفوق والمحافظة على المناصب.

- مجيء المشارقة إلى بلاد المغارب أدى بكثير من طلبة العلم المغاربة إلى العزوف عن الرحلة العلمية إلى بلاد المشرق.

- قيام ترابط وعلائق وطيدة بين علماء هذين القطرين المشرقي والمغربي خلال حقبة طويلة من التاريخ، فلقد اتخذ المشارقة من بلاد المغرب مستقرا لهم، وكان أولئك العلماء خير مثال للتعاون والتبادل العلمي بين المغرب والمشرق الإسلاميين عصرئذ.

- إن التوافد العلمي المشرقي إلى بلاد المغرب شد انتباه المؤرخين والأدباء المغاربة فألفوا في القادمين والطارئين عليهم.

- احتكاك الوافد بالمحلي المغربي، فلم يكن التأثير من طرف واحد بل لقد تأثر المشارقة بالمغاربة أيضا، وأصبح المشرقيون يأخذون من الأندلسيين بقدر ما كان الأندلسيون يأخذون

منهم من العلوم والتـأثيرات الثقافيـة والفكريـة والفنيـة المتنوعـة فـي بـلاد المغـارب، ونقلـوا تلـك الـتأثيرات إلى المشرق، وإلى أوطانهم خاصة منهم العائدين أصحاب الرحلة المغربية.

وعموما فإن رحلات العلماء المشارقة إلى بلاد المغارب قليلة مقارنـة بـالوجود المغربـي في بلاد المشرق.

إن المحـاور الكبـرى التـي حاولنـا المـرور عليهـا لتأكيـد الوجـود العلمـي المشـرقي بـبلاد المغارب، وانعكاس ذلك التواجد على الحركة الفكرية المغاربية في العصور الوسطى كان بغية إثبـات المكانـة العلميـة لـبلاد المغـارب فـي تـاريخ العصـور الوسـطى كأحد الأقطـاب الكبـرى للحضارة الإسلامية مما جعل كبار علماء المشارقة يشدون الرحال نحوها، وتحقيق لدراسة تدخل في ميدان العلاقات الثقافية والتواصل الفكري بين قطري العالم الإسلامي شرقا وغربا.

إذن، يندرج هذا البحث ضمن المواضيع التاريخية ولكن يعبر عن ظاهرة حضارية عكسية استمرت لقرون، فقد بقي التواصل والتوافد العلمي المشرقي إلى بلاد المغارب قائما ممتدا من الفتح وإلى نهاية تاريخ العصور الوسطى.

ويجدر التأكيد في نهاية هذه الدراسة البحثية على أنه مهما بذلنا من جهد للإلمام بجوانب الموضوع، فإن هذا الموضوع يبقى في اعتقادنا بحاجة إلـى المزيد من البحث المعمق لتدقيق ما تمت إثارته من مسائل وإثرائها، والكشف عن جوانب أخرى لعلماء مشارقة؛ فهو موضوع متشعب الاتجاهات متعدد الفروع، وصعب في سعته وقلـة الدراسـات الحديثـة فيـه لـذلك يتطلـب جهـودا صـادقة لعـدد مـن البـاحثين المتخصصـين فـي تـاريخ العلاقـات الثقافيـة بـين المشـرق والمغرب في العصور الوسطى حيث تكون الموضوعية الفاصل بينهما.

الملاحق

قائمة الملاحق:

*** ملحق رقم1: جداول للعلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب (المترجم لهم في الدراسة)**

1- جدول العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغرب

2- جدول العلماء المشارقة الوافدين على بلاد الأندلس

3- جدول العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب (المغرب والأندلس وصقلية)

*** ملحق رقم2: رسائل**

1- رسالة من العلماء المشارقة الوافدين إلى العلماء المغاربة: رسالة في حفظ الصحة من الطبيب المشرقي الوافد إسحاق بن عمران المعروف بسمّ ساعة إلى رجل من إخوانه المغاربة بعنوان: **"كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض إخوانه".**

2- رسالة من عالم مشرقي وافد إلى كاتب ووزير مغربي وجوابها:

- مقتطف من نص رسالة أبي الفضل الدارمي إلى أبي المطرف بن المثنى عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون الأندلسي.

- مقتطف من جواب أبي المطرف بن المثنى إلى أبي الفضل الدارمي البغدادي.

3- رسائل توصية من المغاربة إلى زملائهم المغاربة في شأن العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب.

أ- الرسالة الأولى: من أبي عبد الله بن الجنان إلى أبي المطرف بن عميرة في شأن العالم المشرقي نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني.

ب - الرسالة الثانية: من ابن عميرة أبي المطرف إلى أبي إسحاق المكادي في شأن العناية بالعالم المشرقي الوافد نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني.

ج - الرسالة الثالثة: من ابن عميرة أبي المطرف إلى أبي الحسن العشبي في شأن العناية بالعالم المشرقي الوافد نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني.

ملحق رقم1: جداول العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب على حسب المعطيات في الدراسة مرتب حسب تواريخ الوفادة

- جدول رقم1 : العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغرب

العدد	اسم الوافد /تاريخ الوفاة	موطنه	تاريخ الوفادة(السنة أو القرن)	الحواضر والمدن المغربية التي زارها	الدين/ المذهب	العلوم/ المهنة	المصير
1	سلمة بن سعيد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد جشم بن الخزرج(ق2هـ/8م).	البصرة	ق2هـ/8م	القيروان	إباضي	داعية/ علم الإباضية	مجهول
2	إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت177هـ/793م)	مكة	بعد سنة 169 هـ/785م	القيروان/ تلمسان/ طنجة، وليلي	زيدي	مؤسس دولة/ مشارك في أنواع من العلوم	استوطن
3	راشد مولى إدريس (ت 188هـ/803م)	مكة	بعد سنة 169 هـ/785م	القيروان/ تلمسان/ طنجة، وليلي	زيدي	حكم مرحلة انتقالية/ مشارك في أنواع من العلوم	استوطن
4	سليمان بن جرير: الشماخ (ق2هـ/8-9م)	بغداد	وفد قبل 177هـ/793م	وليلي		مشارك في أنواع من العلوم	عاد للمشرق
5	شعيب بن المعروف (ق2هـ/8-9م)	مصر	بعد سنة 168 هـ/784م	تاهرت	إباضي	علم الإباضية	مجهول
6	بشر بن غانم (ق2هـ/8-9م)	خراسان	بين سنتي 171هـ/787م و190هـ /805م	جبل نفوسة/ تاهرت	إباضي	علم الإباضية/ مُؤلِف	عاد للمشرق
7	مجهول (ق2هـ/8-9م)	البصرة	بين سنتي 171هـ/787م و190هـ /805م	جبل نفوسة/ تاهرت	إباضي	علم الإباضية	مجهول
8	يحيى بن ماسويه ت857/243م	جنديسابور (خوزستان)	حدود سنة 772/155م	القيروان	مسيحي/ سرياني	طبيب/ مترجم للكتب الطبية اليونانية	مجهول
9	أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت261هـ/874م)	الكوفة	بين سنتي 218هـ/ 833م-247هـ /861م	طرابلس الغرب	سني	علم الحديث/ مُؤلِف	استوطن المغرب

10	الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا:أبو عبد الله الداعي الشيعي (ت298هـ/910م).	صنعاء (اليمن)	النصف الثاني من القرن 3هـ/9-10م.	قلعة إيكجان(ميلة/بلد كتامة)/ القيروان/ رقادة/ سجلماسة. (كامل المغرب)	شيعي إسماعيلي	داعية ومعلم ومؤسس دولة/ علم الباطن والظاهر للإمامية	استوطن المغرب
11	إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (توفي حوالي 320هـ/932م).	مصر	ق3هـ/10م	القيروان	يهودي قيل أسلم	الكحالة/ الطب/ الفلسفة/ مُؤلِف	استوطن المغرب
12	عبيد الله المهدي: عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت 322هـ/933م).	سلمية بالشام.	296هـ/908م	سجلماسة/ رقادة/ القيروان/ المهدية. (كامل المغرب)	شيعي إسماعيلي	رجل دولة/ علم الإمامية	استوطن المغرب
13	القائم بأمر الله الفاطمي: محمد بن المهدي عبيد الله أبو القاسم يدعى نزار (ت334هـ/945م).	سلمية بالشام	296هـ/908م	سجلماسة/ رقادة/ القيروان، المهدية.	الشيعة الإسماعيلية	رجل دولة/ علم الإمامية.	استوطن المغرب
14	محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الإصبهاني (ت381هـ/991م)	أصبهان	ق4هـ/10م	بلاد المغرب	سني	علم الحديث/ مُؤلِف	مجهول
15	ابن الجمع= ابن الجمعي (ق4هـ/10-11م)	المشرق	ق4هـ/10-11م.	توزر/ بلاد الجريد/ المغرب الأوسط/ سجلماسة.	إباضي	عالم إباضي	استوطن المغرب
16	أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت584هـ/1188م)	قلعة شيزر من أعمال دمشق	بين سنتي 581هـ/1185م و595هـ/1198م	مراكش	سني	رسول/ عالم مشارك وأديب شاعر/ مُؤلِف	عاد للمشرق
17	عبد الكريم (ق6هـ/12م)	المشرق	بين سنتي 581-595هـ/1185-1198م	مراكش	سني	رسول/ عالم مشارك	عاد للمشرق
18	عبد الرحمن بن يحي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي(ق6هـ/12م)	المشرق	ق6هـ/12م	بجاية	سني	عالم مشارك	مجهول



19	محمود بن أبي القاسم الفارسي (13/7م)	خراسان	بين 1119/596م و610هـ/1213م	تونس	شافعي	فقيه/ علم الكلام والمناظرة/ أديب شاعر.	عاد للمشرق
20	أبو زكريا المرجاني (ق7هـ/13م)	الموصل	ق7هـ/13م	بجاية		سائح/ الوعظ	عاد للمشرق
21	أبو العباس الجدلي الشريف (ق7هـ/13م)	أصبهان	ق7هـ/13م	إفريقية/ بجاية/ سبتة/ درعة.		علم الجدل/ أصول الدين/ مؤلف.	مات بالمغرب
22	تقي الدين	الموصل	ق7هـ/13م.	بجاية/ المغرب الأقصى.		رحالة/ مناظر.	مجهول
23	محمد بن أبي القاسم بن عبد الله شريف ينسب للحسين بن علي رضي الله عنهما.	الكوفة	مجهول	فاس		عالم مشارك	استوطن المغرب

- جدول رقم: العلماء المشارقة الوافدين على الأندلس

العدد	اسم الوافد /تاريخ الوفاة	موطنه	تاريخ الوفادة(السنة أو القرن)	الحواضر والمدن المغربية التي زارها	الدين/ المذهب	العلوم/ المهنة	المصير
1	معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي (ت 168هـ/748م)	حمص الشام	رحلتين: الأولى: 123هـ/740م/ الثانية: في عهد الداخل.	مالقة/ إشبيلية/ قرطبة		علم الحديث	استوطن الأندلس.
2	زيد بن الحباب (ق2هـ/8م)	الكوفة	قبل سنة 168هـ/748م	الأندلس		علم الحديث	مجهول
3	أبو الأشعث الكلبي (ق2هـ/8م)	المشرق	ق2هـ/8م	الأندلس		علم الحديث	مجهول
4	عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي ق8/2م	الشام	ق2هـ/8م	قرطبة		شاعر/ رجل دولة.	مات بالأندلس
5	العجفاء (ق2هـ/8م)	المشرق	بين سنتي 755/138م و172هـ /788م.	قرطبة		الموسيقى والغناء /شاعرة	ماتت بالأندلس
6	جزي بن عبد العزيز (ق2هـ/8م)	الشام	بين سنتي 755/138م و172هـ /788م.	قرطبة		عالم مشارك	مجهول
7	علون (ق2هـ/8 أو 9م)	المشرق	بين سنتي 796/180م و206هـ /821م.	قرطبة		الغناء	مجهول



8	زرقون (ق2هـ/8 أو 9م)	المشرق	بين سنتي 180/796م و206هـ /821م.	قرطبة		الغناء	مجهول
9	عابدة المدنية (بين القرنين2 و3هـ/9م)	المدينة المنورة	بين القرنين 2 و3 هـ/ 9م)	الأندلس		علم الحديث	ماتت بالأندلس
10	رزيق بن حكيم (ق2هـ/8م)	المشرق	(ق2هـ/8م)	الأندلس		عالم مشارك	مات بالأندلس
11	إبراهيم بن سليمان	الشام	بين سنتي 200هـ/815م و273هـ /886م.	قرطبة		شاعر	استوطن الأندلس
12	فضل المدينة (ق3هـ/9م)	بغداد	بين سنتي 206هـ/821م و238هـ /852م.	قرطبة		الغناء	ماتت بالأندلس
13	علم المدينة (ق3هـ/9م)	المدينة المنورة	بين سنتي 206هـ/821م و 238هـ /852م.	قرطبة		الغناء	ماتت بالأندلس
14	قلم (ق3هـ/9م)	المدينة المنورة	بين سنتي 206هـ/821م و238هـ /852م.	قرطبة		الغناء	ماتت بالأندلس
15	أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن إبراهيم بن مالك بن الحرث الأشتر النخعي (ق3هـ/9م)	الكوفة	في الفترة ما بين 238هـ/852م و273هـ/886م	قرطبة/ رية		علم الحديث	مجهول
16	قمر (ق3هـ/9م)	بغداد	قبل 288هـ/900م	إشبيلية/ قرمونة		الغناء والموسيقى/ الشعر/مشاركة في الأدب.	ماتت بالأندلس
17	عباس بن نصارى (ق3هـ/9م)	المشرق	ق3هـ/9م	الأندلس		الغناء والموسيقى	مجهول
18	منصور (ق3هـ/9م)	المشرق	بين سنتي 200هـ/815م و238هـ /852م	قرطبة	يهودي	الغناء	مجهول
19	محمد بن عبد الله (ق3هـ/9م)	خراسان	ق3هـ/9م	الأندلس		علم الحديث	مجهول
20	محمد بن أحمد الهمداني (ق3هـ/9م)	خراسان	ق3هـ/9م	الأندلس		عالم مشارك	مجهول
21	علي بن بندار بن إسماعيل بن موسى بن يحي بن خالد بن برمك البرمكي (ق4هـ/10م)	بغداد	337هـ/919م	الأندلس		تاجر / الفقه /علوم القرآن	عاد للمشرق



22	أحمد بن الفضل بن العباس البهراني الخفاف (ت349هـ/960م)	الدينور	341هـ /952م	قرطبة		علم الحديث	مات بقرطبة
23	أحمد واسمه يزيد بن أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري (ق4هـ/10م).	مصر	343هـ/954م	قرطبة	سني	الفقه	مجهول
24	ظفر (ق4هـ/10م).	بغداد	ما بين سنتي 350هـ/961م و366هـ/976م	قرطبة		الوراقة	استوطن قرطبة
25	إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي (ق4هـ/10م).	مصر	بعد سنة 350هـ/961م	قرطبة/ إشبيلية	سني	علم الحديث	استوطن اشبيلية
26	محمد بن العباس بن يحي بن العباس بن عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن سعيد بن عبد الله (ت376هـ/986م)	حلب	بعد سنة 350هـ/961م	قرطبة	سني	علم الحديث/ الأدب	استوطن بقرطبة
27	عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي(295-360هـ/907970)	بغداد	347هـ/985م	قرطبة	شافعي	الفقه /مشارك في الحديث والقراءات/ مُؤلِف	استوطن قرطبة
28	عبيد الله بن عمر بن أحمد(ت360هـ/970م)	بغداد	ق4هـ/10م	قرطبة			استوطن قرطبة
29	عبد الملك بن محمد بن عبد الملك السليماني (ق4هـ/10م)	بيت المقدس	قدم نحو970/360	قرطبة	سني	علم الحديث/ مشارك في الأدب	مجهول
30	هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن علي بن الحسين بن أبي طالب (ق10/4م)	المشرق	بين 350هـ/965م و366هـ/976م.	لبلة		عالم مشارك	استوطن لبلة
31	علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر (ت377هـ/987م)	أنطاكية	(ق4هـ/10م)	قرطبة	سني	علم القراءات/ مشارك في الفقه والعربية والحساب.	مات بقرطبة
32	أحمد بن محمد بن صالح بن النضر (ق4هـ/10م)	أنطاكية	372هـ/982م	الأندلس	سني	سائح / التصوف ومشارك في علم الحديث	مجهول



33	طاهر بن محمد المعروف بالمهند (4هـ/10م)	بغداد	بين سنتي 368هـ/978 و 392هـ/1001م.	قرطبة	سني	أديب / شاعر	استوطن قرطبة
34	الشيخ عبد القاهر بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ق5هـ/11م)	الموصل	قبل 414هـ/1023م	المرية		رسول/ علم الحديث ومشارك في علوم أخرى.	مجهول
35	عبيد بن سعد بن مهران	دمشق	416هـ/1025م	إشبيلية	سني	تاجر/ مشارك في علم الحديث.	عاد للمشرق
36	علي بن رزيق	بغداد	بعد سنة 420 هـ /1029م.	قرطبة		شاعر	مات بالأندلس
37	أيوب بن نصر بن علي بن المبارك الشامي المقدسي	بيت المقدس	قدم سنة 4032/424م	الأندلس	شافعي	تاجر/ علم الحديث	عاد للمشرق
38	عبد الله بن محمد بن آدم النصف الأول من (النصف الأول من القرن11/5م)	خراسان	ق5هـ/11م	الأندلس		علم القرءات	استوطن الأندلس
39	ثابت بن محمد الجرجاني العدوي (ت431هـ/1039م)	جرجان	ق5هـ/11م	دانية /غرناطة وجال في الاندلس		علم بالعربية/ الأدب والشعر/ المنطق	قتل في غرناطة
40	محمد بن عبد الله بن طالب (5هـ/11م)	البصرة	420هـ/1029م	الأندلس	ظاهري	تاجر / مشارك في العلم.	عاد للمشرق
41	تمام بن الحارث بن أسد بن عفير	البصرة	420هـ/1029م	إشبيلية	حنفي	تاجر/ مشارك في علم الحديث	عاد للمشرق
42	محمد بن الفضل بين عبيد الله بن قثم القرشي (5هـ/11م)	بغداد	422هـ/1030 م	الأندلس	حنفي	تاجر/ العربية على مذهب الكوفيين.	عاد للمشرق
43	محمد بن سليمان بن محمود (ق5هـ/11م)	حران	423هـ/1031م	الأندلس	ظاهري	تاجر/ مشارك في علم الحديث والقراءات/ شاعر/ مصنف.	عاد للمشرق
44	محمد بن زيد بن علي بن الحسين العلوي (ق5هـ/11م).	المشرق	428هـ/1036م	الأندلس	شافعي	الفقه والحديث/ أديب وشاعر/ حافظ للأخبار/ علم التعبير.	مجهول



45	محمد بن عبد الملك بن سليمان بن أبي الجعد (ق5هـ/11م).	تستر	قدم سنة 443 هـ/1051م.	الأندلس	حنبلي	تاجر/ علم الحديث وعلوم القرآن.	عاد للمشرق
46	محمد بن سعيد بن عثمان بن الوليد بن عمارة الكلابي المدني (ق5هـ/11م).	المدينة المنورة	تواجد سنة 432هـ/1040م	إشبيلية	شافعي	علم الحديث/ حافظ للأخبار	مجهول
47	محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الزبيري (كان لا حي سنة434هـ/1042م).	مكة	الأندلس	الأندلس		علم الحديث	مجهول
48	محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الوارث الرازي الخراساني (ت450هـ/ 1058م)	خراسان	ق5هـ/11م	الأندلس	السنة	علم الحديث	مات بالأندلس غريقا
49	محمد بن طاهر العسكري (قبل القرن 5هـ/10-11)	بغداد	ق5هـ/11م	الأندلس		أديب	مجهول
50	الحسين بن الحسن بن أحمد بن الفتح (5هـ/11م)	دمياط	قدم473هـ/1080م	طليطلة/ بطليوس		علم الحديث/ الوعظ.	مجهول
51	المبارك بن سعيد بن محمد بن الحسن الأسدي (ت 490هـ/1096م)	بغداد	483هـ/ 1090م	قرطبة / المرية		تاجر/ علم الحديث والتاريخ	عاد للمشرق
52	محمد بن محمد الزعيمي(5هـ/11م)	بغداد	5هـ/11م	الأندلس		الأدب والشعر	مجهول
53	إبراهيم بن بكر (5هـ/11م)	الموصل	5هـ/11م	إشبيلية		علم الحديث	مجهول
54	عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلاء (أواخر ق5هـ وأوائل ق6هـ/ 10-11م)	نيسابور	ق6هـ/10م	سرقسطة		علم الحديث	مجهول
55	علي بن أحمد بن علي الربعي (ت531هـ/1136م)	بيت المقدس	ق6هـ/12م	المرية	شافعي	تاجر/ مشارك في علم الحديث	استوطن المرية
56	الفكيك أبو الحسن	العراق	تواجد قبل سنة	الأندلس		الأدب	مجهول



	(ق6هـ/12م)		542هـ/1147م				
57	عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن ميمون القيسي (ق6هـ/12م)	المشرق	ق6هـ/12م	الأندلس		علم الحديث	مجهول
58	محمد بن إبراهيم(ق6هـ/12م)	بغداد	ق6هـ/12م	الأندلس	شافعي	مشارك في العلم	مجهول
59	اسماعيل ابن الإسكندراني(ق6هـ/12م)	الإسكندرية	ق6هـ/12م	مرسية	شافعي	تاجر/مشارك في علم علم الحديث /وشاعر	عاد للمشرق
60	أبو البساتين الصوفي	المشرق	ق6هـ/12م	الأندلس		الوعظ / الشعر	مجهول
61	عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد (ق7هـ/13م)	خراسان	كان لا يزال بالأندلس 600هـ/1203م	غرناطة/ مرسية/ مالقة		الوعظ	مجهول
62	محمد بن يحي بن إبراهيم الخزرجي (ت610هـ/1213م)	مصر	ق7هـ/13م	إشبيلية		علم الحديث	مجهول
63	محمد بن أبي الحسن الفارسي المروزي (ق7هـ/13م)	مروز- بلاد فارس	613هـ/1216م	قرطبة		علم الحديث/ وعلم القرآن	مجهول
64	عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي الصوفي (كان حيا 615هـ/1218م).	بغداد	613هـ/1216م	غرناطة/ إشبيلية		علم الحديث	مات بإشبيلية.
65	علي بن محمد بن أبي عشرة (ق7هـ/13م)	فارس	تواجد617هـ /1220م	بلنسية/ إشبيلية		فقيه/ تولى القضاء	استوطن الأندلس
66	عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب ق7هـ/13م	مصر	وفد مرسية قبل1244/642م.	مرسية		رسول/ مشارك في العلم	عاد للمشرق
67	أشهب بن العضد (ق7هـ/13م)	خراسان	ق7هـ/13م	إشبيلية		علم الحديث	مجهول
68	عبد الخالق بن ابراهيم الطيب(ق7هـ/13م)	المشرق	ق7هـ/13م	الأندلس		أديب وشاعر	مجهول
69	محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن محارب القيسي (ق7هـ/13م).	الإسكندرية	ق7هـ/13م	الأندلس		علم الحديث	مجهول



70	عبد الله بن المعمر (ق7هـ/13م)	المشرق	ق7هـ/13م	الأندلس		مشارك في العلم	مجهول
71	زرعة بن روح	الشام	مجهول التاريخ	الأندلس		مشارك في العلم	مجهول

- جدول رقم 3: العلماء المشارقة الوافدين بلاد المغارب (المغرب والأندلس وصقلية)

العدد	اسم الوافد /تاريخ الوفاة	موطنه	تاريخ الوفادة(السنة أو القرن)	الحواضر والمدن المغربية التي زارها(مرتبة حسب المعطيات)	المذهب	العلوم / المهنة	المصير
1	عبد الرحمن بن معاوية الداخل(ت733/172م)	الشام	138	برقة/ القيروان/ مغيلة قرطبة/ ماردة وكامل الأندلس		مشارك في الأدب والشعر والترسل	استوطن قرطبة
2	وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي (ت273هـ/886م)	فارس	ق3هـ/9م	تاهرت الأندلس		تاجر/ مشارك في العلوم/ مُؤلِف	عاد للمشرق
3	علي بن نافع – زرياب ت238هـ/852م	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء والموسيقى	استوطن قرطبة
4	عبيد الله بن زرياب (ق2هـ/9م)	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء	استوطن قرطبة
5	عبد الرحمن بن زرياب(ق2هـ/9م)	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء	استوطن قرطبة
6	جعفر بن زرياب(ق2هـ/9م)	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء	استوطن قرطبة
7	يحيى بن زرياب(ق2هـ/9م)	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء	استوطن قرطبة
8	حمدونة بنت زرياب(ق2هـ/9م)	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء	استوطن قرطبة
9	علية بنت زرياب(ق2هـ/9م)	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء	استوطن قرطبة



10	متعة / جارية (ق2هـ/9م)	بغداد	حوالي 206هـ/821م	القيروان قرطبة		الغناء	استوطن قرطبة
11	إسحاق بن عمران (توفي حدود251هـ/865م)	بغداد	بين 290هـ/902م و296 هـ /908م	القيروان الأندلس		طبيب وفيلسوف/ مُؤلِف	استوطن القيروان
12	محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط (ت273هـ/886م)	مرو	وفد عدة مرات أول وفادة على الأندلس250هـ/864م القيروان.	إفريقية قرطبة/ البيرة.		تاجر/ مشارك في العلوم/ وسفير أمرء الأندلس	مات بالبيرة في طريق العودة.
13	أحمد بن يعقوب بن وهب بن واضح (كان حي 292هـ/904م)	بغداد	بين260هـ/873م و277هـ/910م	المغرب الأندلس	شيعي	رحالة / جغرافي/ مُؤلِف	عاد للمشرق
14	إبراهيم بن أحمد الشيباني (ت298هـ/910م)	بغداد	قبل سنة 273هـ/886م	القيروان قرطبة		كاتب الأغالبة ومتولي بيت الحكمة بالقيروان/ وأديب وشاعر/ مُؤلِف	استوطن بالقيروان
15	الوليد بن محمد بن يوسف بن عبيد الله بن عبد العزيز بن عمرو بن عثمان بن محمد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط القرشي (ت323هـ/934م)	المشرق	وفد مرتين: أول وفادة 282هـ/900م ثم عاد للمشرق ثاني وفادة:304 هـ/916م (مرتب حسب الرحلة الأولى)	برقة قرطبة		مشارك في العلوم.	مات بقرطبة.
16	القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان(ت356هـ/966م).	منازجرد	330هـ/941م	القيروان قرطبة		علم اللغة والأدب شاعر/ مُؤلِف	استوطن الأندلس



17	محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس ابن محمد بن يزيد وهو الحصني الشاعر ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص (ت385هـ/ 1092م)	مصر	بعد343هـ/945م وصل الأندلس960/349م	القيروان/ المهدية قرطبة		مشارك في علم الحديث.	استوطن بقرطبة
18	أحمد بن محمد بن هارون البغدادي أو محمد بن أحمد بن هارون (ق4هـ/10م)	بغداد	ق4هـ/10م	المهدية الأندلس.	شيعي	كاتب العبيديين/ وزير العبيديين/ مشارك في الأدب	عاد للمشرق
19	محمد بن أبي أحمد بن أبي بردة (ت373هـ/983م)	بغداد	وفد 361هـ/961م على الأندلس 983/373 على تاهرت	تاهرت قرطبة	شافعي/ معتزلي	علم الحديث	طرد من الأندلس 373هـ/986م ومات بتاهرت.
20	صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي(ت410هـ/1019م)	الموصل	حدود سنة 380هـ/990م	قرطبة /دانية صقلية		عالم باللغة والأدب/ رواية الأخبار/ الشعر/ الموسيقى/ مُؤلِف	استوطن قرطبة ومات بصقلية
21	محمد بن علي النصيبي البغدادي (ت431هـ/1039م)	بغداد	في المغرب بالمهدية بالضبط336هـ/947م في الأندلس وجد337هـ/948م في المغرب بسجلماسة337هـ/948م في صقلية 362هـ/972م	بلاد المغرب عامة الأندلس	شيعي	رحالة وجغرافي ومؤرخ/ مُؤلِف	عاد للمشرق
22	مجهول (5هـ/11م)	البصرة	بعد406هـ/1015م عصر المعز بن باديس 407هـ/1016م	القيروان الأندلس.		الغناء	مات بالأندلس
23	عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن إسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي (ت471هـ/1078م)	بخارى	ق5هـ/11م.	إفريقية		علم الحديث/ مُؤلِف	عاد للمشرق



24	هاشم بن عطاء بن أبي يزيد بن هاشم (5هـ/11م)	أطرابلس الشام	كان بالأندلس سنة 432هـ/1040م.	الأندلس القيروان	مالكي	تاجر/ مشارك في العلوم.	عاد للمشرق
25	محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان التميمي (ت455هـ/1063م).	بغداد	تواجد بالقيروان: 439هـ/1047م. استقر بطليطلة: 454هـ/1062م	القيروان/ سوسة طليطلة		رسول/ أديب وشاعر.	استوطن سوسة 10سنوات. استوطن طليطلة.
26	الفرج بن إبراهيم البغدادي الكاتب (5هـ/11م)	بغداد	قبل 475هـ/1082م في الأندلس	المغرب عامة. سرقسطة		كاتب /أديب وشاعر/ مُؤلِف	مجهول
27	موسى بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت486هـ/1093م)	الكوفة	ق5هـ/11م	صقلية الأندلس بجاية		أصول الدين الأدب/ شاعر	قتل ببلد بني حماد (بجاية)
28	بشارة الزامر	المشرق	ق5هـ/11م	المغرب الأندلس		الغناء	مجهول
29	محمد بن عيسى بن حسين التميمي البستي (ت503 أو504أو505هـ/1109 أو 1110أو 1111م)	خراسان	ق6هـ/12م	المرية سبتة/ مليلة		قاضي بالمغرب/ مشارك في العلوم	استوطن المغرب.
30	سهل بن علي بن عثمان (ت 531هـ/1136م)	نيسابور	ق6هـ/12م	سبتة المرية	شافعي	تاجر/ عالم مشارك في الحديث/ الفقه	استوطن سبتة طويلا توفي غريقا بالمرية وهو عائد إلى المشرق.
31	نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس(ت567هـ/1171م)	الإسكندرية	563هـ/1167م	صقلية		شاعر وأديب/ مُؤلِف	عاد للمشرق
32	هبة الله بن الحسين المصري (ت586هـ/1190م)	مصر	ق6هـ/12م	الأندلس تونس	شيعي	تولى القضاء بتونس/علم الحديث/	استوطن تونس



						علم الأصول	
33	أبو الوفاء المصري (ق6هـ/12م)	مصر	ق6هـ/12م	الأندلس تونس	شيعي	القضاء بالمغرب	استوطن المغرب
34	الأمير شعبان كوجبا	الموصل	ق6هـ/12م	مراكش بسطة		الإمارة/ شاعر	استوطن المغرب
35	يحي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ (ت608هـ/1211م)	دمشق	ق7هـ/13م	بلاد المغرب غرناطة		علم الخلافيات/ الحديث/ الوعظ/ الأصول/ التصوف/ مُؤلِف.	استوطن غرناطة
36	إبراهيم بن خلف بن منصور الغساني (ق7هـ/13م)	مصر (سنهور)	في تونس 602هـ /1205م. المغرب الأقصى في إشبيلية 603هـ/1206م.	تونس المغرب الأقصى إشبيلية		علم الحديث	عاد للمشرق
37	عبد الرحمن بن داود بن علي (توفى في حدود 610هـ/1213م)	مصر	في الأندلس 608هـ/1211م إفريقية.	إشبيلية/ قرطبة/ مرسية/ بلنسية. إفريقية.	شافعي	الفقه/ الوعظ/ مشارك في علم الحديث/ مُؤلِف.	توفي بإفريقية راجعا للمشرق.
38	علي بن أبي بكر الهروي السائح (ت610هـ/1214م)	الموصل	ق7هـ/13م	بلاد المغرب إلى حد قسنطينة. صقلية		سائح /رحالة/ مؤرخ/ مشارك في علم السيمياء/ الشعر/ مُؤلِف.	عاد للمشرق
39	مودود بن عمر بن مودود الفارسي/ عمر بن مودود بن عمر الفارسي.(ت639 أو بعد 640هـ/1241أوبعد1242م)	سلماس: ببلاد فارس	سبتة إشبيلية مالقة : في حدود630هـ/1232م مراكش 635هـ /1237م	سبتة/ إشبيلية/ مالقة. مراكش	شافعي	التصوف/ علم الحديث/ العربية / الفقه/ علم الكلام	استوطن مراكش
40	عبد الله بن عمر بن محمد بن حمويه السرخسي (ت642هـ/1244م)	الشام	593هـ/1196م وبقي 600هـ/1203م	مراكش الأندلس		مؤرخ/ شاعر/علم الأصول والفروع/ الترسل/ الهندسة/	عاد للمشرق



						الطب	
41	أشهب بن محمد الأنصاري (ت في حدود646هـ/1248م)	بغداد	ق7هـ/13م	فاس/ سجلماسة. مرسية/ غرناطة تونس	شافعي	أديب وشاعر	توفي بتونس عائدا للمشرق.
42	يونس بن مهذب الدين عثمان الحسني المازندراني	بغداد	ق7هـ/13م	إشبيلية المغرب غرناطة سبتة/ سلا/ رباط الفتح/ مراكش إشبيلية سبتة		رحالة/ الأدب والشعر /الأخبار	عاد للمشرق.
43	محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكافي الأنصاري (ت654أو655هـ/ 1256أو257م)	دمشق	في الأندلس 651هـ/1253م.	مرسية/ غرناطة سبتة	شافعي	الوعظ/ مشارك في النحو والتفسير والقرءات وعلم الطب.	عاد للمشرق
44	تقي الدين محمد بن الشيخ شاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي الغرس (ق7هـ/13م)	مصر	ق7هـ/13م.	بلاد المغارب.	حنفي	مشارك في العلوم	مجهول

ملحق رقم02: الرسائل

1 - رسائل من العلماء المشارقة الوافدين إلى المغاربـة

كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض إخوانه

«اعلمك - رحمك الله - أن الخام والبلغم يظهران على الدم والمرة بعد الأربعين سنة فيأكلانهما، وهما عدوا الجسد وهادماه، ولا ينبغي لمن خلف الأربعين سنة أن يحرك طبيعة من طبائعه غير الخام والبلغم، ويقوّي الدم جاهداً، غير أنه ينبغي له في كل سبع سنين أن يفجر من دمه شيئاً، ومن المرة مثل ذلك، لقلة صبره على الطعام اللذيذ والمشروب الرويّ، فتعاهد أصلحك الله ذلك من نفسك، واعلم أن الصحة خير من المال والأهل والولد، ولا شيء بعد تقوى الله سبحانه وتعالى خير من العافية؛ ومما تأخذ به نفسك وتحفظ به صحتك، أن تلزم ما أكتب به إليك:

في شهر ينير: لا تأكل السلق، واشرب شراباً شديداً كل غداة.

وفي شهر فبرير: لا تأكل السلق.

وفي مارس: لا تأكل الحلواء كلها و تشرب الأفسنتين (نبت له ورق كالصعتر) في الحلاوة.

وفي أبريل: لا تأكل شيئاً من الأصول التي تنبت في الأرض، ولا الفجل.

وفي مايه: لا تأكل رأس شيء من الحيوان.

وفي يونيه: تشرب الماء البارد بعدما تطبخه و تبرده على الريق.

وفي يوليه: تجنب الوطء.

وفي أغشت: لا تأكل الحيتان.

وفي سبتمبر: تشرب اللبن البقري.

وفي أكتوبر: لا تأكل الكراث نيئاً ولا مطبوخاً.

وفي نبنبر: لا تدخل الحمام.

وفي دجنبر: لا تأكل الأرانب.

زعم علماء الطب أن في الجسد من الطبائع الأربع اثني عشر رطلا فللدم منها ستة أرطال، وللمرة والسوداء والبلغم ستة أرطال، فإن غلب الدم والطبائع تغير منه الوجه وورم، وخرج ذلك إلى الجذام؛ وإن غلبت تلك الطبائع الدم أنبتت المرّة.

قال: فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا، فليعدل جسده بالاقتصاد وينقيه بالمشي؛ فإنه إن لم يفعل اعتراه ما وصفناه، إما جذام و إما مرة، نسأل الله العافية.

ولا بأس بعلاج الجسد في جميع الأزمان إلا أيام السُموم، إلا أن ينزل فيها مرض شديد لا بدّ من مداواته، أو يظهر فيها مُومٌ (أشد الجدري)، أو ذاتُ الجنب، فإنه ينبغي للطبيب أن يعانيه (المعاناة: حسن السياسة) بفصاد أو شيء خفيف، فإنها أيام ثقيلة، وهي من خمسة عشر يوماً من تموز إلى النصف من آب، فذلك ثلاثون يوماً لا يصلح فيها علاج - وكان بقراطيس يجعلها تسعة وأربعين يوماً- يقطع الغَرر والخطر في أيام القيظ، فإذا مضى لأيلول ثلاثة أيامٍ طاب التداوي كله.

وأمر جالينوس في الربيع بالحجامة، والنورة، وأكل الحلاوة وشربها؛ ونهى عن القطانِّي (جمع قطنية: من الحبوب ما كان مثل العدس والفول والحمص واللوبيا)، واللبن الرائب، وعتيق الجبن، والمالح، والفاكهة اليابسة إلا ما كان مصلوقاً ...

وفي القيظ - وهو زمان المرة الحمراء - يأكل البارد الرطب على قدر قوّة الرجل في طبعه وسنه، وترك الجماع، وأكل الحوت الطري، والفاكهة الرطبة، والبقول، ولحم البقر والمعز، ومن القطاني العدس، ومن الأشربة المربب بالورد والسُّكُرْكة (أصلها شراب الذرة) من الشعير، والسكر بالماء المطبوخ، وأكل الكزبرة الخضراء في الأطعمة، وأكل الخيار والبطيخ، ولزوم دهن الورد وماء الورد، ورش الماء وبسط البيت بورق الشجر، ومن الدواء السكر بالمصطَكا، يسحقهما مثلا بمثل ويأخذهما على الريق قدر الدرهم أو أكثر قليلا ...

وفي زمان الخريف - وهو زمان السوداء، وهو أثقل الأزمنة على أهل تلك الطبيعة- من الطعام والشراب بالحار الرطب، مثل الاحساء بالحلاوة، وأكل العسل وشربه، ونَهى فيه عن الجماع، وأكل لحم المعز والبقر، وأمر بأكل صنوف حيوان البر والبحر، وحسو البيض، والدهن قبل الحمام، وإتيانِ النساء على غير شبع في آخر الليل وفي أول النهار، والتماس الولد على الريق من الرجل والمرأة فإن أولاد ذلك الزمان أشد وأقوى تركيباً، من غيرهم، كما قالت الحكماء».

[**المصدر:** ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج8، صص45-47]

2- رسالة من عالم مشرقي وافد وجوابها:

- مقتطف من نص رسالة أبي الفضل الدارمي إلى أبي المطرف بن المثنى عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون:

رسالة أبي الفضل الدارمي إلى أبي المطرف ابن المثنى

« أطال الله بقاءَ سيّدي، وجعل دَرَجَ المعالي مستقرةً تحت قدمه، وسُرج المساعي مُسْفرةً عن بوارقِ هِمَمِه، وظامئات الأماني رويّةً من لُعابِ سنَّ قلمه، وعَذبَاتِ الإقبالِ مَنُوطَةً بألْوِيَةِ عزائمه وآرائه، وسطواتِ الأقدارِ مربوطةً بأرويةِ مآربِهِ وأنحائِهِ، وصبَّ نُوبَ الزمانِ على حَسَدَتَه وأعدائه.

... وقد كانت أيدك الله رياضُ أخبارِهِ تزهرُ عندي بنوّار خلائقه الزكيّة التي هي أشهرُ من فَلَقِ الصباح، وتعبقُ بمحاسِنهِ الرضيّة التي هي أسْيَرُ في الآفاقِ من هبوب الرياح، فتَلطَفُ بنوافرِ الأرواح، حتى كأنها المصافاةُ بينَ الماءِ والراح، فترتعُ الأَسْماعُ من نَضارتها في مرتعٍ خصيب، وترفُلُ من غَضَارتها في ثوبٍ من الأُنسِ قشيب، فللّه هذه المناقبُ التي جعلتِ العينَ حاسدةً للأُذُن، والفضائلُ التي حاجزت بين القلبِ والبدنِ، فكلما ازدادت بالأخبار بضائعها أرباحاً، ازدادت النفوس إلى تبَضُّعها طَرباً وارتياحاً، وكلّما ركضتْ دُهْمُها في ميادين الفضائل مراحاً، استفادت بالإحمادِ غُرَراً وأوْضاحاً.

... وكنتُ مررتُ ببلادٍ شموسُ الفضائلِ في آفاقِها مكسوفةٌ، وعيونُ العلمِ والآدابِ في عَرَصَاتِها مَطْروفةٌ، وستائرُ الأحرارِ بينَ أهْلَها مَهتوكةٌ مكشوفةٌ، وجَنَبَاتُها بأنواعِ البلاءِ مَحْفوفةٌ، وقد نَضَبَتْ في رباعها مياهُ الأمانةِ والأمانِ، ونَبَعَتْ بيْنَ أهلها عيونُ الخيانةِ والبُهتانِ، وضَعُفَ حَبْلُ الدِّيانةْ فيهم والإيمانِ، فجَنحوا إلى جحودِ النِّعَمِ والكُفرانِ، وتوسَّعوا في مُطَاوعةِ الظُّلمِ والعدوانِ، فأبدلهم اللهُ من النّورِ في أحوالِهم ظلاماً، وبالحلالِ في مكاسبهم حراماً، وخصَّ أسعارَهم بالغلاءِ، وَجمْعَهُم بالفَنَاءِ، ولفيفَهم بالتشتّتِ والجَلاءِ، ولِلخرابِ ما يَعْمُرون، وللقتلِ ما يَلِدونَ، وللنَّهبِ ما يَجمعونَ، ولغيْرِهم ما يَكسِبون، «وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»، «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ».

ركبتُ جواداً من العَزمِ قلّما امتطاهُ راكبٌ إلاّ فازَ بمبتَغَاه، وشكرَ دأبَ سَيْرِهِ، وسُرَاهُ، ونَثَلْتُ درعاً سابِغَةً منَ الحَزمِ لم يندمْ على ادّراعها لابس، ولا استثقلَ حَمْلَهَا من الرِّجالِ أخو نَجْدةٍ ممارس،...فَكَّتْ عني حَلَقَ الخُدَعِ من الأعداءِ والمكايِدَ، وحلَّتْ دوني عُقَدَ الحَبائلِ منهم والمَراصِدِ، فَخَلَصْتُ من دَواعي احتفالِهم خلوصَ الخَمرِ من نسجِ القدامِ، والشمسِ من تَحتِ الغَمَامِ، ولم أزَلْ أقطَعُ المفاوِزَ مسجورةً، وأجزَعُ الطُّرقَ مشحونةً باللُّصوصِ والدُّعَّارِ، أُخفي نفسي إخفاءَ القُنفذِ رأسَه، وأكتمُ حِسَّي كِتْمانَ الغرابِ سِفادَه.

... وأكبرتُ أنْ أفارقَ بلدَ الأندلس وقد أظهر الله فيه إحدى آياتِهِ، الدالّةِ على عظم معجزاته، الناطقةِ بصحّةِ براهينه وبيّناتِهِ، بسيّدنا المأمونِ بن ذي النون- أطال الله بقاءَ سلطانِهِ، وقوّى دعائمَ ملكه وأركانه- الذي أيّدَه الله بعنايةٍ بسطتْ قدرته، وأعْلَتْ كلمته، فأضرمتْ شهابَ هيبته فملأت القلوبَ رعباً، وأذكت بوارقَ سطوته فاختطفتِ النفوسَ شرقاً وغرباً، ومدَّت بحارَ سحائبه فاستملك الرقابَ عُجْماً وعرباً، لأَجْلو قذى ناظري ببهيِّ طلعته، وأزينَ أصغريَّ بتحبيرِ بدائعِ مدحته، وقد كاتبتُ الحضرةَ العاليةَ تلويحاً بما ذكرتُهُ، راغباً فيما اقترحته، من تحسينِ عَرْضِهِ بالموقفِ الأشرفِ زاده الله شرافة، وتجديدِ المأثرةِ، في النيابة عنّي به، وسترِ عورةٍ إن مَرَّتْ، وإقالةِ عثرةٍ إن خَطَرَتْ»

[**المصدر:** ابن بسام، الذخيرة، ج3، ص307-310]

ب- مقتطف من جواب أبي المطرف بن المثنى إلى أبي الفضل الدارمي البغدادي:

جواب ابن المثنّى:

«وافى كتابُكَ، فحين لحظتُهُ تَلَقَّيْتُهُ بيدِ المقدم، والتزمته التزامَ المحبّ المكرم، وقلتُ عندما استوعبتُ أنواعَهُ وفنونه، واستوضحتُ محاسنَه وعيونه، وقيّد نورَ لحظي عيانُه، وجلا صدَأ فؤادي بيانُهُ، هذا السحرُ الحلالُ، والعذبُ الزلال، والدرُّ راقَ في نظامه، والنَّوْرُ تفتّح عن أكمامه، والقطرُ انهلَّ مِنْ غمامه، وهكذا تكونُ جزالةُ الأفَاضل، وصفاءُ الموارِدِ والمناهل، وصحّةُ الالتئامِ والاتفاق والاطّراد والاتساق:

فكائنْ فيه من معنىً خطيرٍ * وكائنْ فيه من لفظٍ بهيٍّ

فَنَضوْتُ عن مَنكِبيَّ رداءَ الوَقار، واهتززتُ اهتزازَ المهنَّدِ بيد البَطَل المِغوار، ولمَّا استقريْتُ ما حواهُ، واستوعبتُ ما طواه، قلتُ: هذه مكارمُ الأخلاق، وبدائعُ أنفاسِ العِراق، وأنحاءُ ذوي الأفهامِ والألبابِ، ومآخِذُ أهلِ الفضلِ والأحساب؛ وقد كان أدْهَشَني مَا اخترعتَ، وعمَر فكري ما شَرَعْتَ، فناديتُ نَفسي وقد استشرفَتْ أُؤنِّبُها، ونازعتُها وقد شَرِقَتْ، أُؤدّبها: حَذارِ من زَلَّةِ القَدَم، ومأثورِ الكَلَم، يا نفسُ قِفي عندَ مقدارك، وكُفّي من غُلَوَائِكِ، وأعلمي مُنْتَهى خَطْوِكِ، ومَدَى شَأْوِكِ؛ فقد رَمَتْ بغدادُ بأفلاذِ كَبِدها إلينا، وأطْلَعَتْ نسيجَ وَحدِه علَيْنا، فَأنَّى لكِ بمعارَضَتهِ وقد باهى به على أبنائِهِ الزَّمنُ، وخَرِسَتْ في أوصافِهِ وخلاله الألسنُ، فلا تَتَمرّسي لهذا الألمعيِّ النّقّاب، داهيةِ الغَبَر، وعَلَم البَشَر، فما أبعدَ ما بين العلوّ والخَفضِ، والسَّماءِ والأرض، وأينَ النورُ من الظُّلمةِ، والإفصاحُ من العُجمةِ، ورقَّةُ الطبعِ من جفائِه، وكَدَرُ الجَوِّ من صَفَائِه، وكيفَ مجاراةُ الكَوْدَنِ للعتيق، ومقارنةُ التَّشبيهِ بالتَّحقيق؟! وكيف نُجاريهم، وإنما نَحكيهم؟ وهل نحنُ- أهلَ هذه الجزيرةِ النائيةِ عن خِيارِ الأممِ، المجاورةِ لجماهيرِ العَجَم- إلاَّ أجدَرُ البَريَّةِ باللَّكَنِ، وأوْلاها بعَدَمِ الفِطَن، وأخلَقَها بالخَرَس، وأحقَّها بغِلَظِ الحِسِّ؟! فَلمْ يقرَعْ سَمْعَ ابنٍ من أبناءِ خاصَّتنا عِندَ ميلادِه، ولا خامرَ طبْعَ الرَّضيع منهم في مهدِه، إلاَّ كلامُ أَمَةٍ وَكُعاءَ، أعجميَّةٍ خَرْقاءَ، ولا ارتضعَ إلَّا ثَدْيَها، ولا اكتسبَ إلا عِيَّها، ولا سَكَنَ إلاَّ في حِجْرِها، ولا مَرنَ إلا بتدبيرها؛ حتّى إذا صارَ في عَديد الرِّجال، وانتهى إلى حدودِ الكَمال، باشرَ طوائفَ النَّصرانيّة فخاطبهم بألسنتِهم، وجَدَّ في حفظِ لُغتِهم، وعانى طِباقَهم، وكابَدَ أخلاقَهم؛ أفليسَ الذَّكاءُ مع هذا أبعدَ مِن ذُكاءَ عَنْهُ؟ وأمَّا العامّةُ مِنَّا فقد انقطَعَ فيها المقالُ، وصحَّتِ المَخيلَةُ والحالُ، فلمَّا قَرَّعتُها هذا التَّقريعَ، وروَّعتُها هذا التَّرويعَ، عادتْ إلى الخُمودِ، بعدَ الوُقودِ، وآلتْ إلى الفتورِ والخُمولِ، وعاذَتْ بالنُّكوسِ والنُّزول، قد انفلَّ حَدُّها، وَآلَ سكوناً تحريكُها وَجِدُّها؛ ثمَّ لم أَستبدَّ أن أُجرِيَ في ميدانِ الرأي جوادَ نَظَري، وأُرسلَ في أرضِ الاختبار رائدَ فِكري، وأرفعَ عن النَّفس غِطَاءَ التَّرْكِ، وأُخلصَ الصَّوابَ عن الإبريزِ من السَّبك، ورأيتُ ما في التَّوقّفِ عن مطالعَتِك، مِنَ الإخلالِ بمُكارَمَتِك، فرَشَحَ جَبيني عَرَقاً، وانزعَجَ قلبي تَحرُّقاً، فرجعتُ مُخاطبةَ النّفسِ، مُمْسِكاً من وَحشتِها بطَرَفٍ من الأُنس: إنّ أبا الفضلِ الفاضل سيّدي- دامتْ حياتُه- قد ناداني بلسانِ ودادِه، وأومأ إليّ ببَنانِ اعتقادِه، وأطارَ نَحوي طائرَ الارتياد، فلم يقعْ مِنّي إلاّ على ثمرةِ الفُؤادِ، وَحنَّ إليَّ حنينَ الألوفِ الأليف، وواصلني مواصلةَ الحليمِ الحَليف، وأهدَى إليَّ نِزاعَه، وألقى عليَّ بَعَاعَهُ، فكيفَ لي أنْ أعدلَ عمَّن إليَّ أقبَل، وأصدِفَ عمَّنْ بي كَلِفَ؟ فعارَضتُني أشدَّ المعُارضةِ، وناقَضَتْني أبلغ المُناقضة، هَيْهات! لا يُبلَغُ الخَضْمُ بالقَضْم، ولا يَنْتهي منالُ الكفِّ إلى مباراةِ النَّجم، فاسلكْ النهجَ القَويم، فمنكَ مَنْ أعْتَبَكَ، وأخوكَ مَنْ صَدَقَكَ، فوجدتُني بين حالَيَّ اضطرارٍ، ليس فيهما حظّ لمُختار، فإما أنْ أعتمِدَ المُخاطَبةَ، والتزمَ المُكاتَبةَ، على عِلاَّتي، ونُبوِّ شَبَاتي، بطبعٍ كليلٍ، وذهنٍ غيرِ صقيلٍ، وإمَّا أنْ أرفضَ المُراجَعَةَ رَفضَ المُليم، فأكون عينَ الجافي الذميم؛ فأنفذتُ كتابي مبتغياً وَجْهَ موافقتك وإرضائك، ومتوخياً مضمونَ تغمدك وإغضائك، وأنك إن ألفيتَ حَسَناً تناهيتَ في نَشْرِه، أو عاينتَ قبيحاً طويته على عَرِّه، وبودّي أن معتمدي لا يسلّطُ عليه حقيقةَ نقده، ولا يصرفُ إليه مُرْهَفَ حَدّه، وأن يلمحه بأقلّ لمح، ويسمحَ فيه أفضلَ سمح.

وأما ما أرجعُ إليه وينطقُ لساني به من الإشادة بالشكرِ، الذي أبغيه سمةً في وجه الدهر، والكنايةِ عن العهدِ الذي هو أثبتُ من ثبير، وأطيبُ من الماء النمير، فلو أمكنني أن أوصلَهُ إليك على متونِ الرياح لأَوْصَلْتُ، ولو أتيحَ لي أن أمثّله لك حتى تراه لمثّلتُ، وقد استوفيتُ ما جال به بيانُكَ الذي عَذُبَ منهله وَمَشْرَبه، وشفَّ جوهره ورفَّ ذَهَبه، واصفاً وصفَ المستكمل، ومُوضحاً إيضاح المحتفل، وفهمتُ ما نصحْتَهُ فيما سنّتْ لك عوائدُ الأيام، من الانتباذِ عن الطوائفِ اللئام، الذين ألبستهم ملابسَ الملام، وحلّيتهم بحلل المذامّ، حتى لَشَغَلْتَ بوصفهم الأفكارَ، فأوجبتَ الاستعاذةَ والاعتبار، وأتيتَ بأغرب الشّنَع، في ما أوردتَ من تلك اللمع، وسردتَ القول الرفيعَ سردًا، فكأنما نظمتَ به في جيد الدهر عقداً.

وإنك – أعزك الله- لما نمي إليك ما تحملته الركائبُ، وأثنتْ به الحقائبُ، وغمرَ المسامعَ، وعمر المشاهد والمجامع، وامتلأتْ منه الآفاقُ، ووقع عليه الإصفاق، من محاسنِ المأمونِ ذي المجدين التي هي كالنجوم اعتلاء، والصباح انجلاءً، والروضِ بهاء، وأنك شِمْتَ من كرم شيمته بَرْقَ النجاح، وأمّلْتَ أن تضربَ في خدمته بمعلّى القِداح، أحببت أن ترميَ إليه بعزمتك، وتقذفَ نحوه بهمتك، فتجلوَ ناظرك، وترهفَ خاطِرَكَ، بمجاورةِ بَحْرِ المنن، وفخرِ الزَّمن، وزعيمِ الأنام، وكريمِ الأَخوالِ والأعمام، وبديعِ الأوصاف، وموطّأ الأكناف، وأحلمَ من فرخ الطائر، وأمْضَى من الحسام الَباتر، ومن سَجِيَّتُهُ الفضلُ، وسيرته العدلُ، وقولُهُ الفصْلُ، وحباؤه الجزلُ، تلوحُ على وجهه تباشيره، وتتملىَّ الإمامة أساريره، ملأّه الله أطولَ الأعمار، كما حاز له أعظمَ الفخار، فأرجو أن قد أصبتَ ثمرة الغُراب، وارتدتَ أزهرَ الجناب، واجتنيتَ خيار الجنى، ومَهَّدْتَ في موطنِ العلا، فما أغبطني باختيارك، وأبهجني بدنوّ مَزَارِكَ، فما كان سَهْمُكَ ليمضيَ إلاّ بعيداً، وليقعَ إلاّ سديدا، وما كان مَيْزُكَ ليختلَّ، ولا سَعْيُكَ ليضلّ، فالمرءُ مستدلٌ عليه بفعله، واختياره قطعةٌ من عقله، وقد ناديتَه فأجابَ، واستمطرتَ سحابَ برّه فصاب، وتلقّاكَ باليمين، وأقرَّكَ بالمكان المكين، واستطال نحوك الزمان، بل استكثر الساعاتِ والأحيان، وانتظرك غُدُوّاً ورواحاً، وترقّبك مساءً وصباحاً، وأما الفؤادُ فإليك منجذب، وَبوُدّكَ مُشْرَب، ولو استطعتُ خفضت طرفي فلم أبصِرْ به حتى أراك، شَرَهًا إلى لحاقك، وتهالكاً على نفيسٍ أخلاقِكَ».

[**المصدر:** ابن بسام، الذخيرة، ج3، ص310-313]

2- رسائل توصية من المغاربة إلى زملائهم المغاربة في شأن العلماء المشارقة الوافدين على بلاد المغارب

أ- الرسالة الأولى: من ابن عميرة أبي المطرف إلى أبي إسحاق المكادي في شأن العناية بالعالم المشرقي الوافد نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني

رسالة ابن عميرة أبي المطرف إلى أبي إسحاق المكادي

«إن يقضي جمعك الكريم المرتضى * قاضي الجماعة فالمنى لك تقتضى

حكمت معاليه لقاصده بما * يبغي وحاش لحكمه أن ينقضا

ولأنت يا ابن الطيّبين أحق من * بالبر والفضل المبرّ له قضا

أحييت من سادات قومك قد سوا في * الفضل والأدب الوصي مع الرضا

وأعدت فخر المعدن الحسني في * باقي الزمان كعهده في مَا مضا

أنتم وحق البيت آل البيت قد * ألبستم الشرف النقي الأبيضا

وأبوكم سأل المودة فيكم * صلّى عليه الله ما قمر أضا

يَرِدُ على سيدي قاضي القضاة، الفذّ في شيمه المرتضاة، من هذا الشريف الأجل المبارك الأطهر الأكمل نجم الدّين بن مهذّب الدين وقاه الله الأفول، وأبقاه فرعا يجني تلك الأصول، نظير النجم سنًى منيرًا، وسُرى ومسيرًا، وحيّاه الله من ذي محيّا بشرِه للوحشة طارِد، وظرفه كأنما استملى منه عطارد، يروي من الآداب عيونَها، ويجلُو من المحاسن أبكارَها وعُونَها، وقد راض من المسالك ما استعصى، وانتهى من المغرب الأدنى إلى المشرق الأقصى، حتى كأنّه أراد أن يبلغ حيث بلغ ذكر مجدِه، أو يفرغ من مساحة ما كان زُوِيَ لسيد الأوّلين والآخرين جدّه، وله في معاني التجوال، ومعاناة الأهوال، قصص إنما يتأدّى برونقه، من عذوبة لفظه ومنطقه، فإذا جاذبه سيّدي أطرافه، وهزّ بالإصغاء إليه أعطافه، رأى صدرًا نمته سادة سراة، وبحرا متى تطعّمه قال: «**هذا عذب فرات**»، وإنّما هو حَسَبٌ وضّاح كقمر الدُّجنّة، ومجد طالبيٌّ من شيعته ذلك الجلال الماضي على سنن السّنّة، يَقسم له محبّة في أبي القاسم من برّه، ويدري قدره فلا يفطم ابن فاطمة من درّه، إن شاء الله تعالى».

[**المصدر:** ابن عميرة المخزومي، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية، صص376-377]

ب- الرسالة الثانية: من أبي عبد الله بن الجنان إلى أبي المطرف بن عميرة في شأن العالم المشرقي نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني.

رسالة أبي عبد الله بن الجنان إلى أبي المطرف بن عميرة

«أيا راكبا نحو الرباط ولي به * حبيب رباط الصبر حل لعبده
رويدك أودعك السلام رسالة * إلى وده فامنن علي وداه
وبث، وقيت البث، آثار لوعتي * ووجدي وما بي من غرام لمجده
وقل يا ابن عمي لو رأيت الذي به * لفقد التداني كنت تخشى لفقده
وبالله يا نجل الشفيع شفاعة * ليحفظ قلبي لا أقول برده

كتابي هذا يحمله إلى سيدي الحامل من العلوم لواءها، ومن المكارم أعباءها؛ أبقى الله كماله محروس السناء، مأنوس الفناء، مقبوس الأضواء، نجم في الآفاق سار، وفي مطالع الأشراق مع الخنس الجواري جار، وهو نجم الدين بن مهذبه، الشريف الذي تعنق بسربه، نجل السيد الذي تعز قريش بسيادته، وتقر عين المجد النبوي والجد العلوي بمجادته، زاده الله تألقا وسنا، وقدس أبويه عليا وحسنا، وإنه لذو شيم علوية، وحكم نبوية، وآداب محاسنها تجمع محاسن الزمن، وصنائعها تطلع في القرطاس صنعاء اليمن، ومع ذلك رقة كرقة النسيم، وعذوبة كعذوبة التسنيم، وما شاء الشرف من خلق سني، وخلق حسني، وهمة تكلف بالعليا، وتعتسف المجاهل لتعلم أعلام الدنيا، ولما سمع وصف ذلكم الكمال فراقه، استسهل بتدانيه نزوح الوطن وفراقه؛ فتحمل إليه ليحمل عنه ما يتحف به حجازه وعراقه، وحين أُخبر بانتمائكم لذلكم الحي من قريش، قال: ايش اطلب لقاء ابن العم فيا طيب العيش، آنس بقربه وقربه، وأصول على الأيام بحزبه؛ فقلت له: عندما أزمع السير وقال أملي لقاء المخزومي: سلم يا نجم على من يكتحل بسناك ويقول عند لقياك: تبارك من خلقك فسواك فبجدك الرسول صلوات الله عليه وسلامه، وبأهل البيت الذين بهم مَقَامه ومُقَامه، إذا استقرت بك منازل قاضينا الفاضل وخيامه، وتجاري في حلبة أولى المحبة كلامك وكلامه؛ فقرر عنده ما عندي وثبته، واغرسه في ثرى أطيب أرض لديه وأنبته؛ وقل له هو فيك كما عهدته متشيع، ويرفض ما سوى إمارتك في البلاغة متشرع، ليعلم أن الأيام لم تكدر صفائي، ولم تنقص وفائي، ولم تنقض عهد خلصائي، فضمن لي التبليغ الذي يرضيني، وتكفل بأكثر مما يقوله لساني وتخطه يميني، فقلت الآن بلغت بغية وسولا، وشرفت بأن وجدت إليكم من ابن عم الرسول رسولا، فالحمد لله عليها نعمة جلت صورة فرحي، وتلت سورة مقترحي، وهذا الشريف الماجد، المنسوبة إليه المحامد، مليء بأخبار المشرق المشرق، والشرق الشرق، فخذوا عن العدل من بني السبطين، حديث الشرقين، إن شاء الله».

[**المصدر:** ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج8، القسم2، صص455-456]

ج- الرسالة الثالثة: من ابن عميرة أبي المطرف إلى أبي الحسن العشبي في شأن العناية بالعالم المشرقي الوافد نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني.

رسالة ابن عميرة أبي المطرف إلى أبي الحسن العشبي

«هل لكَ يا سيدي أبا الحسنِ * فيمن له كلُّ شاهدٍ حَسَنِ

في الشرفِ المنتقَى لَـهُ قَـدمٌ * أثبتها بالوصيّ والحَسَـنِ

أيّها الأخ الذي مَلّكته قيادي، وأسكنته فؤادي، عهدي بك تعتامُ الآداب النقية، وتشتاق اللطائف المشرقية وتنصف فترى أن في سيلنا جُفاء، وفي مغربنا جَفاء، وأن المحاسن نَبْتُ أرضَ ما بها وُلدنا، وزرعُ وادٍ ليس ممّا عَهِدْنا، وأنا في هذا أُشايعك وأُتابعك، وأُناضل من ينازلك وينازعك، وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج، وتُسكت المهج، وهو الشريف الأجلُّ، السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرية المختارة، ونجم الدرية السيارة، جَرى مع زَعْزَع ونسيم، ورَتَع في جميم وهشيم، وشاهَدَ عجائبَ كل إقليم، وشَرَّق إلى مطلع ابن جَلا، وغرَّب حتى نزل شاطئ سَلا، وقد توجّه الآن إلى حضرة الإمامة الرشيدية أيّدها الله تعالى لينتهي من أصابع العدّ إلى العُقدة، ويحصل من مَخْض الحقيقة على الزُّبدة، وقد علم أنّه ما كلُّ الخطَب كخطبة المنبر، ولا جميعُ الأيام مثل يوم الحج الأكبر، وأدبه يا سيدي من نسبة أفقه، بل على شكل حسبه وخلقه، فإذا رأيته شهدت بأن الشرق قد أتحف إفريقية ببغدادهِ، بل رمانا بجملة أفلاذهِ، والحظ فيما يجب من بره وتأنيسه، إنّما هو في الحقيقة لجليسه، فيا غبطة من يسبق لجواره، ويقبس من أنواره، وأنت لا محالة تفهمه فهمي، وتشيم من شيمه عارضاً برَيّ القلوب الهيم يَهْمي، وتضرب في الأخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنّه سهمي، والسلام».

[**المصدر:** المقري، نفح الطيب، ج3، ص146-147].

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم (رواية ورش)

ثانيا: كتب الحديث:

1- الألباني محمد ناصر الدين(ت 1420هـ/1999م) ، ضعيف سنن ابن ماجة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1417هـ/1997م.

2- الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السّيء في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1425هـ/2004م.

3- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت 250هـ/869م) ، صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هـ/1998م.

4- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى(ت 279هـ/ 892م)، الجامع الكبير، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلام، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

5- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت 273هـ/886م) ، سنن ابن ماجة، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

6- مسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 262هـ/875م)، صحيحُ مُسْلِم- المُسند الصَّحيح المختَصَر من السُّنَن بنَقل العَدْل عَن العَدْل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار طيبة، الرياض، ط1، 1426هـ/2006م.

7- المناوي محمد عبد الرؤوف(ت 1031هـ/ 1621م)، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1391هـ/1972م.

ثالثا: المصادر المخطوطة:

1- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي(ت 320هـ/932م)، كتاب البول، مخطوط رقم 19880، دار الكتب الوطنية، تونس.

2- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، معرفة البول، مخطوط رقم 18778، دار الكتب الوطنية، تونس.

رابعا: المصادر المطبوعة:

1- ابن الأبار القُضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر(ت 658هـ/1259م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهرّاس، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.

2- ابن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1958م.

3- ابن الأبار القضاعي، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م.

4- ابن الأبار القضاعي، إعتابُ الكتاب، حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1380هـ/1961م.

5- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني(ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، راجعه وحققه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1424هـ/2003م.

6- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي(المتوفى حوالي 558هـ/ 1162م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.

7- إسحاق بن الحسين (عاش في القرن 4هـ/10م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، اعتناء فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

8- الإسرائيلي إسحاق بن سليمان (ت 320هـ/934م)، الأغذية والأدوية، تحقيق وتقديم وشرح فاطمة الأخضر، المطبعة الرقميةBBP، المنزه- تونس، سبتمبر 2015م.

9- ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي (ت 542هـ/1148م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م.

10- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود (ت 578هـ/1182م)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به وصححه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 1430هـ/2009م.

11- البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ/1338م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- مختصر معجم البلدان لياقوت-، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

12- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو الأندلسي(ت 487هـ/1098م)، المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة- قرطاج، تونس، 1992م.

13- البكري، التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

14- البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت 279هـ/892م)، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطَّبّاع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ/1987م.

15- ابن تغري بردي جمال الدين أبو الحاسن يوسف الأتابكي(ت 874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.

16- التنبكتي أحمد بابا بن أحمد (ت 1036هـ/1626م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبدالله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1398هـ/1989م.

17- الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل النيسابوري (ت 429هـ/ 1037م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، حققه وفصله وضبطه وشرحه محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1433هـ/2012م.

18- الجامي أبو البركات عبد الرحمن(ت 898هـ/1492م)، نفحات الأنس من حضرات القدس، الأزهر الشريف، بدون تاريخ.

19- ابن جبير أبو الحسن محمد(ت 614هـ/1217م)، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ط2، 1986م.

20- ابن الجزار أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد (توفي حوالي 395هـ/1004م) ، كتاب في طبّ المشائِخ وحِفظ صحَّتهم، تحقيق فاروق عمر العسلي، الراضي الجازي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، طبعة خاصة بمناسبة احتفالات القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية، سنة 2009م.

21- ابن الجزار القيرواني، طب زاد المسافر للفقراء والمساكين، تحقيق وتعليق مختار سالم، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م.

22- ابن الجزار، كتاب في فنون الطّيب والعطر، تحقيق فاروق عمر العسلي، الرّاضي الجازي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2007م.

23- ابن الجزار، كتاب طب الفقراء والمساكين، تحقيق الراضي الجازي، فاروق عمر العسْلي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، طبعة خاصة بمناسبة إحتفالات القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية، مطبعة المغرب للنشر، تونس، 2009م.

24- ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (المتوفى بعد سنة 384هـ/994م)، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ/1985م.

25- ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1448م)، لسان الميزان، اعتنى به الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدَّة، إعتنى بإخراجه وطباعته سلمان عبد الفتاح أبو غدَّة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.

26- ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

27- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982م.

28- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله الأزدي (ت 488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، قدم له وضبط وشرح فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م.

29- الحميري محمد عبد المنعم(ت 750هـ/1349م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

30- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي النصيبي(ت 380هـ/ 990م)، كتاب صورة الأرض، دار صادر، بيروت، طبع في مطبعة ليدن بمطبعة بريل، ط2، 1938م.

31- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الفارسي(ت 272هـ/985م)، المسالك والممالك(ويليه كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي)، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل 1889م.

32- الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد القيرواني الأندلسي(ت 371هـ/981م)، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م.

33- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد المسمى مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وارديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.

34- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي (ت 776هـ/1374م)، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م.

35- ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا عبد الستار، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

36- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي(ت 808هـ/1405م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م.

37- ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

38- ابن خير الإشبيلي أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي(ت 575هـ/1179م)، فهرسة ما رَوَاهُ عن شُيُوخِهِ مِنَ الدَّوَاوين الـمُصَنَّفَةِ في ضُرُوبِ العِلم وأنواعِ المعَارِفِ، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.

39- الداعي إدريس عماد الدين بن الحسن القرشي(ت 472هـ/1467م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار- تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب، بيروت، ط1، 1985م.

40- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي(ت 696هـ/1296م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، مطبعة السنة المحمدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1388هـ/1968م، (ج1).

- الدباغ، معالم الإيمان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة ، المكتبة العتيقة، تونس، 1972م، (ج2).

41- ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي الكلبي الداني(ت 633هـ/ 1235م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، 1374هـ/1955م.

42- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد(ت 670هـ/1271م)، طبقات المشائخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاّيْ، مطبعة البعث- قسنطينة، 1394هـ/1974م.

43- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، كتاب تذكرة الحفاظ، صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

44- الذهبي، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وحقق هذا الجزء شعيب الأرناؤوط وصالح السمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ/1982م.

45- الذهبي، العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

46- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمُري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1416هـ/1991م.

47- ابن رشيق القيرواني(توفي حوالي463هـ/ 1070م)، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، حققه وجمعه محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدارالتونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م.

48- الرعيني الإشبيلي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن هيصم (ت 666هـ/1267م)، برنامج شيوخ الرعيني، حققه إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1381هـ/1962م.

49- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم(ق 5هـ/11م)، تاريخ إفريقية والمغرب- قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري، تحقيق المنجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1426هـ/2005م.

50- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشر(ت 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م.

51- ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي (ت 708هـ/1308م)، صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، الشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، 1414هـ/1994م.

52- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الؤلؤي التونسي(كان على قيد الحياة 894هـ/1488م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

53- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي (كان على قيد الحياة 731هـ/1330م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

54- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني(ت 471هـ/1087م)، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر- المطبعة العربية التونسية بنعروس، بدون تاريخ.

55- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(المتوفى بعد سنة 546هـ/1151م)، كتاب الجعرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، المركز الإسلامي للطباعة، الجيزة، بدون تاريخ.

56- ابن سباهي زاده محمد بن علي البرسويّ(ت 997هـ/1588م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرّواضيَة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

57- السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت 727هـ/ 1326م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/1964م.

58- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي(ت 685هـ/1286م)، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1990م.

59- السلمي عبد الملك بن حبيب الأندلسي(ت 238هـ/852م)، كتاب التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م.

60- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري(ت 911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دمشق، ط2، 1399هـ/1979م.

61- السيوطي جلال الدين، طبقات الحفاظ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م.

62- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1387هـ/1967م.

63- السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار المعارف، تونس، ط1، 2003م.

64- ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي(ت 427هـ/1035م)، الرسالة الألواحية في العلاج بالأعشاب وَالنباتات الطبيّة، إعداد وتحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

65- أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي البغدادي(ت 665هـ/ 1266م)، الذيل على الروضتين- تراجم رجال القرنين السادس والسابع- وضح حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

66- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد(ت 928هـ/1521م)، كتاب السير- الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس/11م، تحقيق ودراسة محمد حسن، أوربيس للطباعة، تونس، نوفمبر 1995م.

67- ابن صاحب الصلاة عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي (ت 594هـ/1197م)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1965م.

68- صاحب حماة محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي(ت 587هـ/1191م)، كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق فقرات حول حملة قراقوش على إفريقية (575-584هـ/1180-1188م)، تحقيق مراد عرعار، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 2012م.

69- صاعد البغدادي أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى(ت 410هـ/1019م)، كتاب الفصوص، تحقيق عبد الوهاب التازي سَعُود، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، 1413هـ/ 1993م.

70- صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي(كان على قيد الحياة سنة 712هـ/1312م)، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، ط2013م.

71- ابن الصغير (عاش في أواخر القرن 3هـ/ 10م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م.

72- الصفدي أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 767هـ/ 1365م)، كتاب الوافي بالوفيات، طالعه يحيى بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي أحمد بن مسعود، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.

73- الضبي أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة(ت 599هـ/ 1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي-، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.

74- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير الفارسي البغدادي(ت 310هـ/ 922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م.

- الطبري، الخلافة في عهد العبَّاسيين (147-193هـ/764-808م)، حققه وخرَّج رواياته وعلق عليه محمد بن طاهر البرزنجي، بإشراف ومراجعة المحقق محمد صحبي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.

75- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت 463هـ/ 1070م)، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ/1958م.

76- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري(ت 257هـ/870م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

77- ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي (ت 328هـ/ 939م)، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ/1983م.

78- عبد القاهر البغدادي أبو منصور بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي (ت 429هـ/ 1037م)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية مِنهم، دار ابن الجوزي، مصر، ط1، 1435هـ/2014م.

79- ابن عبد الملك أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي(ت 703هـ/ 1303م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.

80- العجمي برهان الدين أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن خليل سبط (ت 481هـ/1088م)، نهاية الاغتباط بمن رُوي من الرواة بالاختلاط - وهو دراسة وتحقيق وزيادات في التراجم على كتاب الاغتباط بمن رمي في الاختلاط علاء الدين علي الرضا، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ.

81- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان بقيد الحياة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولانو وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ/1985م.

- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1985م.

82- أبو العرب محمد بن أحمد التميمي(ت 333هـ/944م)، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ.

83- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت 571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهليها، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.

84- ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي(ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1412هـ/1991م.

85- ابن عميرة أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي(ت 658هـ/ 1259م)، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية أو بُغْية المستطرف وغنية المتطرّف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، جمعها أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م.

86- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله(ت 704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007م.

87- الفتح ابن خاقان أبو نصر بن محمد بن عبيد الله الإشبيلي(ت 529هـ/1134م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس، تحقيق هدى شوكت بهنام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م.

88- ابن الفرَّاء أبو الحسين محمد بن أبي يعلى البغدادي الحنبلي(ت 526هـ/1131م)، طبقات الحنابلة، حققه وقدم له وعلق عليه عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1419هـ/1999م.

89- ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين بن علي بن محمد بن أبي القاسم(ت 799هـ/ 1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

90- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزديّ(ت 351هـ/962م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

91- ابن فضل الله العمري(ت 749هـ/1349م)، في الإنصاف بين المشرق والمغرب قطعة من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق زينب طاهر ساق الله، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م.

92- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت 817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ/2005م.

93- الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، طبعة منقحة وموسعة حسَّان أحمد راتب المصري، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1421هـ/2000م.

94- ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي(ت 1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، تحقيق وتعليق محمد بن عزّوز، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1435هـ/2014م.

95- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي(ت 544هـ/1149م)، الغنية- فهرسة شيوخ القاضي عياض- تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.

96- القاضي النعمان أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون(ت 363هـ/ 973م)، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

97- القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي(ت 356هـ/966م)، كتاب الأمالي ويليه كتاب الذيل، والنوادر للمؤلف وكتاب التنبيه لأبي علي البكري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

98- القالي، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، ويليه كتاب النوادر وكتاب التنبيه على أبي علي القالي في أماليه للبكري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

99- القالي، كتاب أفعل، تقديم وتحقيق محمد الفاضل بن عاشور، طبع ونشر وتوزيع مؤسسات ع بن عبد الله، تونس، 1972م.

100- القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

101- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف(ت 646هـ/1248م)، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، عني يتصحيحه محمد أمين الخانجي الكتبي، طبع بمطبعة السعادة، القاهرة، بدون تاريخ.

102- ابن قنفد أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني(ت 809هـ/1406م)، الوفيات، حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م.

103- ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية دار هجر، الجيزة، ط1، 1419هـ/1998م.

104- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك (كان على قيد الحياة 594هـ/1197م)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009م.

105- مجموعة مؤلفين (صنفه بالموارثة في مائة وخمسة عشر سنة ستة من أهل الأندلس)، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المُغْرب في حُلى المَغْرب، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، مصر، 1970م.

106- مجهول (كان بقيد الحياة في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، جغرافية وتاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، ط 2013م.

107- مجهول (ق 6هـ/12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار– وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب- نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، بدون تاريخ.

108- مجهول (القرنين 6-7هـ/12-13م)، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، نشر أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعاشر، مدريد1961-1962م.

109- المراكُشيّ محيي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي(ت 625هـ/1227م)، المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ/2006م.

110- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م.

111- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 387هـ/997م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل، ط2، 1903م.

112- المقري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن العباس التلمساني (ت 1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1997م.

113- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري(ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

114- ابن منقذ مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مُرْشد بن علي بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنقِذ الكناني الكلبي الشَّيْزَري (ت584هــ/1188م)، كتاب الإعتبار، حرره فيليب حتى.د.ف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1930م.

115- النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي(كان بقيد الحياة 793هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس - كتاب المرقبة العُلِيا فيمن يسْتحق القضاء والفتيا-، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1403هـ/1983م.

116- الهروي أبو الحسن علي بن أبي بكر السائح(ت 611هـ/1214م)، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، عُنِيَتْ بِنَشْرِه وتَحقِيقِه جانين سورديل طومين، إشراف المعهد الفرنسي بدمشق، 1953م.

117- الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية وتليها الخطب الهروية، عني بتحقيقها والتعليق عليها مطيع المرابط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972م.

118- ابن وردان ، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م.

119- ابن الوردي زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس (ت 749هـ/ 1348م)، منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والريايحين، تحقيق وتعليق محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، بدون تاريخ.

120- الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله (ق 6هـ/ 12م)، سير الوسياني، دراسة وتحقيق عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ/2009م.

121- اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي(ت 768هـ/1366م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

122- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي(ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

123- ياقوت الحموي، معجم الأدباء -إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب-، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.

124- اليعقوبي أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ/897م)، كتاب البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

125- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط2، 1431هـ/2010م.

خامسا: المراجع:

1- إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون تاريخ.

2- أوليفيا ريمي كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكه، مصر، بدون تاريخ.

3- بالأعرج عبد الرحمن، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية (ق7-9هـ/13-15م)، النشر الجديد الجامعي- وزارة الثقافة، تلمسان، ط1، 2015م.

4- الباروني أبو ربيع سليمان، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط4، 1434هـ/2013م.

5- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، القرارة، ط2، 1414هـ/1993م.

6- بعيون سهى، إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف(422-479هـ/1031-1086م)، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م.

7- البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1951م.

8- بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1983م.

9- بوباية عبد القادر، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م.

10- التليسي بشير رمضان والذّويب جمال هاشم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط2، 2016م.

11- توات محمد الطاهر، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

12- الجندي أنور، الإسلام تاريخ وحضارة، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1984م.

13- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1427-1428هـ/2007م.

14- الحجي عبد الرحمن علي، جوانب من الحضارة الإسلامية، مكتبة الصحوة، بيروت، ط1، 1399هـ/1979م.

15- الحسين قصي، من معالم الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

16- بن حمدة عبد المجيد، ثقافة المجتمع القيرواني في القرن الثالث الهجري، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، ط1، 1418هـ/1997م.

17- حمدي عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري-، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م.

18- حميدة عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر- دار الفكر المعاصر، سوريا، 1416هـ/1995م.

19- حوالة يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية - المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ)، معهد البحوث العلمية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1421هـ/2000م.

20- خازن عبود، نساء شاعرات من الجاهلية إلى نهاية القرن العشرين، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 2000م.

21- الداية محمد رضوان، ديوان يحيى بن الحكم الغزال، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1402هـ/1982م.

22- الدبّابي الميساوي سهام، مائدةُ إفريقية- دراسة في ألوان الطعام-، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، مطبعة المغرب للنشر، تونس، 2017م.

23- دبيش لطفي، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية من خلال مدونة الجغرافيين المسالكيين والرحالين العرب والمسلمين، مركز النشر الجامعي، منوبة- تونس، 2010م.

24- الدشراوي فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م)-التاريخ السّياسي والمؤسّسات- نقل إلى العربية حَمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.

25- الدفاع علي بن عبد الله، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، ط2، 1993م.

26- ذنون طه عبد الواحد، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2005م.

27- روشو الهادي، تاريخ الحديث النبوي في تونس- أول مدرسة الحديث التونسية-، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، دار سحنون، تونس، ط1، 1435هـ/2014م.

28- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرشيد العربي، دار الرائد العربي، بيروت، 1401هـ/1981م.

29- زمري محمد، الأعلام المغاربة في مصنفات المشارقة، دار الغرب، وهران، ط1، 2004م.

30- الزهراني علي بن محمد بن سعيد، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية(212-484هـ/826-1091م)، إشراف ضيف الله بن يحيى الزهراني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، إصدارات مركز بحوث العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية،1417هـ/1996م.

31- زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، راجعها وعلق عليها شوقي ضيف، دار الهلال، بدون تاريخ.

32- سالم السيد عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1991م.

33- السامرائي عامر حميد حمود، الصلات الحضارية بين مدن مشارقية ومدن مغاربية من القرن الأول الهجري حتى بدايات القرن الثالث الهجري- دراسة تاريخية مقارنة-، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ط1، 1430هـ/ 2009م.

34- السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م.

35- سعد الدين محمد منير، العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع، دار المناهل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

36- السلاوي أحمد بن خالد الناصري(ت1315هـ/1897م)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2015م.

37- السيابي أحمد بن سعود، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1435هـ/2014م.

38- الشُبَيْبي محمد رضا، أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية، دار إقرأ، بيروت، ط2، 1404هـ/1984م.

39- الشمري غازي، دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، Service Impressions S M D ، وهران، 2014م.

40- أبو شوارب محمد مصطفى، أبو علي القالي ومنهجه في رواية الشعر وتفسيره، دار الوفاء، الإسكندرية، بدون تاريخ.

41- شيخاني سمير، أشهر المغنين عند العرب ونوادرهم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.

42- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1968م.

43- الطاهر المنصوري محمد، تونس في العصر الوسيط، إفريقية من الإمارة التابعة إلى السلطنة المستقلة، دار صامد، تونس، ط1، 2015م.

44- الطاهري أحمد، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس- عصري الخلافة والطوائف-، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م.

45- الطويلي أحمد، الجواري والمغنيات، دار أسود على أبيض، تونس، ط1997م.

46- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

47- العبادي أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

48- عبد الحليم رجب محمد، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1437هـ/2016م.

49- عثمان شوقي عبد القوى، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر السلاطين المماليك(648-922هـ/1250-1517م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م.

50- العرباوي محمد المختار، في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 1998م.

51- عوض محمد مؤنس أحمد، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية في عصر الحروب الصليبية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم - مصر، ط1، 1955م.

52- الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث – تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة، تونس، 1993م.

53- فيلالي عبد العزيز، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس،1991م.

54- مؤنس حسين، موسوعة تاريخ الأندلس- تاريخ وفكر وحضارة وتراث-، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1415هـ/1996م.

55- مؤلف جماعي، النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين (160-962هـ/777-1554م) من إنجاز فرقة بحث تحت إشرف فاطمة بلهواري، الجزء الخاص بـ "العاملون بالتجارة في دويلات المغرب الأوسط"، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014م.

56- مجموعة من الكتاب، حوار المشارقة والمغاربة، وزارة الإعلام – مجلة العربي، مطبعة حكومة الكويت، ط1، 2006م.

57- محسن جمال الدين، أدباء بغداديون في الأندلس، منشورات مكتبة النهضة، دار التضامن، بغداد، ط1، 1963/1962م.

58- محمود إسماعيل، الأدارسة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م.

59- مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم(ت1360هـ/1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ/1930م.

60- معمر علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في ليبيا، مكتبة وهبة، القاهرة، دار الثقافة بيروت، ط1، 1384هـ/1964م.

61- مكي محمود علي، التشيُّع في الأندلس من الفتح حتى نهاية الالدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م.

62- المنجد صلاح الدين، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1963م.

63- المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس- المملكة المغربية، 1404هـ/1983م.

64- النفاتي عادل، المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب حفريات في أدب الرحلة- القرن16 في الهوية والتدين والثقافة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، 2015م.

65- بن يوسف سليمان داود، الحضارة الإسلامية بصقلية وأثرها في الداخل والخارج - حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، بدون تاريخ.

66- يولي بركوفيتش تسيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانية، ترجمة يوسف أبي فاضل، مراجعة ميشال أبي فاضل، المطبعة العربية ش.م.ل، بيروت، ط1، 1988.

سادسا: المجلات والدوريات

1- بنعبد الله عبد العزيز، الهجرات اليمنية إلى المغرب الكبير عربته قبل الإسلام بسبعة عشر قرنا، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ع5، شتاء 1418هـ/1998م، صص79-103.

2- بن معمر محمد، الحياة العلمية في تيهرت إلى منتصف القرن السادس الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ع8، 1423هـ/ أفريل 2002م، صص127-142.

3- بن معمر محمد، مركز تلمسان الثقافي من أجادير الادريسية إلى تاجرارت المرابطية، حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، العدد3/4، 2005م، صص101-114.

4- بن ميلاد لطفي، المشارقة في إفريقية خلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط: أي حضور، مجلة العلوم الإنسانية - الكراسات التونسية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، مجلد 62، ع: 205/206، الثنائية الثانية والثالثة 2008م، صص97-115.

5- بن ميلاد لطفي، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة العلوم الإنسانية، الكراسات التونسية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، مجلد 12، صص96-115.

6- بوخالفة نور الهدى، السكان عند الفتح العربي في الشمال الإفريقي والأصول التاريخية للبربر، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، ع5، 1998م، صص161-166.

7- بوعزيز يحيى، مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية وفي نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد العالي للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران،ع1، السنة الأولى 1414هـ/1993م، صص1-8.

8- بوهند خالد، المذهب الحنفي ورجاله ببلاد المغرب الإسلامي من خلال كتب الطبقات والتراجم، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع7، 2014م، صص107-116.

9- تدمري عمر عبد السلام، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتاب المخطوط الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم (866 -871هـ/1462-1467م)، مجلة

التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط- المملكة المغربية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ع17، 1421هـ/2001م، صص111-146.

10- حركات إبراهيم، الثقافة وتبليغها بالأندلس في عصر الريادة (من القرن2 إلى 4/ 8إلى 10م)، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، طبع مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ع6، ربيع 1419هـ/1998م، صص117-146.

11- حركات إبراهيم، صور من التواصل التاريخي بين دول الخليج العربي والدول المغاربية، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ع3، صيف 1418هـ/1997م، صص17-39.

12- حطيط أحمد، مكانة المغاربة الإجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ع25، شتاء1424هـ/2003م، صص275-280.

13- خليفي عبد القادر، الرحلات بين المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية، مجلة المواقف- الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ- جامعة معسكر، الجزائر، ع4، 2009م، صص109-126.

14- الزوادي رشيد، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامي، وهران، ع1، 1993م، صص323-341.

15- سي عبد القادر عمر، الدور الثقافي للمرأة الأندلسية، مجلة القرطاس-الدراسات الحضارية والفكرية ببلاد المغرب-، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع1، 2012م.

16- الصافي نبيل، أثر الجغرافية السياسية في تدوين وقراءة التاريخ العربي الإسلامي، مجلة البحث التاريخي، تصدر عن الجمعية التاريخية بحمص، ع7، رجب 1423هـ/ سبتمبر2002م، صص151-166.

17- طاهر منصور خديجة وبوباية عبد القادر، التنافس العلمي بين المشارقة والمغاربة على أرض الأندلس في العصور الوسطى، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، الجزائر، ع23 صيف/ أوت1437هـ/2016م، صص345-362.

18- عبد اللطيف محمد الصادق، الخط الأندلسي..تاريخ وفكر ومسيرة، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ع15، صيف 1424هـ/2000م.

19- عيفة الحاج، تأثير المدرسة التاريخية والأندلسية في كتابة المؤرخين المصريين والشاميين(خلال القرنين6-7هـ/12-13م)، مجلة الدراسات التاريخية، يصدرها قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر2، ع13، 1433هـ/2011م، صص37-78.

20- فايد محمد محمود عبد الحميد، زرياب طائر غرد في الأندلس، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، ع135، خريف 2008م، صص124-135.

21- فلكاوي رشيد، مساهمة علماء دولة بني حماد في نشر اللغة العربية، مجلة اللغة والإتصال، مجلة علمية محكمة يصدرها مختبر اللغة العربية والإتصال، جامعة وهران، الجزائر، ع10/9، نوفمبر 2011م، صص23-43.

22- فيلالي عبد العزيز، جوانب من النشاط السياسي والدبلوماسي للدولة الإدريسية في عهدي إدريس الأول والثاني، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة – السنة الرابعة، ع7/6، رمضان 1402هـ/1982م، صص102-109.

23- فيلالي بلقاسم، ابن رشد وموقفه من الرحلة في طلب العلم والحج(450-520هـ/1058-1126م)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، دورية علمية محكمة تصدرها كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، شعبان 1434هـ/ جوان 2013م، ع15، صص348-376.

24- قريعة محمد الأسعد، زرياب وأسطورة الوتر الخامس، مجلة الحياة الثقافية، تصفيف وطباعة ألفا للنشر، تونس، ع88، السنة 22، أكتوبر1997م، صص22-26.

25- كرو أبو القاسم محمد، التواصل الأدبي بين المشرق والمغرب قديماً وحديثاً، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق "مجلة المجمع العلمي العربي سابقا"، مطبوعات المجمع، دمشق، المجلد65، ج1، جمادى الآخرة 1410هـ/جانفي1990م، صص413-436.

26- كساس صافية، الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، ع8، صص221-268.

27- كساس صافية، نظام التدريس بالمراكز العلمية في المغرب العربي، مجلة اللغة والإتصال، يصدرها مختبر اللغة العربية والإتصال، جامعة وهران، الجزائر، ع10/9، 2011م، صص188-187.

28- متاجر صورية، الاتصال الوثائقي في الأندلس على ضوء تراجم الصلة لابن بشكوال عرض بيبليوغرافي، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ع7، 2014م، صص191-210.

29- الهنتاني نجم الدين، تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ع13، شتاء1420هـ/2000م، صص311-327.

سابعا: أعمال ملتقيات/ ندوات (منشورة)**:**

1- الأسود أحمد، التعريب في إفريقية قبل الهجرة الهلالية: قنواته وإشكالياته ومظاهره، من كتاب أعمال الملتقى الدولي السابع حول "الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط"، تونس في 26-28

أفريل 2012م، جمع النصوص وأشرف عليها راضي دغفوس، وخالد كشير، مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط - كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس 2014م.

2- بحاز إبراهيم بكير، مجالس العلم والعلماء، الملتقى الوطني الأول حول تاريخ تيهرت الحضاري من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثالث الهجري - بلدية تيهرت بمشاركة المركز الوطني للدراسات التاريخية من 1 إلى 12 أفريل 1987م.

3- بن حمادي عمر، حول نعت الدعوة الفاطمية بـ"التشريق" ونعت الداخلين فيها بالمشارقة، أعمال الملتقى العلمي الدولي "حوليات الجامعة التونسية في خدمة الثقافة العربية - بحوث في الحضارة والتاريخ-"، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية- تونس1، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ع39، 1995م.

4- بهيني عبد المجيد، أثر مهاجري المغرب الإسلامي في الحياة العامة بالمشرق خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين، أعمال ندوتي مارس1994، نوفمبر1997م بعنوان "المغرب- المشرق: العلاقات والصورة"، مجموعة دراسات وأبحاث حول العلاقات المشرقية- المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، بني ملال، 1999م.

5- الجحمة نواف عبد العزيز، جولة أفق مع رحلة السائح أبي الحسن الهروي، أعمال ندوة "الرحالة العرب والمسلمين: اكتشاف الذات والآخر" المنعقدة في الرباط ما بين 22-25 ماي 2009م تحت عنوان: الرحلة العربية في ألف عام - وهو القسم المعنون "مشرق مغرب عرب مسلمون ديار الإسلام من الأندلس إلى استانبول"، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي، أبو ظبي، 2009م، المجلد.2

6- الحمدي العربي، مشروع توحيد المشرق والمغرب في العهد الموحدي والأيوبي من خلال مصادر الرحلة، المغرب- المشرق – العلاقات والصورة، أعمال ندوتي مارس1994، نوفمبر1997م، مجموعة دراسات وأبحاث حول العلاقات المشرقية- المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، بني ملال، 1999م.

7- حواش محمد، صورة المشرق من خلال الترجمانة الكبرى- مكونات الصورة وحدود التأويل-، أعمال ندوتي مارس1994، نوفمبر1997م بعنوان "المغرب- المشرق، العلاقات والصورة"، مجموعة دراسات وأبحاث حول العلاقات المشرقية- المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، بني ملال، 1999م.

8- سعيد محمد، تعريب النخب الإفريقية، الملتقى الدولي السابع حول: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط" تونس في 26-28 أفريل 2012م، جمع النصوص وأشرف عليها راضي دغفوس، وخالد كشير، مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس، 2014م.

9- الطنجي بدر الدين العمراني، الحافظ أبو العلاء إدريس العراقي الفاسي ودوره في إغناء الدرس الحديثي بالمغرب، المدرسة الحديثية بالمغرب والأندلس- الإمام ابن القطان أنموذجا- بحوث الندوة العلمية الأولى التي نظمها مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة التابع للرابطة المحمدية للعلماء بالكلية المتعددة التخصصات- بمدينة العرائش- السبت والأحد 3-4 ذو القعدة1432هـ/1-2 أكتوبر 2011م، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1435هـ/2014م، المجلد الأول.

10- العبيدي مختار، هل كان للقيروان بيت حكمة في القرن الثالث الهجري، وقائع الندوة التي انتظمت بالقيروان يوم الأربعاء 20 جانفي 2010م بعنوان بيت الحكمة بين بغداد والقيروان- التواصل الثقافي العربي الإسلامي-، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة- تونس، ط1، 2011م.

11- عرعار مراد، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين بالقيروان وإفريقية خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20 إلى 25 أفريل2009م "إشعاع القيروان عبر العصور" وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، طبعة خاصة بمناسبة احتفالات القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية، تونس، 2010م.

12- قجة محمد، التواصل الحضاري بين القيروان وبلاد الشام، وقائع الندوة التي انعقدت بالقيروان من 20 إلى 25 أفريل2009م "إشعاع القيروان عبر العصور" وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، طبعة خاصة بمناسبة احتفالات القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية، تونس، 2010م.

13- مجموعة باحثين، الندوة العلمية لألفية أحمد ابن الجزار، أبحاث ودراسات الندوة 12-15أفريل1983م تونس، وزارة الشؤون الثقافية، اللجنة الثقافية القومية، طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية في جويلية 1987م.

14- المريني نجاة، الرحلة المغربية لابن حمويه السرخسي مشرق مغرب عرب ومسلمون2009م، أعمال ندوة "الرحالة العرب والمسلمين: اكتشاف الذات والآخر" المنعقدة في الرباط ما بين 22-25 ماي 2009م تحت عنوان: الرحلة العربية في ألف عام - وهو القسم المعنون "مشرق مغرب عرب مسلمون ديار الإسلام من الأندلس إلى استانبول"، تحرير وتقديم نوري الجراح، دار السويدي، أبو ظبي، 2009م، المجلد.2

15- الميساوي سهام الدبابي، الطب بين بغداد والقيروان في الأغذية وتدبيرها وحفظ الصحة وتقويم البدن بها، وقائع الندوة التي انتظمت بالقيروان يوم الأربعاء 20 جانفي 2010م بعنوان بيت الحكمة بين بغداد والقيروان- التواصل الثقافي العربي الإسلامي-، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة- تونس، ط1، 2011م.

ثامنا: الرسائل الجامعية:

1- بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ والحضار الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 1435-1436هـ/2014-2015م.

2- بوقصّي مراد، العلاقات العلمية بين المغاربة والأندلسيين من القرن الثالث إلى القرن الثامن هجريا، إشراف فرحات الدريسي، قسم التاريخ، جامعة منوبة، تونس.

3- جبودة مريم محمد عبد الله، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/1160-1572م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2008م.

4- حافظ الحاج لطيف، نظرة المشارقة إلى الأدب الأندلسي، قدم هذا البحث سنة 1989هـ/1990م لنيل شهادة الكفاءة في البحث، قسم الآداب العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس1.

5- خالدي عبد الحميد، العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى نهاية الموحدين(50هـ- 670م/646هـ-1299م)- دراسة تاريخية نقدية، إشراف حساني مختار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية1427-1429هـ/ 2007-2008م.

6- الخليفات محمد عطا الله سالم، التجارة في الأندلس في عصر الدولة الأموية (138-422هـ/755-1030م)، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، 2004م.

7- راهم نور الدين، التجارة عند الفينيقيين(1200ق م-814 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، تخصص تاريخ الحضارات القديمة، إشراف الطاهر ذراع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010م.

8- عبد الفتاح هبة الله محمد، العلاقات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي (550-650هـ/ 1155-1252م) ، رسالة ماجستير في التاريخ والآثار الإسلامية، منشورة سنة 2013م، إشراف سعد زغلول عبد الحميد، نبيلة محمد حسن كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

9- الغافري جميل بن خلفان بن هويشل، أبو غانم الخراساني ومنهجه الفقهي من خلال كتابه المدونة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في الشريعة الإسلامية، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2002هـ/2003م.

10- قاسم صادق، العلاقات الثقافية بين الأندلس والمشرق الإسلامي مابين القرنين الثالث والخامس الهجريين(9-11م) من خلال كتب التراجم، إشراف غازي الشمري، قسم التاريخ، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، السنة الجامعية 2017/2018م.

تاسعا: القواميس والمعاجم والموسوعات:

1- جبران مسعود، الرائد- معجم لغوي عصري-، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992م.



2- حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.
3- الزركلي خير الدين، الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، 2002م.
4- العاني سامي مكي، معجم ألقاب الشعراء، مكتبة الفلاح، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1402هـ/1982م.
5- عسيلان عبد الله عبد الرحيم، معجم شعراء الحماسة، دار المريخ، الرياض، 1982م.
6- كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.
7- مجمع اللغة العربية - الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث-، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م.
8- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، الاستشارة والمراجعة محمد صالح ناصر، عالم المعرفة، الجزائر.
9- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

عاشرا: المراجع باللغات الأجنبية:

1-BLACHÈR Régis, Un pionnier de la culture Arabe orientale en Espagne X^{e} siècle: Sa’id de Bagdad, Hespéris Tamuda- faculté des lettres et s sciences humanes- Université Mohammed V , Rabat- H¸1930¸T.X¸ fascicule l ¸pp.15-36.

2-BRUNSCHVIG Robert, Deux Récits De Voyage Inédits en Afrique du nord au XV^{e} Siècle ABDELBASIT B.HALIL et ADORNE, Larose éditeurs, paris, 1936.

3- DOZY Reinhart, L’Histoire el la littérature de L’Espagne pendant le moyen Age, troisième édition, Tome premier , Leyde –E .J Brill,1881.

4- Dwight f.reynolds, al- maqqari’s ziryab: the making of myth, Middle Eastern Literatures, Routledge-British publisher¸ Vol.11¸ No.2¸ August 2008 ¸pp.155-168.

5- GARGY Simon, LA MUSIQUE ARABE, Presses Universitaire de France,Troisième édition – paris, 1971.

6- levy Provençal .E, La Description de l’Espagne d’Ahmed Al Razi, essai de reconstitution de l'original arabe et traduction française, Revista Al Andalus, XVIII¸ 1953.

7-TALBI Mohamed -l'ÉMRAT AGHLABIDE (184-296/800-909) Histoire politique-librairie d'Amérique et d'orient Adrien-Maisonneuve¸ paris¸ 1966.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

ملخص الرسالة: إن هذه الرسالة المعنونة بالعلماء المشارقة ببلاد المغارب في العصر الوسيط تعتبر محاولة جديدة لإتمام موضوع العلاقات العلمية بين المشرق والمغرب الإسلاميين.
بعد إلقاء نظرة على تاريخ العلاقات المشرقية المغربية والتي أثبتت أن المشارقة كانوا دوما المبادرين إلى إنشاء علاقات مع المغرب سواء في العصور القديمة أم بعد فتح وأسلمة المنطقة تم التعرف على صورة المغرب والمغاربة في عيون المشارقة وكذا العوامل المساعدة لتوجههم غربا، وكذا رصد الطرق البرية والمسالك البحرية التي قادتهم نحو بلاد المغارب.
بهدف إثبات أرضية للموضوع المُعالج كان لابد من التعرف على نماذج عديدة من شخصيات هؤلاء الوافدين من أهل الثقافة والعلوم والفنون المشارقة بالترجمة لهم واستخراج الأسباب الرئيسة وراء تحولهم غربا وتحديد مكانتهم عند حكام وعلماء بلاد المغارب، ومن ثمة توزيعهم جغرافيا وزمنيا.
بعد التحقق من تواجد العلماء المشارقة ببلاد المغارب تم البحث عن دورهم في الحركة الفكرية المغربية من خلال الحديث عن العلوم والفنون الوافدة معهم، وتتبع المؤلفات المشرقية لهؤلاء على أرض المغارب ومجموع الكتب المجلوبة معهم سواء مؤلفاتهم الشخصية أو مؤلفات غيرهم من علماء المشرق، ثم تبيان أثرهم في تنشيط الحركة الفكرية في بلاد المغارب بمعالجة عدة نقاط كالامتحان والمناظرات ومجالس الوعظ والإجازات العلمية والمؤثرات الثقافية المشرقية الوافدة مع هؤلاء العلماء الداخلين بلاد المغارب.
برهنت الدراسة على وجود رحلة علمية مشرقية مغربية، وأثبتت مدى تأثير التوافد العلمي للمشارقة في بلاد المغارب من حيث تنويع العلوم وتطوير بعض الفنون وازدياد الازدهار العلمي مما زاد من دفع عجلة الحركة الفكرية بالمغرب الإسلامي.
الكلمات المفتاحية: العلماء المشارقة، بلاد المغارب، الحركة الفكرية، العصر الوسيط.

"Les savants orientaux du Maghreb et leur rôle dans le mouvement intellectuel (140-668 H / 757 -1269 ap.j-c)"

Résumé de la Thèse: Cette thèse intitulée des savants orientaux du Maghreb dans le moyen-âge représente une nouvelle essaye de compléter le sujet des relations scientifiques entre l'orient et le Maghreb islamiques.
après avoir jeté une vue sur les relations orientales-maghrébines laquelle a prouvé que les orientaux avaient toujours l'initiative d'élaborer des relations avec le Maghreb soit durant les anciens âges (antiquité) ou après la conquête et islamisation de la région, cela fut reconnaitre l'image du Maghreb et maghrébins dans les yeux des orientaux et aussi les facteurs qui leur favorisent d'aller à l'ouest, ainsi de découvrir les chemins terrestres et maritimes qui dirigent vers le pays du Maghreb.
pour argumenter un terrain du sujet traité il fallait bien connaitre divers types des personnages qui viennent du cœur de la culture et des sciences et des arts de l'orient par rechercher leurs biographies et extraire les causes fondamentales derrière ses volontés d'aller vers l'ouest (Maghreb) , et d'envisager leur importance chez les gouverneurs et savants des pays maghrébins, puis de leur mettre en place géographiquement et historiquement.
Après avoir constaté l'existence des savants orientaux sur la terre maghrébine on a cherché leur rôle dans le mouvement intellectuel à travers un aperçu sur les sciences et les arts accompagnés avec eux , et suivre leurs ouvrages (publications écrits) orientaux sur le terrain des maghrébins et l'ensemble de ses livres personnels ou les écrits des autres orientaux, puis montrer leur trace dans la vivication du mouvement intellectuel maghrébin en traitant plusieurs points comme les épreuves, les examens, polémiques, les conseils de sermon prédication, les licences scientifiques (brevets) et les influences culturelles orientales transportées avec ses savants entrants dans le Maghreb.
L'étude a prouvé l'existence d'un voyage scientifique oriental-maghrébin et elle a argumenté l'amplitude d'influence du savoir oriental sur le pays des maghrébins selon la diversité des sciences et la progression de certains arts avec la croissance et l'évolution scientifique ce qu'il a ajouté une poussé dans le progrès du mouvement intellectuel du pays maghrébin islamique.
Les mots clefs : les savants orientaux, le pays maghrébin ou le Maghreb, mouvement intellectuel, le moyen-âge.

"The oriental scholars in the Maghreb and their role in the intellectual movement (140-668H/757-1269AD)"

Abstract: This work, entitled "The Scholars of the Medieval Maghreb," is attempted to deal with the idea of scientific relationships between Orient and the Islamic Maghreb.
After looking at the history of the Maghreb oriental relationships, which proved that the Orientals were always the initiators of establishing relationships with Maghrebians, whether in ancient times or after the conquests and Islamization of the region, the image of Maghreb and Maghrebians was identified in the eyes of the Orientals as well as the factors assisting them to travel westward, as well as monitoring the roads and sea routes that led them towards the land of the Maghreb.
In order to prove the validity of the issue, was necessary to identify several models and personalities of those oriental bookworms, scholars and artists and know their biographies and the extract reasons of their conversion to the west and determine their status with the Maghreb rulers and scholars; then distributing them geographically and temporarily.
After ascertaining the presence of the oriental scientists in the Maghreb countries, their role in the Maghreb intellectual movement was explored by talking about the sciences and the arts that were brought by them and the pursuit of the Oriental works on the land of the Maghreb and the total books brought by them, whether their personal works or those of other Oriental scholars, Activating the intellectual movement in the countries of the Maghreb by dealing with several points such as exams, debates, preaching councils, scientific research vacations and oriental cultural influences with those scholars who enter the land of the Maghreb.
The study proved the presence of a Maghreb scientific journey, and proved the extent of the scientific influence of the orient in the countries of the Maghreb in terms of diversification of science, the development of some arts and the increase of scientific prosperity, which further boost the intellectual movement in Islamic Maghreb.
Keywords: Oriental scholars, The land of Maghreb, Intellectual Movement, Middle Ages.

ملخص

إن هذه الرسالة المعنونة بالعلماء المشارقة ببلاد المغارب في العصر الوسيط تعتبر محاولة جديدة لإتمام موضوع العلاقات العلمية بين المشرق والمغرب الإسلاميين. بعد إلقاء نظرة على تاريخ العلاقات المشرقية المغربية والتي أثبتت أن المشارقة كانوا دوما المبادرين إلى إنشاء علاقات مع المغرب سواء في العصور القديمة أم بعد فتح و أسلمة المنطقة تم التعرف على صورة المغرب والمغاربة في عيون المشارقة وكذا العوامل المساعدة لتوجههم غربا، وكذا رصد الطرق البرية والمسالك البحرية التي قادتهم نحو بلاد المغارب. بهدف إثبات أرضية للموضوع المُعالج كان لابد من التعرف على نماذج عديدة من شخصيات هؤلاء الوافدين من أهل الثقافة والعلوم والفنون المشارقة بالترجمة لهم واستخراج الأسباب الرئيسة وراء تحولهم غربا وتحديد مكانتهم عند حكام وعلماء بلاد المغارب، ومن ثمة توزيعهم جغرافيا وزمنيا. بعد التحقق من تواجد العلماء المشارقة ببلاد المغارب تم البحث عن دورهم في الحركة الفكرية المغربية من خلال الحديث عن العلوم والفنون الوافدة معهم، وتتبع المؤلفات المشرقية لهؤلاء على أرض المغارب ومجموع الكتب المجلوبة معهم سواء مؤلفاتهم الشخصية أو مؤلفات غيرهم من علماء المشرق، ثم تبيان أثرهم في تنشيط الحركة الفكرية في بلاد المغارب بمعالجة عدة نقاط كالامتحان والمناظرات ومجالس الوعظ والإجازات العلمية والمؤثرات الثقافية المشرقية الوافدة مع هؤلاء العلماء الداخلين بلاد المغارب. برهنت الدراسة على وجود رحلة علمية مشرقية مغربية، وأثبتت مدى تأثير التوافد العلمي للمشارقة في بلاد المغارب من حيث تنويع العلوم وتطوير بعض الفنون وازدياد الازدهار العلمي مما زاد من دفع عجلة الحركة الفكرية بالمغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية:
العلماء المشارقة؛ بلاد المغارب؛ الحركة الفكرية؛ العصر الوسيط؛ المغرب الإسلامي؛ العلاقات العلمية؛ التواصل الحضاري؛ التاريخ الإسلامي؛ المشرق الإسلامي؛ الحياة الثقافية.

نوقشت يوم 31 يناير 2019